

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة جيلالي ليابس / سيدي بلعباس



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: العلوم الإنسانية
شعبة: التاريخ

الأقلية الأوروبية في الجزائر هابين 1945-1962

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور:

— مجاود محمد

إعداد الطالب:

— داعي محمد

أعضاء اللجنة

أ.د. لونيسي إبراهيم	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	رئيسا
أ.د. مجاود محمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
أ.د. بوغفالة وذان	أستاذ التعليم العالي	جامعة معسكر	عضوا مناقشا
د. بوشنافي محمد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د. حجازي مصطفى	أستاذ محاضر "أ"	جامعة معسكر	عضوا مناقشا
د. ميسوم ميلود	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الشلف	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2014 - 2015 م / 1436 - 1437 هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة شكر وتقدير

بعد حمد الله 'عزّ وجلّ'، أتوجّه بالتقدير والشكر إلى كل من لهم الفضل

في مساعدتي للقيام بهذا العمل من يوم أن كان فكرة إلى أن انتهى على هذه

الصورة.

توجيها تنبيها لمصادر المادة العلمية، وبالنصح الذي أعانني على تجديد

العزيمة أوقات الفتور.

أخص بالذكر الأستاذ الدكتور مجاود محمد الذي تفضل بالإشراف على

هذا العمل، لم يتوان في دفعنا بنصائحه وإمدادنا بتوجيهاته العلمية من مرحلة

الدراسة النظرية إلى مرحلة إنجاز هذه الرسالة، أنفق من جهده ووقته منبها

مرشداً.

كما أتوجه بالشكر إلى أساتذتي الذين كانوا خير معين لي، أذكر منهم:

الأستاذ الدكتور لويسري إبراهيم- الدكتور علي بن حويذقة- الدكتورة قنون

حياة.

كل الذين ساهموا بالكثير أو القليل من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا

العمل.

إهداء

- إلى شهداء الثورة الجزائرية.
- إلى من رفع شعلة العلم ليضيء الطريق أمام الأجيال.
- إلى روح الفقيه الشيخ الدكتور أبو القاسم سعد الله.
- إلى والدي الذين أحاطاني برعايتهما.
- وشريكة حياتي التي رافقتني هذا المشوار.
- أبنائي: أنس، عبد الرحمن، نهى، هيثم، ضحى.
- إلى إخوتي وأخواتي وكل أفراد أسرهم.
- خاصة أعز الأخوين: بوزيان، عباس.
- جاري الشيخ الكريم جلال يحي.
- وأقرب الرفقاء عبد الله صلاة، بشير سحولي، حسين مجاود.
- إلى هؤلاء وكل أقاربي ومعارفي
- أهدي عصارة جهدي

داعي محمد

مقدمة

مقدمة

اتبعت فرنسا الاستعمارية سياسة الاحتلال الكامل والإدارة المباشرة، حيث شجعوا هجرة الأوروبيين إلى الجزائر ودفعوهم للاستيلاء على الأراضي الزراعية والأماكن العقارية لتلبية حاجاتهم، ولو أنه في بداياتها كانت بطيئة وتشكلت غالبيتها من الفرنسيين والتي كانت سببا في استقدام أعداد هائلة من العمالة ومن أوساط مختلفة إيطاليون، أسبان، مالطيون، قدمت لهم الأراضي مجانا، كما استفادوا من دعم الجيش، عند بناء المنازل والطرق والأبنية العمومية.

هؤلاء الكولون الذين تحولوا إلى ملاكين واستغلاليين جاءوا يبحثون عن الغنى، خضعت أرض الجزائر منهم جبهة المميزين مكنتهم من امتلاك رأسمال للبقاء، مما جعلهم يوسعون مساحاتهم المزروعة، جعلت من حملتهم الاستيطانية تمتد وتتوسع خلال فترة سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى، صاروا أغنياء حتى أصبح الجزائريون يوجهون أصابع الاتهام للكولون على أنهم مجموعة جشعة لا تفكر إلا في مصالحها على حساب مصالح الجماهير وأقواتها.

كما ازدهرت المدينة المستوطنة الأوروبية والتي أصبحت مراكز إدارية ثم اقتصادية، ثم جذبت لها الموظفين والتجار الفرنسيين والأجانب من مختلف البلدان الأوروبية، حتى أصبح عدد الأوروبيين الذين ولدوا بالجزائر يتجاوز كثيراً العدد الأصلي للقادمين يقول شارل روبير أجيرون "فإن شعباً جديداً بدأ في النمو".

ولإنجاح الاستيطان ومن ورائه بقاء الجزائر الفرنسية سارت على الدعم والمساندة المادية ومحاربة الجزائري وإبادته، حمايتهم بالجيش، عسكرتهم في ميليشيات، الاحتقار والشتم والتعنيف للأهالي، مساندة الحاكم العام في الجزائر لهم، اللامساواة والتمييز بينهم والأهالي في دفع الضرائب، صرف الأموال، حمل السلاح، عسكرة المجتمع الاستعماري، عدم ترك هامش للحرية في التصرف الأهالي أو حتى مواساة لهم من قبل الحكومة

الفرنسية، العمل على تجهيلهم. يقول زدرافوييكار: "هكذا كانت تبني واجهة ما يطلق عليه الجزائر الفرنسية بعماراتها الفخمة ومنازلها الكولونيالية ونواديها على شاطئ البحر، مع مدن كبيرة تشبه شوارعها تماما شوارع باريس وتحمل حتى أسمائها كل ذلك وضع في خدمة السكان الأوروبيين فقط".

حتى أصبح نوابهم يعترضون وينتقدون كل ما تتبناه الحكومة الفرنسية والذي يخرج على الحفاظ على مصالحهم وامتيازاتهم وهيمنتهم.

قضى الأوروبيون عقودا طويلة وفي تعبئة شاملة حفاظا على أمنهم وتكريسا لوجودهم لا يترددون في استعمال القوة المسلحة لقهر طموح الشعب في الحرية والاستقلال.

استطاعوا بفضل سيطرتهم على الأوضاع بالجزائر وجدوى مراكز التأثير التي تخدم مآربهم داخل البرلمان والحكومة بفرنسا، أن يحافظوا على امتيازاتهم الكاملة في جميع المجالات وأن يفشلوا كل مشروع تقرره السلطات المركزية، يتضمن تحسين وضعية الجزائريين وحتى في حالة التصويت عليها تبقى حبرا على ورق بفضل المعاملات الإدارية.

وبأسلوبهم هذا دفعوا وعلى اختلاف اتجاهاتهم وأهدافهم مواجهين أي إصلاح بجنون حاق، وذلك لما يملكونه من وسائل اقتصادية مكنتهم من ممارسة الضغط والمراقبة على الإدارة الفرنسية وحتى الجيش.

هذه الشريحة من الأقلية الأوروبية التي سيطرت عليها وروح الاستعلاء العنصري أصبحت من أخطر العقبات التي عانى منها الشعب الجزائري، إذ أصبحت وعاء لأنصار الاستعمار الكولونيالي القديم، بجميع اتجاهاته الاقتصادية الدينية والسياسية، فانصهرت كلها ضمن منحى الدفاع عن الجزائر الفرنسية.

كانوا يملون دائما سياستهم على فرنسا حتى أنهم وفي كل مرة كانوا يدفعون بالتراجع عن أي سياسة إصلاحية، بعدما أن سمحت لهم الظروف هيمنتهم على الإدارة الاستعمارية، فوضعوا أيديهم على كل أجهزتها إذ نجحوا في إدخال جزء من جيش الاحتلال وعلى الخصوص من قاداته ضمن رؤاهم.

وبذلك أصبحت الأقلية الأوروبية خطراً على السلطة الفرنسية، ينخر أمنها واستقرارها بمحاولة الغلاة منها توسيع الهوة ما بين الجزائريين والأوروبيين، بما يضمن لهم بقاء الجزائر الفرنسية، لعبوا دوراً مخزياً عبر محطات مختلفة انطلاقاً من مجازر 8 ماي 1945 إلى موقفهم من نشاط الحركة الوطنية الجزائرية ومشاركتها في الانتخابات من 1946 إلى 1953 ورد فعلهم السلبي اتجاه الثورة منذ انطلاقتها بمواجهتهم المبكرة لها وضغوطاتهم لإبقاء الجزائر الفرنسية، مشروع انتهى بالفشل الذريع.

تكمّن أهمية موضوعنا في دراسة مسار هذه الأقلية الأوروبية تحديداً في الفترة الزمنية الممتدة ما بين 1945-1962، من خلال محطات برزت فيها مناوراتهم والإدارة الفرنسية التي أثرت وبشكل سلبي على الشعب الجزائري.

ويعود اختيارنا لهذا الموضوع انطلاقاً من موضوع مذكرة الماجستير "جرائم المنظمة المسلحة السرية 1961-1962" حيث انتهيت إلى نتيجة مفادها أن هذه المنظمة كانت مدعومة من طرف الأقلية الأوروبية، لذلك أصبح التساؤل الذي يشغلني أن تحرك الأقلية الأوروبية أكان مع نهاية الثورة الجزائرية أم يعود بالأساس لسياسة الاستيطان التي جسدتها فرنسا الاستعمارية، تركت هذه الأقلية يتنامى وجودها بثرائها وهيمنتها السياسية التي جعلتها في سعي دائم وتخطيط محكم للحفاظ على الجزائر الفرنسية.

أما عن الأسباب الذاتية فحاولت المساهمة وبموضوعية في دحض ما يزعمه أحفاد الاستعماريين من مؤرخين أو برلمانيين مثل قانون 23 فيفري 2005 الذي يمجّد الماضي الاستعماري، محاولة منهم لتبييض التاريخ القاتم لغلاة الكولون، فحاولت تسليط الضوء

على سلوكيات الأقلية الأوروبية ومواقفها ودورها في مختلف المحطات التاريخية وما عاناه الشعب الجزائري من عنصريتها وتطرفها.

وبناء على هذا أردنا معالجة هذا الموضوع ضمن دراسة بسيطة ونظرة وطنية محاولة منا وضع لبنة أساسية، غايتها الأولى الكشف عن افتراءاتها بأن كل مساعيهم وتحركاتهم يعتبر حقا طبيعيا ومشروعا، خاصة وأن تداعيات هذا الملف أصبحت تلقي بظلالها اليوم أكثر من حقها وبشكل استفزازي من طرف أحفاد الأقدام السوداء التي رجعت وبقوة في ظل الانفتاح، ممتطية أنه من حقها القانوني مطالبتها باسترجاع أملاكها معتمدة على ما تملكه من وثائق.

ولدراسة هذا الموضوع، طرحنا الإشكالية التالية:

- هل الأقلية الأوروبية مواقفها وأدوارها حق مشروع وطبيعي؟
- وهو ما دفعنا لطرح أسئلة فرعية تساعدنا على الإلمام بالموضوع، منها:
- أكانت مواقفهم من الأهالي الجزائريين هي عين الصواب؟
- وهل ساهمت في دعم وجودهم أم خدمت الجزائريين؟
- وهل كان باستطاعتهم وقف التطور الطبيعي للقضية الجزائرية؟
- وهل بجرائمها تود الدفاع عن رغبتها في البقاء أم هو انتقام وتخريب عند ساعة الرحيل؟
- وما هو موقف الحركة الوطنية والثورة الجزائرية بمؤسساتها من الكولون؟
- وكيف كانت نهايتها؟

اعتمدنا في موضوع بحثنا على البعض من الوثائق الأرشيفية إلى جانب ما كتبتة صحف اليسار وحتى اليمينية منها ، إلى جانب جريدة المجاهد بما في ذلك مصادر متنوعة متخصصة لمحطات زمنية مختلفة، الشاب الجزائري، ليل الاستعمار لفرحات عباس، معذبو الأرض، العام الخامس للثورة الجزائرية، لفرانز فانون، حرب الجزائر في

فرنسا، لعبد الرحمن مزيان شريف، جذور أول نوفمبر، اتفاقية إيفيان، لبن يوسف بن خدة، المهمة المنجزة لسعد دحلب، الجزائر في اتفاقية إيفيان لرضا مالك، الملف السري لاتفاقية إيفيان، أوليفي لونغ، الحقيقة المرة لعبد الرحمن فارس، شهادة صحفي يوغسلافي لزدرافوبيكار. ومن المذكرات، الأمل لشارل ديغول، مذكرات جزائرية لهنري علاق، من المناضل السياسي إلى القائد العسكري لعللي كافي. كما اعتمدنا على ما كتبه الفرنسيون ما مس الموضوع ومن مختلف الأطراف التي عايشت الأحداث ومنها كتاب "ما لم أقله" لصاحبه إدمون جوهر، شرف الجنرال للجنرال كاتز، نهاية إمبراطورية لراؤول صالان، ومن المراجع المتنوعة.

تركيزنا على هذه المذكرات التي عالجت موضوع بحثنا مكنتنا من الوصول إلى حقائق تاريخية استطعنا من خلالها توضيح بعض المواقف والرؤى التي كانت لها. تميز البعض منها خاصة الفرنسية والتي نركز فيها على ما كتبه شارل ديغول أو حتى ايدموند جوهر بما ذلك راول صالان، والتي اتسمت بالتحيز في الكثير من طروحاتها دفاعا على الأقلية الأوروبية للحفاظ على مصالح فرنسا.

على أن وجدنا ضالتنا في الكثير من الكتب التي أثرت موضوعنا خاصة منها كتب فرحات عباس، فرانز فانون، زدرافوبيكار، التي طرحت وعالجت الأقلية الأوروبية بمختلف مواقفها عبر أطوار تواجدتها بالجزائر.

واعتمدنا في موضوع دراستنا على المنهج الوصفي في تبيان تثبيت وجود الأقلية الأوروبية عبر مختلف مراحل السياسة الاستيطانية، ومن خلال تنامي ثرائهم الاقتصادي وهيمنتهم على قرار المؤسسات السياسية.

وبالمنهج التحليلي تأثيراتهم على السياسة العامة لفرنسا وما يتخذ من إجراءات لصالح الجزائريين، موقفهم ودورهم من ذلك.

ولمعالجة هذا الموضوع قسمنا بحثنا إلى مقدمة ومدخل وخمسة فصول وخاتمة، جاءت كحوصلة لنتائج ما توصلنا إليه.

جاء عنوان المدخل السياسة الاستيطانية في تمكين الأقلية الأوروبية في الجزائر حيث طرحنا دور سياسة الاستعمار في تثبيت وتكوين الأقلية الأوروبية، مع التركيز على مميزات وخصائص العنصر الأوروبي وموقفه من الأهالي الجزائريين.

ومنه إلى الفصل الأول الذي عنوانه بالأقلية الأوروبية والجزائريين في ظل الحرب العالمية الثانية 1939-1945، تناولنا فيه موقفها من الجزائريين في ظل هذه الحرب بتعفيها للأجواء ومساهمتها في مجازر 08 ماي 1945 و ما ترتب على ذلك من نتائج وانعكاسات.

أما الفصل الثاني الذي كان بعنوان الأقلية الأوروبية والجزائريين ما بين 1946-1954، عالجنا فيه إصلاحات الحكومات الفرنسية وموقفها منها في ظل الثراء الاقتصادي والهيمنة السياسية، وما يوضح ذلك معارضتها لقانون 20 سبتمبر 1947، كما تطرقنا إلى موقفها من نشاط الحركة الوطنية وكعينة عنه مسألة الانتخابات.

ومنه إلى الفصل الثالث الذي عنوانه بالأقلية الأوروبية والثورة الجزائرية في ظل الجمهورية الرابعة 1954-1958، تطرقنا فيه إلى ردود الفعل الأولية للأقلية الأوروبية من انطلاقتها، كما عرجنا نحو إعلامها والدور الذي قام به، بما في ذلك موقفها من أحداث 20 أوت 1955، إلى جانب توضيح مواجهتها المبكرة للثورة ومعارضتها لإصلاحات الحكومات الفرنسية.

ثم منه إلى الفصل الرابع الذي عنوانه بالأقلية الأوروبية والثورة الجزائرية في ظل الجمهورية الخامسة 1958-1960، تناولنا فيها رد فعلها اتجاه قوة وشمولية الثورة، دورها في أحداث 13 ماي 1958، وموقفها من سياسة الجنرال ديغول، بما في ذلك الضغوطات التي مارستها هذه الأقلية في إبقاء الجزائر الفرنسية ومنها مشاركتها في

أسبوع المتاريس 24 جانفي 1960 ودورها في مظاهرات ديسمبر 1960 ومساهماتها في انقلاب 22- 25 أفريل 1961.

أما الفصل الخامس الذي وضعنا له عنوان بالأقلية الأوروبية وفقدانها لما تمسكت به الجزائر فرنسية. تطرقنا فيه إلى نهاية البداية لها بداية من مفاوضات الجدية وموقفها منها 1960- 19 مارس 1962، لنبين مساهمتها ومشاركتها في إجرام المنظمة المسلحة السرية وبعدها عرجنا إلى أصعب مرحلة عاشتها الأقلية الأوروبية ومن ورائها الجزائريين في ظل المرحلة الانتقالية 19 مارس 1962 إلى جويلية 1962 لننهيه برؤى ومواقف هيئات الثورة الجزائرية من الأقلية الأوروبية.

على أن كانت الخاتمة عبارة عن إستنتاجات لما جاء في اشكاليتنا والتي أوصلتنا إلى مجموعة حقائق من بينها أن السياسية الاستعمارية التي تبنتها فرنسا (الاستيطان) لتجسيد مشروع إمبراطوريتها والتي اتخذت له الأقلية الأوربية كحصان طروادة لبقائها في الجزائر، مشروع انتهى إلى الفشل الذريع.

ذلنا موضوع دراستنا بمجموعة ملاحق التي كانت عبارة عن تصاريح، نداءات من مختلف أطراف هيئات الثورة الجزائرية، قادة الجيش وزراء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. إلى جانب مجموعة صور توضح الإجرام الذي اقترفته أياديهم. واجهتنا صعوبات اعترضت سبيلنا ونحن في طريق إنجاز هذه الرسالة نذكر منها:

- مدهمة الوقت لنا لطبيعة الموضوع الشائك والمتشعب باعتبار أنه صلب موضوع الاستعمار الذي عانت منه الأمة الجزائرية،
- فقداننا (سرقة) كل ما جمعناه من مركز الأرشيف ما وراء البحار أكس بروفانس بفرنسا والتي أفقدتني توازني، وأثر بشكل كبير على مسار البحث خاصة على مادته الأرشيفية، لملمت أنفاسي وبصعوبة، رجوعا للموضوع من أجل إنهائه في آجاله المحددة.

- الترجمة من الفرنسية إلى العربية الذي أخذت مني القسط الكبير من الوقت.

ورغم كل الصعوبات إلا أننا مضينا شاقين مدللين كل العراقيين بمساعدة المشرف بتوجيهاته القيمة الدالة المشجعة التي كان لها أثرها البالغ في إتمام هذه الرسالة.

أتمنى أن تكون هذه الرسالة لبنة أولى ومساهمة منا لإثراء جانب مهم عن أداة وظفها الاستعمار الفرنسي لبقائه بالجزائر وحتى عندما صعب عليه الأمر وظفها للحفاظ على امتيازات ومصالح فرنسا الاستعمارية، أتمنى أنني قد وفقت في عرض بعض جوانب ما قامت به هذه الأقلية الأوروبية في ظل تواجدها بالجزائر.

مدخل

1 الاستيطان دوره في تكوين وتثبيت الأقلية الأوروبية:

لقد أدركت فرنسا الاستعمارية منذ البداية أن هدفها لا يمكن تحقيقه عن طريق الجيش الفرنسي وحده، خاصة وأن التجربة الإسبانية في احتلال السواحل الجزائرية ماثلة أمام أعين الساسة الفرنسيين، حيث بقي الإسبان لأكثر من ثلاث قرون معزولين في حاميات متناثرة على السواحل وعاجزة عن فرض سيطرتها على كامل التراب الجزائري، الشيء الذي سهل فيما بعد اقتلاعها وطردها نهائيا من البلاد لذلك أدركوا أنه بدون مستوطنين فرنسيين وأوروبيين مدنيين يدعمون الجيش الفرنسي فإن هذا التواجد لا يمكن أن يستقر بأي حال من الأحوال¹.

لذلك أجمعت اللجنة الإفريقية التي زارت الجزائر سنة 1833 على مواصلة الاحتلال وعدم التخلي عن الطريدة لأن الجزائر تقدم لفرنسا منافع كثيرة في الميادين الاقتصادية والسياسية والحربية، فهي سوق لترويج بضائعها ومنفى للمشوشين من أبنائها ومركز إستراتيجي تستعمله في حروبها وفي نشر سلطانها على البحر الأبيض المتوسط². وهو ما عبر عنه الجنرال شارل ديغول عبر مذكراته معترفا ما أصبحت تمثل الجزائر لفرنسا قوله: " لقد كانت الجزائر تحتل في حياتنا القومية أهمية لا مجال للموازنة بينها وبين بقية البلاد التي كانت تابعة لنا" ليضيف قوله: " فقد غمرنا الفرح لأننا أصبحنا سادة أرض كلفتنا الكثير، تعزز موقعنا في إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط بفضل الجزائر"³. وعليه كان الهدف الأساسي والبعيد هو تحقيق "الجزائر الفرنسية" كما يقول أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر: " بوزنها الديموغرافي كامتداد لفرنسا

¹ فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة، أبو بكر رحال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005، ص: 93.

² - أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، مذكرات ، ترجمة، محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1973، ص: 130.

³ - شارل ديغول، مذكرات الأمل، ترجمة، سموحي فوق العادة، مراجعة، أحمد عويدات، منشورات عويدات، الطبعة الأولى، لبنان، 1970، ص: 99.

جنوب البحر المتوسط، والعملية لم تكن ملئ الفراغ، لقد كان على قادتهم العسكرية إفراغ الجزائر ديموغرافيا حتى تسهل عملية المصادرة¹.

إعمار الأرض بالأوروبيين كان هو الهدف الأساسي من فرنسة الجزائر، وعليه اتجه النظام الاستعماري ببذل كل ما في وسعه لتقطيع أوصال المجتمع المسلم، فجرده من سلاحه وممتلكاته لكي يجعل منه أداة في خدمة رفاهية الأوروبي².

هذا الأوروبي الذي يصف هدفه حمدان بن عثمان خوجة في كتاب "المرآة" قوله: "لقد كان أحد أقربائي يملك جنانا في دار الاستحمام أنيقة البناء وكانت هذه الملكية من جملة الأملاك المحتلة عسكريا، ولما رأى بعضهم تلك الأبهة وتلك الزينة، ظنوا أن الدار تحتوي على كنز دفين، لأن معظم السادة الأوروبيين لا يحلمون إلا بالكنوز، وهكذا سارعوا إلى الحفر وتفتيش الأرضيات وتهديم بعض الحيطان التي شك في أنها تخفي بعض الثروات ولما لم يجدوا شيئا باعوا المواد التي كان لها ثمن لجمع كمية من المال³. وعليه يتبين أن سياسة الاستيطان كانت الهم الأكبر للحكومات الفرنسية، والعناصر الهدامة من الفرنسيين تطالب بالحصول على تنازلات مجانية حيث بلغ عدد طلباتها أكثر مائة ألف⁴.

اعتمدتها واعتبرتها أساس نجاح استعمارها، من أجل إحداث قوة سياسية لنظام حكم ومجال سيادة على حساب هذا الشعب، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور نظام سياسي جديد يتطور قهراً ووفقا لرغبة المستوطنين لا وفق التطور الطبيعي والديمغرافي للسكان

¹ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص: 89.

² - فرحات عباس، تشريح حرب، ترجمة، أحمد منور، الجزائر، 2010، ص: 10.

³ - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005، ص: 264.

⁴ - شارل روبيير أجبيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة، عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، الجزائر، 1982، ص: 55.

الأصليين"¹. حيث لجأت الحكومة الفرنسية لوسائل غير طبيعية لإرسال المستوطنين إلى الجزائر²، فأصدرت قرار 21 سبتمبر 1830 يسمح بمصادرة أملاك الوقف والبايلك قصد توزيعها على الوافدين الأوروبيين³.

وما كادت سنة 1830 تصل إلى نهايتها حتى أصبحت الأراضي الزراعية تؤخذ من أيادي الفلاحين الذين أبعادوا إلى المناطق الجبلية القاحلة الجرداء، والأراضي الخصبة التي تقع في السهول وعلى مجاري المياه يمتلكها المستوطنون الأوروبيون⁴، وبذلك عاشت الجزائر أبشع استعمار استيطاني عرفه التاريخ⁵، أخذ شكلا متطورا ساعد على إبراز كل سلوكيات الاستعمار التقليدي وجرائمه⁶.

تدفقت سيول هجرة الأوروبيين إليها لتوزع عليهم ملايين من هكتارات الأراضي العربية المصادرة ولتبنى لهم القرى الفلاحية وتقدم لهم القروض السخية للاستغلال⁷.

وبذلك وفد الكثير من المغامرين والباحثين على الربح السريع، وزادت فرنسا إصرارا على الدفع بزيادتهم ليرفع عددهم من 35700 نسمة سنة 1840 إلى 130700 نسمة سنة 1850⁸.

استقبلت مهاجرين من كورسيكا وصقلية ومالطا وسلمت لهم أراضي، ليتحصلوا بعدها على قروض دفعتهم لشراء أراضي من فلاحين أصابهم الفقر، زرعوها كروما

¹ - صلاح العقاد، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، الطبعة السادسة، مكتبة الأنجلومصرية، 1993، ص: 146.

² - صلاح العقاد، مرجع سابق، ص: 133.

³ - Djillali Sari, La dépossession des Fellahs 1830- 1962, SNDE, Alger, 1975, p : 9.

⁴ - رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931- 1956، دراسات تربوية للشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص: 86.

⁵ - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 53.

⁶ - مصطفى طلاس، بسام العسلي، الثورة الجزائرية، الطبعة الأولى، دار الشورى، بيروت، 1982، ص: 59.

⁷ - عبد الرحمن بن إبراهيم العفون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الأولى، 1920- 1936، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 50.

⁸ - أندري نوشي، أندري جوليان، إيف لاکوست، الجزائر بين الماضي والحاضر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 335.

وتبغا وبرتقالا وقمحا وغيرها...¹ في ظل رفض الأهالي الجزائريين توسيع الملكية الاستعمارية عن طريق ثوراتهم المسلحة، فشكّلوا تهديداً للوجود الفرنسي بالجزائر، لذا وجب تصنيفهم أو على الأقل جعلهم في وضعية أقل قيمة بالنسبة للسكان الأوروبيين².

فجعلوا من الرجال الأهالي قطعانا كبيرة موزعة بالقوة فوق أراضي معينة حسب رغباتهم من أجل الإسراع في عملية الاستيطان وبصفة أدق يقول أوليفي لوكو غرانميزون: "إنها حرب عرقية عنصرية بوسائل أخرى ستنتهي بتغيير الخارطة البشرية للجزائر"³، لأنهم هم الحلفاء الطبيعيون للاستعمار، هم رأس الحربة بالنسبة له، لذلك فإن فرنسا الاستعمارية في عهد الجمهورية لم تبخل عليهم بالامتيازات على حساب الشعب الجزائري، بتشجيعها الاستيطان بكل الوسائل، تقديم الأرض مجانا، بناء المراكز...⁴ جلّه تم في ظل تعيين الجنرال بيجو حاكما عاما على الجزائر فيفري 1841 حتى سبتمبر 1847 وجد الدعم من الإدارة الاستعمارية للاحتفاظ بالمستعمرة. فارتفع حجم الأموال المخصصة للحرب على المقاومة الوطنية، ودعم جيشه حتى من الأهالي في حدود 10 آلاف لذلك طبق حرب إبادة على الجزائريين وشجع الاستيطان في آن واحد لذلك اكتسح الكولون على مجموع الأراضي التي كانت للأمير⁵.

¹ - زدرافوبيكار، الجزائر، شهادة صحفي يوغسلافي عن حرب الجزائر، ترجمة، فتحي سعيدي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ص: 374.

² - كمال كاتب، أوروبيون أهالي ويهود الجزائر 1830 - 1962، تمثيل وحقائق، ترجمة، رمضان زبيدي، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص: 269.

³ - أوليفي لوكو غرانميزون، الاستعمار الإبادة، تأملات في العرب والدولة الاستعمارية، ترجمة، نورة بوزيدة، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص: 72.

⁴ - عباد صالح، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870 - 1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص: 68.

⁵ - Charles Robert Agéron, Histoire de l'Algérie contemporaine, 1830- 1973, Que sais-je, paris, 1974, p : 18.

رغم المقاومة الجزائرية وعدم استقرار الجنرال بيجو على الطريقة التي يسلكها للاستيطان، إلا أنه استطاعت فئة من الأوروبيين أن تقيم في الجزائر ما بين الفترة الممتدة ما بين 1830-1851 والتي توزعت حسب الجدول التالي:¹

السنة	الجزائر	وهران	قسنطينة	المجموع
1833 - 1844	53140	11427	10853	75420
1851	37081	46820	27854	131578

مع مجيء نابليون الثالث عرفت العملية في عهده توقف الحكومة على منح الأراضي وهو ما لم يكن في صالح الجزائريين وإنما لصالح الشركات المالية الكبرى بحيث كان على حساب الاستيطان الصغير². ورغم ما بدا على العملية من تراجع وفشل لولا ضراوة الإدارة الاستعمارية ما كان ليكتب لإقامة المعمرين والتوسع المكثف للأراضي الأوروبية، لقد أعدت الإدارة العليا ووسعت مرات كثيرة المزارع وأحاطت بالمناطق الجبلية أبراج مراقبة بداية من سنة 1843 لإضعاف قوات المقاومة منها للأمير عبد القادر³.

تشغيل الكولون من ذوي الاختصاص في الفلاحة، ليهجر فرنسيو جنوب فرنسا محل مواطنيهم الذين ما استطاعوا التأقلم والتجذر، لكن الإسبان والإيطاليين والمالطيين كانوا أكثر تحضيراً للأوضاع⁴. لذلك شكل الاستيطان وتوسع في المناطق الساحلية والداخلية للجهة الغربية وبشكل كبير حيث استولى المستوطنون على مساحات شاسعة من

¹ - سيد أحمد سليمان، سياسة فرنسا في توطين الأوروبيين في الجزائر 1830-1887، رسالة دبلوم دراسات، وهران، 1976، ص: 32.

² - A.W.O., Evénement politique 1833- 1879, série B, sous série B7.

³ - الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المقاومة السياسية 1900-1954، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة، عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص: 141.

⁴ - جمال خرشي، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830-1962، ترجمة عبد السلام عزيزي، مراجعة وإشراف مصطفى ماضي، دار القصة، الجزائر، 2009، ص: 182.

الأراضي¹، كان للإسبان فيها الجزء الأكبر، مثلوا الغالبية من السكان في القطاع الوهراني، سجلت الإحصائيات سنة 1911 وجودهم بـ 93 ألف نسمة²، استوطنوها لقربها من الشواطئ الجنوبية لإسبانيا كثيرا ما حافظوا على خصوصياتهم وعاداتهم نزحوا من أليكانت وموريسا وفالونسيا³.

وبداية من سنة 1841 بدأ المستوطنون يستولون على مختلف المناطق خاصة بعد تفكيك عاصمة الأمير عبد القادر، وبهذا تمكن المستوطنون مع تثبيت وجودهم والعمل أكثر من أجل تجريد الجزائريين وسلب أراضيهم الزراعية⁴، لذلك أقدم الجنرال بيجو على توسيع دائرة الاستيطان حيث وفي خطاب له أمام النواب جانفي 1840 أكد على ضرورة تأسيس مقاطعة فرنسية في الجزائر يسيطر فيها المعمرون الفرنسيون⁵، كما أضاف قائلا: " يجب أن يقيم الفرنسيون حيثما وجدت المياه الغزيرة والأراضي الخصبة بدون اهتمام بحق ملكية الأرض التي يجب أن توزع على الأوروبيين، أن تصبح هذه الأراضي الخصبة من أملاكهم الشخصية"⁶، وهو من اشتهر عنه قوله: " أن الفتح عملية مؤقتة لا تكسب صفة الدوام إلا بالاستعمار، تثبيت العنصر الأوروبي في البلاد المفتوحة⁷. المفتوحة⁷. مؤكدا وبتاريخ 22 فيفري 1849 على أن الغزو بدون استيطان سيكون عقيما⁸.

¹ – Ahmed Henni, La collaboration agraire et le sous développement en Algérie, SNED, Alger, 1982, p : 21.

² – Bernart Tricot, Les sentiers de la paix, Algérie 1950- 1962, plan, paris, 1972, p.p : 436-437.

³ – Pierre Goinard, Algérie l'œuvre française, Edition, paris, 1984, p.p : 97- 98.

⁴ – Benjamin Stora, Histoire de l'Algérie contemporaine 1830- 1889, Alger, 2006, p.p : 27-28.

⁵ – A.W.O., dossier 14073 événement politique 1833, 1879, série B, sous série B7.

⁶ – عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، الطبعة الأولى، الجزائر، 2002، ص: 118.

⁷ – صلاح العقاد، مرجع سابق، ص: 134.

⁸ – حياة قنون، دور ومكانة الإسبان في ترسيخ الاستعمار الفرنسي في الغرب الجزائري 1830- 1900، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2003، ص: 38.

وعليه دعا بإعطاء صلاحيات جديدة وكبيرة للسلطات العمومية قصد الإسراع بخلق الظروف المواتية للاستيطان، بتوجيه الراغبين للقدوم اتجاه الجزائر، تمويل مشاريعهم، تنظيم حياتهم كما يرى "أن الدولة تقوم بدور تأسسي بتكفلها طرد العرب من أراضيهم وتهيئتها لاستقبال القادمين من أوروبا"¹.

ومع تعيين الجنرال كلوزيل وجه كلمة في الجزائر بمناسبة تعيينه كحاكم عام قائلاً: "عليكم أن تعلموا أن هذه القوة العسكرية التي هي تحت إمرتي، ما هي إلا وسيلة ثانوية، ذلك أنه لا يمكن أن تغرس العروق هنا إلا بواسطة الهجرة الأوروبية فقط"². طريقته في التوطين جعلت من الجزائر "مستودع التسول لأوروبا" حيث شجع المتشردين من الأوروبيين على الإقامة بالجزائر³. فاعتمدت الدعاية كوسيلة للدفع بالعملية للنجاح فوزعت مناشير فيها من الإغراءات ومنها منح تسهيلات لكل فرنسي أو أوروبي، العبور المجاني له ولذويه، الاستفادة من مساعدات، مأمّن مؤقت، إعانات خاصة من 300 حتى 600 فرنك، دعم مجاني بالنباتات والحبوب، قروض مؤقتة... وبذلك فتح المجال واسعاً للسويسريين والألمان والإرلنديين..."⁴.

الجنرال "لاموريسيير Lamoricière" هو الآخر انضم إلى صف بيجو، مصرحاً: "يلزمنا معمرّون أوروبيون، إن مجموعة من سكان مسيحيين فلاحين بإمكانها لوحدها أن تحملنا على الأمل بالاستطاعة يوماً على بقائنا"⁵.

الجنرال "دو فيفييه De Vivier" أكبر عقيد ماريشال سنة 1939 يقترح رعاية السلطة لهم بتسليحهم ومنحهم الأراضي والمساكن وإعفاءهم من كل الضرائب لمدة أربعين

¹ - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص: 385.

² - الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزء الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،

1971، ص: 36. أنظر: صالح عباد، مرجع سابق، ص: 06.

³ - سيد أحمد سليمان، مرجع سابق، ص: 30.

⁴ - شارل أنري فافرود، الثورة الجزائرية، ترجمة كابوية عبد الرحمن، سالم محمد، دحلب، الجزائر، 2010، ص: 29.

⁵ - نفسه، ص: 45.

سنة¹. تأكد ذلك مع المارشال "بريغوست بارادول" سنة 1870 والذي صرح قائلاً: " ليس علينا أن نجعل من الجزائر ميدان لتدريب الجيش الفرنسي عسكرياً، بل علينا أن نجعل منها أرضاً فرنسية يقطنها الفرنسيون، يملكونها، يزرعونها ويتدبرون شؤونها"².

وبذلك اتضح لدى الساسة الاستعماريين أن الإمساك بزمam البلد وفرض الهدوء على السكان هما أمران لا يمكن تحقيقهما واستمرارهما إلا بتكاثر المستوطنين³. الحقيقة التي وقف عليها أوليفي لوكو غرانميزون: " أن الجيش وحده لن يتمكن من تحقيق الاستقرار، يجب أن يدعم بحضور العديد من المعمرين الأوروبيين لكي تخدم كليا المقاومة المحلية"، معتمداً على ما صرح به توكفيل: " أن تتدعم القوة العسكرية بالقوة المدنية، كقاعدة صلبة للعمليات العسكرية التي ستقل تكلفتها وتزداد فعاليتها"⁴.

وبذلك أصبحت الأمور معلقة على هؤلاء المستوطنين الأجانب، وهذا شكل من أشكال الاستعمار المعروف، استخدام الأقلية الأوروبية الوافدة ضد الأغلبية المحلية⁵. وما بين 1844- 1846 أصدرت الإدارة الاستعمارية لائحتين، الغاية منها القضاء على المضاربات وتوسيع مساحات الأراضي الممنوحة للمعمرين⁶، في إطار ما حدث عليه طوكفيل النظام الاستعماري ونجاحه: " يجب حث باقي الأوروبيين على القدوم هنا، بحيث سيساهم عددهم ونظامهم على إبعاد "الأهالي"⁷.

اتسمت اهتمامات الفرنسيين بملكية الأراضي أكثر من خلال التشريعات العقارية الصادرة ما بين 1844 إلى غاية 1929⁸، ففي الجهة الغربية استحوذ الكولون على

1 - أوليفي لوكر غرانميزون، مرجع سابق، ص: 375.

2 - مصطفى طلاس، بسام العسلي، مرجع سابق، ص.ص: 60 - 61.

3 - نفسه، ص: 21.

4 - أوليفي لوكر غرانميزون، مرجع سابق، ص.ص: 135 - 136.

5 - حياة قنون، مرجع سابق، ص: 35.

6 - أندري نوشي، أندري جوليان، إيف لاکوست، مرجع سابق، ص: 333.

7 - أوليفي لوكر غرانميزون، مرجع سابق، ص: 139.

8 - بن داهة عدة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830- 1962، الجزء الأول، وزارة المجاهدين، 2008، ص: 316.

أراضي واسعة خاصة على المناطق الساحلية يذكر "أحمد هني" إحصائيات قوله: " حصل "سانت مور St. Mour" على مساحة 21600 هكتار و"أرناست Ernest" على 250 هكتار بالدار البيضاء، و"بونفور bon fort" على 14800 هكتار بمسرغين كما تحصلت شركة "لوفر Laufre" على 1500 هكتار بمنطقة الأندلس¹ Les Andalouse. دعمتها بقانون 19-09-1848 والذي على إثره تم تأسيس عدد من المراكز الاستيطانية منها 12 مركزا بالجزائر، 21 في وهران و 9 مراكز بقسنطينة، مع تقديم الإدارة الاستعمارية بعض المساعدات كتوزيع البذور والآلات الفلاحية وبعض أعمال الري².

لذلك فإن الحكم الجمهوري عمل بكل جهد لترضية رغبات المعمرين وذلك بصدور مرسوم 19 سبتمبر 1848 يقضي بتخصيص خمسين مليون فرنك لمساعدة المهاجرين المدنيين إلى الجزائر، خمسة ملايين تصرف سنة 1848 وعشرة ملايين تخصص لسنة 1849 وخمسة وثلاثون مليون للسنوات التي تأتي عقب ذلك³. وهو ما جعلها تنمو على أن وصل عددها 87 تعاونية فلاحية في جهة وهران، ليصل ما مجموعها سنة 1960 إلى 211 تعاونية⁴. ذلك ما يثبت قوة الاستيطان الأوروبي على عمالة وهران وما يؤكد ذلك الجدول الإحصائي لتعداد الجزائريين والأجانب حسب العمالة لسنة 1848.⁵

العمالة	الجزائريون	الأجانب	المجموع
وهران	1535565	431579	1967144
الجزائر	2354403	374386	2728789
قسنطينة	2912865	178293	3091158
الجنوب	799276	14983	814259
المجموع	7602109	999241	8601350

¹ - Ahmed Henni, op.cot, p : 21.

² - أندري نوشي وآخرون، مرجع سابق، ص: 383

³ - إبراهيم لونيسي، الفكرة الاندماجية في الجزائر 1830 - 1945 بين الطرح الفرنسي والموقف الجزائري، مجلة الرؤية، السنة الثالثة، الجزائر، العدد، 3، السداسي الأول، 1997، ص: 111.

⁴ - الجبالي صاري، محفوظ قداش، مرجع سابق، ص: 125.

⁵ - A.W.O., document algériens, N°24 du 30-04-1949.

تلك السلسلة من القوانين كانت أقوى على القطاع الوهراني حيث تم تشييت بنية العشائر والقبائل بصورة أسرع وأشمل بفصل المقاومة لذلك دعمت الأقلية بالأموال والتجهيزات، خصصت لها ميزانية وصلت حوالي 2242000 فرنك¹.

ذلك الذي جعل عدد بلديات عمالة وهران يتوسع حتى ان وصل ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى 139 بلدية وهو ما يوضحه الجدول الذي يقسم عدد بلديات عمالة وهران²:

عدد البلديات	المقاطعة
48	وهران
17	معسكر
27	مستغانم
23	سيدي بلعباس
11	تيارت
13	تلمسان
139	المجموع

وبعد القضاء على ثورة المقراني والشيخ الحداد تحقق للكولون الانتصار الذي ومن يومها ستصبح إرادتهم في إقامة "جمهورية فرنسية صغيرة" لا وزن فيها إلا للأقلية الأوروبية دون غيرها³. كما ساعدتهم في ذلك المراسيم ومنها مرسوم 1 نوفمبر 1844 والذي أثبت شرعية ما تملكه الكولون من قبل وصادق على العقود العقارية السابقة⁴. جمعتهم الإدارة في قرى محصنة ومزودة بوسائل دفاعية ونظمتهم في شكل ميليشيات

¹ - الجيلالي صاري، الأرياف الجزائرية، مجلة الثقافة، العدد، 83، أكتوبر 1984، ص: 195.

² - A.W.O., document algériens, N°26 du 09-08-1949.

³ - شارل روبيير اجيرون، مصدر سابق، ص: 79.

⁴ - بن داهة عدة، مرجع سابق، ص: 206.

أشرف عليها ضابط لتلقيهم العادات العسكرية، إتباع قواعد للحراسة والدفاع عن أمنهم، إجراءات تدل على عسكرة المجتمع الاستعماري لأن مقاومة الأهالي فرضت تسليح شعب المعمرين¹.

فأصبحت الأقلية الأوروبية يد ثمينة يركز عليها الجيش حيث سيصبحون عيون وآذان السلطة الاستعمارية اليقظة والمتحمسة، توزيعهم على الأراضي المحتلة كان سندا هاما للجيش الذي سيتعزز بهم، وبالميليشيات التي أصبحت منظمة والدخول إليها إجباري على كل فرنسي بين سن 18 - 55 سنة².

تجسيد لتصور "طوكفيل" في الدفاع عن الحكم وتنظيمه والذي ساقه أوليفي لوكو غرانميزون قوله: "مما يسمح للدولة الاستعمارية التحرك السريع ضد القبائل العربية والتي هي قائمة دوما على محاربتنا... فعلى الجيش والمعمرين أن يبقوا مدججين بالأسلحة للدفاع عن أنفسهم ومكتسباتهم³. ومع الفترة الممتدة ما بين 1873 - 1927 صارت قوانين 26 جويلية 1873 و 22 أفريل 1877 حيث استحوذ الأوروبيون على 400000 هكتار، هو استنتاج وصل إليه بيجو ما كانت تمثله الأرض الفلاحية للمستوطن لذلك صرح قائلا: "لا بد من قهر الأهالي واستعمار هذه البلاد كاملة"⁴.

وعليه فقد نشطت فرنسا وبقوة عملية الهجرة الأوروبية للجزائر بتقديم كل التسهيلات والإمكانيات والدعم الضروري⁵، يذكرها شارل روبير أجيرون: "بيت للسكن، محاريت، ثيران للحرث، البذور، راتب يوميا إلى جانب تعهد بإنجاز جميع الأشغال ذات المنفعة العمومية واللازمة⁶. فربطت كل مراكز المعمرين بالطرق الوطنية الكبرى¹،

¹ - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص: 136.

² - نفسه، ص.ص: 136 - 137.

³ - نفسه، ص: 139.

⁴ - Benjamin Stora, op.cit., p : 27.

⁵ - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830 - 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص.ص: 8 - 9.

⁶ - شارل روبير أجيرون، مصدر سابق، ص: 197.

وأنشأت البنية التحتية التي تستجيب لحاجاته كالطرق والمرافئ والسكك الحديدية والتلغراف والتلفون والمدارس والمستشفيات، لم يكن للأهلي فيها أي نصيب². بما في ذلك تدعيم الإنتاج الحيواني والغابي مع توفير الوسائل الضرورية لرفع من الإنتاج خاصة الأعلاف المقدمة والتي تستفيد منها التعاونيات الفلاحية التابعة للكولون³.

وبذلك تضاعف عددهم في ظل حكم الجمهورية الثالثة سنة 1870 وهو ما يوضحه الجدول الآتي⁴:

السنة	العدد
1870	245500
1881	376800
1890	500900
1900	610000
1911	792000
1921	400791
1936	946000
1948	922300
1958	948000

وعليه نستنتج ومن التطور الملحوظ الذي أخذ منحى سريع بعد 1870 حيث جاء تصريح الأميرال "دوفيدو" على إثر انتهاء ثورة 1871، ضرورة ضرب هؤلاء

¹ - فرحات عباس، الشاب الجزائري، من المستعمرة إلى المقاطعة، ترجمة، أحمد منور، الجزائر، 2010، ص: 165.
² - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 11.
³ - عبد اللطيف بن أشنهو، تكوين التخلف في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، ص: 443.

⁴ - René Anus, L'eau en Algérie, O.P.U., 1985, p : 32.

المتمردين من القبائل وإخراجهم من جميع الأراضي لإيجاد مجال للمستوطنين والسيطرة على الأراضي التي هي بين أيديهم¹. وعليه يتضح أنه مع سقوط الإمبراطورية وإعلان النظام الجمهوري 4 سبتمبر 1870 انفتح الطريق أمام المستوطنين الأوروبيين ليحكموا قبضتهم أكثر على الأهالي ويصلوا إلى قمة نفوذهم وسيطرتهم².

ملحين على أن إرادتهم هي التي يجب أن تنتصر، ساعين لتقويض النظام العسكري مشجعين الاستيطان دون أن يقيموا وزنا للمسلمين، فبرزت النوادي ولجان الدفاع والتي كانت جلها من مبعدي 1848، كلهم رغبة في إدارة أمورهم بأنفسهم³.

ذلك الذي أذعنت له فرنسا الاستعمارية باعتبار أنهم رأس الحربة بالنسبة للاستعمار فقبلت بمطالبهم و جلبت أكبر عدد ممكن منهم بعودتها لطريقة ييجو في الاستيطان الصغير مدنيا (الإسكان والملكية الصغيرة والمساعدة على بناء المراكز وتقديم الأرض مجانا"⁴، بل إنهم تمكنوا من شراء ما بين 1909 - 1917 ما مجموعه 427000 هكتار، إنها الفترة الأقوى التي حقق فيها الكولون مشتريات ضخمة بفعل الثراء الذي وصلوا إليه⁵.

سعي الإدارة الاستعمارية تطبيق الاستيطان الرسمي وصول إلى تكوين مجتمع من أصل فرنسي ليحل محل المجتمع القروي بالجزائر، وهو يرى الأقلية الكولونiale في حاجة إلى أن تصل إلى كثافة سكانية معتبرة وذلك بالحث على هجرة جديدة لنتمكن من إرساء قواعد هيمنتها، خاصة على المناطق التالية⁶.

¹ - Ernest Mercier, Le cinquantenaire d'une colonie, l'Algérie en 1880, paris, 1880, p : 80.

² - يحي بوعزيز، سياسة التسلط، مرجع سابق، ص: 31.

³ - شارل روبيير أجيرون، مصدر سابق، ص: 72.

⁴ - صالح عباد، مرجع سابق، ص.ص: 68 - 69.

⁵ - شارل روبيير أجيرون، مصدر سابق، ص: 90.

⁶ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص.ص: 337 - 338.

إصرار وعناد يقول فرحات عباس لتبديل الأهالي الجزائريين بسكان أوروبيين، لخلق نظام اجتماعي مسيخ، فتح المجال لعنصرية مزمنة، زادت فظاعة وازدهار قوانين استثنائية سنّها المستعمر لفائدة أبنائها على حساب الشعب الجزائري وذلك طيلة أكثر من قرن¹، وحتى يتحقق ذلك وفي مدة لا تتجاوز خمسة أشهر يقول "روبير أرون" أصدرت الحكومة 58 مرسوم تقضي بتدعيم مكانة المعمرين في هذا البلد².

وبالنظر لأهمية السلاح في الجزائر الفرنسية ضمن الدفاع عن النظام القائم والحفاظ على ديمومته عبر تشريع تمييزي غير عادل تظهر جيداً إرادة الحفاظ على السيطرة المعمرين لذلك سمحت لهم بحيازة السلاح لكل المعمرين الفرنسيين من أصل أوروبي، وبذلك أصبح دولته تدافع عن عرق غالب يمكنه التسلح للاحتفاظ بالقوة على سيطرته ضد عرق مغلوب³. ومن أجل توحيد هذا المجتمع الأوروبي الناشئ، سمح لهم قانون صدر بتاريخ 26 جوان 1889 لهؤلاء الأجانب بالتجنيس التلقائي، يقول فرحات عباس وشيئاً فشيئاً تجذرت في المستعمرة طبقة ذات حظوة وهيمنة⁴. في دولة الحق للفرنسيين والأوروبيين الأقل عدداً، ودولة القمع والاستثناء الدائم للأهالي الأكثرية، هذا ما وصل إليه أوليفي لوكو غرانميزون انطلاقاً من نظرة منظريهم كالأستاذ "أوغستين بيرنارد" والذي رأى أنه يجب الاهتمام بالمعمرين باكتسابهم مزايا ويجب الدفاع عنهم "إلى جانب ما صرح به "أليكس دي طوكفيل": "وضع قانون للأوروبيين وآخر للعرب"⁵. للعرب⁵. لم تكن فقط لتحكيم البنى الاجتماعية والثقافية التي تركز عليها حياتهم، بل كانت كانت تهدف إلى تغيير ملامح حضارتهم وطمس تاريخهم والمساس بقيمهم الدينية والخلقية، ذلك أن الجانب الحصين الذي يمثل الركيزة التي يقوم عليها المجتمع الجزائري،

¹ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 53.

² - Robert Aron, Les origines de la guerre d'Algérie, édition, Fayard, paris, 1962, p : 49.

³ - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص: 327.

⁴ - فرحات عباس، الشاب الجزائري، مصدر سابق، ص: 182.

⁵ - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص: 329.

لتحل محلها الثقافة الفرنسية، ثقافة المتغطرس الغالب التي بقيت تتسع وتتمو مع اتساع ونمو الحركة الاستيطانية¹.

ومهما اختلفت توجهاتهم وتصوراتهم للوسائل التي يجب استعمالها، إلا أنهم يتفقون جميعا باستعمال ما يبدو لهم مناسباً من وسائل اتجاه العربي، المفترس المخيف بمحاربته ومطاردته دون رحمة، يخلص أوليفي لوكو غرانميزون أن: " لا شيء سوى اتخاذ إجراءات قاسية اتجاه "الأهالي" من أجل تصفية كل الأراضي منهم للحفاظ على أمن الجنود والمعمرين"².

لكنه وفي الواقع أن الجزائر الكولونيالية البنت المتبنية من قبل فرنسا يقول جمال خرشي قد كبرت وترعرعت وبدأت تشعر بذاتها وبهويتها وكان هذا الشعور بالذات والوعي بالهوية أبرز بصمات جديدة أدت إلى ظهور نوع آخر جديد من التفكير الكولونيالي في سياسة فرنسا نحو الجزائر متمثل في محاولة فرض توجيه استقلالي أكثر منه استيعابي واندماجي أي سعيهم جاهدين إلى الانفصال عن فرنسا الأم"³. ذلك ما وصل إليه فرحات عباس قوله: " كلما ازداد الاستيطان الأوروبي نمواً كلما فقدت فرنسا سيطرتها على ما كان يسمى بـ "السياسة الأهلية" حيث كانت المستعمرة هي التي تملئ بنفسها تلك السياسة⁴. فبرزت الدولة الاستعمارية من خلال القانون الذي أسسته على العنف والعقوبة والخوف على أنها إرادة فرض سيطرة الأقلية المعمرة على الأغلبية المستعمرة"، يضيف أوليفي لوكو غرانميزون: " أنهم كانوا يرون خلاص المستعمرة هو القانون الأسمى، هكذا كان يفكر أنصار الجزائر الفرنسية⁵. ومنها بدعوا في مناهضة فرنسا في الكثير من القضايا التي لم تكن لتحافظ على زيادتهم، تضايقوا من الحكم

¹ - مجاود محمد، أبعاد وآثار الاختراق الاستعماري الفرنسي في منطقة بلعباس، ملتقى وطني من 12-13 نوفمبر 2001، جامعة سيدي بلعباس، حول تاريخ المنطقة خلال الفترة الاستعمارية 1830-1954، الجزء الثاني، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2008، ص: 10.

² - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص: 113-114.

³ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 352.

⁴ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 13.

⁵ - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص: 280-287.

العسكري وطالبوا مساواة الجزائر قانونيا بفرنسا ليتمكنوا من فرض حكمهم المدني وبالتالي زيادة مكاسبهم السياسية والاقتصادية¹.

طالبوا بحق إدارة الجزائر بانفسهم وعقدوا لذلك مؤتمرا جزائريا منتخبا، أعلن فيه أن يتداول فيه المستوطنون جميع الأمور ذات الطابع السياسي المالي². وعليه قام هذا النظام على مقومات عنصرية وعلى نظامين قانونيين وسياسيين أحدهما يعامل به المعمرون الذين يتمتعون بكامل الحقوق السياسية التي يضمنها إعلان الثورة الفرنسية والآخر ينفذ على العرب الخاضعين لقانون غير عادي تمييزي يكرس وضعيتهم الدنيا على الدوام ودون استثناء³.

هشاشة البناء الذي وضع على نحو بعيد يقول فرحات عباس عن أية قاعدة للعدل شبهه بقصر فخم يبني لفرنسيي الجزائر والذي يريد به تلك السياسة الاستعمارية التي استمرت في الماضي هل ستستمر، يجيب أن القصر لن يكتمل بناؤه⁴.

ومع مرور الزمن يقول فرحات عباس: "أعتقد أن الأقليات الاستعمارية التي حكمت البلاد والملاك الذين كان لهم بواسطة لوبياتهم اليد العليا على الرأي العام في الجزائر وفي فرنسا قد اختاروا الحل الأسوأ عوض تقاسم السلطة مع أهل الأرض الأصليين"⁵.

¹ - أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 18.

² - شارل روبيير أجيرون، مرجع سابق، ص: 49.

³ - أوليفي لوكو غرانميزون، مرجع سابق، ص: 24.

⁴ - فرحات عباس، الشاب الجزائري، مصدر سابق، ص: 129.

⁵ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 14.

مميزات وخصائص الأقلية الأوروبية ونظرتها للجزائريين:

لقد شرع في تعمير البلاد بالأوروبيين بمجرد احتلال مدينة الجزائر، يقول فرحات عباس: " أكتب السفن الآتية من مرسيليا وإسبانيا وإيطاليا، جماهير غفيرة من الأوروبيين لا ذمة لهم ولا ضمير مجبولين على الشجاعة والمغامرة مولوعين بحب الدراهم والدنانير، فانتشروا كالبلاء المستطير متكالبين على بيع العقارات وشرائها في تهافتهم على الأرباح متكالبين تكالب الجياع على القصاع، يبيعون ويشترون خطفا ونهباً، لا دين لهم إلا الأرباح الباهظة، لا يهمهم كيف أنت ومن أين أنت ¹. تأكيد أبو القاسم سعد الله إذ يقول: "إن المجتمع الفرنسي لم يبعث صفوة سكانه إلى الجزائر بل على العكس من ذلك، فقط من المجرمين والمغامرين السياسيين الذين شكلوا النصيب الأكبر"².

إنهم شتات مستورد من الخارج، جلبتهم الإدارة الاستعمارية وغرستهم في الجزائر ليكونوا هم الأغلبية... غادروا أوطانهم بحثاً عن مورد الرزق، مكثوا حيث وجدوا الخبزة، لا تهمهم إلا اللقمة، ولكن اللقمة أصبحت في أعينهم مرادفة للجزائر الفرنسية³.

وصفهم عمار قليل في كتابه ملحمة الجزائر الجديدة وصفا دقيقا إذ يقول: "معظمهم ممن لفظتهم مجتمعاتهم لسوء سلوكهم ووجودهم في أدنى مراتب السلم الاجتماعي من الدول التي قدموا منها، وجدوا في الجزائر ملجأ لهم حيث انتقلوا من أوضاع البؤس التي كانوا يعيشون فيها إلى جنة النعيم، حيث الأرض الخصبة والمياه العذبة والأيدي العاملة الرخيصة... لقد كان المستوطن كالجائع الذي عثر على رغيف من الخبز فعض عليه

¹ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 93.

² - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، ص: 106.

³ - المجاهد، 11-12-1961، العدد، 110، ص: 5.

بيديه وأسنانه¹. وهو ما وصل إليه شارل روبير أجيرون قوله: " كان أغلبهم ميسورين،
جاءوا ينشدون الثروة"².

دليل ذلك أنه عندما أوقف "نابليون الثالث" سياسة الاستيطان المتمثلة في الاستيلاء
على الأراضي الجزائرية، أشاعوا عنه ما أسماه بـ "المملكة العربية" أنه تنازل للعرب³
أبطلوا مشروعه ورجعوا بقوة في استغلال الأرض وأهلها جعلت فرحات عباس يقف
مستنتجا وراء تساؤله قوله: " ماذا علينا أن نستخلص عندما يستغل إقطاعي استعماري
بهذه الطريقة المنحطة من أجل أن يحتفظ بيد عاملة لا حماية لها؟ ثم يجيب: " ما عدا أن
النزاهة والتقاليد الفرنسية قد بقيت في الجهة الأخرى من البحر"⁴.

حقيقة وقف عليها أحمد طالب الإبراهيمي عند انتقاله ووالده البشير الإبراهيمي
للعلاج بمدينة فيشي، أدرك يومها أن العلاقة مع فرنسيي فرنسا أكثر طبيعية وأقل توترا
من فرنسيي الجزائر⁵، حتى مصالي الحاج وقف على هذه الحقيقة قوله: "كنا مرتاحين
لتصرفات السكان معنا والتي كانت طيبة إلى حد ما، فكانت معاكسة تماما لما يتصف به
المعمرون الفرنسيون بالجزائر والشعب الفرنسي عموما في علاقاتهم معنا"⁶.

يضيف عنهم يحي بوعزيز وصفهم: " أنهم كانوا يتألفون من أناس ذوي مسيرة
سيئة، ماضي غير شريف، مملوء بالسوابق ينتمون إلى فئة المتشردين وشذاذ الآفاق هدفهم
الحصول على الثروات وليس الاستقرار وخدمة الأرض والإنتاج"⁷.

¹ - عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار البحث، قسنطينة، الجزائر، 1991، ص: 65.

² - شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، مصدر سابق، ص: 89.

³ - Slimane Chikh, l'Algérie en armes ou le temps des certitudes, OPU, Alger, 1981, p : 193.

⁴ - فرحات عباس، الشاب الجزائري، مصدر سابق، ص: 60.

⁵ - أحمد طالب الإبراهيمي، مذكرات جزائري 1932-1965، الجزء الأول، دار القصة، الجزائر، 2006، ص: 66.

⁶ - مصالي الحاج، مذكرات 1898-1938، ترجمة، محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص: 84.

⁷ - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري...، مرجع سابق، ص: 35.

استغلوا الظروف ومنها الحروب التي أباحت لهم الممنوعات وهو ما تسوقه "آني راي غولد زيغر" في كتابها جذور حرب الجزائر: " السوق الموازية في تجارة الزيت، اللحوم، السجائر، الكحول، إضافة إلى المتاجرة بالنساء وبيوت الدعارة لكل منهم تخصصه ومنطقته وطرقه، فاختلطت المافيا من مختلف الأقليات، واتسعت شبكة الفساد والرشاوى... تمكنوا من تعديل كفة الثروات الاستعمارية لصالحهم"¹.

عاشوا التباين بسبب اختلاف مشاربهم التي وقفت حائلا دون تحقيق الانسجام الكامل حتى أن بلغ الأمر بالفرنسيين النظر للأوروبيين من الجنسيات الأخرى بشيء من التعالي والاحتقار². فيقول عبد الرحمن مزيان الشريف: " كانوا يمرون دون أن يروننا، كانوا ينظرون إلينا بتعالي واستضعاف، نظراتهم مليئة بالحدر والتهكم، لأننا كنا في عيونهم نمثل المجهول والغرابية، كنا نمثل الخطر"³. تضيف آني راي غولد زيغر قائلة: "أن العلاقة بينهما ما كانت متساوية بأي حال من الأحوال، فالأبوية لكي لا نقول العنصرية هي أساس هذا النظام الاستعماري... لا أحد كان يناقش تفوق الأوروبيين"⁴. اعتقادا منهم بأنهم خلقوا ليكونوا سادة وليكون غيرهم عبيد وأن أية محاولة لتبديل هذه الفروق هي عملية تستهدف نشر الفوضى⁵.

هذا التناقض الوجداني امتزج فيه الشعور بالرعب بتوقع انقضاغ الأغلبيّة المسحوقة واقتصاصها منهم، والشعور الشديد بالكبرياء والترفع تعامل "الأهالي" بكثير من

¹ - آني راي غولد زيغر، جذور حرب الجزائر 1940-1945، ترجمة، ورده لبنان، مراجعة، حاج مسعود حاج، دار القصة، دار القصة، الجزائر، 2005، ص: 44.

² - محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، ترجمة، نجيب عياد، صالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1994، ص: 81.

³ - عبد الرحمن مزيان الشريف، حرب الجزائر في فرنسا، موريبيان، جيش الخفاء، ترجمة، العربي بوينون، دار الحكمة، الجزائر، 2012، ص.ص: 18-19.

⁴ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 91.

⁵ - بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، دار الرائد، الجزائر، 2010، ص: 45.

الترفع والاحتقار وتفرض على أهل البلاد ما كان يعرف في جنوب إفريقيا باسم قانون المناطق التجميعية الذي يمنع الاختلاط العنصري¹.

هذه الوضعية التي كابدها عبد الرحمن مزيان شريف يصفها بأدق تفاصيلها ضمن كتابه حرب الجزائر في فرنسا قوله: " إن أبناء المعمرين الذين يرتدون البسة ويعتنون بهندامهم جيداً بحيث يعيشون في عالم قريب منا وبعيد عنا في آن واحد، كان قريباً منا لأننا كنا نراهم يمرون أمامنا كلهم إعجاب بأنفسهم وحسد وحقد علينا في أغلب الأحيان، كانت بطوننا خاوية تحسد محياهم المشرق ووجناتهم الممتلئة، كما نشعر بالغيرة تجاه ثيابهم المكوية على الدوام وبشكل جيد ما يجعلهم في غاية الأناقة ومن تسريحات شعرهم اللامع المنسق والمصفف جيداً"².

كما عايشها مالك بن نبي من خلال استفزازاتهم واستهتاراتهم من الجزائريين قوله: " بدأت أضع نظارات على عيني، لقد كان ذلك أول الأمر مبعث إزعاج لي من الشباب الأوروبي الذين يقدحونني كلما رأوني بقولهم: " إيه أبو أربع عيون " أنا الذي كنت أعرف بالشاشية الحمراء، " يضيف قائلاً: " كان هؤلاء الأوروبيين يستقطبون تفكيري... حين كنت أراهم أيام الأحد ينتزهون تحت إشراف ناظر مدرستهم... كان الخيال ينطلق بي معهم، فهؤلاء سيصبحون: محامين، أطباء وأساتذة، أما أنا فقد حكم عليّ بأن أكون عدلاً"³.

إلى جانب هذا التحليل يضيف واصفاً معاناة الجزائريين حتى في أبسط الأمور مع الأقلية الأوروبية، إذ يقول: " شراء قميص حديث مع ياقوتين كان لا بد من الذهاب إلى متجر فرنسي، ليس هذا كله شيء، التحدث إلى البائع قد يكون يهودياً قادراً على السخرية

¹ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 44.

² - عبد الرحمن مزيان شريف، مصدر سابق، ص: 18.

³ - مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، دمشق، 1986، ص: 51.

أو فرنسا يتصنع الأهمية أمام زبون من أبناء المستعمرات، لقد كان هذا بالفعل أمراً صعباً¹.

يحلل "ألبيير مامي" هذا الوضع قوله: " ليس له مخرج كي يغادر تعاسته سواء بالتجنيس أو حتى بالتحول الديني مما يمنع عنه المستعمر حرية الاختيار في أن يكون ابن المستدرة"².

أصبحت هذه الأقلية أداة الاستعمار المباشر في فرض ديمومة الحكم الإرهابي، وصفتها جريدة المجاهد في أقلية اختلفت عن الأغلبية في كل شيء في عقليتها في ثقافتها في استحوادها على الموارد الاقتصادية للبلاد وحتى في انفرادها بالحكم والسلطان³.

وهو ما يتضح من خلال المجالس المنتخبة التي أصبحت فيها الأقلية الوطنية في المجلس الجزائري مجهولة، لم تعطى لها إمكانية لتقوم بعمل إيجابي حيث أصبح غرفة لتسجيل إرادة الكولون ونفس الجو عاشته المجالس البلدية⁴.

وعلى هذا الخط يبين فرانز فانون التباين والتفاوت الذي كان يميز المجتمعين قوله: " هناك مجتمع الرفاهية بأحيائه وشوارعه النظيفة ورجاله المعمرين الذين يعيشون حياة الرغد والبذخ، وغير بعيد منه حياة البؤس والشقاء بأحيائه القصديرية وأهله المعرضين للأمراض الفتاكة، والفقر المدقع⁵. وبهذا الصدد تذكر أني راى غولد زيغر: " أن العنصرية لا توجد فقط بالمساكن المتجاورة وفي الحياة اليومية، هي موجودة في العقول، فثمة حاجز نفساني منيع يفصل بينهما"⁶.

¹ - مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، مرجع سابق، ص: 69.

² - ألبيير مامي، صورة المستعمر، ترجمة: ميشال سطوف، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص: 90.

³ - المجاهد، 11-12-1-61، العدد، 110، ص: 5.

⁴ - الجيلالي صاري، محفوظ قداش، مصدر سابق، ص: 105.

⁵ - فرانز فانون، معذبو الأرض، ترجمة: سامي الدروبي، جمال الأتاسي، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الخامسة، 1984، ص: 7.

⁶ - أني راى غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 96.

ومن خلال التعبير الصادق عن المخزون الثقافي لعقلية الأوروبي ونظرته اتجاه الإنسان الجزائري، حيث لا يعترف بشخصيته وهويته ويسميه أحيانا بالمسلم الفرنسي، الأهلي، العربي، الشمال الإفريقي، إلا أنه لا يسميه بالجزائري¹.

عنصرية تصبح مقبلة عندما تصل الطبقة المثقفة ذلك ما يشهد به أحمد طالب الإبراهيمي من خلال الحصة التي حضرها بالمستشفى "مصطفى باشا" مع البروفيسور "كوستونيني" والذي بشرحه لهم طريقة شل حركة الساعد في حالة من الحالات لكسر العظم قال لهم يجب أن يتم على طريقة "اعطيني صوردي" بطريقة المتسول الذي يمد يده في شوارع العاصمة².

وعلى نفس الخط يذكر فرحات عباس عنجهيتهم ونظرتهم العنصرية قوله: "كثيراً ما تحدث مصادمات عارضة... ومن ذلك أن طالبا من أصل مالطي، قدم من نواحي سوق أهراس، قرعني ذات يوم أمام كليات جامعة الجزائر بهذه العبارات "لولا فرنسا لكنت راعي ماعز في دوارك" فرددت عليه قائلاً: قبل مجيء الفرنسيين كانت أسرتي لا تعرف الجوع، وكان لجدي حقله وقطيعه ولكن أنت هل يمكنك أن تقول لي ماذا كان أبائك يفعلون في مالطة؟ أليس البؤس هو الذي جعلهم يهاجرون إلى الجزائر"³.

بلغ بهم حقدهم إلى حد الدفع بجزار كان عبد الرحمن فارس متعود على اقتناء اللحم منه، وذلك بإيعاز من رئيس بلدية البرواقية حيث يقول: "بدخولي عليه بدا محرجا، فدنا مني وهمس في أذني "تلقينا أمرا منذ يومين من رئيس البلدية بإعطاء الأولوية للزبائن الأوروبيين"⁴ اتجه عبد الرحمن فارس صوب البلدية، تقول آني راي غولد زيغر: "استقبله

¹ – Jean Planchais, Patrick Evens, La guerre d'Algérie dossier et témoignages, Harphonic, Alger, 1990, p : 42.

² – أحمد طالب الإبراهيمي، مصدر سابق ، ص: 66.

³ – فرحات عباس، الشاب الجزائري، مصدر سابق، ص: 12.

⁴ – عبد الرحمن فارس، الحقيقة المرة، مذكرات 1945 – 1965، ترجمة مسعود حاج مسعود، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار القصة، 2007، ص: 27.

"استقبله" بارغو Pergaud رئيس البلدية، المزارع وصاحب محطة للعلاج بالمياه المعدنية مهاجما إياه: "لم أكن أعلم أن العربي بإمكانه أن يعين موتقا..."¹.

لذلك تعتقد إيفون تورين التي اعتمد عليها محفوظ سماتي في كتابه الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها: " أن رجال الثقافة والأطباء ورجال الدين لم يكونوا أبرياء، إنهم يشكلون حلقة من حلقات هذا النظام المتماسك الأجزاء: "إن الأهالي يلتزمون الحذر من المعلم تماما كما يتحفظون من الطبيب ومثلما يتقون شر رجل الدين نفسه"².

وصولا إلى ما استخلصه جان بول سارتر في كتابه مواقف مناهضة للاستعمار ذكره: " أنه لا يوجد معمر جيد وآخر قبيح، بل هناك استعماريون فقط"³. وهو الفعل المشين الذي وقفته هذه الطبقة من الفرنسيين ضد الشعب الجزائري يقول فرانس فانون من خلال كتابه العام الخامس للثورة الجزائرية: " رأينا أطباء عسكريين يستدعون لمعالجة جندي جزائري من الجرحى في معركة، فيرفضون إسعافه بحجة أنه لم يبق أي أمل في إسعافه، غير أنه وبعد الوفاة يقر أنه أفضل له من البقاء في السجن حيث كان يجب إطعامه بانتظار إعدامه، حتى الصيادلة قرروا قطعاً منع بيع الحقن الواقية من الكزاز ولا حتى الكحول والقطن" ليخلص في الأخير قوله: " العلم المجرد من الصفة السياسية، العلم في خدمة الإنسان غالبا ما يكون لا معنى له في المستعمرات"⁴.

حتى القيم الدينية أو الأخلاقية التي تلقن في المدارس أو مواظ الكنيسة لا تعيش بمفهومها الحقيقي إلا في حدود معينة، هي حدود الكائن الأوروبي الغربي، أما العربي فهو خارج عن هذا النطاق، معاملته لا تخضع لهذه القيم، مثل ذلك القس المسيحي الذي ضحك

¹ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 259.

² - محفوظ سماتي، الأمة الجزائرية، نشأتها وتطورها، ترجمة، محمد الصغير بناني، عبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص: 202.

³ - جون بول سارتر، مواقف مناهضة الاستعمار، ترجمة، محمد المعراجي، مراجعة، أحمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص: 56.

⁴ - فرانس فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، ترجمة، ذوقان قرقوط، مراجعة، عبد القادر بوزبدة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص: 151.

عندما قال له أحد المستوطنين لقد دهمت اليوم ثلاثة جزائريين بسيارتي وقتلت أحدهم، ضحك ابن الرحمة المسيحية وقال له "يا لك من بليد لماذا لم تقتلهم ثلاثتهم؟"¹.

أمر وقف عليه فرحات عباس قوله: "راجعوا حوليات العدالة سوف تعلمون أن الأوروبي يستطيع أن يغتالنا وهو على يقين أنه لن يعاقب" ويبرر ذلك ما كتبه جريدة "ليكو دالجي" بتاريخ 8 مارس 1928: "من أجل خمسة وعشرين فرنكا كان لدينا له بها، قتل فحام إسباني عاملا أهليا، وخرج بريئا"².

وعليه كثيرا ما تردد لدى الأوروبيين في إظهار العداء للجزائريين لأنهم وجدوا ميزان القوى لصالحهم³. لذلك كانوا يثيرون دائما الشغب والفتن ضد المسلمين لكونهم بدون رقابة ولا تقع عليهم عقوبات، وقد أعطاهم هذا الشعور بأنهم أصحاب حق طبيعي في تقرير القانون والنظام الذي يسيرون عليه"⁴. بعد أن دمروا الدولة الجزائرية 1830 بانتزاع الأرض وإخضاع الشعب يقول أندري ماندوز ساهموا في نمو بارز لعقلية العنصر الأوروبي الذي أصبح السيد المطلق والمهندس والمبدع والمالك الوحيد للجزائر، حيث أصبح يزيد من تطابقه مع البلد بقدر ما يستبعد فيه الساكن الأصليين"⁵.

معتبرين أن وجودهم بالجزائر أقدم من التواجد العربي الإسلامي، لأن فرنسا وريثة روما وما الكنيسة الكاثوليكية إلا استمرار لرجلها المفكر "القديس أوغسطين" مستندين على مبررات من المدرسة التاريخية الاستعمارية التي يتزعمها "ستيفان غزال- غيميل فليكس غوتي- كريستيان كورتو- أندري جوليان..." في أنه:

¹ - المجاهد، 11-12-1961، العدد، 110، ص: 5.

² - فرحات عباس، الشاب الجزائري، مصدر سابق، ص: 147.

³ - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة، حنفي عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص: 188.

⁴ - ناهد إبراهيم دسوقي، دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ما بين الحربين 1918-1938، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2001، ص: 16.

⁵ - أندري ماندوز، الثورة الجزائرية عبر النصوص، ترجمة، ميشال سطوف، مراجعة وإشراف، سمير سطوف، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص: 200.

- جغرافيا وسياسيا شمال إفريقيا استمرار وامتداد لأوروبا.
- فرنسا استمرار للفترة الرومانية المسيحية وما الفترة الإسلامية إلا نفق مظلم.
- قصور ذاتي وعجز عرقي عند الإنسان الجزائري¹.
- مكونين مجتمعا متشبثا بطبائع البيئات الأوروبية التي جاءوا منها². ذلك ما عايشه عبد الرحمن مزيان شريف قوله: " لما يحتفلون بالأعياد المخلدة لتاريخهم... كانت أعياد خاصة بهم وحدهم، كانت تقام بحديقة وسط المدينة وكان محرم علينا الاقتراب منها... كنا نرقبهم من بعيد ونحن نحلم بدخول عالم حرم علينا الاحتكاك به"³.
- وبإسقاطها على المجال السياسي صرح أحد برلمانيهم "روني مايير" بالجمعية الوطنية الفرنسية أدرجه فرانز فانون ضمن كتابه معذبو الأرض قوله: " أن علينا لا نلوث الجمهورية بإدخال الشعب الجزائري إليها، ذلك أن القيم تتسم وتفسد على نحو لا يمكن إصلاحه متى جعلناها تحتك بالشعب المستعمر"⁴.
- وبإسقاطها على المجال الاجتماعي منه الزواج تتحدث أني راي غولد زيغر: " عن هذا الالتحام أو الاندماج أو الذوبان هو مجرد استثناء يؤيد القاعدة العنصرية، فالزواج المختلط كان نادرا"⁵. ضمن هذا السياق يذكر مصالي الحاج: " أن زواجي من الفرنسية ومن بلد جان دارك (اللورين) رأوا فيه بعين غير راضية، واعتبروها مساسا خطيرا

¹ - محمد البشير شنييتي، تاريخ الجزائر القديم من خلال المؤرخين الفرنسيين، مجلة الباحث، العدد، الثالث، نوفمبر 1985، ص.ص: 5-10.

² - ناهد إبراهيم دسوقي، مرجع سابق، ص: 16.

³ - عبد الرحمن مزيان شريف، مصدر سابق، ص.ص: 28-29.

⁴ - فرانز فانون، معذبو الأرض، مصدر سابق، ص: 17.

⁵ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 91.

بنفوذهم وكرامتهم كجنس متعال" يضيف قائلاً: " قالوا وبغضب أنه يحتمل أن تكون سارقة أو عاهرة في الأحياء"¹.

تطرف وقفت عليه جريدة المجاهد بالتحليل أن ما هو سائد لدى الأقلية الأوروبية لخصتها عاملة في مطعم بشواطئ وهران قولها: " هل تريد منا أن نتعايش مع الذئاب؟ حتى صاحب المطعم يرى أن كل تفكير في التغيير يعد خيانة ملخصاً نظرتة في استحالة التعايش بالعبارة التالية: "أفضل أن أشاهد ابنتي طعمة للنيران على أن أراها تتزوج من جزائري"².

لذلك أوقفوا كل تعامل مع أبناء المستعمرة، ساهموا في بناء الحواجز متهمين إياه بالانعزال والتحيز والتعصب، متكرين له في حق أسمى معترف به لمعظم البشر ألا وهو الحرية"³. حتى مفكروهم منهم "Demonts" الذي ارتكز عليه كمال كاتب قوله: " إنهم وقحون ومتعجرفون، فهم لا يشعرون بسعادة الوجود إلا في حياة كسولة منعزلة وفاسدة ولهذا فهم لا يهضمون عادات الأوروبيين"⁴.

مقت وقف عليه مصالي الحاج من خلال مذكراته قوله: " إن المعمرين لا يمتنعون عن إظهار كرههم للعرب حتى ولو كان ذلك بالمزاح"⁵. يضيف فرانز فانون ومن خلال كتابه "معذبو الأرض" قوله: " وصفوا المجتمع الأهلي بأنه خالي من القيم لا سبيل لنفاذ الأخلاق إلى أنفسهم بل إنهم أعداء للقيم معنى ذلك أنه هو الشر المطلق، إنه عنصر متلف يحطم كل ما يقاربه، مخرب، يشوه كل ما له صلة بالجمال أو الأخلاق، إنه مستودع قوى شيطانية، أداة لقوى عمياء، أداة لا وعي لها، ولا سبيل إلى إصلاحها"⁶. في هذا الشأن يقول جان بول سارتر من خلال كتابه "مواقف مناهضة للاستعمار": " أن الأوروبي في

¹ - مصالي الحاج، مصدر سابق، ص: 130.

² - المجاهد، 22-08-1960، العدد، 75.

³ - ألبير مامي، مصدر سابق، ص.ص: 88-89.

⁴ - كمال كاتب، مرجع سابق، ص: 290.

⁵ - مصالي الحاج، مصدر سابق، ص: 37.

⁶ - فرانز فانون، معذبو الأرض، مصدر سابق، ص: 17.

الجزائر لا يكون رجلا إلا إذا كان أعلى من المسلم... ولا يرى في ارتقاء "البونبول" الجزائريون الأصليون إلى عالم البشر، بل يمقت هذا الارتقاء لأنه يعلن انحداره الشخصي " يضيف: " القهر والترويض والعقاب، إنها الكلمات التي تستحوذ على عقل المعمر، ولم يبق في الجزائر الفضاء الكافي لجنسين من البشر"¹.

بحيث أن تصرفاتهم تميزت بالعنصرية، فالعربي في نظرهم ما هو إلا حيوان، مخلوق وهو ممثلي بالتعصب الإسلامي، لا يمكن وقفه عند حده إلا بالقوة². كانوا مقتنعين أن لن يتحرك أحد أبداً في الجزائر لأن القوة ستخدم أي عزم لمعارضة "العمل التعميري لفرنسا". لقد كانت الجزائر بالنسبة لهم متاع بدون صاحب وهي صنعة فرنسا. يقول محمد حربي: " إن فرنسي الجزائر كانوا يعرفون من خلال الصراع الذي يخوضونه ضد طبيعة قاسية سيطروا عليها بفضل مجهوداتهم ووسط معاد "العرب" الذين يفكرون دائما في هدم ما تم تنفيذه"³. أفكار بثتها فيهم صحفهم ذات الروح العرقية، وهو ما ارتكز عليه عبد الحميد زوزو في كتابه محطات في تاريخ الجزائر من خلال جريدة إفريقيا الشمالية تحليلها: " نحن الفرنسيون موجودين في بلادنا... أصحاب هذا البلد بالقوة، نحن إذن الملاك الشرعيين للبلاد"⁴.

لقد انغمسوا في خضم العنصرية يقول فرحات عباس التي انتحلها آباؤهم وتشبعوا بمبادئها فالديمقراطية تزعجهم"⁵.

لأن الحلول بها تحقق الانفتاح على المواطنين الأصليين وبذلك ستفسد عليهم متعة الامتيازات التي يمارسونها ويستثرونها⁶. وهو ما وقف عليه فرحات عباس من خلال

¹ - جان بول سارتر، مصدر سابق، ص: 72.

² - عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص: 46.

³ - محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 95.

⁴ - عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر والحركة الوطنية الجزائرية، دار هومة، الجزائر، 2004، ص: 230.

⁵ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 39.

⁶ - بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، مرجع سابق، ص: 45.

شهادة أحد المعمرين الذي بعث برسالة كتبها بجريدة الإكسبرس بتاريخ 1959 جاء فيها: "تسألوني هل أؤمن بالديمقراطية أقول لكم بأننا لا تهمنا ديمقراطيتكم، أف لها من ديمقراطية، إننا نمقتها ألا ترون إلى أين تفضي بنا هذه الديمقراطية، ثمانية ملايين من "الراتون" قدرين، أميين يتحدثون فرنسا". ليضيف ودون حياء: "نرى في عطلة الربيع لا يمكن لنا أن نمطي قطارا لأنه مكتظ بهم، ولا يمكن أن نسبح في البحر يوم 15 جويلية لأنه غاص بأولئك السفلة المتمتعين بالعطلة"¹.

لذلك نرى بأن الأوروبي عندما يشير للإنسان الجزائري يستعمل مفردات وضيفة مثل "البيكو راتون، الموكيرا، الصال اراب" العنصر العربي عندهم كائن منحط فاقد لمعاني القيم غير مستوعب لأخلاق الحضارة الغربية وحامل لقوى الشر"².

وعليه برز الجدار الفاصل، ونشأت الهوة العميقة بين المستوطنين الأوروبيين والجزائريين، وكان لا بد لهذا الحاجز الفاصل من أن يتزايد تعاطفا مع الأيام بتأثير الأخطاء المتراكمة"³.

لكن ما ثبت عنهم أن الذين رافقوا جيش الاحتلال من هؤلاء المستوطنين فتحوا له بيوت الدعارة والحانات التي بلغ عددها سنة 1837 مائة وستة وثمانين مخمرة⁴.

يصفهم فرحات عباس قوله: "إن هؤلاء الناس هم الذين كونوا ثورات عملاقة، وأصبحوا يتحدثون حديث الأسياد وهم الذين يتمتعون بالثروات والامتيازات، هم الذين يرهقوننا باحتقارهم لنا وبحقدهم علينا" يضيف قائلا: "هذا المجتمع الذي نراه يتألب ضدنا كانوا طريدي البؤس من أوروبا"⁵. ويضيف: "هي نفس الآلام التي نعاني منها اليوم في الجزائر... إلا أن الكولون ينساها ويلعب كوميديا الرجل المتفوق" ليختتم كلامه: "وهكذا

¹ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 39.

² - فرانز قانون، معذبو الأرض، مصدر سابق، ص.ص: 27-28.

³ بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي...، مرجع سابق، ص: 45.

⁴ - Pierre Goinard, Algérie l'œuvre française, édition, Leffont, paris, 1994, p : 101.

⁵ - فرحات عباس، الشاب الجزائري، مصدر سابق، ص.ص: 140-141.

تحول هؤلاء الجائعون بدورهم إلى برجوازيين نبلاء على أرض الجزائر منشغلين بالكيفية التي يفصلون بها من جلد الفلاح المسكين لوحات لأسماء فنادقهم¹. لقد ندد وبقوة فرحات عباس من هذه السخرية والأنانية حيث تذكر ليلى بن عمار بن منصور قولها: " لقد وقع على اثنتين وعشرين افتتاحية منددا بلا انقطاع، بأنانية العائلات وبالسذاجة اللامتناهية لصغار المحتلين"².

¹ - فرحات عباس، الشاب الجزائري، مصدر سابق ، ص: 80.

² - ليلى بن عامر بن منصور، فرحات عباس، ذلك الرجل المظلوم، ترجمة، حسين لبراش، دار الجزائر للكتاب، الجزائر، 2011، ص: 265.

الفصل الأول

الأقلية الأوروبية والجزائريين في ظل الحرب العالمية الثانية 1939-1945

1 -الأقلية الأوروبية وموقفها من الجزائر في ظل الحرب العالمية الثانية:

1-1-الأقلية الأوروبية وموقفها من الإصلاحات أثناء الحرب العالمية الثانية

1-2-الأقلية الأوروبية ومساهمتها في تعفين الجو قبل مجازر 08 ماي 1945

2 -الأقلية الأوروبية ومجازر 08 ماي 1945:

2-1-دور وموقف الأقلية الأوروبية في مجازر 08 ماي 1945

2-2-نتائج وانعكاسات مجازر 08 ماي 1945 على الأقلية الأوروبية

1 الأقلية الأوروبية وموقفها من الجزائر في ظل الحرب العالمية الثانية:

1-1-الأقلية الأوروبية وموقفها من الإصلاحات أثناء الحرب العالمية الثانية

لقد امتدت معارضة الأقلية الأوروبية مبكراً لأي إصلاح يمس الطرف الجزائري والذي كان لا بد منه، ولو أنه دوماً يتبين أنه غير كافٍ وشكلي، 19 نوفمبر 1907 غرفة النواب توافق على العمل بمبدأ النظرية العادلة والمثمرة لسياسة المشاركة اتجاه السكان الأهالي، والتي شدد عليها المحافظون أنصار الحزب الكولونيالي بشدة، أوروبيو الجزائر ومن خلال مؤتمر إفريقيا الشمالية المنعقد بتاريخ 6 إلى 10 أكتوبر 1908 ندّدوا هم الآخرين وبكل قوة وعملوا على محاربة هذه السياسة الجديدة التي تتبعها فرنسا¹. مشاركة الجزائريين فرنسا في الحرب العالمية الأولى انتهى بتخفيض الخدمة العسكرية بالنسبة للفرنسيين إلى ثمانية عشر شهراً، لكنها ظلت بالنسبة للمسلمين ثلاث سنوات، احتج المنتخبون المسلمون على ذلك، طالبوا بالمساواة، هذا الاحتجاج لم يعجب المستوطنين².

كما اعتبرت تحركات الأمير خالد وأصدقائه اتجاه القضية الوطنية غير مقبولة من لدنهم³ واتهموه بالشيوعية، سخروا منه وسموه بالمرابط، دعوه بالأمير الأحمق ووصفوه بالأنانية والتكبر، كل ذلك بسبب نشاطاته الوطنية⁴. يقول فرحات عباس ضمن كتابه "ليل الاستعمار": برنامج وبساطته واعتداله أثارت ضجة صاخبة في أوساط المعمرين... حتى أرغمت رابطة شيوخ البلديات والبرلمانيين المعمرين الأمير خالد على النفي⁵.

¹ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 369.

² - فرحات عباس، الشراب الجزائري، مصدر سابق، ص: 35.

³ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائر 1919 - 1938، ترجمة أمحمد بن البار، الجزء الأول، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص: 770.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص: 341.

⁵ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 139.

وعليه فإن مستوطني المستعمرة لا يقومون بقمع الأهالي فحسب، بل يهينونهم ويحتقرونهم لدرجة تحطم الفرد الجزائري من كل أنانية¹.

انتهت الإدارة الفرنسية لوضع قانون 1919 لتوسيع إمكانية "التجنيس" بإجراء تشريعي إلى إجراء إداري عن طريق المحكمة الإدارية²، إلا أن الكولون وجدوا ذلك شيئاً عظيماً لا طاقة لهم بقبوله، هاجمته صحافتهم ونوابهم وأنذروا بأن هذا التشريع قد يعود إلى حرب أهلية بين المجموعتين³.

ما لقي التجاوب منهم ولقد عبرت عن ذلك جرائدهم منهم صدى الجزائر بأنه حدث طارئ، وضربة غادرة، وجريدة الأخبار التي اعتبرتها خارج مصالح المستعمرة⁴.

لذلك شنت صحافتهم الاستعمارية حملة واسعة ضد الإصلاحات المذكورة بلغت حد التهديد بإعلان التعبئة في صفوف الأوروبيين والخروج عن نطاق الشرعية⁵ رغم محاولة محاولة الحاكم العام جوناك طمأنتهم مبيناً أنه لا يمكن بوسع الأهالي الحصول من خلاله على التجنيس إلا بشروط، لكن الكولون اعتبروه تسليحاً للأهالي بورقة الانتخاب التي قد تسمح لهم بتغذية التعصب المعادي لفرنسا⁶ ويرفع من تمثيل المسلمين في المجالس المحلية⁷، وحسب نظرهم يزيد ويقوي تأثير الأهالي في الحملة الانتخابية⁸ وبذلك يفقدون سيادتهم على المجتمع الجزائري⁹.

¹ - جون لوي بلانش، سطيف 1945: بواذر المجزرة، ترجمة: عزيزي عبد السلام-صادق عماري-بشير بولفراق، إشراف وتنسيق: عزيز عبد السلام، دار القصبة، الجزائر، 2007، ص: 434.

² - سيلفي ثينو، تاريخ حرب من أجل استقلال الجزائر، وزارة المجاهدين، منشورات دحلب، الجزائر، 2013، ص: 22.

³ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص: 279.

⁴ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائر 1919-1938، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 770.

⁵ - أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر 1919-1954، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص: 129.

⁶ - L'écho d'Alger, 28-05-1920.

⁷ - بوعلام نجادي، الجلادون 1830-1962، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص: 291.

⁸ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 434.

⁹ - ناهد إبراهيم دسوقي، مرجع سابق، ص: 267.

وعليه احتج ممثلوهم بالمجلس المالي ونادوا بالعودة لما قبل 1914 وفعلا نجحوا في ذلك بتاريخ أوت 1930 جددته ودعمته بما يخدم مصالحهم¹.

وحتى مع تعيين موريس فيوليت 1927 واليا عاما على الجزائر، والذي كانت رغبته في الإصلاح استأثر المعمرين، يقول فرحات عباس: "وجنّ جنونهم وكانوا له بالمرصاد، أمطروا سياسته بوابل من الضجيج والعنف حتى اضطرت الحكومة الفرنسية أن تخضع لمشيئتهم وترضخ لطغيانهم فعزلته"².

لم يكن برنامج المعمرين يهتم إلا بالقمع والتدابير التي من شأنها ضمان ترجيح مصلحتهم معترضين على الأهلي حق المواطنة مفسرين على "أن العربي البربري لن يرتقي طالما بقي مسلما لأن العقيدة الإسلامية لا تتطابق مع التطور"³.

سنة 1929 أرغمت رابطة شيوخ بلديات المستعمرين السلطات الفرنسية بحل نجم شمال إفريقيا والذي واصل نشاطه سرا⁴، وقفوا معرقلين انتخاب الجزائريين أكتوبر 1934 والمتعلقة بتجديد المجالس العامة، مرددين: "لن نتسامح أبداً أن يكون عربياً واحداً رئيس بلدية، حتى ولو كان ذلك في أصغر بلدية، وهو ما جعلهم يستقيلون لإرغام الحكومة على إلغاء الانتخابات"⁵.

كما عارضوا وبقوة ما جاء في مشروع بلوم فيوليت الذي فتح الارتقاء إلى المواطنة الفرنسية مع المحافظة على القانون الشخصي⁶، وهو الذي كان في صيغة قانون 3 جويلية 1931، طرح كمشروع بلوم فيوليت مرات عديدة على طاولة النقاش من قبل

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 279.

² - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 140.

³ - L'écho d'Alger, 31-10-1924.

⁴ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 164.

⁵ - ليلي بن عمار بن منصور، مرجع سابق، ص: 256.

⁶ - بوعلام نجادي، مرجع سابق، ص: 291.

البرلمانيين الفرنسيين¹. سنة 1933 أثار ضجة في كل من فرنسا والجزائر، فاستقبله دعاة الإدماج من الجزائريين بالتهليل لأنه يلبي طموحاتهم، في حين عارضه وبشدة الكولون² ومنهم النواب اليمينيون الذين كانوا يرفضون أي تغيير في وضع الجزائريين السياسي حتى ولو تخطى هؤلاء عن أحوالهم الشخصية³.

فتراجعت حكومة الجبهة الشعبية أمام ضغوط المستوطنين الكبار المعادين له، وخضعت لهم مثلما سيخضع "غي موللي" بعد عقدين من ذلك على إصلاحاته⁴. شن رئيس بلدية وهران معركة سياسية ضده مصرحا للأستاذ "شارل أندري جوليان" لا نسمح أبداً لمشروع يمنح لقرية صغيرة إمكانية أن يكون رئيس بلديتها من أصل عربي⁵. ليرفض ليرفض نهائيا سنة 1938 تحت ضغط رؤساء بلديات الجزائر⁶ بالاستقالات والتي روجت روجت لها صحافتهم بتاريخ 8 مارس 1937 عن استقالة 250 رئيس بلدية لتتحدث جريدة le Temps، الصادرة يوم 11 مارس 1937 عن استقالة 321، ليبرق الوالي العام يوم 17 مارس للحكومة الفرنسية أن 92% من رؤساء البلديات ومساعدتهم استقالوا⁷.

وهو ما يثبت أن السلطات الاستعمارية كانت تأتمر بأوامر المعمرين وتنتهي بنواهيهم كما يقول فرحات عباس⁸. فتم إرضاء الكولون وتشجيع الإدارة الجزائرية، ذلك ما أكد عليه "أبو غابريال" أحد غلاة الاستعمار، الحفاظ على سلطة الإدارة دون ضعف والسيادة الفرنسية كاملة غير منقوصة، حتى أن القس "لامبير" أشاد بما قرره الوزير

¹ - كمال كاتب، أوروبيون، مرجع سابق، ص: 416.

² - Maurice Violette, L'Algérie vivra-t-elle ?, paris, 1935, p : 424.

³ - أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص: 192.

⁴ - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع 1954 - 1962، ترجمة، كميل قيصر داغل، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، 1983، ص: 31.

⁵ - A.W.O., Carton 4473, presse indigène, 1933- 1940.

⁶ - ليلي بن عمار بن منصور، مرجع سابق، ص: 258.

⁷ - الشروق اليومي، الأحد، 18-12-2005، العدد، 1563، ص: 10.

⁸ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 164.

والذي أنجى أجيال المعمرين التي تتعاقب بالجزائر¹. وبعدما أن اجبر فيوليت على سحب مشروعه كتب كتابا عنونه بالجزائر هل ستعيش؟، جاءت فيه فقرات تعبر وبوضوح عن رؤية ثاقبة وبعبارة قوله: " في الخمسة عشر سنة اللاحقة سيكون هناك أكثر من 10 ملايين جزائري، من بينهم حوالي مليون رجل وامرأة مقتنع بالثقافة الفرنسية، هل نجعل منهم متمردين أم فرنسيين؟ ويضيف قائلاً في موضع آخر محذراً في العشرين سنة مقبلة تضيع الجزائر من يد فرنسا إذا بقيت هذه المستعمرة منطقة نفوذ حصرية للمستوطنين فقط" لكن فرنسا الاستعمارية لم تعر أي اهتمام لهذا النداء².

حتى ومع تعيينه في حكومة "ليون بلوم" ثارت ثائرة الأوروبيين ضد فيوليت العربي كما كانوا يسمونه منذ أن كان واليا عاما، أطلقوا عليه وصفا جديدا هو فيوليت الطاعون، كما طالبوا الحكومة التي تمثل في رأيهم إهانة وطنية واستفزازا حقيقيا ضد الجزائر الفرنسية³.

ورغم ما بقت عليه بعض الأطراف في الحركة الوطنية من تقرب كالذي كان من "عمار أوزقان" وترديده كما يقول شارل روبير أجيرون لخطاب موريس توريث الذي ألقاه بمدينة الجزائر سنة 1939، قوله: " الجزائر أمة في طريق النشوء وسيكون شعبها خليط أصلي من العناصر ذات الأصل الأوروبي والعربي والبربري... تشكل عرق جديد" ليضيف ردة الفعل الأقلية الأوروبية من خلال ما دعا إليه مورينو رئيس بلدية جيجل عبر بيان مضاد عنوانه "من أجل الدفاع الفرنسي" لفرنسيي الجزائر قوله: " ألا يكونوا سوى كتلة واحدة من أجل الدفاع الشرعي عن أنفسهم"⁴.

¹ - L'écho d'Oran, 10 avril 1937.

² - Maurice Violette, op.cit., p : 425.

³ - الشروق اليومي، الأحد 18 ديسمبر 2005، العدد، 1563، ص: 10.

⁴ - شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، ترجمة، جمال فاطمي، نادية الأزرق، فتحي سعيدي، حسين بن قرين، مراجعة، عياش سلمان، الجزء الثاني، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص: 942.

تأكد أن تلك المشاريع والوعود لم تجد طريقها إلى التنفيذ بسبب تعنت الكولون الذين كانوا يتعاملون مع القضية الجزائرية على أساس عرقي وديني¹. وما يوضح ذلك استقبالهم لبيان فرحات عباس 1943 بالموقف العدائي². رغم طمأننته لهم قوله: " ما فتئت أخطبهم وأشرح لهم بإيمان مني وبلا ملل" الثورة بالقانون "تعود بالنفع العميم على جميع سكان الجزائر، قلت لهم: "يدعوكم المسلمون بواسطة البيان ولسانه إلى المشاركة في تشييد الجزائر وأن مشروعا لا يضحى بمصالحهم وأنا معشر المسلمين والأوربيين محتاجون بعضنا لبعض... نبذل جهوداً صادقة في سبيل تقارب قوي يجمعنا، فهلموا حول برنامج معقول"³.

وعلى الرغم من ذلك وجهوا رسالة شديدة اللهجة للحكومة الفرنسية، يحذرونها من الإقدام على أية خطوة إصلاحية تجعلهم منهزمين أمام الأغلبية الجزائرية المسلمة⁴. وللتخفيف من حدة الصراع بين السكان المسلمين والأوربيين تدخلت الإدارة الفرنسية ببرنامج إصلاحات للمطالب التي تضمنها "البيان الجزائري" لسنة 1943⁵. شكلت لجنة خاصة بهدف إعداد أرضية مشتركة التي صادقت على مشروع إصلاحات عرف بملحق البيان والذي يحتوي على قسمين:

– قسم خاص بإصلاحات جوهرية مؤجلة إلى ما بعد الحرب ينص بصفة خاصة على أن تصبح الجزائر غداة نهاية الحرب دولة بدستورها المتميز، يتولى وضعه مجلس تأسيسي منتخب بالاقتراع العام من طرف جميع سكان الجزائر.

¹ - محمد العربي الزبيري، مجلة الرواية، السنة الأولى، العدد الأول، جانفي- فيفري 1996، ص: 132.

² - زدرا فوبيكار، مصدر سابق، ص: 204.

³ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص. ص: 218 - 219.

⁴ - Alain De Siregry, L'écho d'Alger, tome 1, presse de la cité, paris, 1972, p : 235.

⁵ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 444.

– قسم يتضمن مطالب يمكن إنجازها قبل نهاية الحرب كتمهيد للمطالب المؤجلة من أهمها مشاركة الممثلين المسلمين فوراً وفعلاً في حكم الجزائر وإدارتها ويقتضي ذلك:

• التساوي في التمثيل بين الطائفتين الجزائرية والأوربية ضمن المجالس المنتخبة الاستشارية.

• تحويل الولاية العامة إلى حكومة جزائرية تشكل مناصفة بين الطائفتين يرأسها الوالي العام باسم المحافظ السياسي لفرنسا بالجزائر¹.

وعليه أطلق على هذه الحركة بـ "العاصفة" يقول فيها أبو القاسم سعد الله ومن تصريحاتهم: "عاصفة من التحرر هبت من الشرق وراء الأطلسي فوق شمال إفريقيا وعليه من الحكمة علينا وقفها"². لذلك عندما قدم الملحق للجنرال كاترو والذي خلف الحاكم العام "بيرتران" وضعه في الرف بسبب معارضة الكولون القوية والتي حالت دون أن يعبر في الجزائر عن نزعته التحريرية التي أظهرها في سوريا"³ أبعد من ذلك صرح موضحاً أن كل المحاولات التي ترمي إلى رفض بقاء "الوحدة الكاملة بين الجزائر وفرنسا سيكون مآلها الرفض" وأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا"⁴، مصرراً على أن فرنسا "لن نقبل أبداً أن نرى الجزائر مستقلة"⁵ مؤكداً على أن الجزائر فرنسية وستظل فرنسية"⁶.

وعليه جاءت توجيهات الجنرال ديغول في قسنطينة بتاريخ 12 ديسمبر 1943، معتقدة أنه بإمكانها حل المشكل السياسي الجزائري بتطبيق إجراءات اقتصادية

¹ – الشروق اليومي، الاثنين 2 جانفي 2006، العدد، 1575، ص: 15.

² – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص: 210.

³ – الشروق اليومي، الاثنين 02-01-2006، مرجع سابق، ص: 15.

⁴ – أحمد مهساس، مصدر سابق، ص: 179.

⁵ – André Nouschi, L'Algérie amère 1914- 1994, édition de la naissance des sciences de l'homme, paris, 1975, p : 136.

⁶ – أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص: 209.

واجتماعية¹، تفكير الأوساط الأوروبية كان منصب في مناهضة الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية، مع عدم قبول المطالب الوطنية للبيان تحت أي عذر كان².

ورغم ذلك فإنه كان على الأوروبيين إما دعم المشروع لديغول أو المعارضة الدائمة لإصلاحاته يقول محفوظ قداش: "قلة منهم تعاطفوا معه، أما الممثلون الأوروبيون فقد كانوا عدائيين في أغلبهم³، خاصة وأن خطاب ديغول الذي أدرجه محمد العربي الزبيري ضمن تحليل لمقال له جاء فيه: " تمنح حيناً حقوق المواطنة الفرنسية كاملة لعدة عشرات الآلاف من المسلمين الفرنسيين في الجزائر... وفي نفس الوقت سوف ترتفع نسبة المسلمين الفرنسيين في الجزائر داخل سائر الجمعيات التي تنتظر في القضايا المحلية"⁴.

كما سجلوا وباندهاش في مارس 1943 ما ذكره شارل روبير أجيرون في كتابه تاريخ الجزائر المعاصرة قوله: " أن المجندين الأهالي القادمين من وهران، كانوا يعبرون مدينة "ميزون كاري" الحراش حالياً، وهم ينشدون النشيد الوطني لحزب الشعب الجزائري⁵.

تطور جعل من المنتخبين والأعيان يتخلون عن سياسة الإدماج، لكنه دون الدفع بالأقلية للمجهول بحيث أن مطالب البيان 1943 تضمنت في بنده لثالث من مطلبه الأول: الحرية والمساواة المطلقة بين سكانها، دون تمييز عرقي أو ديني، ومطلبه الخامس: حرية المعتقد لكل السكان، وتطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة على كل الأديان⁶.

أجواء زرعت آمالا كبيرة بإجراء إصلاحات عميقة، لكن المستوطنين تقول "أنني راي غولد زيغر": " تصدوا لها ومنعوا تطبيقها، وبذلك أصبح المجتمع الاستعماري يعيش

1 - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 454.

2 - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1002.

3 - نفسه، ص: 942.

4 - محمد العربي الزبيري، مجلة الرواية، مرجع سابق، ص: 137.

5 - شارل روبير أجيرون، مرجع سابق، ص: 949.

6 - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 920.

هذه المرحلة في ابتهاج وأصبحت سلطته أكبر من أي وقت مضى¹. وهو ما جعل الوضع بتعبيرها أكثر تفسخا وتبيان وأصبحت الكراهية والضغينة تفصل أكثر فأكثر بين الجماعات المختلفة والعنف الذي كان خفيا من قبل أصبح يمارس علانية². فأعلنوا أن اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني تجاوزت صلاحياتها وأندرت بأن الإجراءات المتخذة غير مقبولة، حتى صحفهم ركبت الموجة وعبرت عن رفضها، وهو ما ارتكز عليه شارل روبري أجيرون على جريدة "La dépêche algérienne" التي كتبت تقول: "أن اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني أعطت الجزائريين أكثر مما طالبوا به بعد الحرب³. في هذه الظروف انقسم المجتمع بفعل السياسة العنصرية تقول آني راي غولد زيغر: "ظهر الانفاسخ ضمن هذا المجتمع الصغير الذي هو في طور التكوين، برزت الكراهية والضغينة والعداوة بين الطبقات الاجتماعية والجماعات الإثنية وحل زمن اللاتسامح والارتياب"⁴.

تلاه الجنرال شارل ديغول بإجراءات تطبيقية والمتمثلة في أمرية⁷ مارس 1944⁵، التي أحييت كما يقول عبد الرحمن فارس "تمييز قديم بين المواطنين والرعايا الذين أصبحوا مواطنين من الدرجة الثانية⁶، رغم أن الإدارة الاستعمارية أرادت منها تحسين وضع المسلمين بتعديل وترتيب مشروع قانون "بلوم فيوليت" لسنة 1936⁷، بحصول ستون ألف مواطن أصلي مسلم على المواطنة الفرنسية⁸.

¹ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 120.

² - نفسه، ص: 265.

³ - شارل روبري أجيرون، مرجع سابق، ص: 921.

⁴ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 120.

⁵ - Jurquet Jacques, la révolution nationale algérienne et le parti communiste français, tome 3, édition du centenaire, paris, 1979, p.p : 121- 122.

⁶ - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص: 45.

⁷ - فرحات عباس، الشباب الجزائري، مصدر سابق، ص: 13.

⁸ - هنري علاق، مذكرات جزائرية، ترجمة: جناح مسعود، عبد السلام عزيزي، دار القصة، الجزائر، 2007، ص: 130.

ازداد استياء الكولون وعبروا عن معارضتهم لها، لأن هذه الإجراءات المتساهلة اتجاه الجزائريين كما تعتقد هذه الأوساط ستدفع المستوطنين إلى حزم أمتعتهم¹، ومع رفع نسبة الجزائريين في المجلس المحلية من 1 إلى 3 والحصول على عدد يساوي عدد الممثلين الأوروبيين بالمجلس الجزائري²، مع منح الحقوق السياسية لكل المسلمين من الرجال البالغين 21 سنة³.

رغم أنه يمثل تقدما مقارنة بالماضي لكنه وكما تقول أني راي غولد زيغر: "لم يحقق نظاما مبنيا على المساواة... مرسوم ينادي نظريا وليس واقعا بالمساواة في الحقوق والواجبات بين الفرنسيين الأصليين الأوروبيين المتجنسين والمسلمين الجزائريين⁴.

وعلى هذا المنحى يحلل عبد الرحمن فارس مدى: "مقدار الاحتقار الذي يتعرض له الجزائريون في وطنهم، من طرف أناس قدموا من جميع سواحل المتوسط واكتسبوا على الفور حقوقا هم أولى بها ومزايا تحطم روحه المعنوية⁵. يقول فرحات عباس: "الإصلاح يبقى ذا طابع شكلي لهذه الوعود، إلا أن الأقلية شعرت بالخطر يتهدهم في حالة تمكين الجزائريين من مشاركتهم في الهيئة الانتخابية، لذلك تحركوا وبسرعة مستغلين نفوذهم في الأجهزة الأمنية لإفشال تنفيذ أمرية 7 مارس 1944⁶.

وكان الرد عنيفا مترجما لمشاعرهم وعلى لسان أحد أبناء جلدتهم بصراحة وقحة ممثلا في شخصية "غابريال أبو" * قوله: "لقد سئمنا من حكايات انتخاب الأهلي السخيفة

1 - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 276.

2 - عمار بوخوش، العمال الجزائريون في فرنسا، دراسة تحليلية، مرجع سابق، ص: 111.

3 - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص: 45.

4 - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 255.

5 - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص.ص: 34-35.

6 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص.ص: 152-153.

* - أحد الناطقين الرسميين لكبار الاستعماريين، رئيس بلدية دلس، كبير الملاك والمدافعين المتحمسين عن "بيتان" الذي اغتني من التعاون الاقتصادي مع الألمان وخاصة بتقديمه للسلع لجيوش تحارب في ليبيا. انظر هنري علاق، مصدر سابق، ص: 192.

هذه فإذا كنا قد نجحنا مرة بالقوة في توجيهها لإرادتنا فإننا نستطيع دائماً أن نعيد الكرة"¹.

يرى بأن شرف اكتساب المواطنة الفرنسية يستحق التخلي عن قانون الأحوال الشخصية واعتقد بشدة انعكاسات زيادة عدد المسلمين في تشكيلة المجالس البلدية².

لذلك توحدت الحركة الوطنية باتجاهاتها الثلاث رداً على أمرية 7 مارس 1944 بتأسيس أحباب البيان والحرية³، حركة جماهيرية كانت ترمي إلى جمع كل الاتجاهات الوطنية الجزائرية والتي كانت تدعو إلى فكرة بناء أمة جزائرية، حريصة على تشكيل جمهورية في الجزائر تتمتع بالاستقلال الذاتي في إطار اتحادية مع الجمهورية الفرنسية⁴ والتي جمعت بين الوطنيين لحزب الشعب الجزائري والمعتدلين ومطالبتهم بإصلاحات جذرية للمؤسسات لكن الإدارة الاستعمارية تمسكت بما جاء في الأمرية واختار الحاكم العام "شاتينيو" إصلاحات اقتصادية أفضلها الكولون الذين لقبوه بـ"شاتينيو محمد" وهي نفس الهجمات التي تعرض لها موريس فيوليت الذي أطلقوا عليه "فيوليت العربي"⁵.

هكذا بدأ المجتمع الأوروبي المستعد للدفاع عن مصالحه يبحث عن المسؤولين ويتهم الإدارة بعدم حمايته من عدوان الأهالي⁶، وكثيراً ما سخرت صحافتهم من الوضع القائم مع تناسي النزعة القومي الإسلامية الانفصالية، ذلك الذي عبرت عنه صحيفة la dépêche algérienne ارتكز عليها محفوظ قداش: "نرتعش نحن حين نعلم فجأة بأن خطراً بهذا الحجم يهددنا، إننا نعيش فوق بركان، يقوم العرب وخناجرهم بين أسنانهم بإيقاد ناره وتلقيمها ويهتفون بالنبي، ونحن قاب قوسين أو أدنى من أن نرمى في البحر"⁷، البحر"⁷، لتضيف صحيفة "L'écho d'Alger" منتقدة وبشدة الوضع اعتمد عليها

1 - فرحات عباس، الشباب الجزائري، مصدر سابق، ص: 15.

2 - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 943.

3 - محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 12.

4 - ليلي بن عمار بن منصور، مرجع سابق، ص: 275.

5 - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 960-965.

6 - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 278.

7 - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 535.

فرحات عباس: "دقت ساعة رجال الدرك، حينها طلب المعمرون من حكومتهم أن لا تعطي أي حل في ذلك الحين للمشاكل السياسية والإدارية والاجتماعية¹.

بل دعوا هيئة الإدارة الفرنسية بصراحة إلى ردة فعل قاسية ضد المسلمين²،
محملين الجنرال شارل ديغول مسؤولية الوضع، خاصة ما جاء في أمريته والتي حسبهم
فتحت الآفاق للأهالي الذين سيصعب من الآن كبح مطالبهم المتزايدة³. وبحدة اكبر سجل
بيار أورديوني Pierre Ordioni موقفه من الجنرال ديغول قوله: "كونه هو الأول
المسئول عن ضياع الجزائر وشمال إفريقيا من خلال سياسته الخرقاء التي بدأها في
مارس 1944"⁴.

وعليه بادروا بتأمر على الحركة ذلك ما يؤكد شارل أندري فافرود من خلال
كتابه الثورة الجزائرية قوله: "في الوقت الذي كانت حركة أحباب البيان والحرية تنظم
نفسها للعمل في ظل الشرعية، كان معظم الأوروبيين يحضرون لحلها سرا"⁵. ذلك ما
تأكد على لسان "شاتينيو" وعبر مقابلة صحفية له ارتكزت عليها آني راي غولد زيغر
قوله: "لقد جاؤوا ليقولون لي بأن متطرفي أحباب البيان والحرية بدؤوا يتسلحون، يجب
أن نشجعهم على القيام بأعمال هنا وهناك لكي نكشفهم ثم نقوم بردهم وننشئ بالجزائر
جوا يجبر باريس على حظر هذا الحزب المتمرد" ثم يعترف ويقول "عارضت هذه
الرغبة الاستفزازية على الصعيد الوطني لكن للأسف لم أستطع فعل ذلك على الصعيد
المحلي"⁶. فكان أول مؤشر على ذلك مناورة تأجيل الانتخابات البلدية لتقويت فرصة الفوز

¹ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 188.

² - رضوان عينايت، 8 ماي 1945 الإبادة الجماعية في الجزائر، ترجمة، سعيد محمد اللحام، المؤسسة الوطنية
للفنون المطبعية، الجزائر، 2005، ص: 58.

³ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 277.

⁴ - Pierre Ordioni, Tout commence : Alger, 1940- 1944, édition Stock, paris, 1972, p.p : 655-656.

⁵ - Charles André Favrod, La révolution algérienne, édition, plan, paris, 1959, p : 74.

⁶ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 408.

الفوز على هذا التجمع الوطني الواسع¹. وهو ما أكدته فرحات عباس قوله: " عمد أعداؤنا على منعنا من المشاركة في الانتخابات البلدية التي كانت قد أجريت في فرنسا وما أجلت في الجزائر إلا خشية انتصار القوات الشعبية². فكانت الحلول المطلوبة بالنسبة إليهم إجراءات، من أجل تقادي أحداث لا يمكن إصلاحها وهو ما جاء على لسان "غابريال أبو": " ستتكون هناك أعمال شغب وستضطر الحكومة للتراجع عن أمرية 7 مارس 1944³.

نشاط أحباب البيان والحرية دفع الحكومة العامة التفكير لإيجاد طرق فعالة لحماية الأوروبيين حيث وجدت نفسها مجبرة على اتخاذ إجراءات فورية لإضعاف حزب الشعب الجزائري بتدبير خطة مع المتصلبين (غازانييه -Gazagné- بالنسي -Balenci- برك Berque)⁴ وهو ما يفنده فرحات عباس قوله: " أنه روج في الولاية العامة منشوراً جاء فيه "كفانا ! إن الرأي العام الفرنسي يطالب بإعدام القادة الوطنيين وفي طليعتهم فرحات عباس مطالبين بعزل الوالي العام وتعيين آخر مدني من فرنسيي الجزائر"⁵.

يضيف فرحات عباس ومن خلال كتابه "الشباب الجزائري" قوله: " إن هذه اللغة التي يعبر فيها عن التصدي والحد العاري من أي تحفظ، هي اللغة المشتركة بين كبار سادة الاستعمار. إنهم يعبرون بوضوح عن مشاعرهم الحقيقية، إن هذه اللغة هي التي نقلت العدوى وأفسدت العدد الأكبر من أوروبيي الجزائر"⁶. وبعدما أن بادر الحاكم العام "إيف شاتينيو" باعتقال كل من الدكتور سعدان والذي كان مريضاً، إلى جانب اقتياد فرحات عباس إلى السجن وبعدها عبر له بأنه سلمه للجيش لينقذه من عقاب المستوطنين"⁷

¹ - الشروق اليومي، الاثنين 2 جانفي 2006، العدد، 1575، ص: 15.

² - فرحات عباس، لسل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 188.

³ - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص. ص: 1001-1002.

⁴ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 408.

⁵ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 193.

⁶ - فرحات عباس، الشباب الجزائري، مصدر سابق، ص: 15.

المستوطنين¹ ليبارد والي مقاطعة قسنطينة بالتصريح قوله: " لقد اجتمعت كل الظروف المواتية لاشتعال أحداث دامية" تبعه بدعوة لتوخي الحذر قوله: " إنه من المناسب السهر على ألا يفرق أي حادث دموي نهائيا بين الفرنسيين والمسلمين في وقت لا يشكل فيه المجرمون أكثرية"².

وبذلك اتضحت خيوط المؤامرة باستغلال المعمرين الوضع وهم يتحينون الفرصة لتصفية الحركة الوطنية مرة وإلى الأبد (القيام بمجازر 8 ماي 1945)³.

أصبحوا مستعدين للدفاع عن أنفسهم، واستعادوا ردود الفعل القديمة، من مؤامرات ومكائد وتحريض واستعملوا في ذلك القنوات الاعتيادية من شرطة وإدارة وذلك لإفشال أمرية 7 مارس 1944 وحركة أحباب البيان والحرية⁴، رغم أن المكتب المركزي لحركة لحركة أحباب البيان والحرية أنذر مبكراً الحكومة الفرنسية وهو ما جاء به شارل روبير أجبيرون قوله: " إن نية حركة أحباب البيان والحرية تتجه إلى عدم تحمل مسؤولية أي أحداث قد تقوم بها عناصر مشبوهة إضافة إلى ما جاءت به جريدة المساواة في 4 ماي 1945 وتحليلها بالحكمة وروح الاحتياط قولها: " إن الكراهية ليست من ناحيتنا"⁵.

وفي الأخير تسبب فيها الكولون بتوسيع الهوة بين المجتمعين، حتى أنهم كانوا يأملون بتمرد المسلمين سينجر عنه توقيف الإصلاحات⁶.

إن هؤلاء الفرنسيين يقول عنهم فرحات عباس: " قبعوا في عقر دارهم لئلا يشاركوا في الحرب، وتخلوا عن الخدمة العسكرية خوفاً وجبناً، لا يسترجعون شجاعتهم وبأسهم إلا أمام شعب أعزل"⁷. تقرير الجنرال توبار أدان فيه بوضوح الكولون مع تواطؤ

1 - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 408.

2 - شارل روبير أجبيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص: 928.

3 - محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 12.

4 - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 235.

5 - شارل روبير أجبيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص: 928.

6 - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 410.

7 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 193.

تواطؤ إدارة الاحتلال جاء فيه: " أن مجموعات مسلحة من المستوطنين ادعت لنفسها حق المحاكمة والإعدام وكان غض الطرف عن مثل هذه الأفعال يومئذ يعني باختصار أن الحكومة الفرنسية رفضت لرعاياها حقهم في العدالة والحقيقة¹.

1 2 الأقلية الأوروبية ومساهمتها في تعفين الجو العام لما قبل مجازر 8 ماي 1945:

إن ظروف الحرب العالمية الثانية وما ارتبط بها من تطورات أثر في بعث حماس وتعميق الوعي الوطني مع تعزيز الأمل في نفوس عامة الجزائريين، بفعل الأحداث المتسارعة والآفاق الواسعة التي حملتها من مظاهرها الكبرى، المد التحرري، انكسار قوة فرنسا أمام ألمانيا 1940، انتشار دعاية قوات المحور ألمانيا إيطاليا المعادية للوجود الفرنسي بشمال إفريقيا، إعلان الميثاق الأطلسي (روزفلت، تشرشل 1941) والذي تصف مادته الثالثة على حق تقرير المصير، نزول الحلفاء بالجزائر 8 نوفمبر 1942، إعلان سان فرانسيسكو الممهد لإنشاء منظمة الأمم المتحدة جوان 1945، تحرك حكومات بلدان المشرق العربي لإنشاء جامعة الدول العربية 1945، كلها زادت في تحريك الحس الوطني خاصة لدى القوى السياسية والتي حاولت اغتنام الفرص لتستفيد من هذه الظروف لطرح مطالبها².

وهو ما فنده رضوان عيناو ثابت في كتابه 8 ماي 1945 والإبادة الجماعية في الجزائر حيث استند المؤلف على أحد الذين عايشوا الحدث وهو من منطقة سكيكدة من أنصار أحباب البيان والحرية "طيب زيغاد" مركزا على ما كان يشدد عليه الجزائريون

¹ - الشروق اليومي، 2 جانفي 2006، مرجع سابق، ص: 15.

² - ناصر الدين سعيدوني، أحداث 8 ماي 1945 ذكرى تضحيات جسيمة وعبرة كفاح مرير، مجلة الذاكرة، المتحف الوطني للمجاهد، العدد الثاني، 1995، ص: 11.

يومها: "الاستقلال والدستور والبرلمان الجزائري والعلم الوطني... كنا نقاوم قرار مارس 1944 الذي أدانته حتى المنتخبون"¹.

ظلت القوى السياسية الجزائرية تلتزم بمواقفها المبدئية المناوئة للفاشية والنازية والمتفهمة لسياسة الحلفاء على أمل تجاوز الموقف الفرنسي، المعادي لكل المطالب الوطنية وتحقيق المطالب الأساسية في إطار تصور عالم أفضل تختفي فيه العنصرية ويمحى منه الاستبداد، وقد عبر عن ذلك فرحات عباس في خطاب له بمدينة سطيف في 29 أبريل عندما أكد أمام مستمعيه بأن مؤتمر سان فرانسيسكو الذي وقع تصورا لإنشاء هيئة الأمم المتحدة يتضمن إقرار الحرية لكل الشعوب وأن الشعب الجزائري سيكون من بينها"². لكنه ومع الطبيعة العدائية للكلون جن جنونهم على تحرك السكان الأصليين، سواء كانوا معتدلين أو ثوريين فقد رأوا هذه التمردات الفرصة لقمع الوطنيين وتعطيل كل سياسة اتجاه الإصلاحات³.

ومع تأزم الوضع الاقتصادي الذي سببته الحرب والظروف الطبيعية التي كانت بحالة خاصة سيئة عرفتها الجزائر، لقد ساعدت حتما على تطور الإحساس بالانزعاج والحس الوطني، واستغلت هذه الأزمة لأهداف سياسية بحيث شكلت موضوعا للترويج القوي، إن مقارنة حالة البؤس التي يعيشها المسلمون مع حالة الرخاء التي هم فيها المستعمرون تفسر الهوة التي تتوقف عن الاتساع والعداء المتنامي بين مجموعتين السكان⁴. حتى الثورة الوطنية بالنسبة للجزائريين تكرر سيادة الكولون لا سيما بعد نجاح الدعاية الرسمية التي ثمنت "العودة إلى الأرض" دفعت أوروبيي المدن وهم الأغلبية الساحقة إلى تبني رجال يمجدون في خطابهم الرسمي روح "الرواد" وحب العمل والعائلة والوطن دون تحرج من إعلان الاحتقار للأهلي بشكل صريح⁵، حتى قبولهم بإصلاحات

¹ - رضوان عينا ثابت، مرجع سابق، ص: 37.

² - ناصر الدين سعيدوني، أحداث 08 ماي...، مجلة الذاكرة، مرجع نفسه، ص: 13.

³ - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 44.

⁴ - عينا ثابت رضوان، مرجع سابق، ص: 45.

⁵ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 60.

1944 كان عن مضض في أعماقهم كانوا ضدها، لذلك حاولوا منع تطبيقها بعد الحرب العالمية الثانية بأي ثمن¹.

ابتداء من أبريل 1944 قرر "بيير غازانيه Pierre Gazanie" الأمين العام الجديد اتخاذ إجراءات وقائية لقد اصطدم بالحاكم العام "إيف شاتينيو" الذي اعتبرها مضايقات يمكن أن ينجر عنها دوامة من العنف، ومن هنا بدأت ترتسم ملامح مؤامرة ضد سياسة "المصالحة" التي ينتهجها الحاكم العام، فقامت الإدارة العليا بأعمال تهدف إلى قطع الطريق أمام "إيف شاتينيو" وسياسته التي رأت فيها تساهل، معتمدة على وسائل الإعلام التي كانت تملكها الأقلية الأوروبية². لذلك بدأت شائعات التمرد تأتي منها بداية من خريف 1944 والتي غذيت بعد عودة الاتصالات الجزائرية الفرنسية، فوضعوا على إثرها فرنسا كفريسة للفوضى والتمرد³ رأوا فيها بداية القضاء على امتيازاتهم لتضمنها إعطاء المواطنة الفرنسية للجزائريين⁴ خاصة وأن فرحات عباس ورفقاؤه كانوا أشد حماسا، حتى أنهم لا يبدو في نظرهم من المستحيل إقناع الأقلية الأوروبية بالبناء المشترك لجمهورية وطيدة الارتباط بفرنسا والمشاركة معهم في الحكم⁵.

ذهلوا من انبعاث هذا المسلم الفرنسي، رأوا فيه شذوذ مخالف للقواعد المألوفة يندرج في البربرية إذ يقول جون لوي بلانش في تحليله ما يلي: " في الجزائر إما أن يكون المرء فرنسيا وإما مسلما، أما أن يكون الجزائريون الأهالي رعايا فرنسيين منذ الالتحاق الرسمي للجزائر بفرنسا سنة 1834 فذلك من غرائب القانون التي تخلو من أية أهمية، كيف يمكن أن يسوى بلا تمييز أمام القانون بين فرنسي له صفة المواطنة وبين جزائري ليست له هذه الصفة؟ كيف يكون المرء فرنسيا مسلما؟⁶

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص: 271.

² - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 294.

³ - A.N.O.M., B3/742 Constantine, Rapport du sous préfet, Bougie 16-09-1944.

⁴ - ناصر الدين سعيدي، أحداث 08 ماي ...، مجلة الذاكرة، مرجع سابق، ص: 15.

⁵ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 167.

⁶ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 102.

ومجارة لهذا الخط قاموا بحملة ضغط على الإدارة متهمين إياها التخطيط لثورة ترمي الأقلية الأوروبية في البحر¹، كما أنهم فسروها على أنها "مؤامرة وطنية انفصالية" الهدف منها القيام بانتفاضة شاملة لإخراج الفرنسيين، اتهامات للتأثير على الإدارة الاستعمارية والحكومة الفرنسية ودفعهما إلى ضرب الحركة الوطنية وعدم القيام بأي إصلاح². وهو ما أجاب عنه الباحث الفرنسي "جون بيار بيرولو" من خلال حوار أجراه معه عثمان طالبي نشرته جريدة الخبر اليومي كشف فيه على أن الجزائريين دافعوا عن أنفسهم بطريقة سقط فيها ضحايا من الأوروبيين لكن ليس بالمقارنة بين ما قام به الأوروبيون، رغبة في قمع الحركة الوطنية الجزائرية من جهة، وانتفاضة ضد الإصلاحات التي كانت الحكومة الفرنسية المؤقتة قد باشرتها بداية من 1944، والمتعلقة أساساً بمنح الجنسية الفرنسية للمسلمين الجزائريين³ هو موقفهم الرفض للمطالب الوطنية وما يعكسه من خوف وعداء وحقد على الجزائريين باختلاف شرائحهم واتجاهاتهم السياسية⁴.

ذلك ما وقف عليه محمد حربي في كتابه الثورة الجزائرية سنوات المخاض اعتماداً على ما كتبه "أندري سيفنريد" سنة 1945 مترجماً ما كان يخالج فكر أغلبية الأقلية الأوروبية: "إن الحضور الفرنسي جنوبي البحر المتوسط لا يمكن أن يكون محل نقاش، فنحن لسنا هنا كأجانب ولا كمعمرين بل كشركاء دائمين، تماماً كما كان الرومان في العصور القديمة"⁵. وهو ما جعل الدكتور سعدان وبتاريخ أفريل 1940 يوجه للمجلس العام لقسنطينة تحذيراً جاء فيه: "أمامكم مشهد لشعب يريد أن يعيش، كما يطالب بضمانات، ليس هذا تهديداً أو إنذاراً ولكن إن لم تتخذ الإجراءات واعتباراً لما قلته فإن

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص: 271.

² - أحمد صاري، حوادث 8 ماي 1945 من خلال بعض الوثائق الرسمية، مجلة الذاكرة، المتحف الوطني للمجاهد، العدد، السادس، نوفمبر، 2000، ص: 35.

³ - الخبر اليومي، الأربعاء 7 ماي 2008، حوار مع الباحث الفرنسي جون بيار بيرولو، أجراه عثمان طالبي، ص: 5.

⁴ - ناصر الدين سعيدوني، أحداث 08 ماي...، مجلة الذاكرة، مرجع سابق، ص: 15.

⁵ - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة...، مصدر سابق، ص: 6.

ال جماهير المسلمة التي لا ترضى بالانقياد، والطبقات الشغيلة والفلاحين الذين لا يسمحون بخداعهم يقولون لكم، لقد ضيعتم مهمتكم ولو حدث الاضطراب، سيقال لكم أنتم المسؤولون عن ذلك"¹.

هاجسهم عن مصيرهم قد تفاقم من خلال أمرية 7 مارس 1944، خوفهم من النزعة الوطنية التي أصبحت تهدد وجودهم والخوف من فقدان الامتيازات المكتسبة، إن رؤى الطرفين كانت على طرفي النقيض لكل منهما، وعليه فأسباب التوتر لم تكن كسابقتها، مقتصرة على حالة من الواقع المستقر، يرسخ العلاقات والتصورات التي تربط المستعمر بالمستعمر، بدايتها كانت بمقاطعة الأوروبيين، فأصبح العربي عند هذه المجموعة "تطاولا كلاميا" وتهديدات صريحة ضد حياة الفرنسيين المعزولين، فتحول الخوف إلى ذعر، لذلك توالى دعوات إلى تدابير تستوجب تحذيرات شديدة². ولأنها رأت في مطالب الجزائريين خطرا داهما يهدد مصالحها، مما تطلب الوقوف ضد هذه المطالب وإحباطها بكل الوسائل وبجميع الطرق، وصل بهم الأمر إلى اتهام الوالي العام "إيف شاتينيو" "Yves Chataigneau" بأنه معاد لمصالحهم وغير منفذ لقضايا الأوروبيين، واصفين سياسته بالتخاذل والضعف إزاء مصالحهم والتي لا يمكن حمايتها حسب رأيهم إلا بإلغاء أمرية 7 مارس 1944³. لقد أعلنوا "إشاعة الإرهاب" لوقف الإصلاحات وإعدام الثوار وإلى إقالة الحاكم العام شاتينيو مع تعيين حاكم عام آخر بدله من الكولون أنفسهم"⁴، اتهامهم له باعتقادهم لتهاونه في مواجهة الجزائريين⁵، وأنه لم يواجه قيادات الحركة الوطنية الجزائرية بالشدة اللازمة خاصة وأنها تخطط لتفويض التواجد الفرنسي في الجزائر دليلهم في ذلك أحداث 8 ماي 1945⁶، خاصة وأن مناضلي حزب الشعب الجزائري أو بالأحرى الجماهير التي سيطرت عليها الدعاية الوطنية في المرور إلى

¹ - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 15.

² - رضوان عينايد ثابت، مرجع سابق، ص: 56.

³ - ناصر الدين سعيدوني، أحداث 08 ماي... مجلة الذاكرة، مرجع سابق، ص: 15.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص: 273.

⁵ - Jean le Couture, De Gaulle la politique 1944- 1959, édition du Seuil, paris, p : 185.

⁶ - André Nouschi, op.cit, p.p : 175- 176.

مرحلة العمل، إلى جانب رغبة الأقلية الأوروبية القيام بشتى الوسائل بما في ذلك الاستفزاز في وجه مظاهرات الوطنيين واستغلال أي خطأ قد تقع فيه، ومع ما تشكل من هوة جعلت الكتلتين متعاديتين، وهو ما جعل الجو ينبئ بحدوث المواجهة¹.

ورغم أن المكتب المركزي لحركة أحباب البيان والحرية قد انذر في بيان له بتاريخ 2 أبريل 1945 نيته تتجه إلى عدم تحمل مسؤولية أي أحداث قد تقوم بها عناصر مشبوهة، ودعت جريدة المساواة أيضا في 4 ماي إلى الحكمة وروح الانضباط قولها: "إن الكراهية ليست من ناحيتنا"².

أصبح الكولون في كل مكان يعيشون في جو غير آمن... إنه وضع خطير يفرض اتخاذ إجراءات عاجلة منعا لأحداث لا تحمد عقباها وأن السلام يجب تأمينه بجميع الوسائل التي تملكها السلطات الفرنسية³. يذكرون هروب العمال من مزارع الكولون وسوء الحالة الاقتصادية، ويضيفون أن السكان الفرنسيين حيثما كانوا هم يعيشون تحت الخوف والهلع⁴.

فقام الجنرال "هنري مارتان" قائد الفيلق التاسع عشر، باتخاذ إجراءات وقائية، نظم عمليات استكشافية بالمناطق الحساسة ليظهر الجنود بالمناطق التي لا توجد بها مواقع للحراسة ويطمئن السكان الأوروبيون المبعثرين هنا وهناك أو القاطنين بمناطق منعزلة ويذكر الأهالي المتهمين بالفتنة الشعبية. أن جيش إفريقيا مصمم على صيانة هيبة فرنسا والسهر على تطبيق قوانينها مهما كانت الظروف⁵. حتى مع ما كان يصدر عن الجنرال شارل ديغول باسم "لجنة فرنسا الحرة" مع الجنرال كاترو الذي استقبل من الجزائريين

¹ - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 931.

² - شارل روبير أجبرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، مصدر سابق، ص: 928.

³ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص: 272.

⁴ - عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1936-1945، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 310.

⁵ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 282.

على انه سيكون عهد الإصلاحات التي كانت فرنسا قد قطعتها لهم، لكن شيئا من ذلك لم يتحقق، بل بالعكس أعطى ومنذ البداية أنه من أنصار بقاء الجزائر الفرنسية، وغير مستعد لمناقشة القضايا السياسية، وبالمقابل أرجع لليهود قرار كريميو، الجنسية الفرنسية، وأعلن أن أي مطلب خارج الوحدة بين الجزائر وفرنسا سيرفض لأن الجزائر "جزء لا يتجزأ من فرنسا"¹ وهو ما يبين أن معارضة المستوطنين لديغول أو مساندته لم تحكمها العداوة المطلقة أو الصداقة المطلقة، بل كانت تحكمها المصلحة المطلقة والخلاف بينها كان حقيقته شكليا لأن مصالح الطرفين متقاربة².

ومع تصاعد التوتر، اتخذت الإدارة الاستعمارية سلسلة تدابير منها ما قام به السكرتير العام للحكومة العامة "غازانيي Gazagne" والذي سيتحصل على ترقية بتعيينه محافظا وبعدها سينتخب على رأس بلدية الجزائر التي ستكون رمزا لمطالب المجتمع الأوروبي تحت إدارة كبار المعمرين³، اعتقل مصالي الحاج ونقله من قصر الشلالة إلى المنبوعة ثم منها إلى برازافيل، قرار اتخذه بتاريخ 19 أفريل 1945 في غياب الحاكم العام "شاتينيو" والذي عارضه هذا الأخير لدى عودته للاعتقالات الوقائية التي قررتها ندوة كبار الموظفين⁴.

إلى جانب تنبيه فرحات عباس على أن حركته (أحباب البيان والحرية) مخترقة وتعمل لمصالي الحاج لكن حقيقة الأمر أنها كانت مخترقة من مخبرين ومحرضين بأمر من الأمين العام الذي ومن عناصره تشكل الجواسيس والوشاة⁵. هذه الحركة التي أصبحت أصبحت تشكل خطرا على الإدارة الاستعمارية، وبدا محتملا أن تمنحه الانتخابات البلدية

¹ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، مرجع نفسه، ص.ص: 231-232.

² - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 400.

³ - نفسه، ص: 456.

⁴ - شارل روبيير أجبيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، مرجع سابق، ص: 928.

⁵ - رضوان عينايد ثابت، مرجع سابق، ص: 45.

والإقليمية عددا هاما من الأصوات تجعل منهم مفاوضا مخيفا" ¹. لكنه وفي ظل حكومة الماريشال بيتان، أصبحت الأقلية الأوروبية لها الحق في التصرف وبحرية وفقا لرغبتهم بحيث أن أغلب رؤساء البلديات الصغيرة من المعمرين الأثرياء زعموا أنهم يعرفون كيف يتعين معاملة العرب يتصرفون كاستبداديين وأحيانا كقطة" ².

تسللهم وخطرستهم زادت الجزائريين تأججا كالفعل الذي أقامه رئيس بلدية زرالدة في أوت 1942 بسجنه لأربعين جزائريا في قبو مساحته تسعة أمتار مربعة ولما نبه لعدم اتساعه لهم كان جوابه "فليهلكوا" في الصباح أخرج خمسون وعشرون ميتا من بينهم، كانت تأثيراتهم على الرأي العام الجزائري كبيرة لخصت في كتابات على الجدران "اللجنة على جميع الفرنسيين للنشر الذي فعلوه في العرب، تسقط فرنسا الاستعمارية يحي هتلر" ³.

وضمن نفس السياق يشهد عبد الله بن يلس في حوار أجرته معه جريدة الشروق بسؤال طرح عليه، والمتمثل في: عندما تسمع مجازر 8 ماي ما هو أول ما يطفو على سطح ذاكرتك؟ يجيب بما يلي: " الأحداث لم تأت صدفة بل سبقتها عدة انتفاضات بمدينة قالمة، أذكر أنه في عام 1943 وعند انتشار وباء التيفوس في أوساط الجزائريين، قرر المستوطنون منع أبناء الجزائريين من دخول قاعة السينما، فنظمنا انتفاضة شبانية اعتقل على إثرها كل من سويداني بوجمعة وعمار نقاب وعمار بن جامع الذي حكم عليهم آنذاك بثلاث أشهر حبسا نافذة" ⁴.

¹ - أحمد يوسف، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، المنظمة الخاصة، ترجمة محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002، ص: 60.

² - هنري علاق، مذكرات جزائرية، مصدر سابق، ص: 75.

³ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 72.

⁴ - الشروق اليومي، 7 ماي 2002، العدد، 2604، ص: 8.

إن تشبث فرنسا بفكرة الإمبراطورية جعلها تعالج المشاكل الفورية تاركة لولايتها الذين كانوا تحت سيطرة الكولون، مهمة تحديد سياستها في المستعمرات فزكت مبادرات ولاتها، لذلك كانت مجازر 8 ماي 1945¹.

وهو التخوف الذي تجسد عند الحاكم العام "إيف شاتينيو" على خطته الإصلاحية القائمة على تشجيع الاندماج من عناء الأقلية الأوروبية، لجهد سيواجه بفهم سائد لدى الكولون وبعض العسكريين المعتمد على استمرار السياسة التقليدية والتي تعتبر كل فكرة إصلاحية إلى فكرة ثورية بالضرورة وثورة عربية مطالبين بالعودة إلى سياسة القوة مع المسلمين الجزائريين²، حتى أن استقبال وزير الداخلية "تكسيي" جانفي 1945 لـ"بيار بيرن Pierre Berne" مدير الديوان المدني للحاكم العام "شاتينيو" اعترف بأن المشكل الوحيد في الجزائر هو معارضة الأوروبيين للسياسة الإسلامية للحكومة³.

فبتاريخ 24 أفريل 1945 ذهب وفد مكون من ستة نواب فرنسيين "فالي Vallet، واد عثمانية- كيزان Cusin، عزابة- فورنييه Fournier، خراطة- دايرون Deyron، سوق أهراس- ميار Meyer، واد رحمون- لافيي Lavier، قالمة" إلى والي قسنطينة وقدموا له رسالة باسم الأقلية الأوروبية صاغوها بعد اجتماع خاص واصفين حالة الجزائر منذ 1939، وطلبوا منه إعلام السلطات لكي تتخذ إجراءات مناسبة لحفظ السلام والنظام⁴.

ومما جاء فيها: "إن الجزائريين قد أصبحوا معاندين ومهاجمين، يقولون أنهم سيقون وحدهم في بلاد أجدادهم وأنهم يعلنون عن الاستقلال الذي تضمنه بيان 1943، ويستخلص المستعمرون من كل هذا أن هذه الحركة لا تقتصر فقط على أعمالها السياسية

¹ - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 6.

² - يوسف مناصرة، جريمة 8 ماي 1945 في مخططات الاستعمار الفرنسي، مجلة المصادر، العدد، 7، نوفمبر، 2002، ص: 77.

³ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 113.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص: 272.

الظاهرة بل إنها تشير إلى إمكانية وقوع أحداث خطيرة، تهدد حياتهم خاصة وأنهم يعيشون في أماكن معزولة، حيث تروج تجارة الأسلحة¹. رسالة يقول عنها رضوان عيناى ثابت أنها كانت مزلزلة بمفرداتها ومحتواها: " يجب أن تتخذ قرارات عاجلة إذا أردنا أن نتفادى أحداثا يتعذر إصلاحها" ومضيفا: " إن هذا الوضع يمكن أن يسبب مأساة عامة فجائية، وبما يكون من الصعب الحد من نتائجها المدمرة..."².

بل إنه العكس ومع شدة قلقهم أصبح هاجسهم العثور على أسلحة للدفاع عن مزارعهم، فرخص لهم بالحصول عليها وذلك بأمر صادر عن "دارلان" بتاريخ ديسمبر 1942، حتى أنها يسرت لعصابات التهريب شراءها بأفضل الأسعار³.

على الرغم من أن فرحات عباس وبتاريخ 29 أبريل 1945 عقد مهرجانا شعبيا بسطيف حضره المحامي مصطفى الذي تحدث ودعا الأوروبيين الالتحاق بصفوف أحباب البيان، وبعدها تناول رئيسها الكلمة باللغة الفرنسية مؤكداً على فتح أبواب الجمهورية الجزائرية للأوروبيين وحتى اليهود الذين يعتبرون جزائريين⁴، ذلك ما جاء على لسانه قوله: " أصبح شعارنا إقناع الأوروبيين بالاهتمام بقضيتنا التي كانت في حقيقة الأمر قضيتهم، وبإفهامهم أن مصالحنا ومصالحهم مرتبطة كل الارتباط وباستمالة قلوبهم حتى يقبلوا فكرة جمهورية جزائرية ديمقراطية واجتماعية ويقبلوا مساعدتها، وكنا نعتبر عطفهم على جمهوريتنا عنصرا إيجابيا" إلى أن يقول: "ورغم دعايتنا لم ينخرط في حركتنا إلا فرنسيين قلائل"⁵، حتى في المجال الرياضي، أين حاول عبد الرحمن فارس إقامة علاقة بين الشباب الأوروبي والمسلم لم يتحقق، إذ لم يستجب له سوى الجزائريين من فرط عنصريتهم رفض الأوروبيون أن يحتك أبناءهم بالعرب"⁶. الإصلاحات في

¹ - عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص: 309.

² - رضوان عيناى ثابت، مرجع سابق، ص: 57.

³ - A.N.O.M., 839 man, rapport mensuel sur décembre 1943.

⁴ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 170.

⁵ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 187.

⁶ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 394.

نظرهم تسبب تهيج العواطف ولها عواقب متعددة تنتج عنها المطالبة بالاستقلال، الأمن يتزايد وبذلك تؤدي إلى حوادث خطيرة تضع حياة الفرنسيين القاطنين بالمناطق المعزولة في خطر، فطالبوا بإجراءات واضحة مقنعة دون مراوغة¹.

تزايد العنف في اللهجة حتى أصبحت التهجئات شخصية موجهة ضد متصرفين إداريين بالبلديات المختلطة، هجوم كله كان حول المسألة الإسلامية، الشيوعيون يطالبون بالمساواة وبحق المواطنة للجميع، محاكمة منتظمة للاستعمار وهو ما اعتمد عليه جون لوي بلانش على ما صرح به وفي هلع كبير والي عمالة قسنطينة الاشتراكي "بيير يلي" قوله: "حقا إن الجزائريين يتألمون لكن أليسوا كائنات فطنة، ألا يوجد خطر من أنهم سوف يبحثون عن الثأر باللجوء إلى الانتقام من المعمرين"². وما زاد من تصعيد الخوف والكرهية لدى الأقلية الأوروبية توزيع المنشير - ظهور كتابات حائطية - مظاهرات محلية - إنشاء منظمات وحدوية - نشاط حركة أحباب البيان والحرية - مسيرات الكشافة الإسلامية - المناوشات الكلامية خلال السوق الأسبوعي - استعراضات مرفوقة بأناشيد وطنية جزائرية³.

وعليه أصبحت الأقلية الأوروبية وحيث ما كانت تعيش تحت الخوف والهلع⁴، تحسروا على ما مضى من زمن، حتى أن طالب أحد محافظي الشرطة بالرجوع إلى نظام ما قبل خمسين سنة مبرراً موقفه قائلاً: "لست مهووسا ولا مناهضا للعرب أو مستعربا، أنا فرنسي وأريد فقط أن أبقى فرنسيا، أنا فرنسي مولود بالجزائر وعائلي من جهة أمي تقطن هنا منذ أمد بعيد"⁵. موقفهم من الجزائري المستقر المنسحب من المشهد السياسي مقبول ولا يقلق لكنه إذا ظهر في الساحة السياسية وزاد عدداً وقدم مطالب فإن خيال

1 - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 305.

2 - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 92-93.

3 - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 305.

4 - عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص: 310.

5 - A.N.O.M., 9H/44 Rapport secret de commissaire de police, George Rouquet au sous préfet de Bougie, 29-05-1945.

الأوروبي ينشئ تهديداً بالمؤامرة الإسلامية، البلشفية¹ بالنسبة للكولون هو ألا تتحرك الجزائر وأن يعم النظام، وبما أن المسلم خاضع ومخلص، فلا احد يدق ناقوس الخطر². وعليه فإن مصالح الأمن والشرطة والدرك أصبحت في حالة استنفار الجيش منتشر عبر كل المدن والمناطق لإفشال أي محاولة الانفجار³. ذلك ما ثبت من خلال الإخطار الذي كان من قبل والي قسنطينة قوله: " لقد اجتمعت كل الظروف المواتية لإشعال أحداث دامية⁴ بحيث أن الكولون اقتنعوا وبشكل جازم أن الوضع أصبح ينذر بتمرد وشيك، حتى شرطة الاستعلامات العامة سارت على نفس الاتجاه⁵. وما زاد الجو شحناء ما قامت به صحافة الأثرياء، أصحاب الملكيات الكبرى والتي قامت بدورها وبطريقة مشؤمة لخلق ما يتماشى وسياسة القوة والعنف أي أنها دبّرت المؤامرة الكبرى وأدت لتنظيم هذه المذبحة، وهو العامل الوحيد الذي رأت فيه أنه يكبح التطور الذي عرفته الحركة الوطنية، ووعي الجماهير الشعبية، الذي أصبح ينذر بالخطر⁶.

ذهبت في افتراضاتها أن الجامعة العربية أرسلت إلى الزعماء الجزائريين بوعود قاطعة أنها ستزودهم بالعون المادي، إذ هم أعلنوا الثورة، وبعضهم نسب إلى اللجنة العليا لتحرير شمال إفريقيا والتي مقرها بجنيف سويسرا إذاعة منشور توقعت فيه الثورة المسلحة عبر كل أقطار المغرب العربي⁷، لقد قدمت لوحة قاتمة عن فرنسا كبلد فيه فوضى عارمة⁸.

¹ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 147.

² - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830 - 1954، ترجمة، محمد المعراجي، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2008، ص: 314.

³ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 305.

⁴ - شارل روبيير أجبرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص: 928.

⁵ - A.N.O.M., 9H/51, G.G.A. liste des sections y compris territoires du sud, 25-04-1945.

⁶ - أمحمد يوسف، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، مصدر سابق، ص: 59.

⁷ - عبد الرحمن بن إبراهيم العقفون، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص: 309.

⁸ - A.N.O.M., 9H/51, G.G.A., note du cabinet du gouvernement général au ministre, 17-01-1945.

وهو ما جعل السكرتير العام لولاية الجزائر يصرح قوله: " لقد تركنا الجرح ينضج لنقضي عليه بصورة جيدة" ¹ فتفاقم القلق الذي جعل رد السواد الأعظم من الأوروبيين يطالب بتطبيق سياسة قمعية ضد "المشاغبين" وتسليط رقابة صارمة ضد الجرائد التي تعرقل أداء السلطات العمومية بمهاجمتها للسلطة².

فالحقد الذي ميز موقف الكولون، أثار تخوف وحيرة لدى بعض أعوان الإدارة الفرنسية بالجزائر والمتعاونين معها من الجزائريين، ذلك الذي عبر عنه عمر بن حبيلس: " إن جرثومة الفساد الذي لا ندري من أين أتت قد أفست الوضع بالجزائر وأقامت سداً منيعاً بين المتساكنين" ³. نزاع بين الوطنيين أصحاب البلاد وبين الطارئين الدخلاء من الفرنسيين يقول عبد الرحمن بن إبراهيم ابن العفون: " راح المرء يلمس موجة الكراهية والبغضاء بين الطائفتين في كل مظهر من مظاهر الحياة"⁴.

وعليه ومع نهاية أفريل 1945 أصبحت الاستعدادات على قدم وساق وعلى مستوى الحكومة العامة لاستعمال القوة مع أصحاب البيان والحرية، بحيث قام الأمين العام للحكومة وعميل العمالة "بيير روني غازانيه Pierre René Gazagne" بتحذير أعيان المدينة قوله: " لن نقبل بأي حساب يضعف التواجد الفرنسي في الجزائر " حتى "شاتينيو" أخذ منحى نفس التصريح قوله: " لا يمكننا أن نتحمل هذا طويلا وإلا فإنه الإفلاس الكامل"⁵.

¹ - شارل روبيير أجبرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص: 928.

² - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 303.

³ - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر آفاق ومنطلقات، عالم المعرفة، الجزائر، 2008، ص: 143.

⁴ - عبد الرحمن بن إبراهيم العفون، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص: 310.

* - جاء للجزائر وأسرتة عمره يومها كان 12 سنة، درس بثانوية بيجو ثم عليّة الجزائر في 1913 أصبح محافظا 1933 التحق بالدواوين الوزارية، حول للمديرية العامة للشؤون السياسية بتونس 1941، عاد لفرنسا واشتغل بمكتب الشؤون اليهودية، عين حاكم لمقاطعة لاند Landes، جانفي 1945 استدعي للتشاور مع الوزير أدريان تيكسييه بشأن القضية الجزائرية. انظر أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 293.

⁵ - A.N.O.M., 7H/51, G.G.A., Rapport fin avril 1945.

وعلى الرغم من أن قرائن المؤامرة طُمست وحتى انه لا يمكن الإجابة إلا بوثائق أرشيفية نوضح خيوطها لكن هناك من الدلائل التي تؤكد أن الأوروبيين لم يبقوا مكتوفي الأيدي أمام هذه الوضعية. وهو ما وصلت إليه آني راي غولد زيغر اعتمادا على كتاب "بول إميل سرزان" الأزمة الجزائرية وعلى ما تحدث عند مستشارين للمحافظ "لستراد كاريونال" مشيرين إلى الاستياء المتزايد للأقلية الأوروبية في الأرياف الجزائرية، وإلى تساهل السلطات العمومية لصالح السكان الأصليين والعداء الذي اتخذ شكل كراهية جماعية¹.

في حين يشير فرحات عباس إلى ما كان يثار ويحاك من مؤامرات دبرها الكولون مثيرين استفزازات تمكنهم من الإجهاز على حركتنا يقول: "عمد أعداؤنا على منعنا من المشاركة في الانتخابات البلدية التي كانت قد أجريت في فرنسا وما أجلت في الجزائر إلا خشية انتصار القوات الشعبية². وما يؤكد تأمر الكولون على نطاق واسع في الأحداث ويقف عليه حتى فرحات عباس نفسه واستناداً على الحقائق التالية: - 26 أبريل 1945 أسر عامل عمالة قسنطينة "ليستراد كاريونال" للدكتور سعدان بان اضطرابات ستحدث عن قريب وسيترتب على إثرها حل حزب عتيد³، والذي يلعب فيها قائد الجلادين، حيث أعد للعملية بتكوين ميليشياته ببرج بوعريريج وعين قادة بواسطة بيانات سرية⁴. - كما تتبأ الإقطاعي الخبير "أبو" من جهته بحدوث اضطرابات تجبر الجنرال ديغول على إلغاء أمرية 7 مارس 1944 والتراجع عن الإصلاحات التي جاء بها ليتساءل فرحات عباس لماذا سطيف فيجب لأنها مكان نشأة أحباب البيان والحرية ولتبرير حلها⁵.

¹ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 304.

² - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 188.

³ - نفسه، ص: 188.

⁴ - أمحمد يوسف، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، صدر سابق، ص: 60.

⁵ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 189.

لم يكذبها وزير الداخلية آنذاك خلال المناقشات لكي يتستر على المستوطنين والعسكريين والميليشيات وكبار الموظفين المتورطين والمتهمين¹.

ويذهب المصاليين إلى القول: "بالمؤامرة الاستعمارية" تأمر السلطة والإدارة مع الأقلية الأوروبية بنية إجهاض الحركة الوطنية التي عبرت عن نضجها ووحدتها في إطار حركة أحباب البيان والحرية² أطراف منها المعمرين أصحاب الأملاك الكبرى³. وأن رئيس دائرة سطيف أعطى بدون علم رئيس البلدية "رخصة شفوية" لجهة غير معلومة بتنظيم مسيرة لهدف محدد وضع إكليل من الورود أمام تمثال ذكرى الأموات، وأن عامل قسنطينة كان على علم بهذه الرخصة وأمر بإطلاق النار على المتظاهرين إذا ما استعرضوا العلم الجزائري⁴.

ذلك ما يؤكد محمد البشير الإبراهيمي في كتابه قلب المعركة قوله: " وفي يوم انتهاء الحرب دبر المعمرون مذابح 8 ماي 1945"⁵ إن جهة القوى الكولونيالية وأما تطور الموقف أخذت تتأهب لسد الطريق في وجه الموجة العارمة للحركة الوطنية وهي ترمي إلى إظهارها كأقلية "متطرفة" وشرذمة أعداء للفرنسيين"⁶.

يدل القول أن بعض المستوطنين المتطرفين أجبروا الحكومة على التراجع عن قانون 7 مارس 1944 لا يمثل بداية دليل، وأما القول بالتحريض من حزب الشعب فإنه لا يقنع حتى أصحابه، تحليل وقف عليه شارل روبيير أجبرون منهيه "هل يمكن الحديث إذن عن عمل أقلية منظمة ومسلحة مصممة على انقلاب دام"⁷.

¹ - André Nouschi, op.cit., p : 140.

² - عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر، دراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة، دار هومة، الجزائر، 2004، ص: 215.

³ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 313.

⁴ - الشروق اليومي، الاثنين 2 جانفي 2006، العدد، 1575، ص: 15.

⁵ - محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص: 102.

⁶ - أحمد مهساس، مصدر سابق، ص. ص: 235-236.

⁷ - شارل روبيير أجبرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص: 935.

هي أحداث كان يهدف من ورائها الكولون إلى استئصال شوكة الحركة الوطنية فكانت البداية الحقيقية للقضاء على مخططاتهم وتصفية كل حساباتهم¹، ومنذ اليوم الأول من ماي بدأت العلاقات بين الأوروبيين والجزائريين تتوتر والدعاية تتنامى، فأصبح الكولون يأتون للمدينة والبنادق على أكتافهم² ومن خلال تلقي بعض المراكز المدنية معدات حربية دفاعية ومن المراكز الاستيطانية من الفيلق التاسع عشر، تشكلت ميليشيات مدنية مسلحة حتى قبل مجريات الأحداث، ابتزاز شنيع قامت به، صعدت بشكل كبير أعمال القمع، بتخطيطها العلني في إطار الدفاع الذاتي³. وهو ما وقف عليه عبد الحميد زوزو قوله: " أحداث 8 ماي 1945 مسؤولية المجتمع الفرنسي الكولونيالي في الجزائر كبيرة بحكم اعتماده الدائم على القوة والحيلة"⁴، خاصة بعدما أن تمكن هؤلاء من تكوين لوبي قوي داخل العاصمة باريس، هدفه عرض وجهة نظرهم في الشأن الجزائري والأكثر والأهم من ذلك تمكنهم من اختراق صفوف الديغوليين بعدما كسبوا إلى صفهم محافظ الأمن "أشياري"⁵ تجلّى هذا الاختراق في شهر ماي 1945 عندما شكلوا قوة ضاربة لمواجهة ثورة الجزائريين وانتفاضتهم على الاحتلال الفرنسي⁶.

1 - ناصر الدين سعيدوني، أحداث 8 ماي 1945 ... مجلة الذاكرة، مرجع سابق، ص: 15.

2 - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 215.

3 - رضوان عينايت، مرجع سابق، ص: 128.

4 - عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر....، مرجع سابق، ص: 229.

5 - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص.ص: 456-457.

6 - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 7.

2 الأقلية الأوروبية ومجازر 8 ماي 1945:

2 1 دور وموقف الأقلية الأوروبية في مجازر 8 ماي 1945:

مما يزيد من مسؤولية السلطات الاستعمارية في هذه الأحداث الدامية، في الفاتح ماي نظم حزب الشعب الجزائري مظاهرات احتجاج على إبقاء مصالي الحاج تحت الإقامة الجبرية، والتي خلفت بالعاصمة قتل وجرح عدد من المواطنين الجزائريين¹، تنظيماً لاستعراضات في المدن الرئيسية للمطالبة بتحرير مصالي الحاج وليظهروا للحلفاء إمكانية الحركة الوطنية تأطير الجماهير الشعبية، مما جعل الكولون ينددون بشدة الوطنيين²، في ظل هذه التطورات كان الكولون واعين بهذا التحول السريع ومتخوفين من المستقبل القريب، كتابات حائطية متزايدة، تسوق آني راي غولد زيغر البعض منها في وادي زناتي تقول: " نجد على العديد من الجدران نجمة تتوسط الهلال ومكتوب أمامها: "يحيا العرب" أما عبارة أطلقوا سراح مصالي الحاج فهي موجودة في كل مكان"³.

وإزداد سخطهم وهم يشهدون كل يوم تنظيم مظاهرات يومية بالمدن منددين بتساهل الإدارة العاجزة عن حماية مصالحهم، تنامي المظاهرات عبر المدن المختلفة مرددة شعارات متحدية الأوروبيين الذين اختفوا وراء نوافذهم المغلقة من شدة الخوف، رموا المتظاهرين بالرصاص من على شرفاتهم⁴. في سطيف تظاهر أكثر من أربعة آلاف فلاح فلاح وهي التي كانت بمثابة إنذار خطير، حيث تكهرب الجو وأصبحت الحالة تنذر بالويل، إلا أن السلطات الاستعمارية لم تحرك ساكناً⁵ فأصبح شبح الانتفاضة يؤرق الأوروبيين والوضع يتطور في اتجاه معاكس لمصالح الأقلية الأوروبية⁶. وبشهادة بن يوسف بن خدة يعترف أن الأجواء كانت توحي ببداية ثورة حقيقية على المستعمر مما

1 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 190.

2 - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830-1954، مرجع سابق، ص: 344.

3 - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 303.

4 - نفسه، ص: 311.

5 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر نفسه، ص: 190.

6 - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 144.

أدى بالجيش الفرنسي اللجوء تحت قيادة الجنرال دوفال * الذي سن حالة الطوارئ وشرع المعمرون في إنشاء لجان الخلاص العام المكلفة بمطاردة الجزائريين وقتلهم¹.

بمساعدة القوات البحرية من الجهة الساحلية، وبفسح المجال للطيران من أجل قصف كل منطقة في عملية قمع دون شفقة ولا رحمة نالت موافقة الحكومة². فأطلقوا العنان لنزواتهم الدنيئة، حيث امتلأت قلوبهم حقداً³. ومع تحول المسيرة إلى أحداث شغب مثلما كانت تتمناه السلطات المحلية والتي كان السكان الأوروبيون يضغطون عليها منذ مدة طويلة، مطالبين بتسليط القمع ضد الحركة ذات النزعة الوطنية، كما زاد التدخل السريع من طرف الجيش تأجيلا للأحداث⁴.

نتيجة تطورها دفع بالنظام الكولونيالي تنظيم نفسه والتعاون مع الأقلية الأوروبية، هذا ما ذكره أحمد مهساس: "سكان مدينة قالمه من الأوروبيين لما رأوا الخراب الذي خلفته الإجراءات القمعية انتابهم الشعور بأنهم في حالة حصار نظموا أنفسهم في فرق حرس مدني للدفاع تحسبا لأي هجوم من طرف الأهالي⁵. فأتارهم الوضع، لذلك بادروا بتشكيل ميليشيا هنا وهناك⁶ حيث قاموا وبغفوية إنشاء "لجان يقظة" استأثرت بسلطة لا حدود لها، قيامها بدوريات تفتيش لتعتقل وتصفى الحسابات القديمة⁷. سميت بـ"لجان الخلاص العام" والتي شرعت في تنفيذ عمليات الإعدام بدون محاكمة والاعتقالات

* - هو رايمون دوفال ولد بمونبوليه سنة 1894، سجن مرتين خلال الحرب العالمية الأولى، عمل في سوريا والمغرب من 1923 إلى 1933، قاد فرقة قسنطينة، توفي بالمغرب الأقصى سنة 1955. انظر: Grand Larousse encyclopédique, tome 4, librairie Larousse, paris, 1969, p : 289.

¹ - الخير اليومي، 7 ماي 2006، ص: 10.

² - باتريك إفينو، جون بلانشياس، حرب الجزائر، ملف وشهادات، ترجمة بن داود سلامنية، الجزء الأول، دار الوعي، الجزائر، 2013، ص: 52.

³ - أحمد يوسف، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، مصدر سابق، ص: 62.

⁴ - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 2012، ملحق 18، مداخلة الدكتور شوقي مصطفى بمناسبة إحياء الذكرى 58 لأحداث 8 ماي 1945، ص: 433.

⁵ - أحمد مهساس، مصدر سابق، ص: 240.

⁶ - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع 1954-1962، مصدر سابق، ص: 37.

⁷ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 368.

الجماعية في حق السكان المسلمين ¹. التحقت بها عصابات مسلحة، واستغلت الفرصة لتقوم بأعمال نهب وسطو وانتقام، حتى المدن التي لم تكن بها أعمال شغب كمدينة البرج التي قتل فيها كل مشتبه فيه من قبل الميليشيا ².

يقول عنها شوقي مصطفى: " راحت تطلق النار على كل من هب ودب في المدن والقرى والأرياف، ممن يرتدي البرنوس والطاقيّة... كل هذا دليل واضح على النوايا المبيتة للتدمير المسبق ³ فانطلاقتها كانت بتدرج، خوف، رعب، دفاع، تضامن، تلاه شعور شعور بالهلع والكره والأخذ بالثأر الذي دفع نحو الانتقام ⁴.

وهو ما يشهد عليه الإمام محمد البشير الإبراهيمي قوله: "مع انتهاء الحرب دبر المعمرون مذبح 8 ماي 1945 حيث سقت إلى مدينة قسنطينة التي كانت مسرح الحوادث الدامية الفظيعة التي ارتكبتها عصابات المعمرين ضد الأهالي الآمنين ⁵. كما يشهد الطاهر الزبيري ضمن مذكراته حيث يقول: " بعد إعلان الحلفاء انتصارهم على دول المحور خرج المعمرون الأوروبيون في وادي الكبريت إلى الشارع للتعبير عن فرحتهم بهذا الانتصار، شاركت القرية بأهلها والتي رفع فيها العلم الجزائري... حينها لم نكن نشعر بخطورة الأمر أو حتى بأثره على الفرنسيين إلا عندما تقدم المعمرون بشرطة البلدية وهجموا على المتظاهرين بالضرب والشتم، حيث فرقوا التجمع حتى أنهم طالبوا بتعزيزات الدرك من مدينة العوينات" ⁶، جعلهم يبحثون عن أي سبب قد يسمح لهم بصب جام غضبهم ونقمتهم على الجزائريين، الأمر الذي تقطنت له القوى السياسية وحاولت إحباطه للحيلولة دون وقوعه، حتى تقوت الفرصة على هؤلاء المتزمتين من الكولون

¹ - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، مصدر نفسه، ص.ص: 212-213.

² - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 369.

³ - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، مصدر نفسه، ص: 433.

⁴ - رضوان عينايت، مرجع سابق، ص: 272.

⁵ - محمد البشير الإبراهيمي، آثاره 1954-1964، الجزء الخامس، جمع وتقديم، أحمد طالب الإبراهيمي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص: 168.

⁶ - الطاهر الزبيري، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين 1929-1962، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص.ص: 32-33.

والمعاونين معهم للقيام بعمل عسكري رادع كفيل لصرف عامة الجزائريين عن مطالبتهم لمدة طويلة¹.

لكن الواقع أظهر وبوضوح رفض الجزائريين لفرنسيي الجزائر والأوروبيين، والذين هم بدورهم عبروا عن رغبتهم في الانتقام لطرد "أهالي الضواحي" وهو ما تذكره بعض الشهادات أن هناك إطلاق نار من قبل الكولون على المتظاهرين من على شرفاتهم، مما أدى إلى زيادة الهلع الذي أحدثته الشرطة بطلقاتها². وها هو سي الهادي الذي حاورته جريدة الخبر يدلي بما عايشه في هذه الأحداث قوله: "الفرنسيون المعمرون كانوا يطلقون علينا النار من الشرفات والمحلات التي يملكونها في سطيف"³، بحيث أن المجتمع الاستعماري يرفض أن يكون في موقف دفاعي لحماية مدينته وطمأنينته ومصالحه يتوجب منع كل اختراق جديد وإدخال المسؤولين عن الأحداث إلى السجن وحشرهم في أكواخهم بضواحي المدينة⁴.

وهو ما تجسد عبر أمر وزير الحربية في حكومة التحرير للجنرال ديغول بقمع المتظاهرين مستغلا حالة الطوارئ، وعليه بدأت العمليات التي قام بها الجيش والشرطة وميليشيات الكولون ضمن مجازر رهيبة ضد المدنيين العزل، ليصل العنف إلى درجة الإبادة بمناطق قادمة، سطيف، خراطة⁵.

اتخذت بعض الأحداث والتي يقول عنها محمد حربي أنه كان ممكن حصرها لولا تدخل الشرطة غير المتناسب مع حجمها، شرطة الميليشيات وشرطة الجيش الفرنسي، فأخذت منحى خطير⁶. قاموا بمطاردات مرعبة ضد العرب، فقتلوا بلا أدنى شفقة من عثروا عليه في طريقهم حتى الأطفال قتلوا دون أدنى اعتبار وبمحض إرادتهم من

1 - ناصر الدين سعيدوني، أحداث 08 ماي ...، مجلة الذاكرة، مرجع سابق، ص: 15.

2 - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 312.

3 - الخبر اليومي، 8 ماي 2007، ص: 20.

4 - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 313.

5 - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 388.

6 - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع 1954-1962، مصدر سابق، ص: 37.

يعتبرونه مشتبه فيه ¹ حيث قمعت الانتفاضة بلا رحمة، وبقدر خوف الأوروبيين وكرهيتهم، انتظموا في جماعات للدفاع الذاتي أو في ميليشيات فشاركوا بقدر كبير في دمويتها². خوفهم وعزلتهم بمزارعهم وقراهم، ومن الجار والدكاني والموظف، الجزائر بالنسبة لسكان المدن، أصبحوا يخشون التنكيل دون أن يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم، أرادوا القضاء على كل حركة انفصالية وعلى كل مناضل وطني، أجهم الشعور بالخوف على روح الانتقام³. ردة الفعل التي قادها المعمرون بالتنسيق مع الجيش الفرنسي كانت قاسية جداً⁴، خاصة وأن الثكنات فتحت كل مخازنها للأسلحة للميليشيات التي تقدمت لفرض التسليح، فالجنرال مارتن قام بتسوية وضعيتها في الإطار القانوني ورتبهم في مصاف الحراس الإقليميين، وحتى يضمن لها التزود وباستمرار بالذخيرة⁵.

ألغيت كل الحركات وتقلدت السلطة العسكرية أمور الشرطة، وأعلنت حالة الطوارئ، وصدرت القوانين الاستثنائية والأحكام العرفية وسلاح كل الأوروبيين ووزع السلاح عليهم، وبصورة خاصة منها الأسلحة الخفيفة إلى حد أن النساء كنّ مسلحات⁶.

توزيع أشرفت عليه السلطات الاستعمارية كالذي شهدته منطقة خراطة على الطريق الساحلي بتوزيع أسلحة حربية على الكولون، كما تقوم فرق الرماة الجزائريين بالتمركز في مواقع معينة على المستوى الساحلي دفعت بهم إلى أماكن أكثر أمنا حتى أن وضعت لهم في مناطق كالعلمة عربتان مصفحتان تقوم بدوريات لحراستهم⁷. وبقرية عين عين عباس التابعة إقليميا لخراطة، وابتداء من السابعة مساء من يوم 8 ماي 1945 توافد عشرات الأوروبيين على مراكز الدرك للتسلح ببنادق الحرب، أطلقوا النار على كل شيء

¹ - هنري علاق، مذكرات جزائرية، مصدر سابق ، ص: 144.

² - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، مصدر سابق ، ص: 432.

³ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق ، ص: 453.

⁴ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص: 49.

⁵ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 273.

⁶ - بسام العسلي، نهج الثورة الجزائرية، الصراع السياسي، دار النفائس، الطبعة الثانية، بيروت، 1986، ص

ص: 141-142.

⁷ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص ص: 235-236.

يتحرك¹. وبالجزائر والي عمالتها "بريلي" كان حذرا، وضع المقاهي والشوارع القريبة من أحياء الجزائريين تحت الرقابة، واستخلفت دوريات الجزائريين التي كانت تجوب المدينة بدوريات السينغاليين إلى جانب الأوروبيين².

في سطيف طلبوا بتنفيذ أحكام الإعدام علنا وبتطبيق العدالة الصارمة، رافضين كل أنواع التسامح على المتمردين وإن اقتضى الأمر سيطبقون العدالة بأنفسهم ولن "يترددوا في التمرد ضد التساهل الحكومي"³ كما استحدثوا ميليشيات تحت مسؤولية رؤساء البلديات والمسيرين الإداريين⁴.

تميزت بكونها انتظمت في فرق غير نظامية لا يحكمها قانون ولا وازع، تمتلك أسلحة بالكمية وتستخدم عند الحاجة سيارات الإدارة المحلية وتتمتع بتأييد من الجيش⁵. وقد أوكل لها حراسة النقاط الحساسة مع تنظيم دوريات وشاركت إلى جانب الدرك في عمليات إجلاء للمراكز التي طوقها المسلمون⁶. حتى السلطات المحلية التي أدهشها اتحاد هذه الأقلية الأوروبية والتي أصبحت مستعدة للدفاع عن مصالحها بأي ثمن، حيث تجندوا لتصفية حساباتهم مع من أشعروهم بالرعب وتسببوا في قتل أحد أقاربهم، تضامنوا مطالبين بتطبيق شريعة النأر⁷.

فأصبحت تتصرف كتنظيم شبه عسكري إرهابي معترف به فعليا من قبل ممثلي الدولة، وبعدها أن اقتنعوا أن الجزائريين يحضرون لذبحهم، أصبحوا يضعون ثقتهم في السلطات والتي أعطتها حماسة كالزيارة التفقيشية التي قام بها والي عمالة قسنطينة مع الجنرال دوفال قوله أمامهم: "لكم مني كل حمايتي حتى ولو ارتكبتم حماقات"⁸، حتى

1 - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 344.

2 - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 217.

3 - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 347.

4 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1024.

5 - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 280.

6 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع نفسه، ص: 1015.

7 - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 346.

8 - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص.ص: 295-301.

نائب رئيس عمالة فالمة "أندري أشياري" والذي يقول عنه محمد حربي أنه كان من أتباع حكومة فيشي تحول إلى مقاوم ديغولي، أثناء الثورة التحريرية، فيدرالية جبهة التحرير الوطني لم تنس له أعماله الإجرامية، حاولت اغتياله إلا أنه نجا بأعجوبة¹، قام بتعذيب مناضلين شيوعيين حتى أنه شجع على الانتقام "تعالوا أيها الكولون وانتقموا لأنفسكم"².

يعترف عنه رئيس بلدية سكيكدة "كيتولي Cuttoli" الناطق الرسمي باسم المعمرين في تلك المناطق على أنه أطلق النار على المتظاهرين ومن الذين شجعوا على تكوين الحرس المدني بالتعاون مع القوات العسكرية³، هذا الأخير نادى لإنقاذ الجزائر الفرنسية وبالأخص الأقلية الأوروبية والتي طالب وأقر بها بالحق في الأمن والنظام انطلاقاً من وضعيتها التي عاشتها ومنذ الحرب العالمية الثانية⁴. وبموافقة رؤساء قدامى المقاتلين لفرنسا المكافحة وأمين الاتحاد المحلي لل نقابات انضم عدد كبير منهم إلى الميليشيا⁵. وما جاءت به جريدة الخبر التي استندت على المؤرخ "روني غاليسو" الذي ركز على المسار الإجرامي لأشياري أنه قام بعمليات حتى ما قبل ذلك كما حدث في العاصمة سنة 1942 مضيفاً أن مساره العائلي حافل بالجرائم من جهة أبيه "ليو أشياري" اليهودي الأصل⁶. انضم إلى الإداريين والمعمرين الأوروبيين الذين كانوا مع الأسرى الإيطاليين والألمان ميليشيات مسلحة عرفت بلجان الإنقاذ العمومي التي زرعت الموت في كل مكان⁷. وصفها فرحات عباس بعد خروجه من السجن "بجمعيات المجرمين"⁸.

¹ - محمد حربي، حياة تحد وصمود مذكرات سياسية 1945-1962، ترجمة، عبد العزيز بوباكير، علي قسايسية، دار القصة، الجزائر، 2004، ص: 48.

² - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 144.

³ - أحمد مهساس، مصدر سابق، ص: 241.

⁴ - L'écho d'Oran, 11-07-1945.

⁵ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1015.

⁶ - الخبر اليومي، 8 ماي 2007، ص: 21.

⁷ - بن يوسف بن خدة، جنور 01 نوفمبر، مصدر سابق، ص: 102.

⁸ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 282.

يروى عنها كاتب ياسين أحد شهود العيان والتي جُنّت والدته مما رأت بعينها حيث ارتكز عليها جون لوي بلانش قوله: " كيف جاءت هذه الميليشيا إلى معسكر سطيف ليلا وأخذت السجناء وراحت تعذبهم رميا بالرصاص بعدما صفتهم إلى الحائط الخارجي¹. بالإضافة إلى الميليشيا والصاعقة الذين ألفها المعمرون تحرك الجيش الفرنسي إلى جانب الشرطة والدرك، واجتمع على الجزائريين اليمين واليسار وتعاونوا ضمن تحالف لعقاب الجزائريين² حيث اختفت ذكريات "المملكة العربية التي تبناها الجيش الفرنسي ليتصالح مع المجتمع الاستيطاني بمشاركته في الأعمال الوحشية التي حدثت بسطيف وخراطة، نجح في طمأنة جموع الأوروبيين بتضامنه وتحالفه معهم وبذلك أصبح عنصر جديد في تاريخ الاستيطان الجزائر إذ كانت الأقلية الأوروبية دوما معادية للسلطة العسكرية لتساهلها مع العرب³.

تجمع الأوروبيين مهما كانت نزعتهم السياسية "إزاء الخطر العربي" وعززت ميليشياتهم بالزواف والرملة السنغاليون والقومية المغاربة وجنود الليف الأجنبي والصبايحية المغاربة فانهمكوا في أعمال انتقامية، إعدامات فورية للمشبه بهم وانتقامات من الأعيان⁴ فانقضوا في ثوران ووحشية لا يليقان بكرامة شعب يدعي أنه متحضر⁵.

لكن الحقيقة هو ما وقف عليه فرحات عباس الذي وصف المجازر قوله: " أطلق المعمرون العنان لهمجيتهم ووحشيتهم وضراوتهم، فلم يروا مسلما إلا قتلوه وجريحا إلا أجهزوا عليه، هزتهم الحمية الاستعمارية فرووا من دماء المسلمين عليهم، رفضوا تهمتهم واشتقوا من أرواح الوطنيين غلتهم وأخذوا ثأرهم وكل هذا باسم المدنية والحضارة"⁶، ويضيف عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون لما ذهب إليه فرحات عباس في وصف

¹ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 282.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945، مرجع سابق، ص: 257.

³ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 401.

⁴ - الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المقاومة السياسية، 1900-1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة،

عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص: 81.

⁵ - عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص: 322.

⁶ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 192.

تعذيب شباب الحركة بوسائل جهنمية وتقتيلية بواسطة صيد العربي بإطلاق يد الكولون للحكم على الشباب وإعدامهم بالآلاف بعد تعذيبهم العذاب الأليم¹.

فالكولون المدعين بالأسلحة قاموا بإطلاق الرصاص على جموع المتظاهرين فقتل الكثير منهم، مما فتح المجال إلى اندلاع العديد من الانتفاضات عبر العديد من المدن²، فكانت مظاهرات في كل من الجزائر، البليدة، سيدي بلعباس، سعيدة، جيجل، عنابة، سطيف، قالمة، في هاتين المدينتين الأخيرتين تحولت المظاهرات إلى شبه انتفاضة ضد الفرنسيين والذين ردوا عليها بقوة متسببين بذلك في مقتل آلاف الجزائريين³.

صبوا جام غضبهم في كل من سطيف، العين الكبيرة، خراطة، وادي المرسى، قالمة، عنابة حيث أعدموا الآلاف من الشباب، فقد عادت مطاردة العربي مثلما كانت في عهد أمثال: "روفيقو، وسانت آرنو". أصبحت ميليشيات المستوطنين لها حق المحاكمة والإعدام، وظلت كل هذه التجاوزات دون عقاب⁴.

وما زاد الأحداث إجراما هو تغذيتها والتحريض عليها ببيانات كلها أكاذيب مثل ذلك الذي جاء في ديوان الحاكم بتاريخ 9 ماي 1945 ووزع على الصحافة مضمونه: "... عناصر محرضة للاضطرابات مستخدمة أساليب هيتليرية تهاجم بالأسلحة السكان الذين كانوا يحتفلون بالانتصار بمدينة سطيف وضواحيها، وهكذا عبروا عن إرادتهم في محو الفرحة العامة". يضيف لتبرير إجرامهم: "تمكنت الشرطة من حفظ الأمن العام وإيقاف المسؤولين عن هذه الأعمال بإعانة من الجيش، اتخذت السلطات كل الإجراءات الضرورية لضمان أمن الأفراد وقمع كل محاولات نشر الفوضى"⁵. تبعه إعلان عن

¹ - عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص: 322.

² - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 416.

³ - أحمد صاري، حوادث 8 ماي 1945 من خلال بعض الوثائق، مرجع سابق، ص: 36.

⁴ - الخبر اليومي، 8 ماي 2008، ص: 23.

⁵ - Alger Républicain, 10 Mai 1945.

الحكومة العامة بتاريخ 9 ماي 1945 يندد بما أسماه بالعناصر المحرصة على الشعب والاضطرابات التي تنتهج أساليب وطرق هيتليرية¹.

وما غذاها وجعلها في منحنى تصاعدي، الإشاعات المؤكدة من قبل وكالة الأنباء الفرنسية المتناولة من طرف الصحافة المتواجدة في المستعمرة وحتى على المستوى الخارجي ضمن حقائق ومعطيات مثيرة للدهشة²: كما حرّضت صحيفة "ليكو دالجي" وعبر مقال بها تدعو فيه إلى استعمال القوة قولها: "عندما يحترق المنزل وتغرق السفينة لا تطلب النجدة من صندوق الضمان ولا يلتجئ صاحب المنزل أو السفينة للرقص، فالمنزل يتوجب رجال الإطفاء والسفينة تقتضي قوارب النجاة، وشمال إفريقيا يتطلب رجال الدرك"³.

فالمجتمع الأوروبي وقف ضد أي إصلاحات منها ما جاء في أممية 7 مارس 1944 والتي رأوا فيها أنها غير مكيفة البتة مع الوضعية الجديدة، وأن زمن التنازلات قد ولى وحان وقت الحزم، إن الأحداث أثبتت أن الأهالي يرفضون الإدماج، لذا يجب إعادة النظر في هذه الإجراءات البالية التي أحدثت ردود فعل محتدمة ورفضتها الجمعية النافذة لكل رؤساء بلديات الجزائر⁴. خاصة وأن هذا اللوبي تمكن من التأثير في معظم وزراء الداخلية وهي الوزارة الوصية مباشرة على الجزائر وكان أغلب هؤلاء الوزراء من الراديكاليين، كما تحكّم إلى أبعد حد في تعيين الحكام العامين والموظفين السامين⁵. فأقاموا فأقاموا سلطة قوية بالجزائر بإعادة فرض هيمنة المستعمر على طبقة خاضعة ومطبعة حيث عبرت أني راي غولد زيغر عنه بقولها: "حلف يجب أن يكون صلبا دون نقاط ضعف، لأن الديمقراطية لا يمكنها أن تفيد شعبا متوحشا وهمجيا متشعبا بدين هزمته

¹ - L'écho d'Alger, 10 Mai 1945.

² - Alger républicain, 13-14 Mai 1945.

³ - L'écho d'Alger, 13 Mai 1945.

⁴ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 405.

⁵ - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، 2007، ص: 56.

الحروب الصليبية، هؤلاء الأهالي لم يبلغوا سن الرشد بعد"¹. لذلك طالبوا الحكومة بتأجيل النظر مؤقتا في أي حل لمشاكل الهياكل السياسية والإدارية والاجتماعية². وظفت الصحافة لتبرز مدى الخطورة التي تجلبها سياسة الشيوعيين لفرنسا، فقد أخذ التهويل والذعر بعده، انعكس بشكل مباشر بلغت فيه حصيلة المجازر حجما لا يمت للواقع بصلة في بضع ساعات³.

الجنرال ديغول نفسه يبعث ببرقية لحكومة شاتينيو نشرت في الصحافة يأمر فيها: "باتخاذ كل الإجراءات اللازمة لقمع كل تصرفات سيئة معادية لفرنسا صادرة عن أقلية من المحرضين"⁴، تؤكد "غولد زيغر" أن الكولون تمكنوا في صائفة 1945 من حمله على مراجعة الإجراءات التي اتخذها وخاصة إصلاحات مارس 1944، وأكثر من ذلك قررت حكومته من يومها أن سياستها ستكون لصالحهم لا غير"⁵ نسوا كراهيتهم له وأصبحوا يعلنون تمسكهم به وبسلطته التي خلفت المريشال بيتان، حتى أنهم صوروه وكأن بعثته العناية الإلهية لهم يريدون تجديد السيادة الفرنسية⁶.

بدل أن تذعن فرنسا لرغبات الجزائريين، راح حكامها يلوحون بالتهديد والقوة، ومعمروها يهزءون بالعربي الجزائري كما لو كانوا في بداية 1830⁷. وبمقر الولاية العامة أبناء الكولون من المتهريين من الحرب الأخيرة، والذين وصفهم فرحات عباس بالقابعين في عقر دارهم لئلا يشاركوا في الحرب المتخلفين عن الخدمة العسكرية خوفا وجبنا لا يسترجعون شجاعتهم وبأسهم إلا أمام شعب أعزل⁸، وزعوا منشورا ليعلنوا أمام الشعب بنبرة حربية: "كفى، كفى فالرأي العام الفرنسي يطالب بإعدام المحرضين وفي

1 - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 399.

2 - زدرافوبيكار، الجزائر، مصدر سابق، ص: 37.

3 - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 209.

4 - Alger républicain, 12 mai 1945.

5 - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 455.

6 - نفسه، ص: 419.

7 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص: 265.

8 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 193.

مقدمتهم فرحات عباس وبعزل الوالي العام وتعيين حاكم عام مدني من فرنسيي الجزائر " ¹ كما طالب المستشارون العامون من القضاء بمعاينة كل من "خطط أو ساعد على المؤامرة ضد أمن الدولة" فيما طالب المندوبون الماليون الأوروبيون بتاريخ 15 ماي 1945 بالتسليح الفعلي والفوري للمراكز المحرومة من الحماية العسكرية. والبرلمانيون من جهتهم نددوا بالتجمعات التي تحارب الوجود الفرنسي وتطالب بالاستقلال ². وهو ما وقفت وقفت عليه أي رأي غولد زيغر قولها: "يبقى الشيء المهم هو القضاء على فيروس الوطنية المسؤول عن الأحداث" ³.

كما طالبوا بتكثيف عملية التوقيف وبعقوبات أكثر مما وقع ⁴، وإدانتهم بعقوبات شاقة وطويلة، خاصة وأن الأوروبيين يحملون الحكومة جزءاً كبيراً منها لتساهل السلطات المدنية خاصة منهم الحاكم العام "إيف شاتينيو" ⁵ وعليه كان انتقامهم من المدنيين خاصة ممن كانوا موقوفين في سجون المدن على سبيل الثأر، إعدامات عشوائية للمشتبه بهم، أخذت هذه الأعمال التأثيرية الجماعية أبعاد تصفية حسابات عرقية ⁶ فأجهش الكولون على المساجين في عمل تأري كالذي حدث مع ستين سجيناً أخذوا ودون تمييز يوم 14 ماي 1945 من العلة و 15 ماي ثلاثة وسبعون من قالة، وعشرون من هيليوبوليس، كلهم أعدموا من قبل الميليشيات في قمع جشع، دون رحمة، خالي من الإنسانية ⁷.

ذلك الذي وقف عليه محمد العربي ولد خليفة ما وصل إليه الباحث الفرنسي Y. "Borot" من خلال كتاب صدر له سنة 1994 المعنون "المذابح الكولونيالية 1944-1950" يذكر أن الأوروبيين كانوا يتنافسون في طريقة قتل الجزائريين وحصيلة كل واحد

1 - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 37، أنظر: فرحات عباس، مصدر نفسه، ص: 193.

2 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1024.

3 - أي رأي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 407.

4 - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830-1954، مرجع سابق، ص: 346.

5 - أي رأي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 346.

6 - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص: 933.

7 - رضوان عينايد ثابت، مرجع سابق، ص: 70.

منهم من القتل مثلما يفعلون عند الخروج إلى الصيد"¹. إنهم لا يكونون أي عطف لأولئك الذين يدعونهم "الفئران الصغيرة" و"الشراشير" أو "الشحارير" يقول عيناك ثابت رضوان: إنهم يفتخرون بأنفسهم وهم يسلمون أسلحتهم بأنهم ارتكبوا مجازر كما يحدث في رحلات الصيد فقد قتل واحد منهم وحده ثلاثة وثمانون شحروا"².

لقد عرفت الأقلية الأوروبية كيفية التصدي لما كانت تسميته خطر المسلمين، تجندوا وحملوا السلاح لفرض احترام حظر التجول ولكن أيضا لزرع الرعب خاصة وأن المجندين منهم وانطلاقا مما جاء في كتاب أني راي غولد زيغر التي استندت إلى تقارير الشرطة تذكر أن من التحق بها فهم من العناصر الطائشة، أشخاص مشبوهين، متورطين لا يعيرون بأي تعاطف نحو من يلقبونهم بالفئران أو البرقش أو الشحارير"³، مارست هذه الميليشيات من الكولون قمعا وحشيا وعنف لا مثيل له، معبرة عن خيبة الأمل لدى الجزائريين، فتوسعت وما تم إخمادها إلا بسيل من الدماء بفعل السلوك الإنساني"⁴ حيث وصل حقدهم وفي عمل انتقامي إلى قتل جميع الجزائريين الذين رفضوا بيعهم أراضيهم⁵، أراضيهم⁵، حتى زوجة الحاكم لعين الكبيرة بسطيف انتقلت ومع قوة عسكرية إلى أولاد عدوان لتثار لزوجها فأمرت بحرق دشرة بكاملها، ثم انتقلت إلى قرية الضيافات أين قتل زوجها لترتكب نفس الجريمة⁶.

لقد قاموا بإعدامات بالجملة ضد الجزائريين، دون تمييز بين البريء والمذنب، كما دمرت المشاتي بأكملها وأفرغت الأكواخ من سكانها⁷، وحتى من الضحايا الفرنسيين الذين

¹ - محمد العربي ولد خليفة، المذابح الكولونيالية في الجزائر، نماذج من الإجرام المنظم وشواهد من صمود شعبنا ومعاناته، مجلة المصادر، عدد، الأسلاك الشائكة المكهربة، ص: 123.

² - رضوان عيناك ثابت، مرجع سابق، ص: 89.

³ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 407.

⁴ - عبد الرحمن مزيان شريف، مصدر سابق، ص: 43.

⁵ - زدرافويكار، مصدر سابق، ص: 36.

⁶ - الخير اليومي، 8 ماي 2007، ص: 21.

⁷ - أحمد صاري، حوادث 08 ماي، مرجع سابق، ص: 44.

الذين سقطوا لم يكن من بينهم إقطاعي واحد، أغلبهم كانوا من أطيب الناس ومنهم حتى من متعاطفي أحباب البيان والحرية¹.

مقابل قنيل واحد من المستدمرين يقول أبر مامي، "يموت مئات وآلاف الأهالي، وأحيانا إبادتهم، فكم تكررت مثل هذه التجارب، بل كم تم استنارتها في بعض الأحيان لإقناع الأهالي بحتمية العقاب المرعب، فلقد تم ترتيب كل شيء كي تمحى من ذاكرته شجاعة الموت ومواجهة نظر الدم². ذلك ما أكدته محفوظ قداش قوله: " في إحدى قرى مدينة قالمة "بني عزيز" وإثر مقتل أوروبي، قتلت مائة وسبعة وعشرون رهينة على يد الميليشيات"³. وعلى نفس المنحى يذكر احد محرري "حملة الحقائق" الذي ارتكز عليه محمد عباس: " أنه اكتشف فظاعة هذه المجازر سنة 1951 أثناء زيارته للجزائر عندما صرح له أحد الكولون من المتيجة متبجحا أمامه قائلاً: " لقد افقدنا الأحد منا بألف منهم"⁴.

لم يتوقف الأمر عند حد التقتيل بل استخدمت أفران الكلس لحرق الجزائريين، وإلقاء مئات الشباب الجزائري خاصة منهم شباب الكشافة الإسلامية في خنادق ورشوا بالبنزين ليحرقوا أحياء⁵. بنفس المشهد وفي سوق أهراس عملية قتل جماعية، يأمر بعدها "أشياري" المسلمين بجمع الجثث لتكسد أمام الكنيسة وبللت بالبنزين ثم أحرقت، ليرمى فحمها في حفرة بمشنتلة مصالح الطرقات والجسور"⁶، كما قتل فريق الأمل الرياضي لقالمة وفريق كرة القدم المسلم المحلي الذي اتهم أحد مسيريه بالانتماء لحزب مصالي الحاج⁷. بل ذهبوا أبعد من ذلك في تفننهم ضمن عمليات القتل وهو ما يرويه زدرافوبيكار

1 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 159.

2 - ألبير مامي، صورة المستعمر، مصدر سابق، 2007، ص: 98.

3 - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1015.

4 - جريدة الشروق، الأربعاء 10 ماي 2006، العدد، 1682، ص: 13.

5 - Ben Ali Boukrot, Le souffle de Dahra, entreprise nationale du livre, Alger, 1986, p : 96.

6 - أحمد يوسف، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، مصدر سابق، ص: 67. أنظر: رضوان عينايت، مرجع سابق، ص: 69.

7 - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 144.

زدرافوبيكار عن ما رواه مجاهدون جزائريون أن العساكر الفرنسيين أصابهم ما يشبه داء الكلب ذلك اليوم، وباتفاق من المستوطنين الأوروبيين ارتكبوا عمليتين شنيعتين قوله: "قاموا بجمع أعداد من المسنين الجزائريين وأجبروهم تحت تهديد الحراب أكل لحم الخنزير وتناول الخمر ثم قتلوهم، وصرحوا للحاضرين بأن أرواحهم ذهبت مباشرة إلى الجحيم لأنهم انتهكوا تعاليم الدين" وأخرى بسوق أهراس: " ربطوا رجالا إلى عمود أقاموا حوله محرقة، ولما رفض الرجل ترديد جملة "تحيا فرنسا" كما طلب منه، أضرموا النار في المحرقة، ذلك ما كان يفعله المعمرون المتطرفون وعساكر الليف الأجنبي¹.

ما ساعدهم في ذلك القضاة المزعمون والذين انصاعوا لأمر واحد " لا بد من استخدام العنف والقوة الضاربة، لفرض احترام السيادة الفرنسية، فمثل الجزائريين أمام المحاكم والتي أصدرت في حقهم عقوبات قاسية². حتى أنهم اتجهوا نحو القضاء العسكري والذين رأوا فيه الصرامة في فرض عقوبات ثقيلة خاصة منها عقوبة الإعدام، بما في ذلك عدم معارضتهم الأساليب العنيفة في الحصول على الاعترافات عن طريق التعذيب، لأنه في العقاب الرادع يعيد لهم الشعور بالطمأنينة³. حرب حقيقية يقول عنها الشيخ محمد خير الدين من خلال مذكراته: "إطلاق نار من الجيش النظامي والمعمرين الفرنسيين المدنيين، تخريب المنازل والمسلمون العزل يدافعون بكل ما يملكون بالعصي والحجارة⁴. والحجارة⁴. حتى موظفي الإدارة الفرنسية ساهموا وبقسط كبير فيها وهو ما كان من قابض بريد خراطة آنذاك الذي أطلق النار على المدعو شيباني بالخير والذي يعتبر أول شهيد المجازر في خراطة حسب ما رواه المجاهد "عليق سعيد"⁵، ذهب بهم حقدهم إلى غاية الانتقام وهو ما يروييه محمد الصالح مرمول من خلال مقال له بجريدة الخبر تحت عنوان "فج مزاله تلتحق بانتفاضة الشرفاء" قوله: " بالتعرف على هوية الشهيد تذهب

¹ - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 37.

² - أحمد يوسف، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، مرجع سابق، ص: 68.

³ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 454.

⁴ - محمد خير الدين، مذكرات، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون تاريخ، ص: 20.

⁵ - الخبر اليومي، الثلاثاء 8 ماي 2012، العدد، 6708، ص: 18.

الميليشيات من المعمرين إلى منزل عائلته ليضرموا النار، ميليشياتهم المسلحة بدأت في متابعات لمعرفة المشاركين في الهجوم"¹.

فانتشر القتل الفردي العمدى كالأحداث التي جاءت بها أنى راي غولد زيغر قولها: "الأوروبى الذى التقى عربيا بقلب المدينة فأرداه قتيلا بطلقة نارية ولم يحرك أحد ساكنا، والرقيب الذى مر على إحدى الحدائق فوجد طفلا يقطف الزهور فقتله رميا بالرصاص بكل برودة دم، لقد أصبح الأوروبيون يتحكمون في حياة المسلمين وموتهم"².

الأمر الذى وقف عليه أمحمد يوسفى قوله: "فمن الواضح أن التحريض على القتل كان متعمداً في قالة وسطيف³، في قالة مارسوا قمعا دمويا وانتقامات شخصية حيث تم إيقاف وإعدام من خمسمائة حتى سبعمائة شاب أهلى دون رافة"⁴.

فكثرت الاعتقالات والتحقيقات بمساعدة الميليشيات والتي تجند في صفوفها جل الأوروبيين الذين أشعرتهم الأحداث بالسخط والخوف، وبمدينة عنابة كانت تريد السيطرة على الوضع وممارسة عدالتها الخاصة بتصفية حسابات قديمة، سلب للجيران والمنافسين دون حياء⁵. كما عمت عمليات الخطف للرهائن وهو ما أشار إليه جون لوي بلانش ارتكازاً على ما نشرته مصالح الاستخبارات العامة لمدينة قسنطينة بتاريخ 13 ماي 1945 قوله: "على الساعة الحادية عشر مساء وفي جهات مختلفة يقوم رؤساء البلديات والإداريون ومحافظو الشرطة بتحضير قوائم ليسلموها للسلطات العسكرية، ذلك ما يبين خضوع الجيش الفرنسى لهم"⁶. لم يكتف الاستعمارىون بالقتل وحتى إحراقهم أحياء بل راح راح الأوروبيون بمختلف جنسياتهم يتفرجون على جثثهم في فرح المنتصر كما حدث

1 - الخبر اليومى، 8 ماي 2007، ص: 21.

2 - أنى راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 349.

3 - أمحمد يوسفى، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، مصدر سابق، ص: 66.

4 - محمود قداش، جزائر جزائريين، مرجع سابق، ص 344.

5 - أنى راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 354.

6 - جون لوي لابلاش، مرجع سابق، ص: 255.

بمحطة القطار لمدينة قالمة أين عرضت الجثث مصففة على طول الجدران أمام السكان¹.

بمنطقة البابور أجبر عقيد فيلق الرجال والأطفال والفلاحين... على السجود وأمام العلم الفرنسي بترديد "نحن كلاب وفرحات عباس كلب" وبعد إذاعتهم طعم المهانة أعطي الأمر للأوروبيين بالمرور بين صفوف المهزومين للتعرف على محرضي القرية وفي المساء تم اقتياد قرابة الأربعمئة عربي نحو وجهة مجهولة².

لقد استسلموا لنزواتهم الحيوانية الوحشية ذلك ما استند عليه صحفي جريدة الخبر من خلال ما رواه أحد من عايشوا المذابح قوله: " أنه يحتفظ بصورة جزائريين هاربين إلى سفح الجبل والقناصة الأوروبيين يصوبون أسلحتهم إليهم لقتلهم وكأنهم صيادون يتعقبون أرانب"، ويضيف شاهد عيان آخر السيد بخوش قوله: " أن تصرفاتهم كانت بشعة، تعقبوا آثار الجزائريين أينما هربوا وأطلقوا عليهم النار، سمعت بعضهم يضحكون يتلذذون بالتقتيل"³.

حدث في إحدى القرى أن أوروبيا رفقة عدد من أقرانه اقتحموا مزرعة يملكها جزائريان، بعد الزج بهما في السجن البلدي تم إعدامهما رميا بالرصاص، مساء ودون انتظار سارع هؤلاء الكولون باتجاه المزرعة لنهبها وتقاسم ما فيها⁴.

حولوا هذه الفتنة كما يقول ناصر الدين سعيدوني إلى هواية في اقتناص البشر، فأصبحوا يطلقون النار على الجزائريين وحتى أبناء جلدتهم المعروفين بمواقفهم العادلة إزاء المطالب الشرعية للجزائريين⁵، قمع قوي، كانت النفوس ما تزال مصدومة لهول أساليب الإبادة الجماعية التي طبقها الجيش الفرنسي ومعه ميليشيا المستوطنين الفاشية⁶.

1 - أحمد بن مرسل، دراسة شخصية بومدين، مجلة المصادر، العدد الأول، 1999، ص.ص: 67-68.

2 - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1019.

3 - الخبر اليومي، السبت 10 ماي 2008، ص: 3.

4 - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 242.

5 - ناصر الدين سعيدوني، أحداث 08، مجلة الذاكرة، مرجع سابق، ص: 242.

6 - بن يوسف بن خدة، جذور 01 نوفمبر...، مصدر سابق، ص: 213.

حيث نظمت الاحتفالات بمناسبة خضوع الدواوير، ليلا راح الأوروبيون ينغمسون في الرقص والشرب غير مكترئين، يتغنون بعودة السلم¹.

رغم أنه ومع زيارة الوزير "أندري تكسيي" للقطاع القسنطيني، وهو يقف ويتحدث إلى مسؤوليها عن التجاوزات المتمثلة في الإعدامات والتي نفاها كل من سألها عنها ذكر قوله: "فرنسا المنتصرة التي لها الإرادة القوية والوسائل الضرورية لتضمن للأوروبيين كما للجميع الأمن والحماية².

بل إن السلطات المدنية صممت وتوقفت عن ضمان أمن أشخاص الجزائريين وممتلكاتهم على مستوى جزء كبير من البلاد والذي عبر عنه جون لوي بلانش قوله: "دليل رضاها المخزي، دفاعها عن الأشخاص الأوروبيين وممتلكاتهم، حيث بقي الأطفال الأوروبيون لا يمنعهم مانع من الذهاب إلى مدارسهم والكبار إلى مقر عملهم والمصالح الإدارية تشتغل على ما يرام³. استعمال للعنف والابتزاز والقتل، وسائل استعملها الأمن عن طريق التطهير العرقي، كل عربي يتجول هو عدو يجب القضاء عليه قبل أن يقتلك⁴". وهو ما وقف عليه الباحث الفرنسي "جون بيار بيرولو" من خلال دراسته التي أعدها على منطقة قالمة عن من كان وراء المجزرة والقمع المدني للجزائريين والذي استمر حتى 27 جوان 1945 تاريخ زيارة وزير داخلية فرنسا الاشتراكي "أوربان تيكسيي" والتي يرجعها إلى ما قامت به رئاسة المقاطعة بالنيابة وذلك بتشكيل مجموعات الميليشيا المسلحة والمكونة من الأوروبيين والتي يرجع إليها سبب ارتكاب هذه المجازر بما في ذلك إدراج مسؤولية الحكومة الفرنسية وبشكل كبير لأنها لم تقم بمعاقبة مصالحها

¹ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 217.

² - Alger républicain, 30 juin 1945.

³ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 281.

⁴ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 403.

الإدارية في الجزائر والتي كانت وراء ما حدث، حتى أنه يشبه مجازر 8 ماي 1945 ما قامت به منظمة الجيش السري في الفترة ما بين 1961-1962¹.

إلا أن المجازر وحسب ما جاء في مقال لمحمد عباس بجريدة الخبر والذي ارتكز فيها على ما جاء في شهادة الساسي بن حملة مسؤول فوج التنظيم السري لحزب الشعب الجزائري، بشكل منظم ومستمر حتى أواخر شهر جويلية²، وبتزكية وسكوت رهبان الجزائر مصدقين المؤامرة الدينية ضد المسيحيين، دون التعبير بأي كلمة رحمة وشفقة عن الضحايا المسلمين الأبرياء يقول رضوان عيناود ثابت: "مطالبين بالمغفرة لكن غفران مسبوق بعقاب الانتقام"³.

2 2 نتائج وانعكاسات مجازر 8 ماي 1945 على الأقلية الأوروبية:

لقد تعددت الأطروحات التي حاولت تبرير هذه الاغتيالات الممنهجة "المسلطة على الشعب ومن بينها وجهة نظر المستعمرين بأنهم أول من بادر بإطلاق الرصاص على السكان الأوروبيين وبناء على هذا الطرح فإن المجازر والتجاوزات أمر طفيف بالنظر إلى الغاية الأساسية عند المعمرين وهي "إنقاذ الجزائر الفرنسية"⁴.

في الوقت الذي أعلن فيه ميثاق سان فرانسيسكو مبدأ تحرير الشعوب المستعمرة أدت هذه الأحداث الدامية إلى قطيعة نهائية ما بين الأقلية الأوروبية الكولونيالية والجزائريين⁵، الأمر الذي دفع الحزب الشيوعي الجزائري الدعوة إلى توقيف وبسرعة هذا القمع الوحشي والأعمى الذي لا يقوم إلا بتوسيع الهوة ما بين الأوروبيين والجزائريين⁶..

¹ - الخبر اليومي، حوار مع الباحث جون بيار بيرولو، أعده، عثمان طالبي، الأربعاء، 7 ماي 2008، ص: 5.

² - الخبر اليومي، 22 نوفمبر 2007، ص: 18.

³ - رضوان عيناود ثابت، مرجع سابق، ص: 138.

⁴ - أحمد مهساس، مصدر سابق، ص: 244.

⁵ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 417.

⁶ - Alger républicain, 12 mai 1945.

وبالرغم من محاولة الإعلام الفرنسي التكتّم عن الأحداث طيلة عشرة أيام كاملة والإصرار على وصف المتظاهرين بالهمجيين والمتمردين وأن أربعين ألف جندي غالبيتهم من المغاربة والسنغاليين والحركي وميليشيات المعمرين جندوا في العمليات التي استهدفت إعادة الاستقرار¹، إلا أنها كانت جريمة بحق، تركت جراحا عميقة وغدت الأحقاد الدفينة، ما جعلها تتحول إلى بداية فظيعة حقيقية مع نظام الاحتلال وكل ما يمثله من مشاكل واستغلال وبطش، يمكن القول أن الكولون وهم يقتربون جريمة ماي 1945 كانوا دون أن يشعروا يحضرون قبورهم في جزائر المستقبل بعد أن تحول أنين الضحايا إلى ملهم لشباب الحركة الوطنية ومبشر بالثورة التحريرية². بحيث تمزق النسيج الاجتماعي كما عبرت عن ذلك "آني راي غولد زيغر" قولها: "قبائل مشردة وعائلات مفككة، أموات وأيتام ومفقودين، كانت الصدمة على قدر الحدث، تغير كل شيء وأصبحت الكراهية والاحتقار جوا لها"³، وعلى الرغم من أن الباحث محمد القورصو يرى أن المسألة ليست في جعل المشكل قائم بين الجزائريين وطائفة الأوروبيين بل يرجعها إلى مسألة وجود لفرنسا الاستعمارية⁴، التي وعلى الرغم من مساهمتها وبفعالية في إنجاح سياسة الإدماج الإيطاليين والمالطيين والإسبانيين وحتى اليهود لكن إدماج الأهالي سيأخذ وقتا أطول بسبب الحاجز الديني وعادات المجتمع وتقاليده⁵. وهو ما وقف عليه أبو القاسم سعد الله في تحليله لمراحل الإدماج التي كانت على طريقتين أولاها ما رضيت به النخب المفرنسة بالخدمة الإلزامية شرط دمجها في الحياة الفرنسية وقوانينها وحصولها على الحقوق السياسية والمدنية التي للفرنسيين، والثانية المساواة مع الفرنسيين في جميع الحقوق والواجبات بشرط عدم التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية، موقف مثله قادة

¹ - الخبر اليومي، السبت 10 ماي 2008، ص: 3.

² - الشروق اليومي، الأربعاء 10 ماي 2006، العدد، 1632، ص: 13.

³ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 423.

⁴ - الخبر اليومي، السبت 10 ماي 2008، ص: 3.

⁵ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 471.

الرأي العام، لكن كلاهما انتهى إلى الطريق المسدود نظراً لمعارضة المستوطنين وهو ما تسبب في أحداث 8 ماي 1945¹.

وعليه أضحت الأجواء جد مثيرة للقلق والانزعاج ما بعد المجازر مما أدى إلى بروز بعض السلوكات المنفرة التي ما فتئت تتزايد، نجد العائلات الأوروبية المعزولة تتراجع إلى المدينة، ترى المارين في المدينة فجأة يبحثون على مخابئ والتجار يغلقون محلاتهم كما وكان مدينتهم ستقبل².

فاستفاق الأوروبيون بعد هذه المجازر بجزائر جديدة شهدت خلال ساعات قليلة تحولا سياسيا وإيديولوجيا عميقا فنشأت جزائر فرنسية محت كل الفروقات الإثنية الأوروبية، تقول آني راي غولد زيغر: " لقد أعطت مجازر سطيف وڨالمة حق المواطنة إلى كل من الإيطاليين والمالطيين والإسبان وجنسيات أخرى من ناحية المتوسط وكلهم كانوا عرضة للاحتقار من قبل، انصهرت كل الأقليات في البوتقة الوطنية بهدف رفع عدد الفرنسيين فاتحد الجميع من أجل الجزائر الفرنسية رغم كل الظروف حتى الأقلية اليهودية التي كانت محل إقصاء وتشنيع³ وهي الأقلية التي تخاذلت زمن كانت تعيشه فرنسا من أحداث يقف عند صورة منها محمد البشير الإبراهيمي قائلاً: " جمعتني في القطار فترة انكسار فرنسا واجتياح الجيوش الألمانية لها بواحد من هؤلاء الفراعنة وأجبرني إلى الحديث معه، فسألني رأيي عن عواقب انهزام فرنسا أمام الألمان، فقلت إن قوانين الحرب معروفة" ليوصل بعدها بسؤال المستعطف الذي لا يهمه إلا أمر نفسه، وما يصنع الألمان بنا نحن معشر الأجانب الذين لم ندخل معه في حرب، فقلت له قول الساخر المستهزئ، لعله لا يمسكم بسوء ما دتمم أجانب عن فرنسا، فأجابني وقد لمعت أساريره من الفرح،

¹ - أبو القاسم سعد الله، آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، الجزء الخامس، عالم المعرفة، دار الرائد، الجزائر، 2008، ص.ص: 136-137.

² - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 385.

³ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 389.

نحن عند المثل العربي "اللي يتزوج أمنا هو عمنا" وإذا كان الألمان لا ينزعون منا أملاكنا وأراضينا فلا فرق عندنا بين أن تكون الحكومة فرنسية أو ألمانية"¹.

هو موقف تسوده الضبابية في فهمه والقيام بتبريره، ذلك ما وقف عليه أبو القاسم سعد الله في كتابه الحركة الوطنية، قوله عن ندوة صحفية من الحاكم العام "أبريال" بالجزائر أعلن فيها ولاء الجزائر لحكومة بيتان لا يحتاج إلى بيان وأنها (الجزائر) لا علاقة لها بالمتمردين (أنصار ديغول) وأن الجزائريين والمعمرين يتعايشون بدون شعور عنصري². وبعدها يضيف قوله: " أن الفترة كانت عهد مخاض سياسي بالنسبة للحركة الوطنية ومرحلة انتقالية لها، ذلك أن فترة سيطرة المعمرين وحكم فرنسا الديمقراطية القوية قد ولى وحل محله تذبذب المعمرين بين بيتان وديغول"³.

وهو ما دفع إبراهيم لونييسي ومن خلال مقال له في مجلة المصادر بعنوان "تجدد فكرة العمل المسلح في الجزائر إبان الحرب العالمية الثانية" يصل إلى تساؤلات مفادها عن الأسباب العميقة التي دفعت بالأقلية الأوروبية الإعلان عن فرحتهم بانتهاء وطنهم الأم أمام ألمانيا؟ وعن تأييدهم الشديد لزعيم فرنسا الجديد المستسلم والموالي للألمان؟ فهل كانوا يعتبرون ذلك خطورة أساسية في انفصالهم بالجزائر الوطن الأم؟ يقول إبراهيم لونييسي: " هي أسئلة تبقى صعب الإجابة عنها في ظل عدم وجود وثائق تجيب عن هذه التساؤلات"⁴.

لكن الأحداث رسخت الوحدة بين الأوروبيين رغم اختلاف مصالحهم⁵ حقيقة يقف عندها محمد البشير الإبراهيمي بالتحليل قوله: " إن طائفة المعمرين لا تكن لفرنسا أي حب ولا تدين بالولاء ولا تشعر بشيء من الارتباط بها إلا بورقة الجنسية الفرنسية"

¹ - محمد البشير الإبراهيمي، آثاره 1954-1964، الجزء الخامس، مصدر سابق، ص: 250

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص: 176.

³ - نفسه، ص: 183.

⁴ - إبراهيم لونييسي، تجدد فكرة العمل المسلح في الجزائر إبان الحرب العالمية الثانية، مجلة المصادر، العدد، 7 نوفمبر 2002، ص: 88.

⁵ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 318.

ويعطي أمثلة تاريخية عن ذلك قوله: " بعد إعلان إيطاليا الحرب على فرنسا، اتضحت عواطفهم مع المحور وكل ما فعلته فرنسا أنها وضعت هذه الجالية تحت الحراسة إلى أن انتهت الحرب" ويضيف بمثال آخر عن الإسبان: " أيام الحرب الأهلية بين فرانكو والجمهوريين، قام المعمرون الإسبان من مقاطعة وهران بإعانة فرانكو جهاراً بالمال والحبوب من ميناء وهران والغزوات ولم تحرك السلطات الفرنسية ساكننا" ¹. رغم ذلك تلاشت الطبقات الاجتماعية وبرز الشعور المشترك بالخوف واللامن وأصبح المجتمع الاستعماري يتذرع بالدفاع الشرعي، لقد حدث التصدع، وعن قريب سيضطر كل واحد إلى اختيار معسكره بين إما "الاحتقار والكرهية" ².

مجازر 8 ماي 1945 أدت إلى تكريس القطيعة وأحدثت الطلاق الأبدي بين مجموع الجزائريين وطائفة المعمرين ³، دليل ذلك ما يدرجه جون لوي بلانش على ما شهد به القنصل العام لبريطانيا والذي يبين أن مدينة الجزائر أنها على الأعصاب وبعدها يقول انه مع منتصف شهر جوان طلب مني صحفي فرنسي عاش طويلا بانجلترا إن كان بإمكان إيواء زوجته وابنته ببيتي، كما أنه يضيف أن الكثير داخل البلد يحرص على تحصين منازلهم ويبيتون يقظين" ⁴. ذلك ما يقف عليه جمال خرشي أن الوضع السياسي يبقى في الجزائر جد ملوث ومتأثر بمجازر 8 ماي 1945 إذ وصل الصراع والخلاف بين الجزائريين والأقلية الأوروبية إلى أوجه حيث تعفنت العلاقات الداخلية بين المجموعتين وتوسعت الفجوة بحدوث قطيعة كاملة ⁵، تجلت في خوف الجيش من انتشار فتنة الكراهية عبر أنحاء الجزائر والتي أصبحت مصدر صراعات لهذا رفض تسليحهم، الأمر الذي أدى إلى تهديدهم بالتخلي عن متاجرهم وصناعاتهم ومساكنهم بحجة أن الحي الذي يقطنون

¹ - محمد البشير الإبراهيمي، آثاره الجزء الخامس، مصدر سابق، ص: 249.

² - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 318.

³ - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر أفاق, مرجع سابق، ص: 148.

⁴ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 382.

⁵ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 443.

فيه الكثير من الأهالي، لذلك وجب طردهم¹. إشاعات ومن صنع أكاذيب ضباطهم كذلك التي حدثت لأوروبيي حيدرة، عندما صرح ضابط سامي وهو عائد لبيته أن سكان القصبة سينثرون الليلة، جعلهم يلجئون للميناء ليناموا هناك².

رعب انتابهم عبر كامل مناطق الجزائر، ماي 1946 جيجل والطاهير بيع لأراضيهم، بقالمة إشاعة قيام أحداث رهيبة تفتح هجرتهم نحو قسنطينة، تجميع الأسلحة وتخزينها بالمزارع في البليدة، المتيجة، تلمسان، الأوروبيون يقظين مستعدين لأي طارئ، بمناطق أخرى كخنشلة، إجلاء للعائلات الأوروبية. 7 ماي 1945 الهلع يصل حتى القطاع الوهراني بتاريخ 14 ماي 1945، تيارت، سعيدة، سيطر الخوف عليهم مما أدى إلى تكوين ميليشيات تنظم دوريات للحراسة³.

وفي تقرير لمحافظ شرطة مدينة جيجل "جورج روكي George Rouquet" يظهر مدى التخوف السائد لدى الأوروبيين "كراهية، نداءات انتقام، جلهم يرغب في الرحيل، فعل عنيف، الاعتقالات لا تكفي، يجب تطبيق عقوبات قاسية، إعدام أمام الملاء لإعطاء العبرة" إلى جانب أنهم يقدمون مقترحات "عقاب رادع للأدمغة المدبرة، إلغاء مرسوم 7 مارس 1944، تجسيد تجنيد الأهالي، منع الأحزاب من قبول انخراط المسلمين..."⁴.

وهو ما يؤكد المناضل الشاذلي المكي قوله: "أن موجة الكراهية بين الجاليتين الجزائرية والأوروبية لن يكون ممكنا ردمها أبداً"⁵. وأصبحت القطيعة واقعا والتعايش مستحيلا، حسب تعبير أني راي غولد زيغر⁶. ذلك ما أشار إليه محمد البشير الإبراهيمي في خلاصة تحليله عن الأقلية الأوروبية قوله: "أن الحالة بيننا وبينهم وصلت إلى حد لا

¹ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 404.

² - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 385.

³ - نفسه، ص: 467.

⁴ - A.N.O.M., 9H44, Aix en Provence, Rapport du commissaire de police, 25-05-1945.

⁵ - الشروق اليومي، الأربعاء 10 ماي 2006، العدد، 1632، ص: 13.

⁶ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 404.

يمكن معه أن نجتمع تحت سقف واحد ولا أن نعيش في وطن واحد"¹. وعلى نفس المنحى عبر شارل روبير أجيرون قائلاً: " أن هوة الحقد والكراهية بين الجاليتين الجزائرية والأوروبية لن يكون ممكناً ردمها أبداً"². هي الحقيقة التي وقف عليها (جون لوي بلانش) قوله: " لم يخطئ أوروبيو الجزائر (منطقة القبائل) إزاء كل هذا، إذ تخلى الكولون عن مزارعهم ذلك أن نهاية المجازر بالقطاع القسنطيني تعني ربما بالنسبة لهم عودة النظام، لكن الهدوء يبقى بعيداً"³. كما وصلت آني راي غولد زيغر إلى نفس النتيجة معبرة على أن أحداث سطيف كانت حاسمة حيث أدت إلى ظهور معسكرين متعادين وانهارت الجسور التي يشدها مجتمع الاتصال الواحد تلو الآخر، هذا العالم الذي كان يربط بين المجتمعين أصبح مجرد أطلال. لقد حان الوقت ليختار كل واحد معسكره ويجهز نفسه للمعركة الحاسمة، لكن الظروف ستكون أسوأ⁴.

ذلك ما أوقفهم على الشعار المرعب الذي اتهم به الوطنيون الجزائريين "الحقبة أو النعش"، يقول فرحات عباس: " أنه شعار بلا معنى وهو من صنع دهايز البوليس"⁵ فالكثير من الأوروبيين هجروا النقاط المعزولة بالجزائر العميقة وتمركزوا بالمدن أو حتى البعض منهم التحق بفرنسا وبقارات أخرى، بينما أحاط آخرون مزارعهم بتحصينات وتسلحوا في انتظار ما ستأتي به الأحداث⁶.

لقد كتب أحد المستوطنين عبر يومية "ليكو دالجي" بتاريخ 8 جانفي 1945 يصف ما آلت إليه العلاقات بين الأوروبيين والجزائريين قائلاً: "إن الجو بين الطائفتين أصبح ثقيلًا لا يطاق، يحمل في طياته عذاباً خفياً مرهقاً للأعصاب..." على أن دعا إلى تدخل سريع لوضع حد لهذه الوضعية الخطيرة منبهاً في ختام مقاله: " إن إفريقيا الشمالية تضم

1 - محمد البشير الإبراهيمي، آثاره، مصدر سابق، ص: 249.

2 - شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص: 434.

3 - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 377.

4 - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 478.

5 - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 299.

6 - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 37.

لنا شراً مستطيراً وشيكاً يستوجب أن نحمي أنفسنا منه في أسرع ما يمكن" ¹ وهو ما دفع باللجان المالية الإسراع بمطالبة العدالة الفرنسية أن تضرب بقوة وبسرعة على كل الذين ثبت عنهم الشغب ².

بالرغم من التطمينات التي جاءت على لسان الحاكم العام "إيف شاتينيو" يوم 13 جوان 1945 مساءً ومن على أمواج إذاعة فرنسا: " أن النظام قد عاد إلى ما كان عليه" ³ وأنه لم يعد ولا أحد من الأوروبيين مهدداً منذ شهر" ⁴. ذلك ما جعل البرلمان المالي يصادق على مجموعة ملفات، التربية، الصحة، والتي جلها كان يصب في خدمة مصالح الأقلية الأوروبية ⁵. ومع نهاية جلساته صادق على ميزانية 1946 والتي زادت عن السنة الماضية ترصية لهم ⁶ حيث قدرت ثمانمائة مليون فرنك حجمها الكبير موجه للرفع من رواتب العمال والذين يمثلون جلهم الأقلية الأوروبية ⁷.

استمروا في عدائهم والذي كان سافراً، فاعتبروا الأحداث تتنافى ووجودهم بالجزائر فسارع ممثلوهم في المجالس المالية والمحلية ومؤيدوهم في البرلمان الفرنسي بالمناداة بفرض "حالة الطوارئ وتأليف المحاكم الخاصة الاستثنائية" ⁸، طالبوا بالسلاح من أجل أمنهم الخاص، وبقضاء مستعجل وإعلان القوانين العسكرية لتجنب التخلي عن الجزائر، بالنسبة لهم القوة وحدها كفيلة بردع الأهالي الذين اجتذبهم المثقفون إلى حركة التمرد، لذلك وجب عقابهم بكل حزم دون مفاطلة، ومن نظام ديكتاتوري يحظر الأحزاب والصحافة التي لا غاية لها سوى مواصلة مكائد القومية العربية، يجب القضاء على الأمن

¹ - L'écho d'Alger, 08-01-1945.

² - L'écho d'Oran, 16 mai 1945.

³ - L'écho d'Oran, 16 mai 1945 .voir aussi : Alger républicain, 14 juin 1945.

⁴ - Alger républicain, 14 mai 1945.

⁵ - L'écho d'Oran, mardi 19 décembre 1945.

⁶ - L'écho d'Oran, dimanche-lundi 23-24/12/1945.

⁷ - L'écho d'Oran, mercredi 18-09-1946.

⁸ - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر أفاق....مرجع سابق، ص: 143.

وإلا سيطالب الجميع بالعودة السريعة إلى فرنسا"¹. حتى الاتحادية العامة للعمال الاشتراكيون والشيوعيون نددوا بشدة الوطنيين، حتى الجنرال ديغول أوقف لجنة التحقيق المعنية من طرف الحكومة لجعل الحلفاء يعتقدون أن ما هو إلا عمل لمشاغبين لم تعجبهم هزيمة الألمان².

فلذلك تخلى عنها وبسرعة حلها في 22 ماي 1945³، ويرأي "كلود بايا": " فإن هذا الحل جاء من داخل الجزائر، نتيجة ضغط الكولون، وعن طريق محافظ أمن مدينة قالمة "أشياري"⁴ وهو الذي لم يتردد في تجاوز صلاحياته للدفاع عن المجتمع الأوروبي، والعرائض التي وقعت لصالحه ملأت أعمدة الجرائد، أثبتت بوضوح التحام جميع الأوروبيين القالميين على اختلاف مشاربهم السياسية⁵.

خاصة وأن التحقيق كان يجرم المجتمع الأوروبي ككلية والذي كان سيكشف دور "أشياري" الذي تستر على الجرائم التي ارتكبها الحرس المدني والذي كان يعتبر أفضل الأعوان المحليين للجنرال شارل ديغول وانطلاقا من ذلك تمسك الكولون بهذه السلطة العليا التي خلفت سلطة المريشال بيتان⁶. إلى جانب تعيينه للجنرال "كاترو" والذي سرعان ما أن أبان رؤيته التي تخدم الخط الذي يرغبه الكولون قوله: " الجزائر ليست مستوطنة وحسب، إنما أرض فرنسية بكل ما تحمل الكلمة من معنى السيادة، إنها جزء من فرنسا في البحر المتوسط، إنها جزء لا يتجزأ من فرنسا"⁷. وبذلك فإنه أوصد كل الأفكار الداعية الاستقلال أو حتى الحكم الذاتي ورفض كل إمكانية الانفصال عن كتلة الإمبراطورية⁸.

¹ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 405.

² - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص.ص: 344 - 346.

³ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 7.

⁴ - Claude Paillat, Le guêpier, tome 1, édition Laffont, paris, 1969, p : 25.

⁵ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 454.

⁶ - نفسه، ص: 419.

⁷ - Pierre Ordioni, Tout commence : Alger, 1940- 1944, édition Stock, paris, 1972, p : 654.

⁸ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 181.

إجراء جعل من شخصية ديغول تحظى بتقدير كبير وسط مستوطني الجزائر¹، هذه القناعات الديغولية ونظرتها الإستراتيجية لم تتغير حتى ما بعد انسحابه من السلطة سنة 1946، حتى أن الشعار "الجزائر ووهران وقسنطينة عمالات فرنسية وستبقى كذلك" مبدأ وقعه في انتخابات 1948 كان تأكيداً على مواقفه كما هو تأكيد على وقوعه تحت تأثير وسطوة المستوطنين الذين لا يرون في عمالات الجزائر الثلاث سوى جزء أساسيا من فرنسا². وعليه فإن أصابع الاتهام وجهت انطلاقا مما ارتكز عليه عينا ثابت في كتابه 8 ماي 1945 ومن خلال منشور وزع بقسنطينة 29 ماي 1945 للحاكم "شاتينيو" الذي وصفوه بعدم أهليته بما في ذلك أصدقائه من النخبة المسلمة كما حملوها للموظفين العامين وسياستهم الأكثر حماقة ختموه: "... السيادة الفرنسية في خطر، أيها الفرنسيات أيها الفرنسيون تجمعوا... توزيع هذا المنشور سيكون بمثابة استفتاء"³.

حتى مندوبوهم استتکروا وصرحوا، حيث نشرت لهم جريدة "ليكو دالجي" نص تصريح جاء فيه: " أن العرب لا يحترمون إلا القوة" إنه أمر بديهي فقد تم استعمار الجزائر بدون تحفظ ولم يتسنى لذلك أن يبقى محافظ عليه إلا بوجود الفيلق 19 للجيش الفرنسي⁴. اعتمدوا على شخصيتين متطرفتين مؤثرتين بشكل كبير على توجيه السياسة الجزائرية خلال الجمهورية الرابعة "ليون مارتينو دوبلا Léon Martinaud Deplot" و"روني مايير René Mayer" وبذلك استأجر فرنسيو الجزائر من يكتب لصالحهم ويتكلم باسمهم، ومن يومها لم يعد بمقدور السياسة الفرنسية تتجاهل رغبات الجزائر الفرنسية⁵. بل حتى نجد من نوابهم الممثل الفرنسي لتونس النائب "كولونا Colona" رفض وطعن في مبدأ قانون العفو الشامل واعتبره تشجيعا للعودة إلى الجرم وإنكار للاستعمار

¹ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 418.

² - La république Algérienne, 03-12-1948.

³ - رضوان عينا ثابت، مرجع سابق، ص: 125.

⁴ - L'écho d'Alger, 14 mai 1945.

⁵ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 457.

الفرنسي"¹. حتى ما خلصت إليه آني راي غولد زيغر والتي ارتكزت على مذكرة "لجنة اليقظة والحفاظ على المصالح الوطنية للبلاد" أن الشعور السائد لدى الأوروبيين هو أنها تتحني أمام أرواح الضحايا وتشكر السلطات المحلية على وجه الخصوص المحافظ "أشياري" الذي قلص من حجم الكارثة بفضل (شجاعته وحزمه)².

كله ناجم عن تعاضم حذر الفرنسيين من السكان الجزائريين وبسرعة، وما يؤثر على ذلك منع بنادق الصيد أو حتى السكاكين على الجزائريين بعد 8 ماي 1945 والذي بدا غير كافي في نظر الأوروبيين وإدارتهم التي أصدرت سنوات 1947-1948-1949 قوانين تمنع حمل العصي على الجزائريين³. وبالنظر إلى حجم العنف والتدمير الذي أصاب المدن والأرياف الجزائرية، تبين للعيان أن الأوروبيين اقتنعوا بضرورة استعمال القوة لحماية أنفسهم وممتلكاتهم، فوضعوا ثقتهم فيها خاصة بعد أحداث ماي⁴ فقط القوة كانت في نظرهم كفيلة بإنقاذ "السيادة الفرنسية" رغبتهم من هول العنف اقتلاع "جذور الأذى" بحظر أحباب البيان والحرية وحبس قادة الوطنيين ومقاضاتهم والعودة إلى سياسية "بيجو"⁵.

فكانت زيارة وزير الداخلية "تكسي" والتي حمل فيها مسؤولية الأحداث لمسؤولي الحركة الوطنية الانفصاليين إلى جانب أحباب البيان والحرية، مصرحاً أنه اتخذت إجراءات وإصلاحات سياسية وإدارية تساهم في التوحيد ما بين المسلمين والأوروبيين"⁶. وبهذه الرؤية تعد السلطة الكولونيالية وضعت حداً لكل إمكانية للمصالحة السياسية عندما التجأ الحاكم العام شاتينيو إلى حل جمعية أحباب البيان والحرية في 14 ماي 1945⁷. ومع تواصل الإدارة الاستعمارية في التساهل مع الميليشيا لمواجهة حركة انتصار

¹ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 448.

² - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 402.

³ - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 37.

⁴ - L'écho d'Oran, 25-05-1945, n°25347.

⁵ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 433.

⁶ - L'écho d'Oran, 30 juin 1945.

⁷ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 417.

الحريات الديمقراطية معتمدة في الأوراس وبداية من 1948 حتى على الجزائريين كالباشا آغا تواتي والقائد مشري ومحمد بن عبد الله، والذين استفادوا من علاوات شهرية والتي زادت في فرضها ضرائب على الوجهاء لترعب السكان وبمنحها كامل الصلاحية للقضاء على الرعايا الفاسدين¹. سلوك ما كان فاسداً ولا نازياً ولا حتى يهودياً بدليل أنه وخلال الأحداث بمدينة قالمه اكتفى الجزائريون بأخذ من الأوروبيين ما يمتلكونه من سلاح وذخيرة، بجيجل تجنبوا الاستيلاء على أموال الورشة وأخذوا منها المواد المتفجرة بمنطقة الميلية وجد الكولون مزارعهم كما هي لم يمسه سوء، صبوا جام غضبهم على رموز الدولة الكولونيالية بخراطة، المحكمة، مكتب البريد، منازل تابعة للبلدية². وبالعكس من ذلك فإن الكولون اقترفوا مجازر في حق الشعب الجزائري، وهو ما وقف عليه محمد البشير الإبراهيمي قوله: " لقد قتلت منا بالأمس في الثامن ماي 1945 ما يقارب ستين ألف في يوم خرج العالم أجمع بإنهاء الحروب، خرجوا يشاركون المتفرج عزلاً مستضعفين فلقى ذلك العدد حتوفهم على غرة بمكيمة مدبرة من حثالات الأوروبيين الحاقدين على المسلم لأنه مسلم، ومن ورائهم الحكومة وجنودها، وما نقت منهم فرنسا وأوباشها، إلا أن أبنائهم ماتوا في سبيل إحيائها بعد الموت وإنقاذها بعد الانهيار"³. حتى مواقف اليسار هي الأخرى كانت مخزية من المجازر، ومنها موقف الحزب الشيوعي الجزائري الذي أدان زعماء حزب الشعب الجزائري وأحباب البيان، كما أكد على فرضية المؤامرة الإمبريالية والفاشية، نافيا عنها الطابع الثوري والوطني للمظاهرات كما وصفها بأعمال الشعب وأدرجها ضمن مظاهرات الجوع، التي حرّض عليها الأجراء الهتليريين⁴.

الهنليريين⁴.

¹ - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1129.

² - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 263.

³ - محمد البشير الإبراهيمي، آثاره....، الجزء الخامس، مصدر سابق، ص: 237.

⁴ - Liberté, 17 mai 1945. أنظر: محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص:

وبعد أن سعى إلى تفجير فتنة الجوع نجح في إراقة الدماء ¹. مستفيدين من تواطؤ موالي الفاشية الكولونيالية "أبو Abbo، بورجو Borgeaud، سردا Serda" ومن الإقطاعيين الجزائريين بن قانة، بلقاسم، أورابح، ومن الموظفين لنظام فيشي من الذين بقوا محافظين على مناصبهم في الإدارة والشرطة والجيش" ². واصفين الميليشيا الفرنسية الموالية للمريشال والنازيين بالقتلة. كما استعملوا تعابير "مجرمون مأجورون" لهذه العصابات المسترزقة المزودة بالأسلحة والتي توحى ضخامتها بوجود "مؤامرة فاشية" ³، كما عابت جريدة ليبرتي على أحباب البيان والحرية موقفه السياسي السلبي باعتبار أن مجموع الأوروبيين هم الطبقة المهيمنة وأن أعمال البريد والمعمرين الصغار وعمال السكك الحديدية هم إخوان المسلمين، كما ذكرت أن البيان لم يفرق بين الديمقراطية والفاشية واعتبر المشكل الجزائري في جوهره ذو طابع عرقي وديني" ⁴.

وعليه دعوا إلى التخلي عن القضية الوطنية في الوقت الراهن باعتبار أن هناك عناصر متنوعة أوروبيون ويهود ومسلمون تمتاز فيما بينها، تسعى للذوبان لتشكل ذلك الكل والذي منه سيعلم عن ميلاد شعب جديد ⁵. ليتدارك أمره وبطريقة جديدة يعلن عن توجهه الجديد معلنا فيه أنه لا شيء يستطيع أن يحول الجزائريين والأوروبيين واليهود عن الطريق التاريخية التي تؤدي إلى تكوين مجتمع وطني جزائري قادر على أن يعيش حياته الخاصة ⁶. إلا أن ما وقف عليه بنيامين سطورا من خلال كتابه "مصالي الحاج رائد النهضة الجزائرية" أن ما كان يدعو إليه موريس توريز سنة 1939 عن المجتمع والأمة التي هي بصدد تكوين تطايرت شظاياها مع "الثورة الفاشلة" لشهر ماي 1945، وسعت الهوة كثيراً بين الشعب الجزائري والأقلية الأوروبية مضيفاً: "أن العوام من الجزائريين

¹ - Alger républicain, 12 mai 1945.

² - Ibid.

³ - Liberté, 17 Mai 1945.

⁴ - Liberté, 7 juin 1945.

⁵ - Liberté, 7 juin 1945. أنظر: محفوظ قداش، الحركة الوطنية...، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1028.

⁶ - liberté, 30 aout 1945. أنظر: محفوظ قداش، الحركة الوطنية...، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1028.

في المدن سرعان ما أدركوا قوة الأعمال الجماعية وقسمت المواجهة للحزب الشيوعي إلى قسمين جزائريين وأوروبيين¹.

وبذلك فإن المطالبة بضرورة التعايش قبلت من قبل الأقلية الأوروبية بالتشهير والاستهداف، كل من يعارض المعسكر الاستعماري يتعرض للتهديد أو شراء الذمم، لم يسلم من ذلك حتى مثقفيهم وأساتذتهم ومنهم "أندري ماندوز André Mandouze" احتدم سخط المستوطنين ضد كل "خائن ينتقل إلى معسكر الخصم حتى كادت ألفاظ الثورة الوطنية تظهر ثنائية إلى السطح" الفرنسي السيئ الخائن²، حتى ما قام به كل من الأساتذة الذين بعثت بهم فرنسا للجزائر ومنهم "مارك فيرو Marc Ferro" "أندري نوشي André Nouschi" "أندري برونو André Prenant" في محاولة ربط الاتصال بين المعسكرين المتعارضين ولو أنهم نجحوا مع طلبتهم لكنهم تعرضوا للذم من طرف أولياء التلاميذ، هجوم ساخط للمعسكر الأوروبي³، بما في ذلك المهندس المعماري "لو كوربوزييه Le Corbusier" الذي دعا لمجتمع متصالح وأن المدينة يمكن أن تنتج تصوراً جديداً للروابط الاجتماعية، لكنه وبمجرد أن كشف عن مخططاته تعرض لانتقادات لاذعة عنيفة ورفض مشروعه باحتقار شديد⁴.

ومع تعيين شارل أندري جوليان كأستاذ للتاريخ الاستعماري بجامعة السوربون، فكانت لهم صدمة عنيفة، واجهوا ذلك بإنشاء كرسي أستاذية لمختص من الجزائر تدفع الحكومة العامة راتبه وبذلك كلف "أوغستين برنار" الخبير في شؤون الأهالي حتى يتصدى للدروس الجريئة التي يقدمها شارل أندري جوليان⁵. لكن ما وصل إليه هنري علاق من حقيقة قوله: "إنهم يسيئون تقدير قوة المطلب الوطني الجزائري إساءة خطيرة

¹ - بنيامين سطورا، مصالي الحاج 1898 - 1974، رائد الحركة الوطنية الجزائرية، ترجمة، صادق عمري

مصطفى، دار القصة، الجزائر، 1999، ص: 193.

² - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 463.

³ - نفسه، ص: 464.

⁴ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 203.

⁵ - نفسه، ص: 470.

وسيدفعون لاحقاً ثمن إساءة تقديرهم غالباً" ¹، فكيف بالطرف الآخر (الشعب الجزائري) والذي تركت فيه أثراً كبيراً وهو ما يشهد به "رابح بيطاط" * من خلال حوار أجري معه بتاريخ 12 جويلية 1988 من قبل باتريك إفينو وجون بلانشياس نشر في كتاب حرب الجزائر قوله: "أثرت بعمق في نفسية ذلك الجيل الذي أنتمي إليه، كان سني لا يتجاوز العشرين سنة عام 1945" ليواصل قائلاً: "كنت مقتنعاً بأن بعض الفرنسيين لا يتعاطفون معنا إلا على أساس أننا أشخاص من الدرجة الثانية، كما كنت أدرك جيداً أن مبادئهم وديمقراطيتهم ما هي إلا عملية ذر الرماد في عين الجزائريين لفرض إرادتهم ووجهة نظرهم" ².

حقيقة وقف عليها كل من جيلالي صاري ومحفوظ قداش أن قمع ماي 1945 قد أظهر للشعب الجزائري الوجه الحقيقي للاستعمار الذي صمم بالدم والحديد ألا يسمع بأي تعبير سياسي من شأنه أن يرمي إلى إعادة السيادة الجزائرية وإلى استقلال الجزائر فبذلك استخلص القادة وحتى المناضلين أن المساواة كانت تضليلاً ولا يمكن للعمل السياسي السلمي أن يؤدي وحده إلى الاستقلال ³. وهو ما خلص إليه شارل روبير أجرون قوله: "أي مؤرخ لا يتردد في وصف أحداث 08 ما 1945 بمحاولة تمرد لم يحالفها التوفيق لذلك كان نضال الجزائريين لاسترجاع كرامتهم واستقلالهم سيستأنف قريباً" ⁴. لأن زيادة حدة الضغوط وإخلال التوازن، فإن الانفجار المؤخر يقول عنه غاستون بوطول ضمن كتابه السلم المسلح: "لن يكون إلا أشد عنفاً وسيقذف بالسلم من أعلى مكان" ⁵.

¹ - هنري علاق، مذكرات جزائرية، مصدر سابق، ص: 104.

* - من مواليد 1926، كان عضواً بحزب الشعب الجزائري والمنظمة الخاصة، شارك وهو في السرية ضمن اللجنة الثورية للوحدة والعمل، أحد مؤسسي جبهة التحرير الوطني، مسئول المنطقة الأولى وضواحيها، أُلقي عليه القبض سنة 1955، لم يطلق سراحه إلا سنة 1962، نولى مناصب وزارية متعددة، اعتلى منصب رئاسة الجمهورية مؤقتاً بعد وفاة بومدين ديسمبر 1978. انظر: باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص: 73.

² - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص: 75.

³ - الجيلالي صاري، محفوظ قداش، مرجع سابق، ص: 82.

⁴ شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصر... الجزء الثاني، مصدر سابق، ص 839.

⁵ - غاستون بوطول، السلم المسلح، تعريب: أكرم ديري، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1973، ص 185.

الفصل الثاني

الأقلية الأوروبية والجزائريين 1946 - 1954

1 إصلاحات الحكومات الفرنسية وموقف الأقلية الأوروبية منها في ظل ثرائها

الاقتصادي وهيمنتها السياسية

1-1 الثراء الاقتصادي والهيمنة السياسية للأقلية الأوروبية

1-2 موقف الأقلية الأوروبية من القانون الأساسي 20 سبتمبر 1947

2-الأقلية الأوروبية ونشاط الحركة الوطنية ومشاركتها في الانتخابات 1946-1954

2-1-موقف الأقلية الأوروبية من نشاط الحركة الوطنية 1946-1954.

2-2-الإدارة الفرنسية والانتخابات ما بين الأقلية الأوروبية والجزائريين.

1 إصلاحات الحكومات الفرنسية وموقف الأقلية الأوروبية منها في ظل ثرائها الاقتصادي وهيمنتها السياسية

1-1 الثراء الاقتصادي والهيمنة السياسية للأقلية الأوروبية

إن استمرارية الاستعمار وإدارته مرتبط بمدى الاستغلال الاقتصادي للثروات وهذا لا يتأتى إلا بنجاح الاستيطان بنوعيه الرسمي أو الحر، لذا نجد قضية التوطين تأخذ أبعاداً متعددة بالنسبة للإدارة الاستعمارية سياسية ثم اقتصادية دون إغفال البعد الاجتماعي والثقافي والديني¹. لذا مع استيطان الأقلية الأوروبية القطر الجزائري، فرضت وجودها بالعنف وتشبثت بامتيازاتها تشبثاً أعمى إلى درجة أنها شكلت بعد المحور الأساسي الذي تدور حوله مناورات الاستعماريين الإقطاعيين والبرجوازيين².

ساعدتهم الإدارة الاستعمارية التي تملك كل الوسائل للقمع والقهر لتنفيذ رغباتهم وحماية امتيازاتهم. جعلت النظام الاقتصادي خاضع في تطوره إلى النظام السياسي وأصبحت بذلك فرنسا الاستعمارية تلعب دوراً أساسياً في سير هذا النظام السياسي ودعمه، والدفاع عنه بالإشراف على انتزاع الأرض وتوزيعها على الكولون، مدعمة إياهم بالقروض والمساعدات، فأرست قاعدة ضرورية لبناء الاقتصاد الاستعماري مستجيبة لمصالح الكولون³. ذلك ما يؤكد عدي الهواري قوله: "كان المستعمرون بحاجة دائمة لفرنسا لاحتواء السكان الذين صودرت ملكياتهم"⁴.

وصل مجموعها مسجلاً زراعياً إلى حدود عشرة ملايين هكتار منها مليونين وسبعمائة وعشرون ألف هكتار ملكاً للأوروبيين⁵، موزعة على خمسة وعشرون ألف

¹ - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1025.

² - يحي بوعزيز، من وثائق جبهة التحرير الوطني 1954-1962، مرجع سابق، ص: 106.

³ - محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 84.

⁴ - الهواري عدي، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830-1960، ترجمة، جوزيف عبد الله، الطبعة الأولى، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1983، ص: 154.

⁵ عبد العزيز وطيان، الاقتصاد الجزائري ماضيه وحاضره 1830-1985، المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث

العمل بالجزائر، الجزائر، 1992، ص: 21.

مالك (معمار) بمعدل مساحة المستثمرة الواحدة مائة وتسعة هكتار متركزة بنسبة 53% في المناطق الساحلية والشبه الساحلية¹. نتيجة سياسة المصادرة والاحتياص على موارد الجزائريين، حولت المجتمع برمته إلى أدوات مسخرة لخدمة الاقتصاد الفرنسي الرأسمالي المنهار بعد الحرب العالمية الثانية من خلال تحالف أقلية من الكولون مدعين من الشركات والمؤسسات المالية الفرنسية والعالمية².

سياسة مكنت الكولون من الاستيلاء على أغلب الأراضي الزراعية الخصبة وطرد أصحابها وأرغموا على التنازل عنها ومنها تمكنوا من تدمير البيئة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الجزائري³. فاستطاعوا إخضاع الأهلي بعنف مزدوج تقول آني راي غولد زيغر: " تمثل في مصادرة الأرض وتأجير سوا عدهم"⁴، فأصبحت الأرض مقدسة بالنسبة لهم لدرجة يقول جمال خرشي: " أنها أصبحت العنصر الرئيسي للإيديولوجية الكولونيالية والقاعدة الأساسية للوجود بالنسبة لهم"⁵، حتى أصبحوا يظنون أنهم اشتروا الجزائر بدم جنودهم، بموت مستلحي الأرض متسممين كما يقول فرحات عباس: "اشتروها بالذكاء بالطاقة والمال المنفق بلا حساب... مقدمين أنفسهم على أنهم حلفاء الإمبراطورية الرومانية وعلى أنهم الأمة الأقوى"⁶.

ركزوا على التجارة المالية ومن أهم مواردها قطاع الغابات حيث استحدثت جمع "لصاق الصنوبر" كما تزايدت عمليات التصدير المكثف لحطب الزيتون نحو فرنسا وانجلترا وهو ما يوضح الأغراض التجارية المالية من طرف الكولون الباحثين عن الثروة على حساب الأهالي⁷. كما شهدت المحاصيل الزراعية انتعاش كبير بداية القرن العشرين

¹ - كمال كاتب، مرجع سابق، ص: 303.

² - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المأض، مصدر سابق، ص: 84.

³ - يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال.....، مرجع سابق، ص: 42.

⁴ - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 373.

⁵ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 373.

⁶ - فرحات عباس، الشراب الجزائري، مصدر سابق، ص.ص: 81-82.

⁷ - شارل أندري جوليان، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، الجزء الأول، ترجمة، مسعود حاج مسعود، أ.بكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص: 199.

1200000 قنطار من القمح، 800 ألف من الشعير، تصدر سنويا ما بين 1905-1909، ومنتوج الخمر الذي فاق بكثير الحبوب، سمح للكلون العيش في بحبوحة والسيطرة على الاقتصاد الفرنسي¹.

إذ استولوا على 90% من الكروم، 43% من الزراعة الصناعية، 36% من زراعة البقول، 28% من زراعة الفواكه خاصة الحمضية، أنتجوا 20% من المحصول الزراعي خمر، خضر، تبغ، قطن، كل المنتوجات التي يمكن بيعها في السوق الفرنسية². زراعة متجهة نحو الخارج بقيمة صادرات عادلّت 85% بين سنة 1919-1928³.

وجدوا تسهيلات من بنك الجزائر الذي منحهم قروضا من أجل إنتاج الكروم مشجعا إياهم. وابتداء من سنة 1920، أنشئوا تعاونيات فلاحية في التبغ، القطن، الطماطم، والتي سمحت لهم بالرخاء⁴. وبازدهار هذه الزراعة فتح بنك الجزائر مقترحا لتمويل العملية، فانتشرت هذه المؤسسات عبر الوطن وارتفع عددها، والاهتمام بهذا الاستثمار تجاوز الجزائر ليلتحق القرض الليوني وفتح له واحدة بالجزائر وآخر بوهران⁵. وجدوا الدعم في المحاصيل الأساسية القابلة للتبادل التجاري وخاصة منها زراعة الكروم التي فرضت نفسها وأصبحت أساس الاقتصاد الزراعي الأوروبي في الجزائر⁶، معتمدين عليها لأنها ذات ربح سريع فخصصوا أكثر من نصف مليون هكتار من الأراضي الخصبة لزراعة الكروم المنتجة للخمر⁷.

1 - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 373.

2 - كمال كاتب، مرجع سابق، ص: 303.

3 - عدي الهوراي، مرجع سابق، ص: 158.

4 - آني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 325.

5 - محفوظ سماتي، الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها، ترجمة، محمد الصغير بناني، عبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص: 179.

6 - ناصر الدين سعيدي، الجزائر آفاق...، مرجع سابق، ص: 46.

7 - أحمد عبيد، أزمة الخمر بالجزائر وانعكاساتها الاجتماعية والسياسية 1929-1936، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ، ديسمبر 1977، ص: 12.

هي أرباح كانوا يجنونها بمصاريف انتقدها الأمير خالد في محاضرة ألقاها بباريس ديسمبر 1913 ارتكز عليها محفوظ قداش قوله: " أسمع أن المعمرين يوزعون كل سنة كذا مليون في الأجور حولهم، خذوا وضعية فلاح أوروبي للكروم يتحصل على مليون من الأرباح السنوية من كرومه التي تمت غراستها وفلاحتها بـ 1.50 فرنك أو فرنكين لليوم، فالأجر الذي يعطيه ليس إلا"¹.

ابتعدوا عن سياسة التصنيع والتي يقول عنها أحمد توفيق المدني: " إنها تخري الجزائري بارتفاع أجرها وعليه يعزف عن العمل في الزراعة، وهو ما ليس في صالح المعمرين"². لذلك بقت مجهودات التصنيع محدودة جغرافيا في المدن التي لها موانئ كمنطقة الجزائر التي احتفظت بـ 50% من الصناعة والباقي توزع خاصة بوهران وعنابة وقليل في سكيكدة... والمناطق الأخرى لم تسجل فيها إلا صناعة ضعيفة ذات طابع تقليدي منه كصناعي³. فكان على الوطن الأم أن يخصص امتيازات الأوروبيين ومنها حتى مساهمة الصناديق الجهوية للقرض التي وضعتها لمساعدتهم تقول مسعودة يحيوي مرابط: " انتقلت من 802 مليون سنة 1905 إلى 120 مليون سنة 1939"⁴.

كما وفرت لهم كل التسهيلات اللازمة لإنجاح مشاريعهم يقول يحي بوعزيز :
"أنشأت مصارف محلية في المناطق الزراعية لتطوير وتنمية الفلاحين الأوروبيين وبذلك تشكلت جمعيات تعاونية تمكن أصحابها من الكولون اقترض ما يحتاجونه لتحسين الأجهزة التي تلزمهم للإنتاج"⁵، ومنها الجرار الذي أصبحت مزارع الكولون تمتلك منه 19509 بينما المسلمون ليس لهم سوى 418 جرار⁶ وهو ما تبينه إحصائيات 1952

¹ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، مرجع سابق ، ص: 246.

² - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص: 126.

³ - كمال كاتب، مرجع سابق، ص: 306.

⁴ - مسعودة يحيوي مرابط، المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في القرن العشرين، حقائق وإيديولوجيات وأساطير ونمطيات في جزائر القرن 20، دار هومة، الجزائر، 2010، ص: 152.

⁵ - يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري، مرجع سابق، ص: 143.

⁶ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1954-1962، الجزء العاشر، مرجع سابق، ص: 13.

والتي مفادها أن هناك 14.082 مستوطن مزارع تلقى من مؤسسات المصارف قروضا مالية تتجاوز 12300 مليون فرنك¹.

يقول عنهم يحي بوعزيز: " رغم ثرائهم تمتعوا بأغلبية القروض الفلاحية وصلت سنة 1953 ما قيمته 43,4 مليار²، وهي المبالغ المالية الضخمة التي حرم منها الجزائريين يقول ناصر الدين سعيدوني: " وجهت لخدمة اقتصاد المعمرين مع رفع مستوى معيشتهم وإيجاد هياكل ضرورية لإنجاح مشاريعهم"³.

وعليه أصبحت الجزائر ورغم تبعيتها لفرنسا بلداً رأسمالياً بطبقات اجتماعية من نمط حديث، برجوازية أوروبية مكونة من كبار الملاك العقاري المرتبطين بالبنوك والذين أصبحوا يستغلون قطاع المناجم والصناعة وتجهيز السفن ومنهم كبار التجار ينتمون لطبقات البرجوازية القوية وحتى المكونة في قطاعات الغاز والكهرباء والنقل والصناعة الصغيرة⁴.

وبذلك تكون الدولة هي التي ساهمت في تكوين الرأسمال الاستعماري كان العامل السياسي هو المسيطر فيها يقول محمد حربي: " كانت الدولة تلعب دوراً أساسياً في سيره ودعمه والدفاع عنه، هي التي أشرفت على انتزاع الأراضي وتوزيعها على الأوروبيين وهي التي تمدهم بالقروض، هي التي قامت بإرساء القاعدة الضرورية لبناء الاقتصاد الاستعماري، طرقات، سكك حديدية، موانئ... وبتخاذ كل الإجراءات التي تستجيب لمصالح الأوروبيين⁵.

صنف يحي بوعزيز الأوروبيين في الميدان الغير فلاحي بنسبة 45% منها كبار التجار يكونون العمود الفقري للنظام الاستعماري الفرنسي بالجزائر وعددهم في حدود

¹ - André Nouschi, op.cit, p.p: 116- 120.

² - يحي بوعزيز، من وثائق جبهة التحرير الوطني 1954- 1962، مرجع سابق، ص: 108.

³ - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر آفاق...، مرجع سابق، ص: 38.

⁴ - بنيامين سطورا، مرجع سابق، ص.ص: 229- 230.

⁵ - محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 84.

عشرة آلاف، صغار ومتوسطو الصناع أصحاب الحرف الحرة وأفراد الجهاز القمعي في حدود 150000 شخص، إلى جانب العمال المستخدمين وعددهم 170000 يعني 53% من الأقلية الأوروبية العامة قد صارت من المنتفعين بالنظام الاستعماري¹. وهو ما وقف عليه بن يوسف بن خدة قوله: "احتكر المستوطنون جميع وسائل الإنتاج، من أراضي خصبة وبنوك، وسائل النقل، التجارة الخارجية" ليضيف: "سعت فرنسا لتجعل من الجزائر لفائدة الأوروبيين دون سواهم"².

فسيطروا على الأرض ومواردها بإنشاء البنوك والشركات الضخمة التي امتد تأثيرها من تونس والمغرب، احتكروا التجارة بين الجزائر وفرنسا، أصبحوا هم الرأسماليين الكبار، فاستطاعوا أن يوجهوا السياسة الفرنسية العامة، مثل "بورجو، إتيان تومسون..." المسيطرين على جميع مشاريع التنمية في الجزائر، ووجهوها لخدمة مصالحهم الضيقة³. إنهم يمثلون مجتمعا مهيمنا سواء بعدد إداراته السياسية أو بمستوى عيشه الرفيع فإدارات البلاد أساسا فرنسية، فالسامية منها من الأوروبيين بنسبة 92,8% ونسبتهم من الفنيين والمشرفين على إنجاز المشاريع هي 82,4% والوظيف العمومي يمثل نسبة 86%، مستوى حياة المجتمع الاستيطاني في الجزائر هو المجتمع البرجوازي مقارنة بمستوى الجزائريين⁴.

أنشئوا غرنا للتجارة مبكراً بتاريخ 07-09-1830 وانطلاقاً من الجزائر بقرار من الجنرال كلوزيل، هيمنوا فيها على العضوية بعشرين فرنسيا وأربع من الأهالي، وبمدينة وهران بتاريخ 04-10-1834 وبايعاز من الماريشال سولت والجنرال بيجو تأسست الغرفة التي احتوت على 13 من الفرنسيين واثنين من الأهالي، سكيكة 4 أكتوبر 1844 واحتوت على 10 فرنسيين ومسلمين اثنين، عنابة 19-12-1848 وضمت 15 عضوا

¹ - يحي بو عزيز، من وثائق جبهة التحرير الوطني، مرجع سابق، ص: 109.

² - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، مصدر سابق، ص: 54-55.

³ - أبو القاسم سعد الله، آراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، الجزء الخامس، مرجع سابق، ص: 135.

⁴ - عبد الحميد زوزو، محطات في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص: 319.

13 منها للفرنسيين وجزائريين، قسنطينة 22 مارس 1856، سطيف 28-12-1892، مستغانم 29-12-1921، معسكر 15 ماي 1931" وهو ما يبين أنهم لأهدافهم خططوا مبكراً للهيمنة على أهم مؤسسة في المجال الاقتصادي"¹.

يقول محمد حربي: " وحدثهم كانوا يتمتعون بالقرض ويحتكرون التجهيزات وذلك بفضل سيطرتهم على الميزانية التي لم يكن ينال منها البرجوازيون الجزائريون إلا الفتات والفلاحون دورهم يقتصر على دفع الضرائب ². وهو ما جعله يؤكد أن هناك هوة تفصل بين الجزائريين والمعمرين على جميع المستويات ومنها المؤسسات الاقتصادية التي نجد منها 100 ألف مؤسسة جزائرية تقدر مداخيلها 33 مليار من الفرنكات في حين هناك 6500 مؤسسة أوروبية مداخيلها وصلت 375 مليار، وهو ما يترجم أن النشاط الصناعي التجاري يبقى بيد الأوروبيين لذلك احتلوا الصدارة في الاقتصاد الجزائري ³. حتى بن جلول الذي ارتكز عليه محفوظ قداش شدد على قلقه مصرحاً: " هناك بين الفرنسيين والجزائريين هوة سحيقة سببها الجشع والأنانية وغياب الاحترام من لدن الفرنسيين... إنها نكبة أخلاقية لم يسبق لها مثيل"⁴.

حقيقة وقف عليها الشريف بن حبيلس بتساؤل قوله: " وهل فعلا مع كل أمر من شأنه تذويب الفوارق بين الأهالي والمعمرين؟ أما هناك اعتبارات تزيد هوة التفرقة كبراً سواء على المستوى المادي أو المعنوي"⁵.

ذلك الذي وصل إليه أوليفي لوكور غرانميزون قوله: " زودتهم بالأدوات القانونية التي تتيح لهم الدفاع عن مصالحهم الاقتصادية... وعملية لتعزيز استقرار النظام

¹ شارل أندري فافروود، الثورة الجزائرية، ترجمة: كابوية عبد الرحمن، سالم محمد، دار دحلب، الجزائر، 2010، ص: 255.

² - محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 89.

³ - نفسه، ص: 91.

⁴ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 872.

⁵ - شريف بن حبيلس، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، ترجمة، عبد الله حمادي، فيصل الأحمر، وسيلة بوسيس، دار البهاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2008، ص: 30.

الاستعماري، منحهم وسائل إضافية كفيّلة بإسّماع صوتهم ليتمكنوا من تدعيم مطالبهم بصورة أفضل، تجسّدت هذه الأهداف بإقامة نظام جمركي ومالي مناسب لهم، مثل إعفائهم من الضرائب أو فرض عليهم تحديد الأقلّ ممكن، وهي تدابير تدخل ضمن تشجيع واستدراج أكبر عدد ممكن من المهاجرين سواء من فرنسا أو أوروبا لتوطيّنهم"¹.

فوضع تنظيم إداري على النحو الذي يخدم الكولون، ويساعد القادمين على الاستقرار واكتساب الثروة كما يسهر على توفير الخدمات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، وبذلك أعطيت صلاحيات واسعة كاملة للبلديات التي يقطنها العنصر الأوروبي، مع توسيعها لتشمل جهات أخرى يقطنها أوروبيون حتى أصبح عددها سنة 1930 ثلاثمائة وأربعة².

لذلك فإن كل السياسات المعتمدة زادت من إحكام المعمرين سيطرتهم على مقدرات الجزائر جعلتهم يتبحّجون في ذكرى احتفالهم بمائة سنة على الاحتلال أن الاقتصاد الأوروبي بالجزائر في مقدمة الاقتصاديات الزراعية بتكريس شقاء الجزائريين وتعاستهم³. لذلك بقي الأهالي في شقاء مادي ومعنوي لا يوصف بسبب السيطرة الفرنسية بل أكثر منها جراء هيمنة المعمرين الأثرياء الذين غيروا نظام المجتمع واستغلوا الجزائريين"⁴.

يشير جمال خرشي أن متوسط مدخول الأوروبيين كان خمس مرات أكثر من مدخول الجزائري المسلم⁵. من فرط غناهم أصبح هؤلاء الأسياد متعجرفين وصاروا على مرّ الأيام مستبدين وعنصريين وأصبحوا لا يدافعون إلا عن كرومهم وأهوائهم

¹ - أوليفي لوكرود غرانميرزون، الجمهورية الإمبراطورية في سياسة الدولة العنصرية، ترجمة، مسعود حاج مسعود، دار القصة، الجزائر، 2009، ص: 137.

² - ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، مرجع سابق، ص: 36.

³ - نفسه، ص: 40.

⁴ - بنيامين سطور، مصالي الحاج 1898-1974....، مرجع سابق، ص: 117.

⁵ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 445.

وخزائنتهم ومحلاتهم التجارية ومصانعهم وسفنهم¹. وبقيت ظاهرة التخلف متواصلة في معظم أرجاء القطر الجزائري، خاصة مع تطور النمو الديمغرافي الذي لم يساعد على تحسين الوضع لتبقى الأكثرية تعيش حياة البؤس². وأصبحت لديهم يد طويلة في توجيه الاقتصاد الجزائري، نجم عنه عدم المساواة في مسألة التمويل وغياب الاحترام من لدن السلطات، ومن الأوروبيين عموما اتجاه المسلمين³.

وعليه فإن الجزائريين عانوا ضمن الجانب المادي والمعنوي وهم يلاحظون تضاعف القوة السياسية والاقتصادية للمعمرين والتنامي السريع لمستواهم المعيشي⁴.

وهو ما يتجلى في الطابع الاستيطاني للتسلط الكولونيالي في عدة معطيات منها بلوغ الدخل السنوي للفرد بالجزائر 30000 فرنك بالنسبة للجزائري و 250 ألف بالنسبة للأوروبي، فالسكان الأوروبيون الذين يمثلون تسع سكان الجزائر يقتسمون 500 مليار فرنك تمثل الدخل الوطني السنوي⁵.

ويؤكد سليمان الشيخ أنه سنة 1954 كان معدل الدخل السنوي للفلاح الجزائري لا يتجاوز 22000 فرنك فرنسي في حين ارتفع المعدل لدى الفلاح الأوروبي إلى أكثر من 78000 فرنك⁶.

أوضاع يصفها أندري ماندوز قوله: " كان الاقتصاد القائم على استغلال أقلية استعمارية أجنبية للشعب الجزائري رديفه في البطالة والبؤس والجوع والاغتراب وأيضا

1 - أحمد يوسف، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، مصدر سابق، ص: 76.

2 - باتريك إفينو، جون بلانشياس، حرب الجزائر، ملف وشهادات، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 103-105.

3 - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 871.

4 - عبد الرحمن مزيان شريف، مصدر سابق، ص: 54.

5 - زدرا فوييكار، مصدر سابق، ص: 358.

6 - Slimane Chikh, l'Algérie en armes ou le temps de certitudes, O.P.U., Alger, 1981, p : 169.

القهر والحدق العنصري¹. وهو الموقف الذي وقف عليه محفوظ سماتي من خلال كتابه الأمة الجزائرية نشأتها وتطورها بارتكازه على ما صرح به جول فيري قوله: " إنه لمن الصعب حقا أن تجعل الكولون يصدق بوجود حقوق غير حقوقه في بلاد العرب، وأن الأهالي لم يخلقوا إلا للرق والشقاء"²، إلى جانب تحميلهم الميزانية الفرنسية المخاطر التي كان عليهم تحملها بأنفسهم، لو أنهم استثمروا هم بالجزائر فضلوا نقل فوائد استثمارهم إلى فرنسا بدل تعريض رؤوس أموالهم للأخطار³.

ترك عمار بوجلال وهو الذي عايش الفترة يقول: " خلال كل طفولتي كنت حساسا تجاه عدم المساواة الاقتصادية بين المعمرين والملاك الحقيقيين لهذه الأراضي أي عائلتنا. لم أكن أفهم شيئا عن الاقتصاد، غير أنني كنت أبحث بصفة لاشعورية عن جواب يفسر هذا الاختلاف. كنت أفسر الظلم الظاهر إلى ضعف الإيمان وضعف المجموعة، إذا كان الله سبحانه عز وجل سمح لهم بتلك العجرفة، فذلك يعود إلى أننا ابتعدنا عنه، هذا ما كنت أقوله لنفسي وأنا أسرع الخطى باتجاه المدرسة القرآنية"⁴.

إجابة جاءت في تحليل باتريك إفينو وجون بلانشياس قولهما: " لو كانت الجزائر مسيرة بحكمة وأمورها تسير بجدية ومجهزة بكيفية حسنة، فإنه باستطاعتها أن تؤمن العيش لما لا يقل عن عشرين مليون نسمة"، ليضيفا قولهما: " وبصفتها سجيئة لوضع استعماري بائس... أنجزت وضمنت العيش السعيد لمجموعة من الناس يمثلون طبقة اجتماعية معينة، في ظلال جزائر لا تسيرها حكومة ناشئة من أعماق شعبها"⁵.

لذلك استعملت الإدارة الاستعمارية كل الوسائل من أجل ضمان سيطرة المعمرين على الوضع بالجزائر وكانت ترى بأن الوسيلة الوحيدة لضمان بقاء هذه السيطرة هي سد

¹ - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 118.

² - محفوظ سماتي، مرجع سابق، ص: 179.

³ - المجاهد، 16 جويلية 1960، العدد، 67.

⁴ - عمار بوجلال، حواجز الموت 1957-1959 الجبهة المنسية، ترجمة، زينب قبي، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص: 13.

⁵ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص.ص: 58-59.

كل الأبواب التي من شأنها أن تحسن من حالة الفرد الجزائري¹. وهو ما شجعهم للمطالبة بمسؤوليات واستقلالية أكثر في التسيير المالي للبلاد وبسلطات سياسية لمراقبة هذا التسيير في الجزائر المستعمرة بصفة مستقلة ومن خلال استقلاليتهم التشريعية يمكنهم أن يصبحوا أسياذ التنظيم الإداري للجزائر وبالتالي حل قضية الأهالي حسب أهدافهم².

فالقِطاع الرأسمالي هو أوروبي أساسا ينمو ويتزعرع باستغلال القطاع التقليدي المتمثل في "جزائر الجزائريين" وذلك بواسطة الهيمنة السياسية وقانون السوق والعنف³. فصدور قانون 1900/19/19 والذي حصلوا بموجبه على الاستقلال المالي، انتقلت بفعله السلطة الفعلية بيد نوابهم بالمجلس المالي الذي أقاموه بالعاصمة وبدعوا يشرعون فيه لنفسهم باتخاذ جميع القرارات التي تقدم مصالحهم دون تدخل من باريس⁴. بقي هذا القانون قاعدة النظام المالي للجزائر إلى غاية 1947⁵. بفعله أعطيت يدا حرة للمستوطنين للمستوطنين لكي يديروا كل الشؤون المالية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة بالجزائر، أمدتهم هذا القانون قوة مراقبة الميزانية فكان انتصار للجزائر الفرنسية، شنوا من أجلها أكثر حملات الضغط السياسي حارة⁶.

بحيث ذهبوا بعيداً في مطالبهم وخاصة الاقتصادية منها، فهددوا الحكومة الفرنسية بوقف كل إيصال معها، تهديدا ارتكز عليه محفوظ قداش جاء من نائب معمر قوله: "أن الاستقلال الأمريكي كان وليد مطالب انجلترا اتجاه المستعمرات"⁷، والتي هي ممثلة في سن ضريبة على الشاي أضرت بمصالحهم، موازاة مع ذلك ما عاشته فرنسا في أزمة

¹ - ابن العثون عبد الرحمن بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي ...، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص: 158.

² - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 374.

³ - محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 85.

⁴ - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997، ص.ص: 195-196.

⁵ - عبد المجيد بلخروبي، ميلاد الجمهورية الجزائرية والاعتراف بها، ترجمة، العربي بوينون، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ص: 34.

⁶ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص.ص: 86-87.

⁷ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية للجزائر 1919-1938، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 404.

الخمور، إذ انحطت أسعاره بفعل إنتاج معمرو الجزائر لكميات كبيرة منه، احتج نواب المقاطعات الفرنسية بشدة على دخوله وعرضوا قانونا يحدد كميته، اعتبر بمثابة ضربة قاضية على ثروتهم¹. وعليه وطدت الأقلية الأوروبية علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع الشخصيات المرموقة بفرنسا²، إلى أن تراجعت فرنسا عن تطبيق القانون حيث بقيت الخمور التي ينتجها الكولون بالجزائر تدخل فرنسا حرة كما كانت³.

بتمثيلهم النيابي بالمجلس الوطني بباريس استطاعوا الضغط بشدة... حتى أصبحوا سادة البلاد الحقيقيين لأنهم كانوا يؤثرون على الحاكم العام وعلى رؤساء العمالات والبلديات بالإضافة إلى التحكم في الجزائريين الذين يمثلون المصدر الرئيسي لدفع الضرائب مع الإشراف على الميزانية، والذين وجهوا المشروعات التي تفيد إلا أنفسهم مهملين حاجات الأهالي⁴. وما توقفت تهديداتهم حيث تواصلت مع الحكومات المتتابعة فتعرض الواليان "فيوليت، شاتينيو" الذين تجرأ على اقتراح بعض الإصلاحات لصالح الأهالي، طردوا من الجزائر العاصمة تحت السخرية⁵. بسطوا نفوذهم على البلد لمراقبة المالية أي المندوبيات المالية ومجالس العمالات والسياسية أي التمثيل النيابي وفدرالية رؤساء البلديات والإدارة، أي البلديات والبلديات المختلطة، يقول فرحات عباس: " لا شيء يمكن فعله بدونها أو بالأحرى ضدها، إنها طبقة النبلاء الفرنسيين"⁶.

كان معظمهم يقول شارل روبيير أجبيرون يعتقدون دون اختبار لحظوظهم ومزاياهم أنهم ولدوا ليقودوا مثملا ولد المسلمون للطاعة والخضوع"⁷، وبذلك أصبح النظام السياسي

1 - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مصدر سابق، ص: 129.

2 - عمار بوحوش، سياسة الإدماج ومصادرة الأراضي في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، عدد، 12، تونس، جويلية 1978، ص: 225.

3 - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مصدر سابق، ص: 130.

4 - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 89.

5 - فاروق بن عطية، الأعمال الإنسانية أثناء حرب التحرير 1954-1962، ترجمة، كابوية عبد الرحمن، سالم محمد، منشورات دحلب، الجزائر، 2010، ص: 17.

6 - فرحات عباس، الشراب الجزائري، مصدر سابق، ص: 185.

7 - شارل روبيير أجبيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص: 882.

السياسي الإداري يكرس تفوق الأوروبيين، استعمار مبني على علاقة غير متوازنة بين شعبين خلق وضعاً كل شيء فيه يساهم في طمس الفروق الاجتماعية وإبراز الفروق العرقية¹. لذلك وضع النظام الكولونيالي المعمر في مواجهة المستعمر، لا بالشكل الاقتصادي بل ثقافياً أو إثنيا بالأحرى. لكن ذلك لا ينفي حقيقة أن المصالح الاقتصادية هي التي تسبب هذه التناقضات لأن هذه المصالح هي التي سببت الاستعمار². وبغية تفسير هذه الوضعية ورغبة من المعمرين الحفاظ على سيطرتهم، يفسرون ويحكمون على الأهالي انطلاقاً من عدم قدرتهم على التأقلم مع الرأسمالية، أحكام عنصرية يقول محمد حربي جاء منهم ليبرر ذلك: "أن العربي لم يتطور إلا قليلاً، لقد ظل متعلقاً بتقاليده وبحقله الصغير ذي الإنتاج الضعيف، قانعا بحياة بائسة، فهكذا كان يعيش أجدادهم وهم راضون عن أنفسهم باقتناء أثر أسلافهم، فهم في أغليبتهم لا يبذلون أي جهد ليغيروا ما هم عليه، مسلمين أمرهم لله ولسان حالهم يقول: "إن أبنائنا سيكونون مثلنا"³، وعليه فإن الأقلية الأوروبية ما كانت تفكر إلا في تدعيم مصالحها فقط، فما كان يشغل بالهم هو الانفراد بالسلطة في الجزائر وعدم السماح لحكومة باريس التدخل في الشؤون الداخلية للجزائر التي أصبحت منطقة امتيازات فقط⁴. امتيازات عديدة استفادوا منها بإعفاءات ضريبية مهمة تتناسب مع التمثيل الذي يستفيد منه المعمرون في مختلف الجمعيات وهكذا من بين 69 مندوباً في الجمعيات الجزائرية، 53 منهم يمثلون الملكية الاستعمارية الكبيرة⁵. حتى في التنظيم البلدي، ومنها ما يطلق عليه بالبلديات المختلطة التي يسيرها موظفون فرنسيون بمساعدة نواب جزائريين، كانت مقاطعات إدارية لا تحمل من البلديات

1 - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 88.

2 - عدي الهواري، مرجع سابق، ص: 74.

3 - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 90.

4 - عمار بوحوش، سياسة الإدماج ومصادرة الأراضي في الجزائر، مرجع سابق، ص: 225.

5 - كمال كاتب، مرجع سابق، ص: 304.

إلا الاسم، فيها "المتصرف الإداري" الفرنسي المسؤول الذي لا يناقش، والذي كان في أغلب الأحيان مهتما بمصالح المعمرين قبل كل شيء¹.

هذه البلديات التي يصل عدد سكانها من الأهالي إلى غاية خمسة آلاف يقول فرحات عباس: " الخمسين فرنسيا من قاطنيها يتصرفون في ميزانيتها ليهيئوا أنفسهم ملاعب التنس وقاعات للحفلات في الوقت الذي تعاني فيه الدواوير التي تركت وشأنها من نقص الماء الصالح للشرب وفي الطرق المعبدة ومن المدارس والعيادات وما إلى ذلك². أما البلديات الكاملة الصلاحية فإنها تعد بمثابة المؤسسة التي تحمي مصالح الكولون والقيم الجديدة للمجتمع الأوروبي بالجزائر³. ولأن كل المجالس وبصفة خاصة المحلية أنشئت بمبادرة استعمارية أي لمصلحة الأوروبيين وليس لمصلحة الجماهير الشعبية⁴. بحيث نص قانون البلديات في التمثيل على أن يكون الثلثين للمعمرين وبنسبة الثلث فقط للجزائريين، فاعتبروا جنسا من الدرجة الدنيا⁵. والولاية العامون الممثلين للحكومة الفرنسية بالجزائر، المعينين من قبلها تابعين رسميا لوزارة الداخلية، يسيرون شؤون الجزائر في مختلف المجالات أو المصالح، عدد كبير من هؤلاء غالبا ما نجده خاضعا لضغط أصحاب المصالح الاقتصادية والسياسية من الكولون⁶. خاصة وأن التعيين ما بعد الحرب العالمية الثانية أصبحت تتولاه دائما شخصيات تحمل تعاطفا مع الكولون ذات الأصول الأوروبية⁷.

حتى عندما أصبح للجزائر مجلس محلي (برلمان) يسمى بالمجلس الجزائري بموجب قانون 1957/09/20 والذي تركيبته تألفت من 120 عضو، نصفهم جزائريون

1 - عبد المجيد بلخروبي، مرجع سابق، ص.ص: 28-29.

2 - فرحات عباس، الشاب الجزائري، مصدر سابق، ص: 219.

3 - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 324.

4 - ولد النبية كريم، الانتخابات المحلية في البلديات المختلطة، انتخابات 1947، بلدية عين تموشنت المختلطة نموذجا، مجلة المصادر، العدد، 9، السداسي الأول، 2004، ص: 178.

5 - زدرافويكار، مصدر سابق، ص: 191.

6 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء العاشر، مرجع سابق، ص: 15.

7 - عبد المجيد بلخروبي، مرجع سابق، ص: 32.

ونصف فرنسيون، رغم فارق عدد السكان، إلى جانب أن القسم الثاني أهلي تدفعهم الإدارة بالترشح وتضمن لهم النجاح حتى تقطع الطريق أمام مرشحي الأحزاب الوطنية¹. يقول عنه أحمد توفيق المدني: " الترشح فيه من الأصدقاء مع استعمال وسائل التزوير لفوز المرشح الحكومي، وادعت فرنسا مبدأ التساوي فيه... هذه هي عبقرية الفرنسيين"².

وعليه فإنه لم يكن بإمكان المنتخبين تمثيل الجزائريين تمثيلاً حقيقياً وإيصال صدى مشاكلهم... هذا ما يفسر محاولة إبعاد العناصر الوطنية من هذه المجالس حتى لا يصير وجودهم خطراً على الأقلية الأوروبية³، هذه الأخيرة هي التي تمارس سلطة الأغلبية في جميع المجالات، هذا الانعدام في التوافق مع النمط الفرنسي لم يمنع من تأكيد القول المسلم به "إن الجزائر هي فرنسا"⁴. ضف إلى ذلك أن التزوير كثيراً ما كان سيد الموقف وبذلك وبذلك كان الجزائريون غائبين عن الحكم والإدارة وعن المجالس يهانون ويحتقرون⁵. مما يدل على تعسف الإدارة ومراقبتها لأبسط التحركات التي من شأنها أن تشكل خطراً عليها وعلى أمن السكان الأوروبيين داخل البلدية المختلطة وحتى خارجها. ضمان وتوفير حالة الهدوء والسكون كانت تقتضي بكل سهولة عدم مضايقة السكان الفرنسيين⁶.

لذلك فإن مطالبة الوطنيين بتطبيق القوانين السارية في فرنسا بالجزائر والتي تعتبرها فرنسا مقاطعة فرنسية، كثيراً ما أزعجت هذه المطالبات المعمرين والمتعصبين الذين عارضوها بقوة⁷. وعليه فإن النظام الفرنسي اعتمد على تقاسم السلطة والأدوار بين السكان الأوروبيين وبشكل حصري، ما جعل حوالي 10% من السكان تسيطر على السلطة وبالتالي عدم قدرتها على المشاركة في البحث عن إيجاد حل للنزاع القائم، يذكر

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء العاشر، مرجع سابق، ص: 16.

2 - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مصدر سابق، ص: 90.

3 - ولد النبيرة كريم، مرجع سابق، ص: 179.

4 - غي برفيلي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880-1962، ترجمة حاج مسعود، بكلي، بلعربي، دار القصة، الجزائر، 2007، ص: 496.

5 - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مصدر سابق، ص: 93.

6 - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 324.

7 - زدرافويكار، مصدر سابق، ص: 197.

"جون بول كاهن وكلاوس يرغن مولر": " أن هذه النسبة من الأوروبيين كانت في معظمها تحتقر الحركات السياسية المحلية في المستعمرات، الأمر الذي جعلها تحرص على إقرار قوانين وإجراءات إدارية تخدم مصالحها وتعترض طريق كل من يدعو للاستقلال"¹، لأنهم تفننوا في وضع قوانين منافية للإنسانية لإنزال البطش والتكيل بالمسلمين مغتربين أول فرصة للقيام بأعمال الزجر أحداث 8 ماي 1945 يضيف أحمد توفيق المدني: " عنصر أناني إلى درجة أنه لا يفكر في فرنسا إلا متى استطاع الاستفادة منها، وفرنسا تعرف أن بقاءها فقط بهذا العنصر إذا نفذت له رغباته ² بذلك استطاعوا تجنيد نوابهم بالجمعية الوطنية الفرنسية لمقاطعة الجلسات التي تنطرق لموضوع الإصلاحات السياسية بالجزائر، يقول عمار بوحوش: " تجسد حضور في إحدى الجلسات سبع نواب من أصل 587، وبهذا أثبت قادة الجالية الأوروبية بالجزائر أنهم في مأمن من إمكانية حصول أي مساومة بين الجزائريين وفرنسا ما دامت أصواتهم في البرلمان الفرنسي ضرورية لكل حكومة وأجهزة إعلامهم نشطة بمقدورها حجب الحقيقة على الرأي الفرنسي³. كما وظفوا من الطبقة المتوسطة منهم المعلم والطبيب والمحاسب ووكيل ووكيل العقارات والعامل بالسكك الحديدية والمستخدم بمصلحة البريد وصياد السمك، الذين يعيلون عائلاتهم من عملهم المباشر المقيمين بالأحياء الشعبية (بلكور، حسين داي، باب الوادي....) والذين كانت حياتهم تختلف عن أقطاب الصناعة والاقتصاد، الذين كانوا يتجاهلونهم، استمالوهم واستخدموهم أوقات الانتخابات ككتلة طيعة تعمل على تخليدهم في امتيازاتهم⁴.

كلهم وظفتهم الحكومة الفرنسية من أجل الحفاظ على مصالحها وامتيازاتها، وهو ما وصل إليه المؤرخ "جيلبير مينيي Gilbert Meyniers" قوله: " إن العناصر البشرية

¹ - جون بول كاهن، كلاوس يورغن مولر، جمهورية ألمانيا الفدرالية والثورة الجزائرية 1954-1962، ترجمة، عبد القادر ليفا، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص: 51.

² - أحمد توفيق المدني، هذه الجزائر، مصدر سابق، ص: 46.

³ - عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا، مرجع سابق، ص: 98.

⁴ - أحمد يوسف، الجزائر في ظل....، مصدر سابق، ص: 76-77.

الأوروبية شكلت حصان طروادة للإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، وأصبحوا أداة لمشاريع سطرت خارج إرادتهم¹. وفي هذا الصدد يحلل مصطفى الأشرف هذا الواقع قولة: " لقد ضللتهم ودفعت بهم إلى نوع من الانتحار الجماعي، تبادت في اتخاذهم كحصان طروادة قصد المراوغة والاحتيال "². هذا كله نتيجة تمكنهم كما يقول رابح تركي: " سيطروا على أهم النشاطات الاقتصادية في البلاد وبالتالي أصبحوا يحتلون مركزاً اجتماعياً ممتازاً نظراً لثرائهم وحماية دولة الاحتلال لهم، أصبحت كلمتهم نافذة لدى حكومة فرنسا في كل ما يتعلق بحاضر الجزائر ومستقبلها"³.

1-2-الأقلية الأوروبية وموقفها من القانون الأساسي 20-09-1947:

إن التصويت من طرف المجلس العام لقسنطينة الذي اتبعته بعض البلديات في مدينة الجزائر وهران وعنابة وسطيف على لائحة ترفض الإدماج وتطلب بوضع قانوني تقديمي فإن أوساط المعمرين رجعوا إلى معارضتهم الأبدية للإصلاحات لصالح الجزائريين وألحوا على ديمومة السيادة الفرنسية في الجزائر⁴. كما أنهم بعثوا ببرقية إلى مختلف السلطات الفرنسية وإلى البرلمانين الجزائريين يتحدون فيها بمناورة عباس القائمة على رفض سياسة الإدماج والمطالبة بقانون تقديمي كما ذكرت بالمطالب الضرورية التي تتمثل في عدم وضع العناصر الفرنسية تحت السيطرة العدنية للوطنية المسلمة"⁵.

إلا أنه وفي ظل الوضعية التي آلت إليها فرنسا الاستعمارية تقدمت بإصلاحات سياسية سرعان ما عبر عنها المستوطن "آبو" لمراسل جريدة "باري بريس" 7 ماي 1947 مهددا بما يلي: " يظهر لي أنكم لا تخافون الأمن، بإمكانية ثورة جزائرية، فلتعلموا أنه بوجود خطر آخر يهدد فرنسيي فرنسا الذين لا يفهمون، وهو ثورة المعمرين

¹ - Gilbert Meyniers, Histoire du F.L.N. 1954- 1962, édition Casbah, Alger, 2003, p : 22.

² - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، مصدر سابق ، ص: 370.

³ - رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية...، مرجع سابق ، ص: 90.

⁴ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص: 362.

⁵ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939- 1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1091.

المسلحة... لقد حاربت سنة 1939 برنامج "بلوم فيوليت" وخضعت الحكومة أمامي، لماذا يتدخل الجنرال ديغول مرة أخرى... إننا كلما أعطينا شيئاً للجزائريين كلما قالوا هل من مزيد، أرجو أن تصدقوني، إنني أعرف كيف أحطمهم"¹. وهو ما جعلهم يحيطون بكل محاولة سياسية وبطرق فيها كل المكر، إذ عبر مصطفى الأشرف في كتابه الجزائر الأمة والمجتمع، قوله: "إن فريقاً منهم تظاهروا على أنهم يكرهون سوى المناضلين القوميين في حين أن فريقاً آخر يحقد على الشعب كله دون تمييز بدليل أن كبار المعمرين والموظفين، لم يميزوا بين أفراد الشعب وقادته، حيث أدانوا الكل وهذه نتيجة قصورهم في النظرة السياسية وتهافتهم لقضاء مصالحهم الخاصة"².

وأكثر من هذا فإن أي إجراء من قبل الحكومة والإدارة الفرنسية لا يتوافق مع أهدافهم يقول فرحات عباس: "تعبه حملة شرسة من غلاة المستوطنين في شكل توبيخات واتهامات بالضعف والتواطؤ مع الوطنيين الجزائريين"³.

وللضغط على الحكومة الفرنسية اجتمع رؤساء بلديات الجهة الغربية وفي جمعية عامة بتاريخ 4 أكتوبر 1946 طالبوا فيها رفع الوصاية الإدارية عنهم والدفع بالرجوع لتطبيق قانون 1884 الذي يخول صلاحيات واسعة لهم..."⁴، فالسخط والرفض كان مبكراً وذلك من خلال ما كتبه "فيليكس إيبوب" الحاكم العام على إفريقيا الاستوائية الفرنسية والذي التحق بصفوف الجنرال ديغول سنة 1941 قوله: "إن للأهالي عاداتهم وتقاليدهم وقوانينهم وأوطانهم الخاصة، التي لا تشبه عاداتنا، ولا قوانيننا ولا أوطاننا، إننا لن نتسبب في إسعادهم لا بتطبيق مبادئ الثورة الفرنسية عليهم، فهي ثورتنا نحن ولا بتعميم مدونة القوانين النابليونية في ربوعهم، لأنها صيغت من أجلنا لا لغيرنا"⁵.

¹ - عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا، مرجع سابق، ص: 109.

² - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، مصدر سابق، ص: 144.

³ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 226.

⁴ - L'écho d'Oran, vendredi 04-10-1946.

⁵ - أوليفي لوكور غرانميزون، مرجع سابق، ص.ص: 154-155.

ورغم ذلك فإن الحكومة الفرنسية لجأت إلى ما كانت تحتفظ به من مشروع قانون أعده النائب في الجزائر والتابع لحركة التجمع الشعبي "فيار Viard" أستاذ الحقوق بجامعة الجزائر، مدير جريدة الجزائر، في ظل حكومة "بيدو" الأولى سبتمبر 1946 المتضمن النقاط التالية:

- وزير للجزائر مقيم يكون مسئولاً أمام البرلمان.
 - جمعية جزائرية تتألف من 90 عضو بالتساوي بين كل المواطنين من جزائريين وفرنسيين.
 - جمعية بلا سلطات سياسية لها سلطة مالية واسعة وتطبيق قانون التشريع الفرنسي في الجزائر مع التحفظ بخصوص الترتيبات الضرائبية.
- ورغم ذلك فالمشروع لقي معارضة من الأحزاب المشاركة في هذه الحكومة بمن فيهم الاشتراكيين¹. إلا أنه أدخلت عليه تعديلات وأقرته الجمعية الوطنية الفرنسية يوم 27 أوت 1947، أكد انتهاج الإدماج كذريعة لضمان سيطرة الأقلية الأوروبية على كافة الشعب الجزائري إذ جاء شكله ومضمونه تعبير عن احتقار الطموحات الوطنية للشعب الجزائري²، وبالمقابل يقترب من أطروحات أحزاب اليمين وأوساط المعمرين³.
- محتواه ليبرالي، أبقى الجزائر الفرنسية، ومنح حق التصويت للنساء المسلمات، ألغى النظام الخاص بمقاطعات الجنوب، ألغى البلديات المزدوجة، منح حرية العبادة وتنظيم التعليم باللغة العربية واعترف بالأعياد الدينية الإسلامية⁴. نصوصه جعلت الإدارة

¹ - شارل روبيير أجبرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الأول، مصدر سابق، ص: 987.

² - أحمد مهساس، مصدر سابق، ص: 314.

³ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939- 1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1085.

⁴ - André Nouschi, L'Algérie amère 1914- 1994, édition de Minuit, paris, 1962, p : 150.

الفرنسية ترفض الاعتراف بها بسبب الضغوط التي مارسها المستوطنون مع رفضهم تطبيقها¹.

وعليه كان يتحتم إبعاد حدود كثيرة التمييز بين المواطنين الفرنسيين، مواطني الهيئة الانتخابية الأولى والمسلمين الذين لا يتمتعون بالمواطنة وهو ناخبو الهيئة الانتخابية الثانية، أقلية أوروبية ممثلة في المجلس الجزائري بعدد ممثلي السكان المسلمين². وهو مشروع قانون لبرلمان مكون من رقم يتساوي فيه الفرنسيون والجزائريون بمحتوى نظام انتخابي مزدوج الانتخاب داخل مكاتب التصويت واحد للفرنسيين وآخر للجزائريين³. وبذلك أصبحت بموجبه الجزائر تتشكل من مجموعة مقاطعات ذات شخصية مدنية وباستقلال مالي وتنظيم خاص⁴، مجلس يعتبر امتداداً للمندوبيات المالية التي تحولت ابتداء من سنة 1945 إلى مجالس مالية وهي وإن منحت صلاحيات أوسع إلا أن مهمتها كانت تنحصر أساساً في الشؤون المالية⁵.

تكتل في إطار نظام تشريعي زائف وتحت ستار الديمقراطية، لكي تواجه به الأغلبية الساحقة من الشعب⁶. فالقانون جرت عليه تعديلات من الوزير "ديبرو" وفي ظل نقاش عاصف صوتت عليه الجمعية الوطنية بتاريخ 20 سبتمبر 1947 بـ 332 صوت مقابل 92 صوت ضد وامتناع 163 نائب شيوعي فرنسي⁷، دون موافقة النواب المسلمين

¹ - Charles Henri Favrod, Le FLN et l'Algérie, Plan, paris, 1962, p : 139.

² - الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المقاومة السياسية، 1900-1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة، عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص: 91.

³ - L'écho d'Oran, vendredi 13-09-1946.

⁴ - Pierre Montagnon, La guerre d'Algérie, génèse et engrenage d'une tragédie, Pygmalion, paris, 1988, p : 102.

⁵ - Charles Robert Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine, collection Que-sais-je, réédition paris, PUF, p : 96.

⁶ - مصطفى الأشرف، مصدر سابق ، ص: 145.

⁷ - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الأول، مصدر سابق ، ص: 987.

الاثني عشر¹، على الرغم من التهديد الذي كان من المستشارين العاميين الأوروبيين لمدينة الجزائر على تقديم الاستقالة إذا ما تم التصويت على القانون².

وأمام الضغط المستمر للمعمرين الأقوياء تم تبني سياسة من شأنها أن تعتبر الجزائري على أنه رجل قاصر وطفل مشوش ومعاق وغير ممثل، حيث تم إثبات ذلك في مضامين القانون بتنازلات محتشمة والتي حاولت فرنسا منحها للجزائريين لكن دون جدوى بسبب المعارضة من الأقلية الدائمة والمستمرة³، إذ اعتقدوا بأنهم انخدعوا وألقي بهم لقمة سائغة للمسلمين، إنهم لا يفرطون في الإبقاء على ما يسمونه بالسيادة الفرنسية على هذه الأرض والتي ما هي في الحقيقة سوى سيطرتهم⁴. وقف عليها عبد الرحمن فارس من خلال خبرته في المجلس العام والجمعية المالية والجمعية التأسيسية أكدت له قوله: " أن الجزائر لا تسير من طرف باريس بل من طرف اللوبي الأوروبي المقيم في الجزائر والذي يتمتع بإمكانية مالية ضخمة... لهم وزن ثقيل في الانتخابات التي تجري في فرنسا نفسها بفضل الأموال التي يدفعونها... تعيين حاكم، موظف سام أو قاضي بالجزائر لا يكون إلا بموافقتهم"⁵. وهو ما خلص له فاروق بن عطية من خلال كتابه الأعمال الإنسانية أثناء حرب التحرير قوله: " كان لا بد من عدد لا يحصى من المظالم والاضطهادات لكي يتمكن الوعي الجماعي من الاكتشاف بأن الحكم في الجزائر لم يكن لفرنسا ولكن للمعمرين الكبار"⁶.

¹ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص: 362.

² - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1092.

³ - بوعلام نجادي، مرجع سابق، ص: 115-116.

⁴ - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة 1919-1939، الجزء الأول، مصدر سابق، ص: 990.

⁵ - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص: 56.

⁶ - فاروق بن عطية، مرجع سابق، ص: 165.

فساواهم وهم أقلية بالجزائريين الذين يكونون الأكثرية المطلقة فأعطاهم ستين نائباً في المجلس الجزائري على قدم المساواة مع الجزائريين بالإضافة إلى أن الوالي العام على الجزائر منهم وهو يجمع بين يديه سلطات واسعة بمقتضى القانون المذكور¹.

رغم أن الحديث عن المساواة والعدالة في الجزائر خلال هذه الفترة كانت ضرباً من الخيال لأن عدد الجزائريين المندمجين لم يكن يوماً يتجاوز فعلياً العشرين ألف نسمة، وعليه فحتى لو تجسد فعلياً فإن الأقلية الأوروبية كانت هي المسيطر على الساحة السياسية في فرنسا وعلى الجهاز التنفيذي في الجزائر².

وهو ما تجسد فعلياً من خلال ما رآه "بول فيريي" قوله: "من باب العدل أن نعطي للمستوطنين كل الضمانات التي تكفل لهم في أسرع وقت ممكن حرية التصرف والأمن والكرامة كمواطنين، والتي لا ينبغي تعميمها على السكان الأصليين، لأن عددهم كبير وخصوصياتهم العرقية وعاداتهم وتقاليدهم تقضي إخضاعهم لتشريعات من نوع خاص³. ذلك ما جعل فرحات عباس يعبر عن هذا الوضع قائلاً: "لقد توصلوا إلى مسحنا من مجال نظرهم، بل ومن البلد وجعلوا منا مجرد لوحة ديكور، أو لوحة إعلانية للسياح، لا حق لنا في مقدرات البلاد"⁴.

وبذلك يمكن القول أنه وضع عدة حواجز نذكر منها، التمييز الدائم بين المواطنين الجزائريين والأقلية الأوروبية التي قبلت بأمرية 7 مارس 1944، حيث تشكلت المجموعتان، مواطني الهيئة الأولى ومن جهة أخرى أغلبية الناخبين المسلمين، مواطني المنطقة الثانية، مشكلين الهيئة الثانية، وهو ما يجعل التفوق واضحاً لممثلي الأقلية الأوروبية وسيطرتها في الجمعية الجديدة⁵.

¹ - رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص: 83.

² - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق، ص: 30.

³ - أوليفي لوكور غرانميزون، مرجع سابق، ص: 156.

⁴ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 288.

⁵ - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص.ص: 1095-1096.

هي سلطة قوانين خاصة، تمت صياغتها بصورة محكمة قصد حماية امتيازات المستوطنين وتدعيم وزنهم وتعزيز تفوقهم في شتى المجالات بل أنه يعد تكريس للهيمنة الاستعمارية وخلق هوة قانونية بين الجاليتين في الجزائر¹. عبر عنه فرحات عباس موضحا: " أن النظام الجديد ليس فيه أي شيء من شأنه أن يثير ثائرتهم حيث بقي القسم الانتخابيان مع المساواة في التمثيل²، تجسيدا لما صرح به "بول دوليفري": "أنه من الخطورة بمكان إقامة أنظمة ديمقراطية في تلك الأصقاع، بل النظام المستبد وحده هو القادر على فرض سلطة الدولة على الدوام... خيار مرتبط ارتباطا وثيقا بمسألة الأمن والاستقرار في أرجاء الإمبراطورية³، أشار إليه فرحات عباس معلقا: " أن الشعب الجزائري لم يناقش هذا القانون الجديد وأخذ برأيه لكنه ناقشه عنه الفرنسيون وحدهم، فهو بذلك وليد اتفاق ثنائي أبرم بين فرنسا والمستوطنين، بين السلطة التشريعية التي ما زالت في يد البرلمان الفرنسي وبين السلطة الحقيقية الواقعية التي يمارسها الغلاة في الجزائر "بورجو، مايير..."⁴.

إلا أن ما أثبتته الأحداث والتطورات، عدم استعداد الأقلية الأوروبية التقريط في مكاسبها المادية والسياسية، مهما أظهرت الأحزاب الوطنية من تنازل، تجلى ذلك في التهديد الذي وجهوه إلى حكومة باريس أثناء مناقشتها للقانون على لسان أحد نوابهم قائلا: " إذا لم تتم المحافظة على امتيازات وحقوق الأقلية الأوروبية فإن هذه الأقلية سوف تدفع نحو لعب الورقة الأنجلوسكسونية، مما سوف يشكل تهديدا خطيرا على الوحدة الفرنسية⁵. الفرنسية⁵.

¹ - أوليفي لوكور غرانميزون، مرجع سابق، ص.ص: 140-141.

² - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 220.

³ - أوليفي لوكور غرانميزون، مرجع سابق، ص: 158.

⁴ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر نفسه، ص: 217.

⁵ - Charles Robert Ageron, L'Algérie dernière chance de la puissance française, étude d'un mythe politique française, 1954- 1962, revue de relations internationales, n°75, édition multiples, paris. 21 ص. ترجمة شابنية سعد، اليوم، الجزائر، 30-11-1990، ص 21.

هو تهديد بنظرة الأقلية الأوروبية والتي تشابهت من حيث علاقاتهم مع السكان الجزائريين مع تلك التي طبعت السكان البيض في شمال القارة الأمريكية في تعاملهم مع السكان الأصليين للمنطقة من الهنود الحمر، يقول ابن العفون أن سياسة القرن السابع عشر ميلادي تختلف جوهريا مع نظم وأفكار سياسة القرن العشرين، بسبب تطور المفاهيم وتغيير النظم، يضيف قائلاً بناء على ما صرح به فرحات عباس لسنا في عصر يمكن أن نقول "آه لو أن الملك يعلم ! إننا نعرف أن الملك يعلم، وإذا كان الأسياد الكبار شرسين فلأن الملك هو الذي سمح لهم أن يكونوا كذلك" ¹. ها هو أحدهم والذي هو على رأس جريدة الإفريقي "أدولف أوميران" يصرح قائلاً: " عندما يتصرف أوروبيو الجزائر بطريقة الأمريكيين الجنوبيين بالولايات المتحدة الأمريكية، فهذا يجب تطبيق قانون الغالب على المغلوب لأننا ذوي الحقوق والملكية في هذا البلد" ².

وبنفس الأسلوب جاء التهديد من قبل رئيس المجلس العام الجزائري قوله: " أنه في حالة ما إذا منحت الجمعية الوطنية قانونا للجزائر يتعارض ومصالح الاستعمار، فإن ممثلي الأقلية الأوروبية سوف لن يترددوا في تغيير وجهتهم عن البلد الأم ³. كما صرح "لويس بوابي بانس" وهو من أكبر الكولون بمنطقة بابا علي ضواحي العاصمة، والذي شغل منصب مدير سابق للفلاحة في الحكومة العامة قوله: " إذا أهملنا فرنسا... فإننا سنطالب بحقنا كشعب مهمل، ومقهور أمام منظمة الأمم المتحدة، ولو تتم المصادقة عليه، فإن الشعب الفرنسي المضغوط عليه بالجزائر سيستعمل كل الوسائل لمجابهة اللامساواة واللاعادلة المفروضة عليه" ⁴.

¹ - بن إبراهيم بن العفون عبد الرحمن، الكفاح القومي والسياسي، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص: 155.

² - Henri Alleg, Jacques De Bnis, Henri Dorgan, Jean Frevre, Pierre Handiquet ; La guerre d'Algérie, tome 1 de l'Algérie des origines à l'insurrection, édition temps actuels, paris, France, 1981, p : 111.

³ - ترجمة شابلية سعد، نفسه، ص 21. Charles Robert Ageron, op.cit.

⁴ - Henri Alleg, op.cit., p : 111.

إنه سلوك المعمر الفرنسي قد جعل كل كلام مستحيلا بحيث عبر عنه بوعلام نجادي: " إن أسياد الكروم وأصحاب المزارع الضخمة وأرباب الصحافة في الجزائر كانوا لا يقبلون أي تطور سياسي، بقيت ذهنيته متحجرة منذ القرن التاسع عشر" ¹. فكانوا وسيلة السلطة الاستعمارية، وجدوا أنفسهم مضطرين لتعزيز السلطة بمعارضتهم لتطلعات الجزائريين، وبالتالي لربط مصيرهم بالنظام الاستعماري القائم ². أبدوا غضبهم أثناء مناقشته حتى إلى حد استقالة المستشارين العامين الأوروبيين لمدينة الجزائر احتجاجا، وصل التنديد أوجه عبر صحفهم بهذه الجمعية والمجلس الكولونيالي الذي طالما نادوا به وأبدوا أسفهم للاحتفاظ بأمرية 7 مارس 1944، أما ما تعلق بانتخاب النساء المسلمات فقد أثر تعليقات جد ساخرة حتى أن البعض منها وصل إلى الموقف الأكثر وقاحة منها جريدة الإفريقي قولها: " في المطلق لا تستحق النساء المسلمات حق الانتخاب ولكن وبعد كل شيء هل الرجال أقل منهم بدائية وأقل سهولة للاندفاع منهم" ³.

كان متوقع منهم أن يعارضوه خوفا على مستقبلهم السياسي من أن يذوبوا، هم أقلية ضئيلة في الأغلبية الجزائرية الكبيرة. وعليه يفقدون سيطرتهم على الجزائر وتضيع منهم أساليب الاستغلال التي يقومون بها في البلاد ⁴. وبهذا المنطق تم نفس المساواة المزعومة بين الأوروبيين والجزائريين المنصوص عليها في المادة الثانية منه ⁵. لقد كانت الحياة المشتركة بالنسبة لهم خارج المفهوم الاستعماري تبدو لهم بمثابة كابوس أو نوع من الانحطاط، كانوا حقا جزائريين على أن يظلوا وحدهم كذلك ⁶. وهو ما ترجمه أحد نوابهم "جاك شوفاليي" الرئيس المستقبلي لبلدية الجزائر، حليف المعمرين الأكثر رجعية، المعارض للتعليم الإجباري للغة العربية، كان انحيازه مفضوح للسياسة الاستعمارية حيث صرح قائلاً: " إن أرض الجزائر هي أرضنا، فنحن في بيوتنا، وهي أرض فرنسا ومهما

¹ - بوعلام نجادي، مرجع سابق، ص: 118.

² - فاروق بن عطية، مرجع سابق، ص: 166.

³ - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة 1919-1939، الجزء الأول، مصدر سابق، ص: 989.

⁴ - تركي رابح، مرجع سابق، ص: 83.

⁵ - عبد الرحمن بن براهيم بن العقون، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص: 43.

⁶ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 289.

قالوا وفعلوا ومهما قرروا فالجزائريون الفرنسيون لن يغادروها أبدا" وهو بذلك تشبث بمبدأين أساسيين هما، استدامة فرنسا في الجزائر مع إلغاء كل بند من شأنه أن يدفع أحد العنصرين الاثنين إلى التأكيد على الآخر أو السيطرة عليه¹.

أكثر منها فإنه أكد وعبر جريدة توحيد التي كان يصدرها الحزب الذي ينتمي إليه ممثلا في الاتحاد الجزائري ارتكز عليه عبد الحميد زوزو من خلال كتابه المرجعيات التاريخية وبتاريخ 14 جوان 1947 قوله: "إن الجزائر هي نحن، أما الأهالي فليس لهم أي حق لأن الجزائر ليست بلدهم... القول بأن الجزائر بلد الإسلام كلام هراء وأكذوبة شنعاء، ذلك أن الجزائر لن تكون أرض إسلام كانت أرضا للمسيحية"²، كما صرح رئيس المجلس الولائي المسمى "بارتو Baretaud" الذي استشهد به عبد الحميد زوزو ضمن نفس الخط محذراً قوله: "إذا أعطى المجلس الفرنسي قانونا أساسيا للجزائر يتعارض مع مصالح الاستيطان فإن ممثلي الأقلية الأوروبية لن يترددوا في توجيه أنظارهم إلى الخارج البلد الأم"³.

وهو ما جعل فرحات عباس يقف رادا على تحليلاتهم الوهمية قوله: "قمت بعودة إلى الوراء متوجها بها لفرنسيي الجزائر وأود كثيراً أن يفهموا هذا ويفهمونا إنهم يتحدثون عن "مقابرهم" وعن أجيالهم الثلاثة في الجزائر ويظهرون نزعة نسيان مؤسفة لأسلافنا ومقابرنا، إن جذور شعبنا تغوص أكثر بكثير في التربة الجزائرية من جذورهم، فالجزائر قبل كل شيء هي أرضنا وهي بلدنا"⁴.

وعلى الرغم من ذلك فإن القانون 1947 كان يشكل في نظر عبد الرحمن مزiane شريف من خلال ما جاء في كتابه حرب الجزائر في فرنسا قوله: "أنه كان يشكل في

¹ - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1093.

² - عبد الحميد زوزو، المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص: 70.

³ - عبد الحميد زوزو، المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص: 70.

⁴ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 287.

الواقع طوق نجاة متأخر لتصورهم لجزائر مهياة لصالحهم"¹. حتى أن البعض الآخر رأى أنه كان بإمكان ما جاء فيه من إجراءات يسمح بتطور سلمي في الجزائر، لو وضع المجلس الجزائري تلك الإجراءات موضع التنفيذ، إلا أن لعبة الأغليات الموصوفة بالمادة 38 التي اشترطت التصويت بأغلبية الثلثين لاتخاذ قرار عندما يطلبه ذلك ربع أعضاء المجلس، كان بالإمكان أن تؤدي إلى تفوق كلي لعنصر الأقلية رغم التساوي بين الهيئتين الانتخابيتين²، لأن نية المشرع عند صياغته للمادة 39 منه كانت تهدف إلى عرقلة المجلس ومنعه من اتخاذ القرارات الضرورية بشأن تطبيق النصوص الواردة في القانون، وهذا ما حصل فعلا بالنسبة لتلك المواد الواردة في القانون والتي لها علاقة مباشرة بمنح بعض الحقوق السياسية والاجتماعية والثقافية للمسلمين الجزائريين، اعترض الأوروبيون على تلك النصوص ورفضوا تطبيقها، حتى أن الإدارة الفرنسية سايرتهم على نفس الاتجاه³.

أكثر من ذلك أن الأقلية الأوروبية أدانت القانون وبالإجماع الذي انشأ الجمعية الجزائرية وهو ما عبر عنه نائب الجزائر "جاك شوفاليي" عبر سلسلة مقالات صحفية "ليكو دالجي" استند عليها محمد حربي في كتابه "جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع": "في اليوم الذي يقوم فيه داخل الجمعية تحالف منبثق من الاقتراع العام بتبني مشروع قرار ذي اتجاه انفصالي، فإن المسألة المستقلة حتما على الصعيد الدولي تتخذ وجها خارق الخطورة... في هذه المرة يصبح المجال مفتوحا أمام المغامرة يجب إذا تحاشي قيام ممثلي الحركة الوطنية الجزائرية بتحويل أنفسهم إلى المؤسسين الدستوريين لجمهورية وهمية، كيف ذلك؟ أولا بالحصول على الأكثرية في الجمعية الجزائرية ثم بتبديل الحاكم العام المعترف ليبراليا للغاية. امضوا في سبيلكم"⁴. لقد تعرض للنقد السلبي

¹ - عبد الرحمن مزيان شريف، مصدر سابق، ص: 47.

² - عبد المجيد بلخروبي، ميلاد الجمهورية الجزائرية والاعتراف بها، ترجمة، العربي بوينون، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ص.ص: 43-44.

³ - André Nouschi, op.cit., p.p : 150- 152.

⁴ - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني, مصدر سابق، ص.ص: 50-51.

من قبل الكولون، بحيث أنهم رفضوا كل توسيع للحقوق السياسية الخاصة بالجزائريين، لأن المساواة بالنسبة لديهم كانت تعني فقدان تفوقهم حيث الملايين من أصوات المسلمين تكون زاحفة على الأغلبية بالضرورة¹. إلا أن النائب "كيليسي" عبر بوجهة نظر أخرى، اعتقد فيها أن على المسلمين أن يكونوا راضين لأن فرنسيي الجزائر والذين يتمتعون بتفوق ملحوظ قد قبلوا بامتياز، معتبرين السياسة والحصول على المواطنة بأمرية 7 مارس 1944 وعليه لا مجال للحديث عن قانون الجزائر².

حتى أن فرحات عباس يبين وبشكل صريح قوله: "فليصادق البرلمان الفرنسي على ما شاء من قوانين فإن المعمرين في الجزائر ينبذونها وراء ظهورهم ولا يطبقونها³. ذلك ما تجسد من خلال تعطيل تطبيقه من طرف الإدارة الاستعمارية والممثلين الأوروبيين⁴. وأمام خطورة التهديدات إلى جانب ما كان يتمتع به المستوطنون من إمكانيات مادية معتبرة أصبح لوبي ضاغط وفاعل في السياسة الفرنسية، بحيث لم تجد الإدارة الاستعمارية سوى الخضوع التام لرغباتهم، بإطلاق يدهم في الجزائر يسومون شعبها بشتى أنواع الظلم والاضطهاد. إذ ها هو الحاكم العام الاشتراكي "تاجيلان" يصرح علانية من باريس: "يجب أن نبقى هناك (الجزائر) باستخدام جميع وسائل القوة"⁵.

فرجعوا لمعارضتهم الأبدية للإصلاحات وألحوا على ديمومة السيادة الفرنسية في الجزائر، وكان نجاحهم لأطروحتهم من خلال الوضع القانوني الجديد الذي اعتبر الجزائر مجموعة من العمالات الفرنسية⁶. إستراتيجيتهم تمثلت في إفساد كل الإصلاحات التي فرضتها فرنسا بإقامة قلاع تتكفل بتعبئة الأوروبيين لخوض المعركة، وبفضل الدعم

1 - سيلفي ثينو، تاريخ، مرجع سابق، ص: 24.

2 - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1094.

3 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 280.

4 - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص: 359.

5 - جريدة اليوم، ص: 21. Charles Robert Ageron, op.cit.

6 - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص: 362.

اللامشروط للغالبية العظمى تمكنوا من إنشاء لوبي جزائري تمكن من أن يشن بفرنسا حملة دعائية واسعة على مستوى الصحافة والأحزاب السياسية والحكومة¹.

فأصبحت لهم من الضمانات والاحتياطات ما يكفل لهم دوام سيطرتهم واستغلالهم للبلاد وسكانها على حد سواء². مما جعله لا يكون سوى جامعا وملخصا لمحتويات المراسيم والقوانين والأوامر الاستعمارية التي عرفت البلاد منذ السنوات الأولى من الغزو³. كل ذلك يندرج ضمن جهود الإدارة الاستعمارية التي سعت لتشتيت قوى الأحزاب الجزائرية، لكن ما حققته هذه الأخيرة من انتصارات واسعة في المدن الكبرى في ما جرى من انتخابات أثارت غضبهم⁴. رغم أنه أبقى لهم على الوضع الراهن وهو ما ما أطلق عليه بالميثاق الموهوب والقانون الهزلي، فواجهوه بازدراء واحتقار وطالبوا بإعادة تكييفه، فتحصلوا بذلك على قرار إنهاء مهام الحاكم العام "إيف شاتينيو" الذي اتهموه بالضعف والميل إلى الأهالي⁵، وقلة صرامته ضد الوطنيين الجزائريين حيث استند استند شارل روبيير أجبيرون على ما كتبه "جاك شوفاليي" في جريدة صدى الجزائر بتاريخ 1947-11-21 عن موقفه منه: "هيا اذهب" كما استند على ما صرح به رئيس بلدية فيليب فيل (سكيدة حاليا) في صحيفة ليبرالية "شاتينيو بن محمد القابر العام للجزائر"⁶.

¹ - أني راي غولد زيغر، جذور حرب الجزائر 1940-1945، مرجع سابق، ص: 455.

² - تركي رابح ، التعليم القومي...، مرجع سابق، ص: 83.

³ - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها....، مرجع سابق، ص: 29.

⁴ - عقيلة ضيف الله، التنظيم السياسي الإداري في الجزائر 1954-1962، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1995، ص: 101.

⁵ - يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من ..، مرجع سابق ، ص: 124.

⁶ - شارل روبيير أجبيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الأول، مصدر سابق ، ص: 991.

وبمجرد أن حاول إدخال القانون حيز التنفيذ¹، عوضوه بمتسلط وعقلية استعمارية "مارسيل إدمون نيجلان" الذي لقي ترحيبا واسعا من طرفهم حتى أن وجودوا فيه الحاكم الروماني الذي أعاد إليهم الثقة المفقودة².

وفعلا استهدف الحركة الوطنية مستعملا كل ما لديه من وسائل قانونية لتحطيمها والقضاء عليها³، لقد اصطف مع الإقطاعيين لتطبيق القانون، أصبح ادعاءه بالمضي في تحسينه ضربا من الوهم إذ عبر فرحات عباس في هذا الشأن قوله: " حينما يكون الدركي نفسه رجلا سيئا يكون من غير الممكن الرجوع إلى الشرعية ناهيك عن الرجوع إلى العدالة"⁴. وهو ما تجسد من خلال الانتخابات التي اتخذ فيها قرار الخيار بين انتخابات حرة وانتخابات ملفقة، انتخابات يلفقها المصاليون أو تلفقها الحكومة العامة فاختار الثانية، لذلك ابتهج الأوروبيون بصنيعه وإلى الثقة التي استعادوها⁵. وبذلك بسط فراعنة الاستعمار سلطتهم على الجزائر في تنصيب الولاة، عزل الموظفين، توزيع الأموال حسب أغراضهم، تعيين موظفين من الجزائريين حسب مشيئتهم، تنظيم الاقتصاد وتوجيهها حسب أهوائهم، استغلوا شعبا خاضعا لقوانين عنصرية وعبثوا بما يتعارض ومصالحهم⁶. وهو ما وصلت إليه سيلفي ثينو قولها: " إن جزائر الأوروبيين قد تكونت كمجتمع استعماري بالمعنى الكلاسيكي للكلمة، أي كأقلية القيادة التي تؤطر المجتمع الأهلي⁷. لكنهم لكنهم اعتقدوا أنهم بإخضاعهم الفرد الأنديجان إلى البؤس والمذلة وهجرة البلد يصلون إلى القضاء على وجوده نهائيا⁸.

1 - محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 14.

2 - عبد الرحمن مزيان شريف، مصدر سابق، ص: 46-47.

3 - محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 14.

4 - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 20.

5 - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الأول، مصدر سابق، ص: 992-994.

6 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 242.

7 - سيلفي ثينو، مرجع سابق، ص: 31.

8 - جمال خرشي، الاستعمار وسياسة الاستيطان في الجزائر 1830-1962، مرجع سابق، ص: 296.

لهذا يرى أغلب الملاحظين والكتاب والمؤرخين أن الجزائر قد سادها خلال الفترة الممتدة من 1948- 1954 صراع كبير فيما يخص تطبيق أو عدم تطبيق القانون أو بالأحرى الاعتراض الشديد عن تطبيقه سواء من طرق المستوطنين الأوروبيين أو من قبل المسلمين الجزائريين، واللجوء في كثير من الأحيان إلى استعمال العنف في عملية الانتخابات¹.

فالحكومة الفرنسية أساءت تقدير غضب الشعب الجزائري وعزيمته، اعتقدت أنه سيهدأ بعدما وعدت بالإصلاحات التي عارضتها وباستمرار الأقلية الأوروبية نحو تطور الوضع السياسي في هذا الشيء الذي كان يريح الجزائريين في موقفهم الراض للاحتلال بفعل التعتت الاستعماري².

وهو الموقف الذي ترجمه "ليون بلوم" أحد زعماء الجبهة الشعبية في تصريحه بخصوص القانون قوله: " إنه يحاول أن يسوي بين وسائل معينة بين شعبين يعيشان في أرض واحدة ضمن إطار الوحدة الفرنسية رغم اختلاف عقائدهما سيفشل في تحقيق ذلك، لأنه يشرع مساواة صورية مبهمة لا يمكن بواسطتها توحيد أهداف الشعبين لذلك سيبقى الخلاف بينهما دائما³. وأكثر من هذا فإن عرقلة القانون والتحاييل عليه وعدم تطبيقه قد خدم أنصار الكفاح المسلح الذي فجروا ثورة الفاتح نوفمبر 1954 أكثر مما خدم الأقلية الأوروبية⁴. لأنه وحسب سيلفي ثينو ومن منطلق قراءة التاريخ للجزائر المستعمرة فإن العرب والقطيعة تقول: " كان من الممكن اجتتابها لو الحكام كانوا قد وجدوا الجرأة لفرض إصلاحاتهم على الأوروبيين المتوقعين على امتيازاتهم... وضمنيا هذا الأمر يقترح أن الجزائر الفرنسية كان من المتوقع أن يدوم لو منحت للجزائريين المساواة، ولما

¹ – André Nouschi, op.cit., p : 153.

² – عبد الرحمن مزيان شريف، مصدر سابق، ص: 44.

³ – Pierre Laffont, Histoire de la France en Algérie, 1^{ère} édition, librairie, Plan, France, sans date, p : 330.

⁴ – Robert Aron, Les origines de la guerre d'Algérie, édition, Fayard, paris, 1962, p : 287.

قام الأوروبيون بالدور سيء الحظ فإنهم سيتحملون مسؤولية احتدام التوترات وانفجارها النهائي¹.

إن ترك المسلم رهن الأمية والاستغلال ليتحول إلى متمرّد رهيب، في جزائر فرنسية غنية وقوية، يصنع قانونها المحتكرون والأقلية من أرباب المال، وكان يكفي أن يضرب بضعة رجال جريئين الضربة الأولى في صرح قلعة عمرها مائة عام ليتولى الشعب تهديمها"². وحقيقة الأمر هو ما وقف عليه شارل روبير أجيرون من خلال الوضع الذي آلت إليه الأقلية الأوروبية استقرار واستعادة الثقة، قوله: "... جعلتهم ينامون في أمن خاطئ، كان الإحساس بالإعجاب بأعمال الفلاحة التونسيين يتأكد لدى الوطنيين وقد دقت ساعة مرورهم إلى مرحلة الثورة³. وبفعل الانتقال والتطور المرحلي في مسيرة القادة السياسيين ومنهم فرحات عباس من الحركة الاندماجية إلى الفيدرالية ثم الاستقلالية، ومعارضة الأوروبيين الدائمة لكل إصلاح وعجز الحكومات عن السعي لذلك. كل هذا تقول سيلفي ثينو: " نتج عنه معاً قصة غائبة تتجه بكاملها نحو القطيعة العنيفة النهائية التي كانت تتمثل في العرب"⁴.

2 -الأقلية الأوروبية ونشاط الحركة الوطنية الجزائرية ومشاركتها في الانتخابات 1946-1954:

2-1 موقف الأقلية الأوروبية من نشاط الحركة الوطنية الجزائرية 1946-1954:

مع نهاية الحرب العالمية الثانية بدأت مخاوف الكولون وأرباب مختلف أشكال الاستغلال تظهر جلياً، انطلاقاً مما ارتكز عليه هنري علاق في كتابه مذكرات جزائرية على أحد المعلمين الذي ومع تقديمه لدرس في التراث القديم، تطرق إلى المصير المأساوي للعبيد ساعته صرخ أحد التلاميذ قائلاً: "مثلنا" وفي منطقة بجاية قدم أحد

¹ - سيلفي ثينو، مرجع سابق، ص: 25.

² - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 104.

³ - شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الأول، مصدر سابق، ص: 984.

⁴ - سيلفي ثينو، مرجع سابق، ص: 24.

المعلمين في المدرسة كنموذج كتابة الجملة التالية: "أنا فرنسي وفرنسا وطني" قام الأطفال بتصويب نفس النص الذي أملاه المعلم من تلقاء أنفسهم: "أنا جزائري والجزائر وطني"¹. وعليه بدا واضحا منذ ماي 1945 أن الإشكال القائم هو ما وصل إليه محمد حربي قوله: "السؤال الذي يجب أن يطرح في الجزائر هو كالتالي: سيطرة المعمرين أم تدمير النظام الاستعماري؟ والذي خلص من ورائه: "بأن طرقا أخرى ممكنة، لكن معارضة المعمرين الشرسة لأي إصلاح وانتهاك نظام الجزائر القانوني أدى إلى بطلان أي أصل في تطوير تدريجي"².

تعمد ورغبة يقول "أوليفي لوكور غرانميزون": "لا من الجمهورية الثالثة بل حتى الرابعة انتهاجا في يوم من الأيام الاستيعاب بل كانت أسطورة سياسية يراد من ورائها إيهام الناس بأن ثمة تلاؤما وتناسقا بين الاستعمار والمبادئ الجمهورية، رغم أن قوانين التطور أثبتت استحالة انصهار جميع ثقافات وحضارات الشعوب الشديدة التباين في بوتقة واحدة، لاسيما حضارات الأجناس الأوروبية والصفراء والسوداء"³.

وهو ما جعل النخبة الواعية تشعر بالمقت أو عقدة الحرمان، ظرفية القمع والنقص التي تحدد طبيعة كيانه في مواجهة ظرفية الامتياز التي تميز الرجل الأوروبي، ميزة هذا الأخير كونه لا يتألم لوجود أي من تلك النقائص، لديه كامل الحقوق ويتمتع بكل المنافع ويستفيد من أحسن سمعة وله مطلق التصرف في الخيرات والسلطة⁴.

لذلك بدأ الجزائريون يظهرون من خلال سلوكياتهم اليومية التغيير الذي طرأ على علاقاتهم بالاستعمار، شعر الأوروبيون أن وضعهم المهين قد أصبح عرضة لتهديد فعلي، لأنهم اعتادوا على معاملة "الأهالي" بدونية، فلم يستطيعوا أن يتقبلوا أنه بإمكان هؤلاء أن يعتبرون أنداد لهم وأن يطالبوا بأن يحترموا بصفتهم بشراً كاملي الإنسانية، وكان الشعور

¹ - هنري علاق، مذكرات جزائرية، مصدر سابق ، ص.ص: 129-130.

² - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع 1954-1962، مصدر سابق ، ص: 108.

³ - أوليفي لوكور غرانميزون، مرجع سابق ، 2009، ص: 148.

⁴ - غي برفي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880-1962، مرجع سابق ، ص: 491.

بالكرامة الذي كان المستعمرون يصرون على فرضه، يعد في نظرهم تحدياً على الرفع التي كانت الغالبية الساحقة منهم تدعيها لنفسها¹.

وهو ما يبين أنه لا وجود لأي علاقة تربط بينهما، بل كانت الجالية الفرنسية تجهل كل شيء عن العرب سواء ما تعلق بدينهم أو لغتهم أو تاريخهم أو مشاعرهم ولا حتى مطالبهم أو طموحاتهم، لم تكن تتوفر بينهما أية مجالات للتداول أو تبادل الأفكار، أما ما يتعلق بالإصلاحات الموعودة فإن السلطات الاستعمارية كانت تراوغ دوماً للتهرب من الوفاء بوعودها².

بل إنها كانت تفتخر بانتهاكها حرمة القانون وبتجاهلها المسلمين الذين ارتكزت ميزانية الجزائر على ضرائبهم، فتجاهلت مطامحهم وما ساعدها في ذلك من أسماهم فرحات عباس "العملاء المارقون كلابها الحارسون، نواب القسم الثاني"³.

وأكثر من هذا هو تأكيد وتجسيد لما صرح به ساستهم ومنهم "موريس دي لافوس" قوله: "إقامة هياكل سياسية في إفريقيا أو في غيرها، إذا ما كانت نسخة كاريكاتورية من نظام الحكم القائم في البلد الأم فإنه سيقود مستعمراتنا وسكانها الأوروبيين إلى الخراب السريع". وبذلك هو يدعو إلى التقيد بمبدأ وحيد لا غير ألا وهو حماية مصالح البلد الأم والمستوطنين⁴. أما الذين أغراهم واستهوهم ما كانوا قد رأوه في فرنسا من المطالبة بالحرية وحتى الاستقلال فإن الحاكم العام قد وجه لهم تحذيراً علنياً⁵. ذلك الذي وقف عليه مصالي الحاج من خلال مذكراته: "هاجمت الصحافة الوطنية بعنف والمعمرون

¹ - أحمد مهساس، مصدر سابق، ص: 214.

² - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، مصدر سابق، ص: 293.

³ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 226.

⁴ - أوليفي لوكور غرانزيمون، مرجع سابق، ص: 166.

⁵ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 70.

الذين هم سادة البلاد، اظهروا عدم رضاهم وطالبوا إيقاف كل من هم مناهضون لفرنسا¹.

حتى أن الرأي العام الفرنسي بالجزائر لم يتقبل الحركة الوطنية الجزائرية، بحيث أن اليمين الاستعماري اعتبر الدفاع عن امتيازاته بمثابة السيادة الفرنسية، تبدي سياسة من غير التي تخدمهم². إذ لم تكن القضية الوطنية مقبولة لديهم، يقول محفوظ قداش: " لاسيما بعد تحرك الأمير خالد وأصدقائه... إذ بقيت الغالبية العظمى من الممثلين الأوروبيين معادية لأي شكل من أشكال الإصلاح حتى التافهة منها"³.

وعليه حذر الأمير خالد الفرنسيين من التماهي في سياستهم الاستعمارية قوله: "أيها الأوروبيون إن كل الإجراءات التي تتخذونها ضد هؤلاء وأولئك لن تجد نفعا، لأن الحوادث المقبلة ستكتسح كل هذا العبث والفساد، ولأن الأجل لذلك قد حل... إن الفرنسيين القاطنين بالجزائر، باتوا وهم ينتظرون بمرارة اليوم الذين سيرغمون فيه على شد أمتعتهم وحقائبهم للعودة إلى الوطن الأم"⁴. أدرك الأمير خالد حقيقة الصراع بعد أن اصطدم بالعراقيل الدائمة التي تقيمها الأقلية الساحقة، الممثلة للأقلية الأوروبية فضلا عن حملاتها الإعلامية الكاذبة الحاقدة⁵.

وبذلك تفتنت النخبة الفرنكفونية وبدأت تتدد بما يقع من تجاوزات، دفع الكولون بالوالي العام مقاومتهم واعتبرهم نخبة مقطوعة عن قاعدتها الشعبية، وهو ما أراده الاستعمار، نخبة تكون دائما خاضعة للأقلية الأوروبية ومسيرة لأهوائها ونظرياتها السياسية، ذلك ما دفعهم إلى التقرب من الشعب خاصة بعدما أن شاهدوا المناكر المرتكبة

¹ - مصالي الحاج، مذكرات 1880-1938، ترجمة، محمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص: 204.

² - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائري، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص.ص: 1087-1088.

³ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائري، الجزء الأول، ص: 70.

⁴ - بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، دار الرائد، الجزائر، 2010، ص: 180.

⁵ - أحمد مهساس، مصدر سابق، ص: 49.

من الكولون ورجال الشرطة¹. زادوا يقينا من خلال نظرة الإدارة الاستعمارية المدعومة بصحافتهم بالجزائر إلى ما حققه الأمير خالد من مكاسب سياسية على أنه الخطر متهمين إياه بالتعصب الديني والانتماء الشيوعي محذرين من حركته مطالبين الحكومة العامة إلى التضييق على نشاطه². حتى الجبهة الشعبية والتي يقول عنها مصالي الحاج: " لم تعد تلك التي كانت في جويلية 1935، إنها بدورها قد لبست قبعة المعمر"³.

وهو ما فضح الإدارة الاستعمارية وسياستها التي لم تكن تعر الأهالي أدنى اهتمام، بل كان همها أن تلبي رغباتهم خوفا منهم وتملقا لهم⁴. يصفهم بن يوسف بن خدة أنهم كانوا في أوج جبروتهم، يشكلون جسماً واحداً... غير مباينين بمظاهر حياة البؤس والامية التي كان الجزائريون يعانونها⁵. بما في ذلك الذين كانوا أقرب إلى الأهالي ومنهم "جان ميليا" ارتكز عليه محفوظ قداش انطلاقاً من جريدة التقدم 18 نوفمبر 1924 قوله أنه: "يقبل مطالب الأهالي إلا بشرط أن لا تكون مناهضة للسيادة الفرنسية"⁶.

حتى سياسة الاستيعاب كانت مرفوضة ومنذ 1900 وعلى لسان أحد نواب مدينة الجزائر قوله: " لا للاستيعاب، يجب تسجيل هذه العبارة في ديباجة القانون الاستعماري وفي المدخل إلى المدنية والإدارية والسياسية والأحكام الخاصة، ذلك هو المبدأ الذي لا محيص عنه في أية دراسة يتم إنجازها في علم الاجتماع الاستعماري"⁷.

ورغم اعتراف الأوروبيين بأنه يوجد في الجزائر شعبان متجاوران لكنهما متميزان كل منهما على الآخر مختلفان بوضوح غير قابلين للاندماج⁸. وعليه فإن سياسة

1 - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، مصدر سابق، ص.ص: 172-173.

2 - جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث...، مرجع سابق، ص: 183.

3 - مصالي الحاج، مصدر سابق، ص: 227.

4 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 359.

5 - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، مصدر سابق، ص: 292.

6 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 72.

7 - أوليفي لوكور غرانميزون، مرجع سابق، ص: 131.

8 - شارل روبيير أجبيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة...، مصدر سابق، 2008، ص: 880.

الاستيعاب لم تطبق في الحقيقة إلا على فئة المستوطنين من ذوي الأصول الأوروبية المختلفة وعلى المؤسسات التي أنشئت خصيصا لتكريس امتيازاتهم الواسعة¹.

والاستيعاب لم يتم الأخذ به إلا لشريحة معينة من الجزائريين باعتباره عامل في عملية تفكيك تراث المجتمع الجزائري، وجانب الترقية المحتمل توفرها عن طريق التدريس إلا أنه عرقل بسبب معارضة المستوطنين² الذين رأوا في: "العربي البربري لن يرتقي طالما بقي مسلما، لأن العقيدة الإسلامية لا تتطابق مع التطور"³.

وهو ما وقف عليه فرحات عباس قوله: "إن التجنيس في الجزائر هو في الواقع في خدمة الجالية الأوروبية قبل كل شيء، فتجنيس رجل "مايوركي" يجعله فرنسيا في حين أن هذه الصفة تكون محل نزاع بالنسبة للأهلي المتجنس"⁴.

ذلك ما جسدتهم أحزابهم ومنها الحزب الشعبي الفرنسي الذي حارب التجنيس حفاظا على نقاء الأمة الفرنسية بعدما جعل من شعاره "إعادة بناء فرنسا" عنوانا لبرنامجها السياسي⁵. وبذلك أصبح جبهة مضادة ضد مشروع فيوليت، منددا بالاندماج جامعا الخصوم لهذا الحل⁶. بحيث أن برنامج المعمرين لم يهتم إلا بالقمع وبالتدابير التي من شأنها ضمان ترجيح مصلحتهم⁷. وهو ما جعل فرحات عباس يحمل المسؤولية الكبرى لفرنسا في تماطلها نحو سياسة الإصلاح قوله: "منذ شارل العاشر إلى الجمهورية

¹ - أوليفي لوكور غرانميزون، مرجع سابق، ص: 141.

² - غي برفيلي، مرجع سابق، ص: 490.

³ - L'écho d'Alger, 31-10-1924.

⁴ - فرحات عباس، الشاب الجزائري، مصدر سابق، ص: 118.

⁵ - L'oranie populaire, 20-04-1938, n°51.

⁶ - علي بن حويذة، الحياة السياسية بمنطقة سيدي بلعباس من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى اندلاع الثورة التحريرية، 1919-1954، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 208-2009، ص: 162.

⁷ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، مرجع سابق، ص: 75.

الرابعة، مروراً بعهد لويس فيليب والجمهورية الثانية والثالثة ودولة فيشي لم تفعل فرنسا شيئاً لإفهامهم أنه إلى جانب حقوقهم هناك حقوق العرب أيضاً¹.

ذلك ما جعل العداء بين معسكر الجزائريين والأوروبيين متواصل، لأن الأوروبيين رفضوا أي اندماج في المجتمع الجزائري، وكانوا على العكس من ذلك يعملون على تدميره وتعويضه بمجتمع تسوده قيم ومصالح أقلية وضعت بالقوة وغصبا على المجتمع الجزائري، حيث يقف أحمد مهساس على حقيقة الخلاف والذي أبعدته عن البرنامج والمواقف السياسية قوله: "خلاف جوهري يخص طبيعة المجتمع الذي كان يفترض أن يتم النضال من أجله"، تنكر لتاريخ وخصوصية وقيم الجماهير الجزائرية². وكأنهم بذلك على عهد وزرائهم للمستعمرات الفرنسية منهم "جيمس كليمنثال" لسنة 1905 وبعنصرية حاكمة قوله: "إنه لخطأ فادح اختيار الاستيعاب الذي أفسد علينا سياستنا الاستعمارية، ذلك أنه من المستحيل أن تتأقلم الذهنية الفرنسية مع ظروف المناخ المداري ويستحيل أن تتأقلم معها الحيوانات والنباتات الفرنسية" ليضيف "جورج ليخ" سنة 1906 قائلاً: "يجب التخلي وإلى الأبد عن سياسة الاستيعاب... لا يجب فرض طرائق تفكيرنا وأذواقنا وعاداتنا وقواتنا على شعوب لا تفقه ما تعنيه كلمات مثل "العائلة والمجتمع والملكية، إنها لا تحمل بالنسبة إليهم نفس الدلالة التي تحملها بالنسبة إلينا"³.

لكن ما جرى من حديث بين شابة مسلمة مثقفة وبين الجنرال "جوهو" Jouhoud سنة 1958 والذي ارتكز عليه غي برفيي في كتابه النخبة الجزائرية بدحض مزاعم هؤلاء، بحيث أخذت هذه الفتاة على فرنسا انتهاج سياسة لا تسمح للشعب الجزائري بالاستفادة من المنجزات التقنية... محدودية الجهود المبذولة في مجالات التربية والتكوين، لم يكن بوسعها أن تقبل منطق التضامن العربي والديني الذي أدى بفرنسا إلى توظيف الإسبان والإيطاليين، ولا نتفهم لماذا عزف الفرنسيون عن سن تقارب مع العرب وكيف

1 - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 118.

2 - أحمد مهساس، مصدر سابق، ص: 216.

3 - أوليفي لوكور غرانزيمون، مرجع سابق، ص: 131.

أنهم يجهلون طبيعة النفس العربية"¹. ولأن كل ما في الأمر هو ما وصل إليه أحمد مهساس قوله: "إنها سيطرة من أقلية أجنبية على أغلبية أهلية تختلف عنها اختلافا جذريا وثقافيا، باسم تفوق عرقي أو إثني وثقافي معلن مذهبيا، وكاحتكاك بين حضارتين غير متجانستين"².

ولأنه رفض صريح يقف عليه "أوليفي لوكور غرانميزون" مرتكزا على ما صرح به الصحفي الشهير "فرانسوا لوشير" قوله: "ربما يكون من الخطر منح صفة المواطنة لشخص يخفق قلبه بحب بلد آخر" هي دعوة للامتناع في كل الظروف عن استيعاب الأهالي من طرف الأوروبيين تكريس للسيطرة الاستعمارية³. وهو ما جعل فرحات عباس ومن خلال خطاب له في ماي 1946 يعلن عن سياسته الجديدة والمتمثلة في الشعارات التالية: "لا للاندماج، لا لأسياد جدد، لا للانفصال، نحن شعب فتي مرتبط مع أمة ليبرالية كبيرة، نعم لديمقراطية جديدة: "إذا طال الأوروبيون التخلي عن مفاهيم القرون الوسطى من أجل بناء جزائر جديدة مرتبطة فداليا مع فرنسا الجديدة"⁴.

تقوم على أساس ازدواجية جنسية فرنسيي الجزائر والجزائريين لكن فرنسيو الجزائر القلقون والمعارضون لمختلف مشاريع القانون حتى ذلك الذي وضعت خطوطه العامة حكومة "بيدو Bidault" في 13 أكتوبر 1946"⁵.

لقي اهتماما لدى الفئات المثقفة بداية من سنة 1946، ناضل على جبهتين، ضد المستعمرين ظهورا بمظهر القوة الفاصلة بين المجموعتين الأوروبية والمسلمة وكعنصر

¹ - غي برفيللي، مرجع سابق، ص: 489.

² - أحمد مهساس، مصدر سابق، ص: 51.

³ - أوليفي لوكور غرانزيمون، مرجع سابق، ص: 139.

⁴ - Robert Aron, op.cit, p.p : 250- 251.

⁵ - شارل روبيير أجبيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، مصدر سابق ، ص: 983.

تعاون محتمل، ارتكز محمد حربي على ما صرح به محافظ شرطة برج بوعريريج "طال الزمن أم قصر يجب أن نشاركهم في إدارة شؤون البلاد".¹

شارك في انتخابات 2 جوان 1946 لتأسيس برلمان فرنسي جديد واستطاع أن يحقق من جملة 13 مقعد، 11 منها، ليقوم في 9 أوت 1946، وباسم حزبه مشروعاً جديداً لإصلاحات سياسية تضمنت ما يلي:

- جمهورية ذات استقلال ذاتي تتمتع بالسيادة الخارجية والدفاع الوطني المشترك مع فرنسا.
- برلمان يتم انتخاب أعضائه في اقتراع سري من طرف جميع الجزائريين.
- حكومة تتكون من رئيس جمهورية يتم اختياره بطريقة مباشرة.
- يمثل في فرنسا الجزائر مندوب عام يكون له صوت استشاري في مجلس الوزراء.

لكن المستوطنين اعتبروا المشروع جريئاً ووقحاً، ولم يأخذ بعين الاعتبار من طرف البرلمان الفرنسي لأنه يمثل ويوحي باستقلال الجزائر.²

وعليه بات من الواضح أن المعارضة أصبحت علنية للجزائريين فكثيراً ما كان المندوبون المعمرون يمنعون المنتخبين الوطنيين من التدخل، حتى أن الانسداد أخذ طوقاً عنيفة من بعض المنتخبين الأوروبيين، تميز حوارهم بحوار الطرشان الجزائريون يهاجمون الاستعمار، والأوروبيون يدافعون عنه.³ ذلك ما عايشه عبد الرحمن فارس من خلال نضاله السياسي الذي دفع به أن يترشح للمجلس العام بالجزائر العاصمة، حيث فاز بالاقتراع، وبذلك أصبح عضواً فيه كرس جهوده من أجل تحسين أوضاع دائرته الانتخابية، لكن سرعان ما أن تلاشت أوهامه حتى انتخابه قوبلت بمعاداته من طرف

¹ - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 10.

² - Robert Aron, op.cit., p : 253.

³ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1196.

بعض زملائه الأوروبيين قوله: " لأنهم يعتبرونني تقدمي وخطير " ¹ ذلك ما وقف عليه "شارل روبيير أجيرون" من خلال ما صرح به الشريف بن حبيلس أمام المجلس الجمهوري في 1953/01/30 قوله: " إن الشر موجود أساسا في المؤسسات نفسها، فكل شيء ينطلق من بعض الأيدي الإدارية ويعود عليها كل شيء يصدر عن بعض ذوي الامتيازات الذين يمسون هناك بكل شيء من مصادر الحياة ومن التفكير الجمعي " ².

ورغم ذلك فإن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بعث بأربعة أعضاء في ديسمبر 1946 لمجلس الجمهورية من أجل إبداء رأيه حول مشروع القانون الأساسي للجزائر الذي سيناقش في المجلس التأسيسي، كما اطلعوا الرأي العام بباريس على المشروع الفيدرالي الذي يتبناه الاتحاد ³. شاركوا حتى في الانتخابات التي جرت لاختيار أعضاء مجلس الاتحاد الفرنسي حيث كان مرشحهم السيد "أحمد بومنجل" الذي انتخب منذ الدور الأول وحصل على ضعف الأصوات التي تحصل عليها المرشحون الرسميون كلهم، يومها أصيب ممثلو الحكومة العامة ومعهم عدد كبير من الأوروبيين بخيبة الظن ووصفوا النتيجة بالكارثة ⁴.

حتى أن أحد كبار الإقطاعيين وجه سهام انتقاده لهذه الأقلية الأوروبية سنة 1950 منبها إياها على الأخطاء التي وقعت فيها قوله: " إذا ما وقع هجوم على الجزائر الفرنسية، فإن الغلطة ستعود على المعمرين أنفسهم، الذين يفرون من البادية في اتجاه المدينة، ويعلمون العرب السياسة هي أم الفساد عوض تعليمهم عملهم " ⁵.

وبالمقابل نجد ممثلي الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري كثيرا ما تظاهروا بالتعقل مخفين من حدة هجومهم على النظام الاستعماري لكن دون جدوى بحيث أن الأقلية

¹ - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق ، ص. ص: 35-40.

² - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الثاني، مصدر سابق ، ص: 1003.

³ - الجيلالي صاري، محفوظ قداش، المقاومة السياسية، ... ، مرجع سابق ، ص: 87.

⁴ - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص: 59.

⁵ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 81.

الأوروبية لم تكن لترضى بذلك¹. إذ وبمجرد أن أطلق سراح فرحات عباس وجه نداء لم يكن شديد اللهجة، إلا أنه أدان فيه أعمال الانتقام في سطيف والتي يذكر أنها كانت محتملة بفعل رؤية الأوروبي الدائمة للعربي أنه شخص انعزالي وكعدو، وأقل منه شأنًا، كما ينتقد الإدارة الاستعمارية في رد فعلها الرجعي هدفه كان يرمي إلى تكوين دولة قومية جزائرية علمانية، وينبغي أن يتجاهل المسلمون والمسيحيون واليهود اختلافاتهم قوله: " لا يوجد أمر يرغم مواطني بلد معين أن يكون لهم جميعه نفس الديانة" رغم أنه كان يرى من العراقيين التي تحول دون ذلك فيضيف قائلاً: " لا يمكن أن يوجد مجتمع جزائري ما لم يتخلى الأوروبيون في الجزائر عن عقدهم الاستعمارية كما يجب أن يختفي في الجانب الإسلامي مفهوم دولة القرون الوسطى الدينية، لأن الوطنية الإسلامية مفارقة تاريخية"².

واصل في مسعاه إلى طمأنة الأوروبيين وحتى فرنسا بتصريحاته كقوله: "إن المستعمرين المتأخرين أولئك الذين يحلمون بالسيطرة وبنظام السيف يتعاملون مع مشرونا على أنه انفصالي وليس هذا الضبط، فإذا كانت الجمهورية الجزائرية تقضي على امتيازات الاستعمار المتوحش، فإنها لن تسيء مطلقاً إلى المصالح الشرعية للجماهير الكبيرة من الجزائريين ذوي الأصول الأوروبية، هؤلاء قد اكتسبوا حق المواطنة في البلاد، فهم في منازلهم ولا شك في ذلك في الجزائر، فدستورنا يحتفظ بهم في ظل الأمن ولديهم أفضل الوسائل من أجل الدفاع عن مصالحهم كما يحافظ في النهاية على الوجود الفرنسي ويحترم وضعيتها باعتبارها أمة متوسطة عظمى"³.

مضيفاً ومن خلال خطاب له بتاريخ سبتمبر 1948 بمدينة سطيف قوله: " نحن لم نعد أبداً برحيل الفرنسيين وفرنسا غدا وبعد غد، ولم نضع في الميزان السري مزارع الأوروبيين، ولم نوزع الأراضي على من يدفع أكثر، ونحن لم نعين محافظين ليحلوا في

¹ - محفوظ قداش، الجزء الثاني، مرجع نفسه، ص: 1197.

² - تانيا متيوز، فرحات عباس من خلال كتاب حرب الجزائر، ترجمة، الصالح بكوش، مجلة المصادر، العدد، الرابع، 2001، ص: 143.

³ - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص. ص: 1087-1088.

الوقت المعين محل أولئك الذين مارسوا تلك الوظيفة... ونحن لم نقسم السكان الجزائريين إلى كتلتين دينيتين متعاديتين وإرجاعهم إلى العصور الوسطى إلى عهد الحروب الصليبية¹.

وصلت به جرأته حتى أنه انتقد وبشدة مستهتراً في ما جاء على لسان أحد أعضاء الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية بتلمسان " لقد دخلت فرنسا إلى الجزائر على إثر ضربة مروحة ولسوف ترحل بضربة مكنسة" أضاف لها ساخراً "لقد نسي أن يخبرنا عن المكان الذي يعدون فيه ضربة المكنسة... من الممكن أن تكون القصبنة التي أصبحت مركزاً كبيراً للتصنيع ومخبراً واسعاً للبحث العلمي" ². ورغم نداءاته ونشاطه إزاء الأقلية الأوروبية فقد انضمت هذه الأخيرة إلى صف التطرف فعمقت أكثر الهوة التي كانت تفصلها عن المسلمين³، ومع مناقشة الإصلاحات السياسية وفي إطار قانون 1947 لم يتضمن أية نقطة من البرنامج الذي اقترحه فرحات عباس⁴. ذلك ما يبين أن حكومة باريس التي كان يقودها "موريس شومان" خضعت لضغوطات ورغبة وإرادة الكولون، وذهبت أبعد من ذلك إذ تمكنت من تغيير حتى الحاكم العام "شاتينيو" إلى "إدموند ناجيلان"⁵.

هذا الأخير الذي تقدم بإصلاحات جريئة، والتي مع انعقاد الدورة الأولى للمجلس شهد مشروعه مناقشات ساخنة خلال الجلسات وكان معظم الأوروبيين ساخطين على الخط السياسي للحاكم العام حتى أنهم صاروا يلقبونه "محمد" ومع تجدد أعضاء المجلس هزم من طرف نواب جزائريين معروفين برعاية مصالح الأوروبيين والسير في ركاب الإدارة الاستعمارية⁶.

¹ - 1206. Algeria Republicain 01/10/1948 ، محفوظ قداش، الجزء الثاني، مرجع نفسه، ص: 1206.

² - 1206. Algeria Republicain 15/10/1948 ، محفوظ قداش، الجزء الثاني، مرجع نفسه، ص: 1206.

³ - أحمد مهساس، مصدر سابق، ص: 215.

⁴ - André Nouschi, op.cit, p: 149.

⁵ - Ibid., p : 153.

⁶ - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص.ص: 40-41.

وبذلك لم تصمد فكرة مجتمع متعدد الأطراف أمام التجربة، وقد توسعت الهوية بين الشعب الجزائري والأقلية الأوروبية إلى درجة أنها أصبحت مستحيلة الردم¹. بعدها أجرت انتخابات 10 نوفمبر 1946 تحت تسمية "التجمع الجمهوري من أجل الدفاع عن الجزائر الفرنسية" والذي استجابت له الأقلية الأوروبية بنسبة 61% تلبية لمن كانوا يقولون لهم، "لقد اتخذنا قرارنا بالتضحية القصوى من أجل الاحتفاظ بالجزائر، أيها الجزائريون الفرنسيون لننتد اتحاداً مقدساً من أجل حريتنا ووجودنا"².

غطرتهم تجلت في عدم تسجيل مداخلات المندوبين الجزائريين في المحاضر، بل ذهبت إلى أبعد من ذلك وهو رفضهم للمداخلات باللغة العربية، ذلك ما عبر عنه المندوب "أبو" بخروجه من القاعة مصرحاً: "لا أحب سماع ما أستطيع فهمه" ورغم تدخل المندوب فروخي عن الحركة "سوف يترجم الترجمان لاحقاً كلام زميلنا" إلا أن "أبو" رفض قائلاً: "لا ألتقى الدروس من أحد أنا لا أفهم وعليه فهذا لا يهمني وغادر القاعة"³. كان المستوطنون يصعدون من ضغوطهم، بفعل ما لديهم من وسائل سياسية ومالية ضخمة وكان من الطبيعي أن تؤثر هذه الحملات على فشل أي مشروع⁴. بقي الوضع متأزماً بين فرحات عباس والمستوطنين الأوروبيين حتى أدرك أن المطالبة بالقانون لا تجدي نفعا معهم وأن الثورة والعنف كفيلا بانتزاع الاستقلال⁵.

أما ما تعلق بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي حتى وإن اختلفت مع الأحزاب الأخرى في تعريف الأمة التي أدرجته أحزاب على بعض المبادئ منها الديمقراطية والوحدة في التنوع والتعددية الثقافية ونشر اللغة العربية وتنمية اللغات والثقافات الشعبية، اعتبرته الجمعية ممثل في رابطة الأصول معالمها اللغة العربية

¹ محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع 1954- 1962، مصدر سابق، ص: 38.

² - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص: 985.

³ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939- 1954، الجزء الثاني، ص: 1197.

⁴ - أحمد مهساس، مصدر سابق، ص: 129.

⁵ - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق ، ص: 61.

والدين، لكنها قبلت بالسكان اليهود والأوروبيين أن يصبحوا جزائريين وحصولهم على هذا الحق باعتبار الجزائري بلدهم¹.

إلا أن كتلة الكولون كثيرا ما انزعجت منهم بدعوى أن نشاطهم وحركيتهم موجهة ضد الثقافة والمؤسسات الفرنسية وعليه كانوا يعملون بكل ما في وسعهم لتنشيط عزيمة المنتخبين والمؤيدين لهم من المنتخبين البرجوازيين الصغار². لذلك فالنشاط السياسي الشرعي لم يعطي نتائج ملموسة بالنسبة للجزائريين نظراً لرفض الإدارة والمعارضة العمياء من طرف الفرنسيين ومنتخبينهم، بحيث لم يستطع المنتخبون الوطنيون ترجيح مشاريعهم لأنهم لا يملكون الأغلبية لا في المجالس البلدية ولا في الجمعية الجزائرية، وعلى الرغم من ذلك فإن الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري حافظ على سياسته المعتدلة رغم ما اتسم به المنتخبون الأوروبيون من عدوانية وممارستهم للضغوطات³.

إذ يشهد "عبد الرحمن فارس" على هذا التجاوز والضغط الذي جسده الأقلية الأوروبية بحيث زاره من أقطاب النظام الكولونيالي والذين لهم وزن فيه منهم "مانك Munk" "راوكس Raoux" "زيفاكو Zévaco" بغرض إخباره أنهم في حاجة تدعيم مستعجلة لقطاع الكروم والفلاحة، فأخبرهم أن الإدارة هي التي تحضر الميزانية ووسيلتهم الوحيدة هي طلب التعديل خاصة وأن الحكومة الفرنسية عازمت على تمويل أشغال التنقيب في مجال المحروقات، لكن ومع بداية اللجنة دراسة هذا الباب تدخل المعمر "زيفاكو Zévaco" مندوب مقاطعة الحراش ومن كبار المستثمرين في ميدان زراعة الكروم، طلب إلغاء هذا الفصل وتحويل المبالغ المعتمدة فيه للتنقيب إلى ميزانية الفلاحة، تبريراته أن هذا تبذير للأموال، التنقيب في نظره عن البترول والغاز في الصحراء مزحة كبيرة وهو ما يبين تدخل نوابهم واستغلال نفوذهم حفاظا على مصالح الأوروبيين⁴.

1 - محمد حربي، حياة تحد وصمود مذكرات سياسية 1945-1962، مصدر سابق، ص: 167.

2 - مصطفى الأشرف، مصدر سابق، ص: 245.

3 - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830-1954، مرجع سابق، ص. ص: 370-371.

4 - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص. ص: 60-62.

لكنه يبقى نشاط مناضلي الاتجاه الاستقلالي ممثلا في حزب الشعب الجزائري مثبتا صموده وتحمله بالملصقات على الجدران والمنشورات التي يوزعها جعل الجزائريين أكثر التفافا حوله، وهو ما وقف عليه المسؤولون الإداريون على البلديات المختلطة ومنها ضاحية قالة بالإشارة إلى نوع من الكبرياء لدى الجزائريين مع عودة الاشتباكات الكلامية مع الأوروبيين، إلى جانب اكتشاف منشورات وصفها الجيش على أنها معادية لفرنسا¹.

وهو ما تجسد من خلال نضال هذا الاتجاه بأنصاره يوم 14 جويلية 1937 أمام دار الثقافة بالجزائر العاصمة حضره حوالي عشرون ألف شخص، هتفوا بأعلى أصواتهم "الحرية للجميع، الأراضي للفلاحين، احترام الإسلام، التعليم للعرب" منددين بمرسوم "ريفي" وقانون الأنديجينا ومشروع بلوم فيوليت، مطالبين ببرلمان جزائري، حتى أنهم وضعوا سطوراً أحمرًا تحت شعار الأرض للفلاحين². ومع بروز حركة انتصار الحريات الديمقراطية، جعلت منه الحزب الأول في الجزائر، فزاد عدد منخرطيه والمتعاطفين لتوجهه، ازدادا حدة تقاطب الحياة السياسية الجزائرية وهو ما سماه محمد حربي "النزعة القومية الشعبية من الجانب الجزائري، والتطرف الكولونيالي من الجانب الأوروبي. فظهرت بذلك استحالة إيجاد حل للمشكلة الجزائرية في إطارها القانوني³. ولو أن حركة انتصار الحريات الديمقراطية ركزت في وقت من الأوقات على المطالبة بما يسمى "الشرعية" مبدأ كان معظم المستوطنين لا يقرون به لأنهم يرفضون تطبيقه على الجزائريين⁴.

وبذلك رفضت وقاومت هذه السياسة من خلال نداء رئيس حركة انتصار الحريات الديمقراطية مصالي الحاج للجمعية العامة للأمم المتحدة سبتمبر 1948 واصفا الوضعية

¹ - جون لوي بلانش، سطيف 1945، بواذر المجزرة، ترجمة، عزيزي عبد السلام، الصادق عماري، بشير بولفراق، مراجعة، عزيزي عبد السلام، دار القصة، الجزائر، 2007، ص: 377.

² - A.N.O.M., G.G.A., carton 9H/47.

³ - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مصدر سابق، ص: 48.

⁴ - مصطفى الأشرف، مصدر سابق، ص: 257.

العامّة للجزائر مضمونه: "قرنا من الهيمنة لم يتمثل إلا في الاستيلاء على ثورات البلاد واستغلالها من طرف أقلية من الأجانب تحت حماية الجيش، الشعب الجزائري نزعت منه أملاكه وأبعد عن إدارة شؤونه العامّة الاقتصادية والإدارية والاجتماعية والثقافية وأخضع لنظام هيمنة سياسية واقتصادية وعسكرية على الجزائر¹. وبذلك أصبح تنديدهم علنا للاحتلال الفرنسي والذي أصبح يمثل بالنسبة إليهم "الفساد الشامل" إنه الإثم الأكبر والجريمة الأساسية باستحواذ الإنسان على إنسانية الآخر، إنه أبشع أنواع الجبروت الإنساني ومنه وبعلاقة تعديّة يقول غي برفيلي: "التنديد بالاستعمار معناه التنديد بالمستعمر أي الفرنسي وقبل كل شيء بفرنسيي الجزائر الذين يشكلون في نظرهم بفعل الاتصال المباشر السبب الرئيسي في الحرمان الذين يشعرون بأن استمراره الآن مظلمة لا تطاق"².

ذلك ما ترك مناظلي الحركة يبدون امتعاضهم كلما سمحت الفرصة، بحيث أنه كثيراً ما توقفت عروض السينما في القاعات بسبب التصفقات المنبعثة من الحضور حاملة معاني ودلالات سياسية واضحة"³. لكن ممثليهم عجزوا عن القيام بعمل بناء نتيجة المعارضة الآلية للأقلية الأوروبية داخل المجالس، لكنها وجدت لها منابر للتنديد وبشدة. إذ كثيراً ما اعتبرت تدخلاتهم استفزازية وغير مقبولة من قبل المنتخبين الأوروبيين⁴. وبذلك اقتنعوا أن فرنسا لم تكن تستهدف سوى تنفيذ سياسة استعمارية بمعنى السيطرة والاستغلال المفروضين من طرف شعب على آخر⁵.

احتجاجاتهم تواصلت، فها هو أحد ممثلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية "دماغ العتروس" والذي احتج على المخطط المصادق عليه من نواب المجلس المتضمن قبولهم أن يكون "طبيب واحد على كل بلدية من ثمانون ألف حتى مائة ألف ساكن" وهو

¹ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص: 373.

² - غي برفيلي، النخبة...، مرجع سابق، ص: 493.

³ - جون لوي بلانش، مرجع سابق، ص: 377.

⁴ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1199.

⁵ - غي برفيلي، النخبة مرجع سابق، ص: 490.

ما رآه أنه إعداد لأفراد من كائنات حية، مخطط إبادة"¹. ذلك ما تجلى حتى في نظرة اليسار الغير شيوعي الذي كان منقسما في مواقفه السياسية اتجاه المسلمين بحكم بعده عن الواقع الجزائري، هذه الشريحة من المجتمع احتقرت الشعب ووضعت في آخر درجات المجتمع فصنفت فرنسيي فرنسا في أعلى الهرم، ثم يليه الجنس المختلط من إسبان ومالطيون ثم اليهود وأخيرا العرب في ذيل الترتيب².

حتى الحزب الشيوعي الجزائري وبالرغم من تراجع منخرطيه من الأوروبيين خصوصا في سنوات 1952-1954 يتجاوز المسلمين عن الأوروبيين ما عدا مدينة وهران التي بقيت 1700 مسلم مقابل 2200 أوروبي إلى جانب تسجيل تراجع في عدد أعضائه ضمن لجنته المركزية ما بعد المؤتمر الرابع المنعقد في فبراير 1952 شكلوا 17 عضوا بينما عدد المسلمين 30 عضوا³. سعيه للمطالبة بمساواة المسلمين مع الأوروبيين في علاقاتهم وأمام القانون وهو ما تجلى في تأسيس جمعية الشبيبة الجزائرية من أجل العمل الاجتماعي بمبادرة الشباب المسيحي والمسلم سنة 1952 بالجزائر لتحسين الأوضاع المعيشية لسكان البيوت القصديرية دون الاهتمام والتطرق لقضايا الهامة التي يعانيها الجزائريون⁴.

راودته الرغبة في تبني موقف مقاطعة الانتخابات شهر أكتوبر 1951، لكن إتباعه نصائح الحزب الشيوعي الفرنسي أعلن عن مشاركته بحيث لم يكن بوسع أن يفقد أنصاره من الأوروبيين⁵. هزائمه الانتخابية جعلته يخاطب منخرطيه بلغتين تتماشى كل منهما مع تطلعات كل مجموعة، إلا أنه لم يستطع مقاومة امتحان الحقيقة الذي أتت به حرب التحرير⁶، التي فاجأت الأقلية الأوروبية بشدتها وقوتها نتيجة تجاهلها غبن

¹ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1200.

² - باتريك إفينو، جون بلانشياس، حرب الجزائر، ملف وشهادات، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 98.

³ - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الأول، مصدر سابق، ص: 972.

⁴ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 77.

⁵ - La dépêche quotidienne, 07-08-1951.

⁶ - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الأول، مصدر سابق، ص: 972.

الجزائريين¹، والذين اعتبروا موقفه غير عادلة وطائفية ضد السكان المحليين، أعضاؤه دائما مقسمين إلى أوروبيين وجزائريين سواء في منظمات الحزب أو اجتماعاته بما في ذلك المناصب القيادية فيه، هي دائما من نصيب الأوروبيين، لم يفتك حتى أبسط مطلب اجتماعي التساوي في الأجور والتي كانت دائما لصالح المعمرين².

تباين كبير على وجه الخصوص بالمدن إذ نجد لكل طائفة حيها الخاص، حتى مكان استراحتها وتجوّلها بما في ذلك المقاهي التي كانوا يجلسون فيها اختلفت عن بعضها البعض، العمل المربح من نصيبهم، الترقية في الوظائف اعتمدت على الجانب العرقي... البعض منهم لم يتوقف عن المطالبة بالعدل والمساواة بين المجموعتين³.

ذلك ما تركهم يغادرون الفرقة الفرنسية للمنظمة الدولية للعمل، بانخراطهم في أطروحات لينين، غير مدركين أن هذه الاعتقادات والاختيارات لا تتلاءم مع وضعهم كمستعمرين، لأن نضالهم هو من أجل إقامة مجتمع اشتراكي في الوقت نفسه هم بعيدين عن الانشغالات المصيرية للعرب وأوضاعهم السيئة جداً، وهم بذلك في نفس درجة المعمرين والإقطاعيين الكبار⁴. لهذا فإن كثيرا من المسلمين الذين اعتبروه حزبا أجنبيا مرتبطا بالمادية الغربية، يتحفظ كثيرا على الطابع العربي الإسلامي لمستقبل الجزائر، وهو ما اعتبره شارل روبير أجيرون: " كانت تجرح حب الوطن" بما في ذلك تحليلاته التي أبرزت وأكدت مصالح كتلة العمال الأوروبيين والبروليتاريا الجزائرية المرفوضة لدى قسم كبير من الجزائريين المسلمين⁵.

زاد موقفهم وضوحا، انتشار إشاعة في الحروش بعد اعتقال مصالي الحاج أن الإخوة "فونديكاف" والإخوة "كانابا وبيرشليف" من الجالية الأوروبية تنظم ميليشيا لقمع

¹ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 77.

² - زدرا فوبيكار، مصدر سابق، ص: 278.

³ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 76.

⁴ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 85.

⁵ - شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، مصدر سابق، ص: 975.

الوطنيين، مثل هذه الإشاعات كانت تتكرر عند حدوث أي اضطرابات¹. وما زادهم قوة هو بقاء واستمرار الأحزاب الوطنية في نضالها بصفوف متفرقة منحهم وزنا ثقيلًا جعلهم يؤثرون وبقوة على تحديد مصير البلد، يقول بن يوسف بن خدة: "استلزم الأمر إيلاء هذه الحقيقة المبررة اهتماما خاصا² وهو ما جعل الإدارة الاستعمارية إلا أن تنضم إلى تفكير كبار الإقطاعيين الذين كانوا يمثلون القلة الراغبة في اعتلاء أصحابها سدة الحكم من أجل الدفاع عن مصالحها الخاصة³.

وعند طرح قضايا من قبل مناضلين جزائريين يتلقون ردا متطرفا "العرب يتمردون من جديد" لذلك انسحب الكثير منهم بفعل أنهم لا يتمتعون بحقوقهم في خلايا الحزب معنى: "أنا لسنا جزائريين ولكننا عرب سوء أنزال"⁴. وبقدر ما كانت النضالات السياسية والنقابية تتوسع، بغدر ما كنا نشاهد استقطابا داخل الجماعتين والتي زادت تباينا في ماي 1953، حين رفض الموظفون وعمال السكك الحديدية من الأوروبيين المشاركة في الإضراب الاحتجاجي ضد نفي مصالي الحاج، وهو ما يفسر عدم قبول الأوروبيين التفكير والعمل بمعزل عن الوضع الكولونيالي للجزائر والسيادة الفرنسية⁵. ذلك ما تركهم يفقدون في انتخابات جانفي 1954 أصواتا كثيرة في كل الأحياء الشعبية الأوروبية وضمن أهم مدينتين لهما الجزائر ووهران⁶. بالرغم من وجود بعض الفرنسيين والذين رغبوا في التخلي عن المدروس، منهم "جاك شوفاليي" رئيس بلدية الجزائر قوله؟: "حين يتعلق الأمر باختيار الرجال السياسيين الجزائريين، من الأفضل أن يكون إلى جانبك اليوم أشباه

1 - محمد حربي، حياة تحد وصمود، مصدر سابق، ص: 97.

2 - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، مصدر سابق، ص: 309.

3 - باتريك إفينو، جون بلانشياس، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 98.

4 - زدرافويكار، مصدر سابق، ص: 279.

5 - محمد حربي، حياة تحد وصمود، مصدر سابق، ص: 88.

6 - شارل روبيير أجبيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الأول، مصدر سابق، ص: 976.

متمردين وليس خدما" وهو بذلك يقول محمد حربي بتبني مقولة "أوغستين بيرك" مدير شؤون الأهالي سابقا "فن الهيمنة هو أن ندمج الذين يمكن أن يكونوا مناوئين لنا".¹

ذلك ما جعل قياديي الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري يشكون في هذه الشخصية باعتبار أنه كان وراء "جورج بلاشات" مالك جريدة الجزائر وهو أحد أقطاب الاقتصاد الكولونيالي من محتكري تصدير الحلفاء على أن يدخل إصلاحات على النظام الكولونيالي بل أنه حتى غير قادر على معارضة الاتجاه المتصلب لحزب الاستعمار والذي كان من بين قاداته السيناتور "هنري بورجو" والذي حقق نجاحاً وأذنا به في البرلمان الفرنسي، تمكنوا من التصدي لأي محاولة إصلاح حتى ولو كانت بسيطة.² إصلاح على قاعدة أن الجزائر هي فرنسا، وهو ما عبر عنه البرلماني عن الجزائر "رونكورال Rencural" قابله بقية البرلمانيين بالتصفيق الحار، خاتما كلمته: "أن الجزائر هي فرنسا"³، لم يكونوا مستعدين لتبني أي طريق آخر خاصة بعد تأسيس الجبهة الجزائرية من أجل الدفاع عن الحرية، منسقة أعمالها ومركزة نشاطها على مطالب أساسها إلغاء الانتخابات البرلمانية التي أجريت في نوفمبر 1951⁴، والتي أثارت استنكارهم معبرين أن اتحاد الأحزاب الإسلامية ذات النزعة الوطنية الشرسة مع الشيوعية ذات النزعة العالمية غير معقول.⁵ جن جنون جرائدهم مثل لاديباش كوتيديان للكولون بورجو، وليكو دالجي لدوسيزني⁶، لاديباش كوتيديان أثارت الحديث عن هذا التحالف بين المصاليين والشيوعيين لإغاية الأوروبيين وبعنوان استفزازي "جبهة الفوضى ومعاداة فرنسا"⁷ حتى أن اللوبي الكولونيالي استأجر من الصحفيين الباريسيين الذين أصبحوا من دعاة الجزائر الفرنسية باعتبار أن لها تأثير كبير وصدى واسع داخل فرنسا، تقول "آني راي غولد زيغر":

1 - محمد حربي، حياة تحد وصمود، مصدر سابق، ص: 98.

2 - نفسه، ص: 99.

3 - l'écho d'Oran, dimanche et lundi 8-9/09/1946.

4 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 280.

5 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، مرجع سابق، ص: 1241.

6 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 280.

7 - la dépêche quotidienne, 7-8-1951.

"استعملت بنفس إستراتيجية الذكرى المؤوية، تسلم رحلات وحفلات، إغراء الوفود بالمناصب، إرسال التمور والهدايا، كل أنواع الرشاوى المقنعة¹ ورغم ذلك جاء التنبيه الوجيه من المناضل العربي بوهالي لهذه الشريحة من المجتمع ليقول لهم أنه عليهم ألا يرتبطوا بمركبة نظام الاحتلال التي تجري نحو نهايتها التي لا يمكن تلافيها بينما ستمتعون في جزائر المستقبل بالحقوق التي سيتمتع بها كل الجزائريين الآخرين².

لكن الصحافة اليمينية تركت حتى الفئة الدنيا من الأوروبيين تمتاز بمزاج متقلب في مواقفها، فتارة نجدهم يناصرون الماريشال "بيتان" وتارة يتحولون إلى ديغوليين، وفي مواقف أخرى يصوتون لصالح الشيوعيين في معاقلمهم بباب الوادي الجزائر ووهران ليصبحوا من أشد المناوئين للمفاوضات، مناصرين للمنظمة المسلحة السرية، خاصة ما بين 1961-1962³.

2-2- الإدارة الفرنسية والانتخابات ما بين الأقلية الأوروبية والجزائريين

1946-1954:

كانت الديمقراطية حكراً على الأقلية الأوروبية وحدهم، إذ أن الفلسفة السياسية للاستعمار التي استمدها محمد حربي في كتابه الثورة الجزائرية سنوات المخاض، وارتكازا على ما جاء به أستاذ القانون بكلية الجزائر "إميل لرشي" قوله: "وضع الفرنسيين اليوم بالجزائر شبيه بوضع الإفرنج في غالبا القديمة، جنس غالب يفرض هيمنته على جنس مغلوب، هناك إذا أسياد ورعايا، أصحاب امتيازات وأناس لا امتيازات لهم، فلا محل هناك للمساواة"⁴.

حيث أن التمثيل في البرلمان كان للأوروبيين الفرنسيين وحدهم، وكانت لهم الأغلبية في كل المجالس المحلية في الجزائر، الأمر الذي سمح لهم بالتصويت على

¹ - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 456.

² - شارل رويير أجيرون، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، ص: 976.

³ - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، مصدر سابق، ص: 292.

⁴ - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 87.

الإجراءات التي تخدم مصالحهم، أغلبيتهم يعتبرون أنفسهم أعلى درجة من الجزائريين المسلمين¹، لهذا اعترضوا وبقوة على مبدأ الانتخاب العام الذي أدخله الجمهوريون في نظام الانتخابات الجزائرية والذي يتمثل في دمج المسلمين في تركيبة الهيئة الانتخابية المعنية باعتبار ممثلي الأنديجان المسلمين في المجالس².

وبما أن الجزائريين كانوا ينتمون لفئة الأهالي، والتي حرمت من الجزء الأكبر للحقوق المدنية ومن كامل الحقوق والحريات العامة، فكان تمثيل الأهالي، في الهيئات المنتخبة محدوداً بشكل صارم، ويخضع دائماً للهيمنة المزدوجة³، مستهدف بإجراءات استثنائية تعرف باسم "قانون الأهالي" رغم التعديلات العديدة التي أدخلت على المؤسسات إلا أنها بقيت غير عادلة⁴.

إذ كانت الأقلية الأوروبية والسكان الجزائريون يشكلان كل منهما هيئة انتخابية مختلفة، والتي تصوت لصالح تمثيل مختلف المجالس فبفضل هذا النظام استطاعت هذه الفئة الحفاظ على وزنها الغالب⁵. وكعينة على ذلك فالمجلس البلدي كان يضم فئتين هما، المستشارون الفرنسيون والأهالي المستشارون وما كان للجزائر الحق إلا في ستة وثلاثون مستشاراً فرنسياً اثني عشر ممثلاً من الأهالي وهم يمثلون الأقلية ضمن المجلس لا يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها المستشارون الأوروبيون والأهالي المستشارون قبل 1919 لم يكن بإمكانهم انتخاب رئيس البلدية⁶.

حقيقة يقف عليها مصالي الحاج من خلال مذكراته: " إن الأوروبيين الذين ليسوا إلا 660000 كان لهم الحق في ثلاثة أخماس المقاعد في المجالس الجزائرية، بينما العرب

¹ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين، مرجع سابق، ص: 270.

² - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 218.

³ - محمد حربي، حياة تحد وصمود، مصدر سابق، ص: 32.

⁴ - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 88.

⁵ - عبد المجيد بلخروبي، مرجع سابق، ص: 23.

⁶ - Mahfoud Kaddache, La vie politique à Alger de 1919- 1939, SNED, Alger, p.p : 23- 24.

الذين هم ست ملايين لهم الخمسان فقط، إن الشعب الجزائري رغم أنه الأغلبية كان يعامل في المنطق على أنه أقلية"¹.

فبذلك أصبحوا أكثر جرأة في مطالبهم خاصة منه التمثيل في البرلمان الفرنسي، اعتبروه المنبر الأساسي والذي من خلاله يتم طرح انشغالاتهم ومطالبهم أمام الرأي العام الفرنسي بصفة أحسن، لكن خيبة أملهم كانت كبيرة في تلك الإصلاحات المحتشمة التي تم إقرارها في زيادة طفيفة ضمن تعداد الناخبين، وبقيت اللامساواة بين المواطنين الأوروبيين والرعايا الجزائريين مبدأ أساسيا في التشريع الاستعماري². حتى أن برنامج المعمرين حول الأهالي كما قدم لمجلس رؤساء البلديات في فيفري 1920 لم يهتم إلا بالقمع وبالتدابير التي من شأنها ضمان ترجيح مصلحة الأوروبيين³.

وعلى الرغم من أن قانون 4 فيفري 1919 وهو الأكثر أهمية بالنسبة للتشريع الجزائري قبل صدور القانون الأساسي للجزائر لسنة 1947، فإنه منح الأهالي الذين لم يؤديوا الخدمة العسكرية بعض التسهيلات للحصول على المواطنة الفرنسية شرط التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية⁴. وهو ما رفع الهيئة الناخبة الأهلية بـ 5090 إلى 106000 ناخب حسب محمد حربي⁵، و421000 ناخب قبل الحرب عند محفوظ قداش⁶. قداش⁶.

وخول للجزائريين الغير متجنسين الانتخاب مع تعيين ممثلين له بعدما كان يقتصر هذا الحق على المتجنسين فقط بموجب القانون المشيخي⁷. لم يلق تجاوب من طرف الأقلية الأقلية الأوروبية حيث عبرت جريدة صدى الجزائر عن أنه "حادث طارئ وضربة

¹ - مصالي الحاج، مصدر سابق، ص: 288.

² - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 8.

³ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 72.

⁴ - Mahfoud Kaddache, La vie politique à Alger de 1919- 1939, op.cit., p : 41.

⁵ - محمد حربي، حياة تحد وصمود، مرجع سابق، ص: 32.

⁶ - Mahfoud Kaddache, op.cit., p : 41.

⁷ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 770.

غادرة"¹ ومع ذلك استنتج الجزائريون من المشاركة في انتخابات مجلس الشيوخ بالرغم من المساواة في الحقوق والرتب بين المستشارين العامين الفرنسيين والأهالي².

وعلى الرغم من أن الغالية العظمى من المترشحين في الانتخابات كانت تؤكد على ضرورة احترام السيادة الفرنسية من قبل الأهالي حتى البرامج المطروحة سنة 1919 من قبل اتحادية الفلاحين واتحادية مزارعي الكروم³، إلى جانب اتحاد النقابات شركة المزارعين والكتلة الوطنية، كلهم كانوا يلحون على السيادة الفرنسية⁴.

إن الأقلية الأوروبية وقفت ضده باعتبار أنهم كانوا يرون فيه ضعف من الحكومة الفرنسية أمام القومية العربية، وعليه ومن خلال تصريح للصحافة حاول الحاكم العام "جونار" التقليل من شأن هذا الإصلاح⁵، حيث طمأنهم موضحاً أنه لا يكون بوسع الأهالي الأهالي الحصول على التجنيس إلا تحت شروط محددة بوضوح وأكثر صرامة من مرسوم مجلس الشيوخ، مع تأسيس هيئتين متميزتين تفاديا لخطر تفوق المسلمين على النخبين الأوروبيين، مفنداً أن القانون لا يحتوي على أي شيء من شأنه إقلاق الأقلية الأوروبية⁶. لكن مدير جريدة الأخبار "فيكتور بروكون Victor Borucand" التي اعتمد اعتمد عليها محفظ قداش والتي اعتبرها ضارة بمصالح المستعمرة⁷.

تصلب الأقلية الأوروبية وجد دائما الحظوة في البرلمان ومن الأغلبية الساحقة منهم، حتى أن مواقف الاتجاه اليساري من الحزب الشيوعي الجزائري والكونفدرالية العامة للعمال انحازت للأقلية الأوروبية التي اعتبرت كل تنازل مهما كان طفيفا يخل

¹ – l'écho d'Alger, 14-10-1919.

² – Mahfoud Kaddache, op.cit., p: 23.

³ – L'écho d'Alger, 23-10-1919.

⁴ – L'écho d'Alger, 28-10-1919.

⁵ – La dépêche algérienne, 13-04-1919.

⁶ – محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 70.

⁷ – محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 70.

بالنظام الاستعماري¹. رأوا أن القبول بتمثيل سياسي لصالح الأنديجان المسلمين يعني إغراق الأقلية الأوروبية في جموع السكان الأهالي. وهو إجراء يؤدي إلى خطر تكوين على مستوى البرلمان الفرنسي جماعة ضاغطة من النواب الأنديجان². وهم بذلك بقوا سجناء الماضي فاقدى الإحساس، يرفضون كل تغيير وكل تطور، يريدون تزوير الانتخابات بالابتزاز البوليسي وبالاحتقار³. خاصة وأنهم أدركوا أن الحرب قد عملت على ترقية قيمة النخبة المسلمة وتماسكها، لقد تفتحت العيون والعقول على المآسي والحقائق⁴.

فشكلوا لوبي للدفاع عن المصالح الاستعمارية يموله أصحاب الثروات الكبرى بالجزائر، يتحكم أرباب الاستيطان في الصحافة بيد من حديد والتي استعملت حسب أهوائهم، أشركوا جميع الأحزاب السياسية لكن حزبهم المتطرف يريدونه الدائم في الحكومة يزودونه بأموال ضخمة خلال الانتخابات بفرنسا، كما كانوا يلعبون دورا نافذا خلال الانتخابات بالجزائر⁵.

فكانت معارضته لأي تغيير سياسي مما جعل الأمر جد مستحيل، ذلك ما يبينه فرحات عباس من خلال حديثه لشيوخ بلدية "أورليونفيل" سكيكدة حاليا ومندوب في المجلس الجزائري يقول: " ألحيت عليه أن من واجبنا كمنتخبين في إعداد مستقبل سلام وأخوة من أجل أطفالنا، فكان آخر ما عنده من الحجج هو المستقبل لا يهمني، أما في الوقت الحاضر فنحن السادة وبعدها الطوفان"⁶، رؤيته تصب في تحليل ما تبنته جريدة "لافيك لاتين L'Afrique latine" قولها: " لقد اشترى الفرنسيون الجزائر بدم جنودهم وبالموت المسموم لمستلحي الأراضي وبالذكاء والمال المبذول بغير حساب، وجعلوا

1 - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 143.

2 - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 293.

3 - فرحات عباس، الشاب الجزائري، مصدر سابق، ص: 13.

4 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 71.

5 - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص: 43.

6 - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 18.

من وكر القراصنة العقيم المتعفن وغير الأمن من الجزائر الحالية، نحن الملاك الشرعيين لهذه البلاد"¹. وعليه صمم اللوبي الكولونيالي والممول بسخاء من كبار المعمرين والطموح إلى الظفر بمقاعد بمجالس فرنسا الديمقراطية، أن يسمع صوته بفرنسا، وأن يفرض وجهة نظره المحافظة والعنصرية ويدير المستعمرة كمنطقة نفوذ، يحق لهم تقرير مصير المستعمرة وعليهم أن يبعدوا كل الخيارات التقدمية².

وبما أنهم على نفس الخطى، قام رؤساء بلديات الجزائر بتقديم عرض عن الوضع السياسي الأهلي، الاضطراب، القلق، الانزعاج، غياب الأمن. الحذرين الفرنسيين والأهالي، العودة إلى حرب العصابات التي أحيها النشاط الانتخابي ليعزز استيقاظ التعصب والروح الإسلامية³. تم تنظيم حملة عنيفة ضد القانون خاصة من قبل صحف المعمرين وعلى رأسها صدى الجزائر قولها: "إن هذا القانون سلح الأهالي بورقة الانتخاب التي تركت قادتهم من الوطنيين بتغذية التعصب المعادي لفرنسا لأهداف انتخابية⁴.

إلى جانب تسليحهم ببنادق وهي بذلك ترفع كل ضمان امني عن الأقلية الأوروبية بالجزائر⁵، بل إننا نجد حتى من ممثليهم دعا بعدم منح حق المواطنة إلى الأهالي الراقين مصرحا: " أن العربي البربري لن يرتقي طالما بقي مسلما لأن العقيدة الإسلامية لا تتطابق مع التطور"⁶. لقد نقل محفوظ قداش عن احد النواب في المفوضيات المالية من خلال جلسة 20 جوان 1920 موضحا الموقف المتعنت المتناقض المستهتر لهؤلاء الممثلين عن الأقلية الأوروبية قوله: " لسنا خصوم الأهالي، بل بالعكس نريد في هذا البلد إدماجهم التام، لكن مع الحفاظ على الحقوق التي نتمتع بها نحن أنفسنا لصالح أولئك الذين

¹ - L'Afrique latine, 15-05-1922, n°6, p : 336.

² - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 456.

³ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 71.

⁴ - L'écho d'Alger, 28-05-1920.

⁵ - L'écho d'Alger, 01-06-1920.

⁶ - L'écho d'Alger, 31-10-1924.

سيصبحون فرنسيين، ومن أجل مصلحتهم تمنع عنهم باستثناء الاستفادة من صفة الفرنسي، حقوق هم غير ناضجين لتحملها"¹.

وبقي الأمر على هذا النحو إلى عام 1936 حيث نص مشروع بلوم فيوليت على ممارسة الحقوق السياسية للمواطنين الجزائريين بالنسبة للنخب، لكن تم التخلي عنه تحت ضغط الكولون²، والذين كانوا يخشون خاصة رؤية الناضجين المسلمين يجتاحون الهيئة الانتخابية، رؤيتهم أنهم يشكلون أقلية في البداية لكنه بعد خمسة عشر سنة أو عشرين سيكونون ربما الأغلبية وهو ما عبرت عنه جريدة صدى الجزائر عن تخوفهم بتحليلها الآتي: " بداية لن يكون الإدماج، لكن الانفصال وفي النهاية لن يكون الاندماج بل الإغراق"³.

لهذا اعتبر النائب "مورينو" عن مدينة قسنطينة أن المشروع يعتبر جريمة ضد الوطن⁴، حتى أن رؤساء بلديات الجزائر إلى جانب البرلمانيين كلهم ناهضوا المشروع وتنبؤوا بعواقبه الكارثية، بما في ذلك أن البعض منهم رأى المشروع سلاحاً خطيراً في أيدي المشاغبين المتطرفين الذين يكونون مشاعر معلنة مناهضة رافضة للوجود الفرنسي⁵، الفرنسي⁵، كما أنهم هددوا الحكومة بالاستقالة في حالة المصادقة على ذلك الإصلاح⁶.

وبناء على ذلك تصدت الأقلية الأوروبية وممثلتهم وعلى رأسهم "آبو" الذي صرح قائلاً: " إن تدابير قاسية استثنائية سوف تكون ضرورية للتصدي لنشاط المشاغبين من كل الأصناف، إن سياسة الهيئة هذه لم اكف عن المناداة بها وقد تلقيت عليها أسمى عبارات الشكر من كل المتصرفين الإداريين الذين يمثلون فرنسا في المستعمرة، فلا يمكن مناقشة أفعالهم وقد حرصت على التأكيد بأعلى صوتي بأن هذه الأفعال تتطابق مع عمل الحكومة

¹ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919-1939، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 91.

² - محمد حربي، حياة تحد وصمود، مصدر سابق، ص: 32.

³ - L'écho d'Alger, 29-05-1936.

⁴ - L'écho d'Alger, 01-01-1937.

⁵ - L'écho d'Alger, 07-01-1937.

⁶ - La défense, 10-03-1939.

ومن المستعجل القيام بتصحيح، فالمسألة مسألة حزم¹. ليضيف قائلاً وبضغط كبير داخل البرلمان الفرنسي: 'سئمتنا حكايات انتخابات الجزائريين المثيرة للسخرية فإن نحن تمكنا بصعوبة من توجيهها الوجهة التي نريد فهذا لا يعني أننا سننجح في ذلك مستقبلاً، لذا يجب أن نضع لها حداً، فنحن لم نعد نقبل حكومات عاطفية نريد رجالاً أشداء قادرين على الدفاع عن حقوقنا بإظهار القوة واستعمالها إن لزم الأمر'². هذا كله يندرج ضمن مشروع إرضاء الكولون وتشجيع الإدارة الاستعمارية وهو ما ذهب إليه القس "لامبير" الذي حي الحكومة إذ في نظره فهمت صنيع الأقلية الأوروبية الذي أنجزته أجيال منهم تعاقبت في الجزائر³.

لقد دفن مشروع فيوليت سنة 1939 وعطلت معارضة المعمرين وحملاتهم العنيفة واستقالة منتخبهم الجماعية وتهديداتهم في باريس، استند محفوظ قداش على ما عبر عنه أستاذ الحقوق "فيار" متخصص في القضايا الأهلية، بأن التخلي للحقوق السياسية لمسلمي الجزائر قوله: "لقد تهاون كل شيء في هدوء"⁴ وبذلك اتضح أن السلطة قد أفلتت منهم وابتداء من سنة 1943 نتيجة وجود إصلاحات لم يكن بإمكانهم معارضتها فأحسوا بالمرارة وخيبة الأمل، وعليه أبدوا عدم اهتمامهم بالانتخابات البلدية التي جرت شهر جويلية 1945، حيث قاطعها الكثير من منتخبي الهيئة الأولى فاقترب متوسطها ما بين 35% حتى 50%⁵.

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية استعاد الأوروبيون نفوذهم فنجحوا في عرقلة المشروع، بتراجع الجمهورية الرابعة عن البند الرابع من مرسوم الجنرال ديغول القاضي بمنح الجنسية الفرنسية دون تخليهم عن أحوالهم وعقيدتهم الإسلامية، وعلى الرغم من ذلك

¹ - L'Afrique française 1937, p : 228.

² - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 143.

³ - L'écho d'Oran, 10-04-1937.

⁴ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، ص: 761.

⁵ شارل روبيير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص: 978.

بقوا كلهم حقدا عليهم نتيجة منح الجزائريين حق التمثيل السياسي في المجالس المحلية والتشريعية¹.

على الرغم من أن الأقلية الأوروبية اعتقدت أن الحركة الوطنية لا تعبر عن طموحات الشعب الجزائري وأنه يكفي القضاء على حزب الشعب الجزائري (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) والحد من تحركاته والزج بقادته في السجون ليستتب الأمن².

خاصة وأن الأوروبيين عاشوا خوفا مرعبا لثورة جديدة ما بعد أحداث 8 ماي 1945، حيث هرب كثير منهم فابتاعوا أملاكهم أو أجروها، وهاجموا الوطن الأم بسبب لامبالاته بالخطر ونيته الاستمرار في سياسة الديماغوجية اتجاه المسلمين³. بحيث أنه وبتاريخ 7 ماي 1946 فتح قانون "لمين غاي Lamine Guaye" القوائم الانتخابية أمام كل الجزائريين، ابتداء من سن الواحد والعشرين⁴. لهذا اتجه منطق المعمرين الكبار المستمد من الدفاع عن مصالحهم ومكاسبهم هو الذي جعلهم ينظمون أنفسهم كجماعة ضغط⁵. وتحت تسمية "التجمع الجمهوري من أجل الدفاع عن الجزائر الفرنسية" تحصلت تحصلت الأقلية الأوروبية على 216.476 صوت من أصل 352.634 صوت معبر عنه، وبذلك استجابت نسبة 61% من الأوروبيين لنداء من كانوا يقولون لهم: "لقد اتخذنا قرارنا بالتضحية القصوى من أجل الاحتفاظ بالجزائر، أيها الجزائريون الفرنسيون لننتد اتحادا مقدسا من أجل حريتنا ووجودنا" وبذلك استعادت الأقلية الأوروبية كامل حريتها في التعبير⁶. وعليه أصبحت المساواة بين الجزائريين والمستوطنين الأوروبيين لا يمكن تجسيدها في ميدان الواقع وأن المشاركة في الانتخابات ما هي في الحقيقة إلا لعبة في يد

1 - عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا، دراسة، مرجع سابق، ص: 111.

2 - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 143.

3 - شارل روبيير أجبيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص: 977.

4 - محمد حربي، حياة تحد وصمود، مصدر سابق، ص: 32.

5 - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 143.

6 - شارل روبيير أجبيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص: 985.

الأوروبيين كما أن سياسة التزيف والمخادعة والمغالطة سوف تظل قائمة ومعمولا بها في جميع الانتخابات وعلى جميع المستويات¹. قمع انتخابات 1946 زكى الناخبون الفرنسيون حزب التجمع من أجل الدفاع عن الجزائر الفرنسية، حيث أصبح نواب هذا التيار من المعارضين لتلك المشاريع الفدرالية التي أودعها النواب الجزائريون المعتدلون، حتى أنهم عارضوا مشروع قانون الجزائر²، إذ صوتت عليه الجمعية الوطنية الفرنسية ضد رأي النواب المسلمين بالإجماع بجمعية تعادلية التمثيل تتكون من مائة وعشرون عضواً، ستون لكل هيئة (هيئة الكولون كانت تمثل نحو مليون شخص، هيئة المسلمين تسعة ملايين تقريبا) دون أن تدرج المساواة في التمثيل بالمجالس البلدية العامة³.

فأصبح المجلس الجزائري غرفة تسجيل لرغبات المعمرين المدعومين من النواب المسلمين الذين عينتهم الإدارة، فلا الوطنيين المعتدلين ولا المتطرفين استطاعوا إقامة حوار مع الأغلبية الأوروبية والإدارة الجزائرية⁴، على الرغم من اقتناع غالبية الجزائريين بعدم جدوى هذا القانون، جهودهم باءت بالفشل لتجد الأحزاب نفسها مرغمة دخول اللعبة السياسية والمشاركة في الانتخابات المحلية والتي لم تكن تدري الأحزاب ما هي إلا فخ وضع لها من قبل منظري الإدارة الاستعمارية لتشتيت جهودها وتبديد قوتها⁵.

وتعقبا على تطور الأحداث اعتمد الصحفي زدرافوبيكار على ما كتبه بلوم نهاية 1949 قوله: "إن المعمرين الجزائريين وقفوا دائما معارضين كلما توفرت فرصة لحل مسألة العلاقات بين الشعبين الموجودين على أرض واحدة، تحت شعار الشرعية النسبية... اعتبروا كل الإصلاحات التي كان من المفروض أن تطبق بالجزائر، حالات من الخيانة من طرف فرنسي فرنسا لفرنسي الجزائري"⁶. إلا أن انتخابات 19 أكتوبر

1 - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مصدر سابق، ص: 182.

2 - عبد الرحمن مزيان شريف، مصدر سابق، ص: 46.

3 - محمد حربي، حياة تحد وصمود، مصدر سابق، ص: 32.

4 - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1200.

5 - عقيلة ضيف الله، مرجع سابق، ص: 101.

6 - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 211.

1947 والفوز الذي حققته حركة انتصار الحريات الديمقراطية زرع رعبا وهلعا كبيرين في أوساط المستوطنين الأوروبيين، إذ بدؤوا يشعرون أنها تهدد كيانهم ووجودهم في الجزائر، وازدادوا شعورا بأن نفوذهم سيزداد تقلصا إذا ما طبق قانون الجزائر، أصبحوا يعيشون خوفا من أن يتحولوا بفعل تلك النجاحات من أغلبية مفروضة بالقوة إلى أقلية في إطار نظام ديمقراطي الذي رسمه قانون 20-09-1947 وهذا حسب ظنهم¹. على الرغم من أن المشاركة في لعبة الانتخابات والديمقراطية في ظل هذا القانون لا يمكن أن تقود لغير الاستبداد والاستعباد والإهانة والإذلال بواسطة ممارسة سياسة الغش والتزييف².

إذ رأت الحكومة الفرنسية وإدارتها بالجزائر والأقلية الأوروبية من ذوي أصحاب الامتيازات في الجزائر أن الخطر الأكبر الذي يهددهم إذا هم تركوا المسلمين الجزائريين أحرار في انتخابات نوابهم، لأنهم لن يكونوا إلا من رجال حركة انتصار الحريات الديمقراطية أو الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري³. وبذلك عجزت الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية في تمرير سياستها لعداء الإدارة والمنتخبين الأوروبيين⁴، والوسيلة الناجحة لإيقاف المسلمين من تحقيق نجاح مماثل في الانتخابات التشريعية 15 جانفي 1948 هو التزوير والذي يتطلب حاكما عاما مناسبا ومقتنع، لهذا قرر الكولون التعبير عن سخطهم على تصرفات الحاكم العام "شاتينيو" لزعيم ممثليهم في البرلمان الفرنسي "روني مايير René Mayer" الذي أبلغ رئيس الحكومة الفرنسية "روبير شومان Robert Schuman" بالأمر وبناء على ذلك قررت الحكومة الفرنسية استدعاءه لأنه اتهم من طرف الكولون بمهادنة المسلمين الجزائريين وبعدم التدخل لإيقاف زحف

¹ - Charles André Julien, l'Afrique du Nord en marche, nationalisme musulmans et souveraineté française, 3^{ème} édition, Julliard, paris, 1972, p : 279.

² - عقيلة ضيف الله، مرجع سابق، ص: 111.

³ - أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مصدر سابق، ص: 186.

⁴ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1202.

المسلمين للسيطرة على مسار الانتخابات المحلية التي ستجري بتاريخ 11 فبراير 1948 وعينت مكانه الاشتراكي "مارسيل إدموند ناجيلان Marcel Edmond Neegelan"¹.

هذا الأخير الذي نعت بأفضل الأوصاف بسبب حزمه، حيث ومنذ وصوله أعلن تحت تصفيقات رجال الصحافة عن إرادته في الضرب وبقوة من أجل وضع حد للانفصاليين، وهو ما قام به دون تردد². حيث برر تفسيره الشخصي للوضع القانوني الجديد ولترتيبات الجمعية الفرنسية: "أن العناصر الوطنية ستفوز في الانتخابات بنسبة 90% من الأصوات بالجزائر لو انتهجت السلطات سلوكا نزيها"³، تعلم سريعا من محيطه المتكون من الموظفين السامين الذين يعرفون "المستعمرة" أن العرب لا يفهمون إلا بـ "القوة" وحتى يظهر درجة قناعته قام ليلة الانتخابات باعتقال واتهام اثنين وثلاثون مترشح من بين أربعة وخمسين تقدموا تحت ألوان الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية بتهمة أعمال وأقوال تمس بسيادة فرنسا"⁴.

فبين مصداقية اختياره من قبل الحكومة الفرنسية في تسيير وتنظيم انتخابات المجلس الجزائري التي أقيمت على عاتقه، فجرت يومي 4-11 أبريل 1948، تميزت بالغلو والشطط والتجاوزات التي لم يسبق لها مثيل، إذ بذل كل ما في وسعه لدرأ الخطر على الأقلية الأوروبية باستعمال أساليب في التزوير صارت مضرب المثل⁵. فأصبحت معروفة في كل أنحاء العالم وكلما تعرضت الانتخابات لعملية تزوير في أي بلد كان يطلق عليها "انتخابات على الطريقة الجزائرية" وشاع الخبر في العالم بأن الجمهورية الفرنسية الرابعة تزيف وتزور الانتخابات⁶.

¹ - Charles André Julien, op. cit., p : 279.

² - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 164.

³ - زدرافويكار، مصدر سابق، ص: 211.

⁴ - هنري علاق، مصدر نفسه، ص: 164.

⁵ - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، مصدر سابق، ص: 168.

⁶ - Colette et Francis Jeanson, L'Algérie hors la loi, édition, ENAG, Alger, 1993, p : 80.

لم يكن ناحيلان بالذي يخرج عن طاعة وضغط من عينوه "بورجو * Borgeaud" "شيافينو ** Schiaffino" "بلاشيت *** Blachette" هؤلاء الثلاثة الذين وضعوا أيديهم على أكبر جزء من الاقتصاد الجزائري، فبذلك تمتعوا بسلطة سياسية غير خاضعة لأية رقابة¹. حيث تم اكتشاف العديد من المخالفات يومها بتكوين مكاتب بشكل احتياطي يرأسها الأوروبيون الذين يعينون تلقائيا الأمين والمساعدين، وفي عديد المراكز اختير هؤلاء من قبل رؤساء البلديات والإداريين حتى أن بعض المراكز كانت سرية، وفي بعضها الآخر تم ملئ صناديق الاقتراع مسبقا بأوراق المترشحين الإداريين كما استبدل بعضها الآخر بصناديق مملوءة"².

وهو ما وقف عليه محمد البشير الإبراهيمي في كتابه "قلب المعركة": "إن ما يطبق من التشريعات الفرنسية بالجزائر رسميا مبني على أساس عنصري بغض من وجود طبقتين سادة ومسودين، ونوعين من المواطنين ومكثتين انتخابيين لا يمتزجان مسلم وأوروبي... ويزيد في شناعتها ما تركته الإدارة الاستعمارية من سوء التطبيق وأشنعه التزوير العلني في الانتخابات"³.

* - هنري بورجو Henri Borgeaud: أصل سويسري، استولى على أخصب الأراضي بالجزائر منها في اسطاويلي، منتج للخمور، له ممتلكات عقارية بالوادي، متاجر في الحبوب، شغل منصب مدير مصرفي الجزائر تونس، عضو مجلس الشيوخ بالجزائر العاصمة، له علاقة متينة مع مدير جريدة صدى الجزائر "الان دوسيزيني".

** - لورون شيافينو Laurent Schiaffino: أصل إيطالي، مراقب للجزء الأكبر من الأسطول التجاري، عضو مجلس الشيوخ صاحب صحيفة لاديبش الجزائرية.

*** - جورج بلاشيت George Blachette: لقب بملك الحلفاء، يسلم جزء منها لمصانع الورق الانجليزية، كما له عدة مؤسسات صناعية وأخرى زراعية، شغل منصب نائب في المجلس الوطني الفرنسي ومدير جريدة "جورنال دالجي". للمزيد، أحمد يوسف، المنظمة الخاصة، مصدر سابق، ص: 74-75.

¹ - أحمد يوسف، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، مصدر سابق، ص: 73.

² - la république algérienne, 9-16 avril 1948.

³ محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، مصدر سابق، ص: 51

وزادها أيضا صالح ابن القبي في "كتابه عهد لا عهد مثله" قوله: " طيلة عهد الاحتلال تمكنت ضروب الغش من الانتخابات التي تصحبها على الدوام من تحويلها إلى مساندة للقوائم التابعة لإدارة بأصوات مؤيدة تفوق عدد المسجلين"¹ وعليه يوم الانتخاب مورس ضغط كبير من قبل الدرك والشرطة والاستعلامات العامة يدعمها الأوروبيون على الدفع بالجزائريين إلى الانتخاب بقوة، كما طرد المنسوبين الوطنيين من مراكز الانتخاب، نجم عنه قمع واسع وقع فيه من القتلى والجرحى في صفوف الناخبين².

استقر رأيهم على الوقوف في وجه الأمة واختيار طائفة من النواب العملاء (بني وي وي) لترشيحهم وضمان الفوز لهم كممثلين للمسلمين الجزائريين³. كما استقرت نتائجهم على المرشحين المستقلين على المسلمين الجزائريين الذين رشحتهم الإدارة الفرنسية بواحد وأربعون مقعد وحركة انتصار الحريات الديمقراطية بتسعة مقاعد والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بثمانية مقاعد والمستقلون الاشتراكيون بمقعدين، أما الأقلية الأوروبية من اليمينيين بخمسة وخمسون والاشتراكيين من الأوروبيين أربعة مقاعد والشيوعيين الأوروبيين بمقعد واحد.⁴

كانت على مستوى آمال الأقلية الأوروبية، فقد الشيوعيون مواقعهم في الهيئة الانتخابية الأوروبية إلا في سيدي بلعباس، أما في الهيئة الإسلامية فقد جرى تزوير على مستوى واسع⁵، حتى المنتخبين من الأوروبيين يوم الاقتراع قامت الإدارة الفرنسية بالانتخاب والإمضاء مكانهم، وهو ما حدث على مستوى بلدية سيدي بلعباس، إذ اكتشفت عملية تزوير كشفها رئيس بلدية "مارسي لاكومب Mercier Lacombe" سفيرز حاليا

1 صالح بن القبي، عهد لا عهد مثله أو الرسالة التائهة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص: 114.
² L'eHco d'ALGER 05/04/1948

³ أحمد توفيق المدني، هذه الجزائر، مصدر سابق، ص: 186.

⁴ Robert Aron, op.cit, p : 279.

⁵ محمد حربي، جبهة التحرير الوطني....، المصدر السابق، ص 51.

والذي تقدم من خلالها بشكوى مدعمة بتقرير * من محضر قضائي بعد المعاينة يثبت عدم تقدم منتخبين للعملية الانتخابية¹. انتخابات بينت أن الإدارة الفرنسية بالجزائر ما هي إلا لعبة في يدي الأوروبيين وأن فكرة التعايش بين المجموعتين غير مقبولة لدى قادة الأقلية الأوروبية الذين تعودوا على الغطرسة والتحكم في مصير الشعب الجزائري أنهم أسياد البلاد².

وعليه لم يدخل للجمعية الأولى بالجزائر إلا ممثلو الأقلية الأوروبية، وهو ما جعل احد النواب ينتقد الوضعية الانتخابية³، وعلى اعتقال بعض زملائهم وحتى على الجو الذي جرت فيه العملية الانتخابية تعسف وترهيب⁴: صاح ممثلو الكولون بالجمعية الجزائرية، ماذا جاءوا يعملون هؤلاء الصيادون اللاشريعيون في مجتمعنا؟ إن نشاطهم لا يزيد إلا غموضا في أذهان السكان الذين يلتزمون الهدوء داخل البلاد⁵. وبرفض المجلس منح فرحات عباس الكلمة الذي تدخل وبصعوبة إيصال بعض العبارات، قوبلت بالصخب⁶ مع نهوض نواب الدرجة الأولى وإنشادهم "لامارسيان" انسحب فرحات عباس وزملاءه من المجلس⁷. اعتبر المندوبون الأوروبيون ذلك سلوكا شائنا وغير مقبول⁸، فطلبوا من وزارة الداخلية منع مثل هذه التدخلات التي لا تليق ببلد حر وديمقراطي⁹.

وقف بعدها نواب حركة انتصار الحريات الديمقراطية بنشيد "نداء الجزائر" حينها أصاب النواب الأوروبيين الذهول والسخط، فعبروا بعبارات نابية والتي كانت صفة

* - ملحق رقم 01: تقرير عن التزوير الذي شهدته العملية الانتخابية للمجلس الجزائري.

¹ - مركز الأرشيف الوطني، IBA/1N°1406 مراسلة الوزير المقيم الحاكم العام للجزائر إلى والي وهران.

² - عمار بوحوش، مرجع سابق، ص: 113.

³ - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 214.

⁴ - Alger républicain, 23-04-1949.

⁵ - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 214.

⁶ - Alger républicain, 23-04-1949.

⁷ - Alger républicain, 23-04-1949.

⁸ - Alger républicain, 21-05-1948.

⁹ - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 214.

مندوبي الدرجة الأولى¹. لأنه كما يقول محفوظ قداش: " اعتادوا على مداخلات "بني وي وي" التي اتسمت بالخنوع والخضوع لهم، وغالبا ما يتوازي ومداخلات ممثلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية بالضجيج والصخب وحتى العراك². ولطالما كان الأوروبيون ينعثون زملائهم من منتخبي حركة انتصار الحريات الديمقراطية بأنهم مرتزقة حزب الشعب الجزائري³، مما جعل ممثليها وأثناء مداخلاتهم يثيرونهم بالتمييز ما بين الشعب الفرنسي والاستعماريون، لكن لا احد صدقهم خاصة وأن غالبية المجلس مكون من الكولون وممن تبعهم من "بني وي وي" ⁴.

وهو ما جعل الإدارة الفرنسية تثبت تواطؤها مع "ناجيلان" على نجاحه في التوصل إلى تأسيس مجلس جزائري سيكون أداة طيعة في يد الجميع ويسمح لهم كلهم بالتصرف في هيئات التسيير والتشريع بحرية تامة⁵. ذلك ما وقف عليه أحمد محيو في كتابه محاضرات في المؤسسات الإدارية قوله: " تحول إلى أداة من أدوات الاستعمار ونتج عن ذلك أن النظام القانون خاصة في المواد التي كانت في صالح الجزائريين لم يطبق حتى على المستوى الإداري البحث"⁶، بل لقد كانت الإدارة الاستعمارية تقضي على على تقدم القومية الجزائرية بالعنف، ولكي تحول ميزان القوى لصالحها، لم يكن في وسعها حصر نفسها في المدن الكبرى، حيث غالبا ما كان الأوروبيون يشكلون الأكثرية، لقد تم إقفال الطريق الانتخابي⁷. والصورة التي استقاها فاروق بن عطية في كتابه الأعمال الأعمال الإنسانية أثناء حرب التحرير والتي استند فيها على ما كتبه "ألبير كامو" تعبر وبشكل دقيق ما وصل إليه الشعب في نظر الأقلية الأوروبية قوله: "يبدو أن الشعب قد

1 - بن يوسف بن خدة، جدور أول نوفمبر، مصدر سابق، ص: 170.

2 - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1195.

3 - بن يوسف بن خدة، جدور أول نوفمبر 1954، مصدر سابق، ص: 170.

4 - محفوظ قداش، الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني مرجع نفسه، ص: 1196.

5 - Charles Henri Favrod, La révolution algérienne 1954- 1962, plan, paris, 1959, p: 110.

6 - أحمد محيو، محاضرات في المؤسسات الإدارية، ترجمة، محمد عرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1979، ص.ص: 128-129.

7 - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، الأسطورة والواقع، 1954-1962، مصدر سابق ، ص: 51.

أضاع إيمانه بالديمقراطية التي قدموها له في صورة هزيلة، كل شيء صالح لفرض آراء وهيمنة النظام الاستعماري ثم أن الخوف من المحتل أنتج حقد المغلوب على الغالب، كانت علاقات الأوروبيين مع الأهالي مشبوهة باحتقار الجنس الرفيع لأفراد يعتبرون سفلة بيولوجيا ولاسيما أنهم ينتمون إلى حضارة وديانة تختلفان عن حضارتهم وديانتهن¹.

حتى سنة 1950 بقت الأغلبية متصلبة بحيث رفض انتخاب أي وطني فيها، وهذا ما جعل المعارضة تسجل في أكثر من مرة رفض المجلس لاحتضان الأقلية من الأغلبية الأوروبية التي لم تأبه بهم، وهو ما جعل فرحات عباس يقوم بمداخلات عنيفة حول الموضوع وهو ما أدى بهم إلى المطالبة بالقوة العمومية لإخراجه من القاعة². أمام هذا التطور الحاصل كانت بعض الأوساط الأوروبية مدركة للتطور السياسي لدى الجزائريين ولضرورة فتح حوار مع الوطنيين ذلك ما دفع "جاك شوفاليي" تبني سلسلة مقالات لتهيئة المناخ الضروري لمواجهة حرة ونقاش حول الحلول الممكنة³.

فطلب منهم تغيير أفكارهم وعاب عليهم عدم إدراك التطور العام للأفكار في حين كان عالم يموت وآخر يولد⁴، وبذلك أدان الظلم والإجحاف وانتقد بشكل كبير الإدارة مقترحا حلول تختلف عن المفروضة⁵، راغبا في إيجاد حل بعيد عن الاستعمار والانفصال، وهو ما جعله يقف على سلبات المجلس الأول الذي كانت طبقته الأولى فارضة نزعتها بمعية "بني وي وي" باحثا عن قوة ثالثة⁶. إلى غاية سنة 1951 انسدت الأوضاع ولم يعد للانتخابات أي معنى، خيبت آمال الرأي العام والعناصر الثورية، حتى الرأي العام الأوروبي لم يكن له أي تصور جديد ولا حتى ينوي التحاور، مع بقاء الإدارة

¹ - فروق بن عطية، مرجع سابق، ص: 18.

² - Alger républicain, 30-06-1949.

³ - L'écho d'Alger, 19-12-1950.

⁴ - L'écho d'Alger, 21-12-1950.

⁵ - L'écho d'Alger, 26-12-1950.

⁶ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1129.

متمسكة بعهدا القديم على مواصلة تزوير الانتخابات¹. وحتى تلك التي ستعرفها الجزائر خلال 1952- 1953- 1954 وبذلك فقد الجزائريون الأمل في الحصول على التمثيل السياسي العادل في مختلف المجالس المنتخبة الذي كانوا ينشدونه وهذا بسبب التفرقة العنصرية وعدم المساواة بين الجزائريين والمستوطنين التي أقرتها القوانين والتشريعات الفرنسية². وهو ما جعل الأحزاب تتخلى عنها، بينما كانت الإدارة الفرنسية تهنيئ نفسها عليها والتي جعلت الأوروبيين ينامون في أمن خاطئ³.

¹ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939- 1951، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 1129

² - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عماها...، مرجع سابق، ص: 31.

³ - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص: 994.

الفصل الثالث

الأقلية الأوروبية والثورة الجزائرية في ظل الجمهورية الرابعة 1954-1958

1- موقف الأقلية الأوروبية ودورها في الثورة الجزائرية 1954-1956

1-1- الأقلية الأوروبية وردود الفعل الأولية من انطلاق الثورة الجزائرية

1-2- الأقلية الأوروبية ودور إعلامها أثناء الثورة التحريرية

1-3- الأقلية الأوروبية وأحداث 20 أوت 1955.

2- الأقلية الأوروبية ومواجهتها للثورة ورفضها للإصلاح 1956-1958.

2-1- المواجهة المبكرة من الأقلية الأوروبية على الثورة التحريرية.

2-2- موقف الأقلية الأوروبية من إصلاحات الحكومات الفرنسية

1- موقف الأقلية الأوروبية ودورها في الثورة الجزائرية 54- 56.

1-1 الأقلية الأوروبية وردود الفعل الأولية من انطلاق الثورة الجزائرية

لقد وقفت الأقلية الأوروبية على حقيقة ما صرح به جلاو هذا الشعب، الجنرال "ديفال" وبعد الانتهاء مما اقترفته يده من إجرام خلال أحداث 8 ماي 1945 صرح قائلاً: " لقد ضمنت لكم الأمن والسلم لمدة عشر سنوات، وإذا لم تعمل فرنسا شيئاً للمسلمين فكل شيء سيتكرر لاحقاً"¹ "سيحدث ما هو أسوأ وبطريقة يتعذر التحكم فيها"².

وهو التحذير الذي جاء على لسان فرحات عباس انطلاقاً من الغلو والانحياز الذي أبدته الحكومات الفرنسية لصالح الأقلية الأوروبية: "هل تريدون أن تحضروا هذا البلد؟ حضروا ساكنيه، ليس هناك من صيغة أخرى، أما أن تخلقوا فلا فذلك وبشكل مصطنع شعباً أوروبياً يمسك أصحاب البلد الشرعيين بشكل قصري، فإنكم تعرضون أنفسكم إلى ما ستفعله الطبيعة في يوم ما، وهو أن تستعيد حقها، وتحكم في حركة غريزية إنجازاً لا يعنيها، إنجازاً سيبقى غريباً عنها، إنجازاً يحتمل أن يسبب لها الألم"³.

ويضيف قائلاً في كتابه "تشریح حرب": " لقد برهنوا عن روح إقصائية عبثية، بحيث لم يكونوا يضعون في الاعتبار لا مرور سنوات التجاوز على مقاعد الدراسة ولا الحروب التي تحملنا وزرها، ولا التطور المسجل طيلة السنوات الأخيرة، ظلوا منغلقيين على موقف عدواني أكثر مما هو رجعي، إلى الحد الذي يمكننا معه أن نقول، دون أن نخطئ، إن حدث أول نوفمبر 1954 بالخصوص جاء نتيجة "لا" نتهم الأبدية، فمن ذا الذي يمكنه أن يجاريهم في تحديهم هذا للعقل والرأي الصائب"⁴.

¹ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 468.

² - أني راي غولد زيغر، مرجع سابق، ص: 417.

³ - فرحات عباس، الشاب الجزائري، مصدر سابق، ص: 130.

⁴ - فرحات عباس، تشریح حرب، مصدر سابق، ص: 289.

وفعلا انطلقت الثورة بعد هذه الفترة الزمنية، جعلت الشعب الذي ظلت الأقلية الأوروبية تقول أنه لا يمكن أن يفهم غير لغة القوة يقول فرانز فانون: " يعزم أمره الآن على أن يعبر عن نفسه بلغة القوة، والحق أن المعمر قد دله من زمان طويل عن الطريق الذي يجب أن يكون طريقه، إذا هو أراد أن يتحرر... إن النظام الاستعماري يستمد مشروعيته من القوة... لكن يجب أن نذكر أيضا أن هذا المنطق لا يستغربه المستعمرون أيضا، على أساس المبدأ القائل: " إما هم وإما نحن"¹.

أغلبهم متكونين في مدرسة الجمهورية الثالثة متعلقين بعظمة الإمبراطورية الفرنسية، كان ممثلوهم وحكوماتهم وحتى أحزاب اليسار عندهم في النص الأول من القرن العشرين، معارضون لاستقلال الجزائر"². ما رغبوا التراجع عن غطرستهم ولم يأخذوا بجدّ ما قاله فرحات عباس سنة 1946 أثناء مناقشة قانون الجزائر داخل الجمعية الوطنية الفرنسية: " إنها فرصتكم الأخيرة، نحن نمثل الحاجز الأخير"³.

وهو ما تأكد من خلال اعتراف جندي احتياطي في الجيش الفرنسي والذي وجه للرئيس الفرنسي "فرانسوا هولاند" رسالة يدعو فيه الاعتراف بجرائم فرنسا، ومن خلالها يؤكد أن الإدارة الفرنسية واصلت قمعها المركز ضد أي حركة ثورية، كما أنها كانت منصبة حول تسهيل نهب الثروات المحلية لفائدة الكولون الذين سيطروا على الحياة الاقتصادية والسياسية للمستعمرة، دون التراجع قيد أنملة عن مصالحهم"⁴.

يقف فرانز فانون في كتابه "العام الخامس للثورة الجزائرية" بالتحليل الدقيق على حالهم وسدهم لجميع المحاولات الإصلاحية قوله: " هم أشداء، عتاة، هم الذين دفعوا في

¹ - فرانز فانون، معذبوا الأرض...، مصدر سابق، ص: 44.

² - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 257.

³ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 468.

⁴ - الخبر اليومي، الثلاثاء 29 ماي 2012، العدد، 6729، ص: 3.

جميع الأزمان إلى أعمال القمع وحطموا الديمقراطيين الفرنسيين وسدّوا، في الإطار الاستعماري، الطريق على أية محاولة لإدخال حد أدنى من الديمقراطية إلى الجزائر"¹.

لذلك تسببت الأقلية الأوروبية وبقسط كبير، لرفضها الإصلاحات الهزيلة والتي نصت عليها القوانين لصالح السكان المسلمين، في اشتعال فتيل الأزمة وانفجارها².

وهو ما يؤكد فرحات عباس بقوله: "إن فرنسيي الجزائر قد رفضوا القيام بأي تحليل موضوعي لما يجري... اكتفوا بتحصيل المزيد من موقعهم كمستعمرين دون إعارة أي اهتمام لمصير الشعب الذي يعيشون بين ظهرائه، إن ثورة هذا الشعب قد فاجأتهم... هم المسؤولون المباشرون عنها، حيث أنها جاءت نتيجة الهيمنة التي يمارسونها على البلد"³.

وبعد فوات الأوان فهمت فرنسا أن الجمود الكولونيالي والتعجرف العرقي لأوربيي الجزائر هو سبق التمزق، ورغم الانفجار فإنهم لا زالوا على تعنتهم ورفضهم لكل تصالح مع الحركة الثورية⁴. إلا أنهم وفي قرارة أنفسهم أدركوا أن الحياة التي شيدها على حشجة الشعب المستعمر، بدأت تفقد الاطمئنان الذي كان يميزها، وأنه منذ 1954 أصبحوا يرون أن حياة أخرى قد بدأت تتحرك بموازية حياتهم، وأن الأمور على ما يبدو في المجتمع الجزائري لم تعد كما في الماضي وعرف أن أمرا يخفى عنهم⁵.

تخوفهم بدى من خلال تراجعهم نحو المدن وذلك ببيعهم لعقاراتهم مبكرا وقبل اندلاع الثورة التحريرية التي حدد شارل روبيير أجبيرون قيمتها بـ 4565 مليون فرنك⁶.

¹ - فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 164.

² - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 463.

³ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 181.

⁴ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 468.

⁵ - فرانز فانون، العام الخامس للثورة، مصدر سابق، ص: 75.

⁶ - شارل روبيير أجبيرون، تاريخ الجزائر المعاصر: من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، مصدر سابق، ص: 831.

وبشكل متسارع تولدت لدى سكان القرية من الأوروبيين مخاوف ممزوجة بالاستغراب حيث يذكر عبد الرحمن مزيان شريف في كتابه "حرب الجزائر في فرنسا" قوله: "ولسان حالهم يقول، كيف يمكن لهؤلاء العرب الغاضبين منذ الأزل والمؤمنين بالقضاء والحمية التي يكابدون، أن يكونوا فجأة صدر لكل هذه المشاكل"¹.

وعليه فإن اندلاع الثورة التحريرية أحسوا بها كالصاعقة التي هزت وجودهم الاستيطاني، يقول علي كافي من خلال مذكراته: " خاصة أن أهداف هجومات الانطلاقة تركزت على رموز وجودهم، فزرعت الرعب وهزت جذورهم عبر أغلبية التراب الوطني"².

لقد تملكهم الفرع من هول الصدمة، لأنهم لم يظنوا يوما أن هذا الشعب المستعبد سينتفضض ضدهم، أصبحوا وعلى الخصوص بالمناطق الجبلية في الأوراس حيث حوصرت بعض القرى (إشمول أريس) وحتى في جرجرة كقرية بغلية وسيدي داود يصرخون في هلع لا يوصف إذ كتبت جريدة الجزائر في صفحتها الأولى: "السكان الأوروبيون يطلبون من الجيش والدرك الحماية من الإرهابيين"³.

وما زاد من مخاوفهم عدم تمكن السلطة الاستعمارية الإجابة عن بعض الأسئلة التي كثيراً ما راودت عقولهم، عن من هؤلاء الذين تم اعتقالهم، وهل الإدارة الاستعمارية تحصي عددهم الحقيقي، وعليه فإن تقتهم فيها لم تعد قائمة خاصة وأنها أصبحت غير قادرة على حمايتهم والدفاع عن ممتلكاتهم⁴.

إن الهلع الذي عايشوه وعاینوه بأنفسهم وهم يشاهدون مراكز الدولة تحاصر، واحتلت لمدة زمنية في الكثير من الأماكن، عبرت عنه جريدة الجزائر وفي صفحتها

¹ - عبد الرحمن مزيان شريف، مصدر سابق، ص: 57.

² - علي كافي، مذكرات من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1936 - 1962، دحلب، الجزائر، 2011، ص: 72.

³ - Le Journal d'Alger, 3 novembre 1954

⁴ - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق، ص: 98.

الأولى: " أريس محاصرة من الإرهابيين" يقول السكان لمندوبينا "لا تتركونا لمصيرنا"¹. وأصبح الكولون الذين كانوا من عاداتهم التنقل دون أية عوائق في وسط الجزائريين وحتى عبر الأرياف لتفقد وحراسة حقولهم ومزارعهم، بدعوا يصطحبون معهم عمالهم من الأهالي. يعطي عبد الرحمن مزيان شريف مثالا عن رئيس بلدية "سانت آرنو" (العلمة حالياً) والذي يسمى "ريكتون والدا" *، يقول عنه: " أننا لم نعد نراه إلا وهو مرفوقا بعون الشرطة المدعو "زينس" في أغلب الأحيان"².

وهم بذلك ظلوا يعيشون على وهم تفوقهم العرقي والعسكري اتجاه الشعب الجزائري المتخلف المهزوم³، فكانت المفاجأة على الإدارة الفرنسية بالجزائر وحتى في فرنسا، كولون، منظمات، شخصيات، صحافة، إذ يوضحه مولود قاسم نايت بلقاسم: " أنه لا يوصف إذ شبه لديهم بالزلزال بل أكثر"⁴.

ولعل ما يوضح ويعبر عن شعورهم بالحيرة اتجاه المستقبل ما صرح به الدكتور "سولا كروب" "Sola Croup" أثناء مداولات المجلس الجزائري شهر نوفمبر: " إن المغامرة الكبرى قد بدأت وكلنا يعلم ذلك... وإني أقولها من أعلى هذا المنبر إنني خائف إذ ثلاثة أجيال من عائلتي يرقدون تحت أرض الجزائر ولا أريد بأية حال أن أتخلي عنهم، أقولها صراحة لمن يريد أن يسمع كلامي، إنني أفضل الموت على أن أغادر هذا البلد"⁵. وفعلا أصبح الكولون من يومها لن يخرجوا من بيوتهم إلا والسلاح في أحزمتهم، يقول عبد الرحمن مزيان شريف: " تغيرات لم تكن مرئية بالتأكيد إلا أننا كنا نشعر بها

¹ - Le journal d'Alger, 6 novembre 1954

* - أسرته من الألزاس واللورين، مالك أراضي كبيرة، يمتاز بالغلظة، زاجر لعماله من الأهالي، سموه: "فرنسا الشر".

² - عبد الرحمن مزيان شريف، مصدر سابق، ص: 57.

³ - البخاري حمان، مرجع سابق، ص: 118.

⁴ - مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على ثورة نوفمبر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الطبعة الثانية، الجزائر، 2002، ص: 86.

⁵ - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، 1994، ص: 30.

في أعماقنا"¹، ويضيف هنري علاق الحديث توضيحا من خلال ما كتبه في مؤلفه "مذكرات جزائرية": "انفجار واعد في سماء هادئة، السياسيون والصحافيون سدوا آذانهم سواء في فرنسا أو في الجزائر حتى لا يسمعوها شيئا عن الهدير الذي يسبق العاصفة"².

موقف وتخوف لا يعبر اتجاه ما ينذر به نوفمبر من مخاطر بالنسبة لهم بل إنه يعبر كذلك وفي نفس الوقت عن إدراكهم لانتهاك عالمهم، عالم أقاموه على أشلاء ودماء ودموع الشعب الجزائري، فجاء نوفمبر معلنا عن نهايته³.

هي مواقف توحى أن الأغلبية الأوروبية زادت علاقتها حرجا منذ الأيام الأولى لانطلاق الثورة التحريرية، وهو ما عبر عنه عبد الرحمن مزيان شريف بقوله: "ألاحظ تغير سلوك العجوز "دومبرا" وابنه الذي كان يشرف على تسيير قاعة السينما، أين كنت أشتغل، ليس نحوي أنا فحسب ولكن على كل الأهالي الذي كان معتادا الاحتكاك بهم"⁴.

لو أن هذه العلاقة كانت لها ما يبررها من خلال تطور أفكار حزب الشعب الجزائري لحركة انتصار الحريات الديمقراطية ومقاطعته لكل تعاون مع الأوروبيين، يوضحه محمد حربي: "موقف تحت غطاء جديد مضمونا قديما مستمداً من التراث الإسلامي للحديث المأثور: "لا تستلنوا بنار الكفار" رفض التعاون، تطبيق مبدأ الفعل المطلق بين المجموعتين الجزائرية والأوروبية" والذي وجد نجاحا كبيرا لدى الجماهير الواسعة⁵.

وعليه فإن الأقلية الأوروبية لم تنسى ماضيها في محاولة تكرار مجزرة 8 ماي 1945، حيث طالبت بالأسلحة، وتكوين الميليشيات، وصلوا إلى أبعد من ذلك إذ هددوا

¹ - عبد الرحمن مزيان شريف، مصدر سابق، ص: 58.

² - هنري علاق، مذكرات جزائرية، ترجمة: جناح مسعود، عبد السلام عزيزي، دار القصة، الجزائر، 2007، ص: 201.

³ - البخاري حمادة، مرجع سابق، ص: 118.

⁴ - عبد الرحمن مزيان شريف، مصدر سابق، ص: 57.

⁵ - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 52.

بإسقاط الحكومات ونزع الثقة منها حتى تستجيب لمطالبهم وتعمل بعنف لقمع المتمردين والقضاء على شبح الخوف الذي سكنهم"¹.

وهو ما عبر عنه "منداس فرانس" بتاريخ 12 نوفمبر 1954 بخطاب استعماري يريد من خلاله تهدئة الكولون جاء فيه: "إنه لا مكانة للمهادنة عندما يتعلق الأمر بالدفاع عن السلم الداخلي للأمة عن وحدة وسلامة الجمهورية، إن محافظات الجزائر جزء من الجمهورية، إنها فرنسية منذ زمن طويل وبصورة لا رجعة فيها... إن ممثلي المحافظات الفرنسية قد أعطوا كلهم مهما كان أصلهم أو دينهم، من البراهين على تعلقهم بفرنسا"².

لتبشر الحكومة في إدراج إجراء خاص بإعطاء المرأة الجزائرية حق الانتخاب المستمد من قانون 1947، فاعتبرت الأقلية الأوروبية تفكير حكومتهم في تطبيقه والمعارك القائمة تنازلا للذين حملوا البنادق"³. وزاد في مخاوفهم بخطابه عن الجزائر الفرنسية بمعالجة الموقف، بتحسين أراضي البور، تطوير الصناعة، ممارسة الحقوق الديمقراطية، إنشاء جزائر بحياة أفضل، رفضوا ذلك ودعوا إلى ممارسة القمع وبعضهم عبر أن الفلاحين الجزائريين في حاجة للخبز وليس للحقوق السياسية"⁴.

إن الضغط الممارس على الحكومة الفرنسية، تنديداً بالقمع الأعمى وتطبيقاً لمبدأ المسؤولية الجماعية، لم تضاهيه قوة وقدرة الضغط المضاد الذي قامت به الأقلية الأوروبية في الجزائر"⁵، وعليه أطاح اللوبي الكولونيالي بحكومة مانديس فرانس الغير

1 - علي كافي، مصدر سابق، ص: 77.

2 - محمد الميللي، مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 31.

3 - محمد العربي الزبيري، الثورة في عامها الأول، مرجع سابق، ص: 100.

4 - محمد الميللي، مواقف جزائرية، مرجع سابق، ص. ص: 34 - 35.

5 - تانيا ماتيويز، بداية الصراع المرير، ترجمة: محمد الصالح بكوش، مجلة المصادر، العدد الأول، 1999، ص: 230.

مرغوب فيها بتاريخ 15 فبراير 1955¹. كما دفعوا بالمطالبة لحظر الحزب الشيوعي، وإيقاف المسؤولين عن الأحداث من زعماء الحركة الوطنية كلهم وتسليط عقاب صارم².
إذ أن الأغلبية المطلقة منهم تؤكد وبقوة أنها مع "الجزائر الفرنسية" وأنهم معادون لجهة التحرير الوطني والمجاهدين الذين يعتبرونهم فلاة وقتلة³، حتى الفئة الدنيا من الأوروبيين انحازت بصورة تلقائية إلى صف كبار الكولون الذين يملون إرادتهم على الحكومة الفرنسية بواسطة اللوبي الباريسي الذي يتحرك باسمهم، كانوا يشترطون على فرنسا أن تمدهم بمزيد من القروض والقوات العسكرية لحماية امتيازاتهم وضمان ديمومتها⁴. مدعين أن الانتفاضة المناهضة لفرنسا هي من فعل الفلاحة المسيرين من الخارج، وعليه يجب إفسادها في الحين وبالحديد والنار⁵. إذ عرف الكولون فزع طيلة الأيام التي تلت انفجار الثورة، تراكت طلبات رخص حمل السلاح من طرفهم على مكاتب محافظي الشرطة ورؤساء الدوائر المختلطة وأن علامات الوهن والخوف بادية فلي أوساطهم، وهو ما جعل الكثير منهم ينظرون إلى المرحلة الجديدة على أنها فاصلة في تاريخ الجزائر بكاملها⁶.

وبعضهم الآخر ناقما مهددا ذلك ما وقف عليه عبد الرحمن مزيان شريف صدفة على محادثة تمت بين "روبير ومبرا" صاحب قاعدة سينما والصيدلي ساكومون الذي يقول أنهما معروفين بكرههم الشديد للجزائريين، حيث قال الصيدلي لصاحبه: "إذا حاول العرب القذرين رفع أصبعهم هنا في "سانت أنو" - العلة حاليا- فسنحول القرية إلى جحيم وسنجعلهم يندمون على ذلك"⁷.

1 - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 468.

2 - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 30.

3 - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 258.

4 - بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة: مسعود حاج مسعود، الطبعة الثانية، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص: 292.

5 - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 9.

6 - Le Monde, 16 novembre 1954

7 - عبد الرحمن مزيان شريف، مصدر سابق، ص: 58.

بل أن البعض من الكولون جمعوا العمال في مزارعهم، مارسوا عليهم حرب نفسية معلنين لهم أن عصابة المتمردين قد أبيدت في الأوراس وحتى في جبال القبائل. وفي مرات أخرى توزع زجاجات لمشروبات غازية أو قطع من الحلوى على الخدم ابتهاجا لإعدام ثلاثة أو أربعة متهمين عن بعد بضعة كيلومترات من المزرعة"¹.

وفئة منهم اعتبروا الأحداث نتيجة السياسة التي سلكها "مانديس فرانس" مع تونس، إذ عبر نائب وهران أمام المجلس الجزائري "فرانسوا كويلسي François Quilici" موضحا وجهة نظر أوربيبي الجزائر قائلا: "عندما يعلن السيد منديس فرانس سيادة تونس الداخلية ويسلمها للحزب الدستوري الجديد، فإنه بذلك يكون قد تهدم لأن الضعف يشجع دائما على الاندفاع في مغامرات جديدة" وهو ما يبين أنهم يحملون الحكومة الفرنسية مسؤولية اندلاع الثورة متجاهلين النضال والكفاح المتواصل للأمة الجزائرية منذ 1830.²

لم تتوقف تحركاتهم عند هذا الحد بل أوفدوا جماعة منهم اتجاه فرنسا تشرح وجهة نظرهم وتستقطب كبار الشخصيات لطرحها، والذي يتضمن مخطط من ثلاثة طلبات أفصح عنه وباسمهم "إيزلا" وذلك بتاريخ 1954/01/25 على الشكل التالي:

- المعارضة الشديدة لأي إصلاح مقترح لأنه سيجعل من الجزائر حسب رأيهم تونس ثانية،

- الدعوة للتعجيل بإرسال جيوش مدربة قادرة على خوض المعارك،

- الدعوة إلى تزويد الجزائر بقروض من ميزانية الوطن فرنسا.

تزامن ذلك مع تعيين "جاك سوستيل" واليا عاما للجزائر مع دمج شرطة الجزائر في شرطة فرنسا.³

¹ - فرانس قانون، العام الخامس للثورة...، مصدر سابق، ص: 73.

² - محمد الميلي، مواقف جزائرية، مرجع سابق، ص: 34. أنظر كذلك: Le Monde, 3 novembre 1954

³ - محمد العربي الزبييري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق، ص. ص: 102 - 103.

عبوا عن ما يختلجهم اتجاه الثورة الجزائرية وما حققت من نجاح وصدى إعلامي عبر تحالف الدول العربية وخاصة منها مصر، إذ أنه عندما طرحت مشكلة الجزائر نهاية نوفمبر 1954 أمام مجلس الحكومة كشف السناتور "كافوتيك" قوله: " لو أننا في سنة 1917 لكان راديو القاهرة هذا قد سكت منذ مدة، فالجمهورية الثالثة حتى وهي في أسوأ لحظاتها كانت سترسل بإحدى مدمراتها البحرية لتدعيم علمنا بطلقة تحذير بلا ذخيرة حية أمام الإسكندرية، ولكانت هذه الثورة العسكرية التي تبحث وتريد لها أن تكون ديمقراطية قد أسكتت صوت هذا الراديو الوقح"¹.

وها هو آخر من رؤساء بلديات الجزائر - القليعة- يصرح: "هؤلاء أولئك الذين أعطتهم فرنسا فرصة التعليم... سأذكر كل هذا أمام البرلمان الجزائري، بسبب نشر التعليم، والذي أصبح بموجب قراراته يرسل بمعلمين فرنسيين إلى أعالي الجبال لتعليم رعاة الماعز كيف سينشدون شعر "لافونتين" La fontaine أقول أنها قمة الجنون...! ويطلب تقليص هذا البرنامج وعدم توسيعه على الأهالي لأنه يراه هو السبب في انفجار الثورة"².

وآخر من أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي "هنري بورجو" "Henri Bourgeau" يطالب: "دفن التمرد أين يولد، وينبغي البحث عن زعماء العصابات وإلحاق الهزيمة بهم وأن هؤلاء الزعماء معروفون ومنظمتهم ينبغي أن تمحى من الخريطة"³.

أما السيناتور "بلاشيت" "Blachette" وبالتحالف مع كاتب الدولة للدفاع "جاك شوفالي" اتهم مصالي الحاج: " إن الدكتاتور العجوز الذي يريد إنهاء إدارته بالدم ليبقى على وجاهته ونفوذه كاملا أمام أعضاء حزبه"⁴.

¹ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 172.

² - Yves Courriere, Les fils de la toussaint, Fayard, 1968, pp: 411- 412.

³ - La dépêche quotidienne, 2 novembre 1954.

⁴ - Le Journal d'Alger, 5 novembre 1954.

بقي الضغط الممارس على الحكومة الفرنسية من قبل الرأسماليين الكبار، وحتى ما تقوم به شخصيات برلمانية مثل "روني مايير" إلى جانب جماعة رؤساء البلديات الأوروبية بالجزائر والتأثير الذي كان لعضو مجلس الشيوخ "بورجو" على جهاز الأمن كان كل ذلك كافيا لأن الحكومات الفرنسية مع بداية الثورة تبنت برنامجهم المتمثل في القمع أولا ثم الإصلاحات بعد ذلك" ¹ أغلبيتهم من ممثلي الرأسمالية الزراعية وأساطين الميدان الصناعي أمثال (بورجو - أبو ديكا - كالان - غراسيان فور - دوسوزيني...) ².

هم من الذين موجودين على مختلف المستويات، مكونين من كبار الصناعيين الذين كانوا يتقاسمون السلطة، ولا يدينون بالولاء للوطن إلا عندما تملي عليهم ذلك مصالحهم الخاصة كمجموعة ألفت العيش على حساب الآخرين حتى ولو كانوا من أبناء جنسيتهم، مع العلم أن هذا العنف من الكولون حتى ولو أنهم ليسوا من جنسية واحدة وعلى الرغم من حملهم للجنسية الفرنسية رسميا، لكنهم وجدوا في المسيحية ما يجمعهم للقضاء على الثورة والشخصية الجزائرية التي تعترض سبيلهم، بل أن ممثليهم بالمجلس الوطني الفرنسي أو الهيئات الجزائرية يمكن وصفهم بصانعي الأحداث التي توجه وتقدم مصير الجزائر الفرنسية. وعليه فإن كبارهم تيقنوا أن الفاتح نوفمبر ليس بالعصيان ولا حتى خروج عن القانون ³.

وعليه ومن داخل المجلس الوطني الفرنسي دعوا إلى عدم إظهار أي ضعف اتجاه "رؤساء القنلة والسفاكين والنهاب، وإتباع سياسة صارمة تمنع أي تفاوض مع هؤلاء ورفض مبدأ الهيئة الانتخابية الواحدة، ففي هذه نهاية للجزائر الفرنسية" ⁴.

¹ - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 30.

² - يحي بوعزيز، من وثائق جبهة التحرير الوطني 1954-1962، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص: 110.

³ - محمد العربي الزبيري، الثورة في عامها الأول، مرجع سابق، ص: 87.

⁴ - عبد الحميد زوزو، المراجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة (مؤسسات ومواثيق)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص: 71.

أما بخصوص العمال المهرة الفنيون والموظفين في مختلف التخصصات فقد كان يغلب عليهم الجهل السياسي والتعصب ويكونون للجزائريين كراهية وحقدا كبيرين¹، وكثير منهم استعمل في أجهزة القمع المستعملة في كافة أنحاء البلاد، وظفوا كل إمكانياتهم في خدمة الاستعمار².

وهو ما أكدته التصريحات الهستيرية والعدوانية للعديد منهم حول انطلاقة الثورة الجزائرية، بل ويؤكد "اللوبي" الذي أقامه رؤساء بلدياتهم بدفع من (بورجو، مايير، أميدي...) وغيرهم من كبار الكولون، استهدف ضرب أي محاولة لأي حل سلمي محتمل للقضية الجزائرية³. لكن الذي أصابها الذعر أكبر وأكثر هي الصحافة اليمينية [La dépêche de Constantine, L'écho d'Alger- Oran] انتابهم الجنون فأجمعت كلها وبصوت واحد على الدعوة بضرورة خنق الثورة في مهدها، تحطيم والقضاء على التمرد بكل الوسائل⁴.

ومنها من ركبت تشويه العمل الثوري بنسب شخصيات بارزة فيه والتي كان لها ماضي مع القضاء الفرنسي كالذي قامت به صدى الجزائر بذكرها: " اندلاع مجال للدهشة عندما نعلم أن قرني بلقاسم بن بشير والذي يجر وراءه سوابق عدلية انضم إلى عصابة من الإرهابيين⁵.

وفي أخبار أخرى تريد أن تزيف الحقائق وتبين أن السكان الجزائريين في البعض من القرى يرفضون هذا العمل مثل ما أسندته لسكان تيزي غنيف والذين حاولوا الاعتداء على اثنين وثلاثين "إرهابيا" وقعوا أسرى أثناء عملية قامت بها قوات الأمن⁶.

¹ - عواطف عبد المؤمن، الصحافة العربية في الجزائر (دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 154.

² - محمد العربي الزبيري، الثورة في عامها الأول، مرجع سابق، ص: 88.

³ - البخاري حمادة، مرجع سابق، ص: 117.

⁴ - مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص: 98.

⁵ - L'écho d'Alger. 8-11-1954

⁶ - L'écho d'Alger. 10-11-1954

أما الرسمية منها فتجاهلت بيان أول نوفمبر وطالبت بمعاقبة الإرهابيين والخارجين عن القانون مع وضع حد لهذه المؤامرة العربية الشيوعية واليسارية منها ودعت إلى إدماج الجزائر نهائيا بفرنسا¹. كما نشرت جريدة الحرية افتتاحية أشارت فيها إلا للظروف الاجتماعية (بطالة، استثمارات، الحالة المدنية السيئة...) عموما في الجزائر لامبالاة الإدارة من طلبات الجزائريين².

وبنفس الانشغال كتبت "العامل الجزائري" لسان حال النقابة الشيوعية: " أن الشعب الجزائري يريد العمل والخبز وليس القنابل والرشاشات"³، وهناك من الجرائد التي تبنت ونشرت ما صرح به الحاكم العام "روجي ليونار" يوم 2 نوفمبر 1954 مثل جريدة الجزائر التي كتبت تقول: " في الليلة الماضية اقترف نحو ثلاثين اعتداء عبر جهات عدة من الجزائر خصوصا في عمالة قسنطينة، جهة الأوراس، من طرف عصابات إرهابية صغيرة "أشارت حصيلة الهجمات" قتل ضابط وجنديان في خنشلة وباتنة وحارسان ليليان بمنطقة القبائل" كما أنها وضحت وعلى لسانه: " اتخذت الإجراءات للحماية والقمع التي يستلزمها الموقف من طرف الولاية العامة التي طلبت وسائل عمل إضافية"⁴.

كما نشرت له جريدة الجزائر الجمهورية تعليقا على خبر أذاعته "صوت العرب" أن الفاتح نوفمبر منه بدأت الجزائر تحيا حياة كريمة شريفة قوله: " أن هؤلاء المدبرين يريدون بهذه العمليات أن تساعد على عرض قضيتهم على هيئة الأمم المتحدة"⁵.

كما نشرت جريدة الجزائر تصريح لـ "جاك شوفاليي" والذي هو رئيس بلدية الجزائر ونائبها في البرلمان الفرنسي وكاتب الدولة للحرب، ومن خنشلة بتاريخ 2 نوفمبر قوله: " إن الحكومة لن تقبل بأية صفة كانت، بأن إرهاب فردي أو جماعي، وأن جميع التدابير الصارمة ستتخذ". كما عبر والي الجزائر "تريمو Trémaud" في المجلس العام

¹ - البخاري حمادة، مرجع سابق، ص: 118.

² - Liberté, 4 novembre 1954.

³ - Le travailleur Algérien, 23 novembre 1954.

⁴ - Le Journal d'Alger, 2 novembre 1954.

⁵ - Alger Républicain, 3 novembre 1954.

وبنفس التاريخ "هذه الاعتداءات التي لا يقوم بها إلا جبناء قامت بها حفنة من المتعصبين لا يمكن الخلط بينهم ومجموع السكان فهؤلاء هادئون" ¹. وفي السادس من شهر نوفمبر نشرت نفس الجريدة تصريح عن المتحدث باسم الولاية العامة ومن خلال مؤتمر صحفي قوله: "أنا ننظر إلى الوضع بثقة، ذلك أن الشرطة قامت بعمل جبار، لا نريد أن نفصل فيه حتى لا نعيقها في عملها، لكننا نقول أن أغلب المدبرين والمسؤولين هم الآن رهن الاعتقال وفي عجز تام عن مواصلة أعمالهم الإجرامية" ².

كما عبر "جاك شوفاليي" وعن طريق جريدة "لوموند" مهدداً وملوحاً باستعمال المزيد من القوات العسكرية قوله: "قررنا استعمال جزء من قواتنا الراجعة من الهند الصينية سنتقوى بها ونؤطر فرق القومية والحركة التي ينبغي أن تكون في الطليعة والعمود الفقري المعول عليه في إعادة الأمن إلى شمال إفريقيا كله" ³.

إلا أن اليمينية منها، فكتبت جريدة "La dépêche quotidienne" أن ما أفرعها هو فجائية الأحداث وتزامنها الدقيق مما يوحي على وجود مخطط تنفيذي صممه وأنجزته أيادي في منظمة منضبطة" ⁴، كما كتبت على لسان هذه الفئة الأوروبية التي تعيش في أحلام اليقظة من أجل ضمان أرض السعادة معبرة: "فالأشراار يلزم مطاردتهم ومعاقبتهم أينما وجدوا وقلع جذور زعماء الفتنة أينما كانوا، كما أنه يجب دعم قوات الأمن" ⁵.

وما أورده مولود قاسم نايت بلقاسم مرتكزاً على جريدة آخر ساعة الفرنسية تبين مدى الاضطراب الذي أصبحت عليه الصحافة الفرنسية كتبت وبأحرف بارزة العناوين التالية: "خطة تخريبية واضطرابية وضعت للتنفيذ هذه الليلة في كامل التراب الجزائري،

¹ – Le Journal d'Alger, 3 novembre 1954.

² – Le Journal d'Alger, 6 novembre 1954.

³ – Le Monde, 25 novembre 1954.

⁴ – la dépêche quotidienne, 2 novembre 1954.

⁵ – la dépêche quotidienne, 2 novembre 1954.

رجال قتلوا، نيران محرقة تم إشعالها، خطوط هاتفية مقطوعة، قوات أمن إضافية تحت تصرف الحاكم العام"¹.

كما عبرت جريدة "صدى الجزائر" "L'écho d'Alger" عن قلق الأقلية الأوروبية في الجزائر وبعناوين بارزة: "الجزائر قد تحركت أمس وليست الأرض التي تزلزلت كما حدث يوم 9 سبتمبر 1954 في "أورليونفيل" -الشلف حاليا- ليست الجماهير التي ثارت، بل إنه شيء أسوأ من هذا كله إثر الإرهاب"².

استقر الكولون على أن الثورة "إرهاب" وعلى السلطة الاستعمارية بإدارتها قمعها بالقوة، حتى اليساريين ورغم تنديدهم بالاضطهاد إلا أنهم عارضوا كل ما من شأنه أن يؤدي إلى استقلال الجزائر عن فرنسا، فتارة يستعملون الأفكار الماركسية التي تدعو لمحاربة النزعة الوطنية الإقليمية العنيفة، وتارة أخرى يطالبون بضرورة صيانة الإنجازات الحضارية التي حققتها فرنسا خلال ليل الاستعمار الطويل"³.

وأنهم غير قادرين في جملتهم وبالجزائر سلوك مسلك نظرائهم القاطنين بفرنسا حيث يعبر فرانز فانون عن ذلك قوله: " أن الديمقراطية في فرنسا تبعا للتقاليد تعيش في وضوح النهار، أما الجزائر فإن الديمقراطية هي منذ البداية خيانة"⁴.

أظهرت سياستهم عدم جدواها والتي كانت تهدف فقط للفوز بالانتخابات، وبذلك دخلوا في مأزق إذ رفضتهم الطائفة الأوروبية على أساس أنهم خونة وتخلت عنهم من مسلمي شيوعي الجزائر"⁵ بل إننا نجد تبعية الحزب الشيوعي الجزائر للحزب الشيوعي

¹ - مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص: 98.

² - L'écho d'Alger, 2 novembre 1954.

³ - محمد العربي الزبيري، الثورة في عامها الأول، مرجع سابق، ص. ص: 88-89.

⁴ - فرانز فانون، العام الخامس للثورة...، مصدر سابق، ص: 160.

⁵ - باتريك إفينو، جون بلانشايس، حرب الجزائر ملف وشهادات، ترجمة: بن داود سلامنة، الجزء الأول، الجزائر، 2013، ص: 89.

الفرنسي مع تخليه عن كل عمل ملموس ضد الحرب وتغلب العناصر الأوروبية في صفوفه والذين لم يفهموا إطلاقا الواقع الجزائري¹.

هؤلاء التقدميون الذين غالبا ما نجدهم في صفوف الجمعيات الكاثوليكية يركزون خاصة على التنديد بالقمع، كما أنهم حاولوا التقريب بين الجزائريين وأولئك المستوطنين وصولا بهم إلى تكوين مجموعة جزائرية متعددة الأجناس والثقافات يقول محمد حربي: " فشلوا في مشروعهم لأنهم ما تبنوا أهداف الوطنيين الجزائريين"².

حتى أنهم لوقت قريب التزموا مدة طويلة الحدود الإصلاحية، وطيلة أشهر عديدة بعد الفاتح نوفمبر 1954 نددوا بالإرهابيين الاستقرازيين وهو ما يوضح تحديهم لجهة التحرير الوطني"³، لذلك أخذت جرائدهم الخط الوسط في معالجة القضية الجزائرية فجريدة الجزائر الجمهورية دعت ومن خلال افتتاحيتها إلى تبني حلول واقعية، إذ بينت ومن خلال اعتداءات المغرب وتونس قيل يومها أنها المفاجأة فذكرت أنه لا يمكن القول اليوم إنها المفاجأة، فبينت أن هناك اختلافات في الوضع الخاص لكل من الأقطار الثلاثة لتخلص أن الأسباب واحدة، فالقمع لن يحل المشكل... أنه لا سياسة النعمة ولا سياسة البندقية تفيدان، فالسياسة الوحيدة التي ستفيد هي العمل الديمقراطي⁴.

لكنها تبقى ديمقراطية غارقة في خضم الكتلة الأوروبية، إذ أن ديمقراطيي الجزائر من الأوروبيين هم يسبحون في قيم تنبذها مبادئهم الخاصة وتتدد بها ما خلص إليه فرانز فانون هم: بالعرب في المستعمرة الأوروبية"⁵.

رغم أنها كتبت وبالبند العريض: "الاعتداءات في الجزائر بالأمس" عبر عن ذلك مولود قاسم نايت بلقاسم على أنه يفسر بالتصرف الإجرامي الذي يعاقب عليه القانون"⁶,

¹ - زدرا فوبيكار، الجزائر... شهادة صحفي يوغسلافي عن حرب الجزائر، ترجمة: فتحي سعيدي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ص: 288.

² - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 161.

³ - فرانز فانون، العام الخامس للثورة...، مصدر سابق، ص: 161.

⁴ - Alger Républicain, 2 novembre 1954.

⁵ - فرانز فانون، العام الخامس للثورة...، المصدر نفسه، ص: 161.

⁶ - مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص: 100.

وحتى من متفقيهم الذين كان يرغب منهم أن يخفضوا من التوتر لتسهيل الاتصال لكنهم حلوا محل العامة من الأوربيين يقول محمد حربي: " إن بعضهم مرتبطون بسلطة الاستعمار وكثيرا ما ساهموا في حرب الجزائر، أطباء ملحقين بشكل كامل بمخابرات الأبحاث التابعة للشرطة القضائية، قسسا وفلاسفة أخذوا على عاتقهم غسل الأدمغة بمراكز التجميع والاعتقال¹. مع تسجيل مواقف لبعض رجال الكنيسة حتى ما قبل اندلاع الثورة التحريرية لأسقف الجزائر "ليونارد Leonard" من 1917 حتى 1953، حيث أنه سنة 1950 صرح فيما يخص استقلال "جاوا Java" -إندونيسيا حاليا-: " إذا وقع ذلك بالنسبة للجزائر سأذهب لأذرف الدموع على منطقة الأرداش مسقط رأسي"².

ولو أن الكنيسة المسيحية ستخطو خطوة متواضعة حيث ستؤكد: أن شرطا أساسيا من شروط السلم الحقيقية يكمن في تحقيق العدالة الاجتماعية "وهو الشرط الذي اندثر مع انطلاق الثورة التحريرية"³ لكنه وللأمانة تسجل مواقف خرجت عن زمرة المعتبرين أنشطة جبهة التحرير عملا إرهابيا بل نجد الأب "ليون إيتيان دوفال" والذي يومها كان يمثل أعلى مرجع مسيحي بالجزائر ساعد وأوى مسئولين عن جبهة التحرير اختفاء وتنقلا بالعاصمة"⁴. كما أصدر وبمساعدة أسقف مدينة وهران وقسنطينة بيانا عن الوضع بالجزائر جاء فيه: " أن الشروط السلم هي العدالة الاجتماعية كما يذكر على أن أحدا لا يستطيع البقاء جانبا أمام الوضع المأساوي الذي يوجد فيه جزء هام من السكان الذين يعانون الجوع والحرمان من أبسط الأشياء"⁵.

ورغم أن مواقفهم جاءت بعيدة عن أهداف الثورة التحريرية، ورغم استعطافهم للجزائريين تبقى رؤيتهم للحل بعيدة ذلك ما وقف عليه مولود قاسم نايت بلقاسم معلقاً: "هل يحيا الإنسان بالخبز فقط، أو انه حيوان فقط...ومالنا والحرية والاستقلال والسيادة

¹ - فرانز فانون، العام الخامس للثورة...،مصدر سابق، ص. ص: 157 - 158.

² - باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، ص: 54.

³ - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 31.

⁴ - الشروق اليومي، 29 ديسمبر 2005، العدد، 1573، أوراق خاصة محمد الميلي، ص: 14.

⁵ - Alger Républicain, 30 novembre 1954.

والكرامة الإنسانية وغيرها من الأفكار التي هي ترف وبذخ وأوهام صعب الاستيعاب على بعض الأفهام"¹.

ورغم ذلك فإن الأقلية الأوروبية اعتبرته مجرد خائن، لأنه رفض استعمال الدين المسيحي لصالح الحرب القائمة ضد المسلمين، وأن مؤيدي الجزائر الفرنسية، وعملا بمبدأ حماية المسيحية هو شن حرب طاحنة ضد الفلاحة تحليلهم كان: "هل لنا أمام كل هذا أن نتحدث عن العدالة والسلام والحب والبر والصدقة، عندما يواجهنا أولئك الذباحون والسفاحون واللصوص العرب المسلمين، مجملهم متعصبون تحركهم أيادي موسكو" حتى الطبقة الضعيفة من الأقلية الأوروبية لقبته مستهزئة "محمد دوفال"².

لكنه ورغم ذلك فإن هناك من العناصر الأوروبية التي تفهمت الوضع وعملت ضد القمع بل وضعت نفسها تحت خدمة القضية الجزائرية، تحالفت ومنذ الانطلاقة، ساهمت في دفعها وإنجاحها³، أوقفوا عذبوا من قبل أجهزة مصالح البوليس والمظليين، برهنوا على نحو دقيق بموقفهم وهم يسامون العذاب من ذوي قرباهم، ولم يكشف فرنسي واحد حقيقة أمور رئيسية، بل كثيرا ما قاوموا⁴.

حتى أن البعض منهم أعدم وسقط رأسه على المقصلة التي نصبت في فناء سجن بربروس بالجزائر العاصمة ممثلا في شخص "فرناند إيفتون Fernand Iveton" يوم 11 فبراير 1957، لم يكن وحده ممن انضموا لصفوف الثورة التحريرية، هم الآخريين قتلوا في قلب المعركة مثل "مايو Maillot" ومنهم من لفظ أنفاسه تحت التعذيب كـ "موريس أودان"⁵.

¹ - مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، ص: 96.

² - باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، ص. ص: 30-31.

³ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 77.

⁴ - فرانز فانون، العام الخامس للثورة...، مصدر سابق، ص: 162.

⁵ - باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، ص: 39.

خدمات جليلة قدمتها طائفة منهم للثورة كشبكة جونسون والتي يقول فيها فرحات عباس: "عدمها سمح بوضع كفاح الجزائريين في سياقه الحقيقي، كفاح ضد النظام الاستعماري، إنها معركة وطنية خالية من العنصرية وليست ذات طابع ديني"¹.

إلا أنه وبالمقابل لا يمكن أن ننسى اعتراف الثورة التحريرية وانطلاقاً من أول وثيقة رسمية لها (بيان أول نوفمبر بالأقلية الأوروبية على أنها جزء من المجتمع الجزائري، راعت أن نضجها في وضع واقعي بحيث لا تستطيع فرنسا أن تتذرع بهم كورقة أو حجة تهدف بها إلى الإبقاء على النظام الكولونيالي الاستعماري في الجزائر)².

1-2 إعلام الأقلية الأوروبية ودوره أثناء الثورة التحريرية

ركز الاستعمار الفرنسي في غزوه للجزائر سنة 1830 على الصحافة والتي اعتبرها من الوسائل الأساسية التي تمكنه من السيطرة على الشعب الجزائري، بدليل أن المطبعة كانت ضمن العتاد الحربي الذي حملة الجيش الفرنسي في غزوه، فباشر بطبع أول صحيفة استعمارية تحت اسم "ليستفات دو سيدي فرج" لتتواصل المهمة بصحف أخرى مثل المبشر حتى أن بلغ حجم اهتمام الاستعمار بهذه الوسيلة على أن تكون صحيفة واحدة على الأقل في كل مركز عمراني فيه معمرين والتي كثيراً ما لبثت حاجاتهم ساعية إلى توحيد آرائهم ومواقفهم والتعبير عنها، ولا يمكن لأحد أن ينكر ما للكولون من وزن وتأثير في صياغة السياسة الاستعمارية³.

ظلت صحافتهم بالجزائر ذات طابع متواضع حتى سنة 1848، لكنها لم تلبث أن أخذت في النمو والانتساع في الحرب العالمية الأولى إذ شهدت الجزائر بروز الكثير من الصحف الناطقة باسم الأقلية الأوروبية، مائة وعشرون صحيفة يومية وأسبوعية ومجلات

¹ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 262.

² - المجاهد، 1961، ص: 88.

³ - لعياض نصر الدين، الخطاب الصحفي الاستعماري في ظروف الأزمة، مجلة المصادر، العدد الأول، 1999، ص: 13.

شهرية، حتى وهران وقسنطينة كان لكل منهما صحفهما الإخبارية وصحف الرأي، كما أن المدن الداخلية وحتى بعض قراهم كانت لها نشراتها وصحفها الخاصة¹.

عبرت عن وجهة نظرهم لأنها تحرر من قبل الفرنسيين ونادراً ما يكتب فيها جزائريون، من هذه الصحف الجزائري L'Algérien - المجلة الإفريقية Revue Africain، تميز إصدار الصحف الفرنسية بالكثرة والتنوع في الاختصاصات والاهتمامات² كثيراً ما روجت لهم أنها الفئة الصالحة التي ضحت بحياتها من أجل هذه الأرض والتي أصبحت ملكاً لهم، ودفعت فرنسي فرنسا بحملهم على احترام هذه الأجيال التي ضحت بحياتها كما ركزت على بعض المحاور في تحليلاتها، المعمرون الشجعان لم يغيروا المشاهد الطبيعية فحسب، لكنهم أرادوا جلب أفضل ما في الحضارة "للعرب الأقطاط"³.

تساهلها معهم تركهم أن يوجهوا صحافتهم معارضين حكوماتهم التي وضعت بعض القيود وأمام الهجرة الأوروبية، قوانين لحماية الملكية فبدت لهم أنها تدافع على الجزائريين، وعليه بدعوا المطالبة بفصل الجزائر عن فرنسا مالياً وإدارياً خاصة بعدما أن اطمأنوا للهدوء السائد، أرادوا الاستثمار والاستغلال لها دون أن تكون عليهم رقابة⁴.

ورغم ذلك فإن النظام الاستعماري استعان بوسائل الإعلام التي سعت لتجسيد مقولة "الجزائر جزء من فرنسا" وذلك بتقديم مادة إعلامية متوازنة عن الحياة السياسية والثقافية والرياضية في فرنسا والجزائر المستعمرة، حتى يصبح القارئ من الكولون

¹ - جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص: 29. أنظر كذلك: عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 25.

² - الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزء الثالث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص: 16.

³ - أني غولد زيفر، مرجع سابق، ص: 471.

⁴ - الزبير سيف الإسلام، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص: 25.

والجزائري أنه موجود في جزء من التراب الفرنسي، ليصبح عضو يدعو القراء جهراً إلى الحركة والنشاط للمقاومة، مقاومة صناع نوفمبر¹.

كما ركزت السلطة الاستعمارية على وسيلة الراديو التي هي بالنسبة لهم تعتبر الأداة الوحيدة لكي يبقى المرء مرتبطاً بالمدن وما يجري بالبلد المحتل وبالعالم المتمدين، يقول فرانز فانون وحسب تعبير المعمر المعتاد: "الوسيلة الوحيدة لاستمرار شعور الإنسان بأنه رجل متمدن" يشعر المزارع بسلطته، يمنحه الأمن لاستثماره الزراعي، موسيقى باريس ومقتطفات صحفها تشكل له لوحة متلاحمة ينهل منها المجتمع الاستعماري ما يطمئن أقدامه، ويبرر وجوده، راديو الجزائر يتعهد غرس ثقافة المحتل².

لذلك تميز رد فعلهم بعصبية مبنية على الخوف الذي قادهم نحو معارضة كل حل آخر غير سيطرتهم على مجموع البلاد، فتترك السلطات الفرنسية الحرية التامة لصحافة الكولون تتالت دعايتهم ونشاطهم في تسميم الجو وإثارة الأذهان³.

نجدها أنها لم تعر أي اهتمام لإصلاحات التي طلبها المنتخبون المسلمون حتى ما قبل اندلاع الثورة، بل هاجمت وبقوة كل مشاريع الإصلاح خاصة منه التمثيل البرلماني⁴. بحيث أنه ومن خلال صحافتهم المحلية، نجد أن معظمهم كانوا يرفضون دائماً الإدماج المساواتي للمسلمين⁵، ذلك ما وقف عليه فرحات عباس في كتابه "ليل الاستعمار" قوله: "ليس للمعمرين أي وعي سياسي، تراه يثور من جهة ضد الدولة كلما بدا له أنها تهدد امتيازاته، ولا يتورع من جهة أخرى عن طلبه مساندتها بعنف وصخب كلما حلت به

¹ - لعياض نصر الدين، مرجع سابق، ص. ص: 15-16.

² - فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 68.

³ - المجاهد، 22 أوت 1960، العدد، 75، ص: 6.

⁴ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين 1830-1954، محمد المعراجي، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2008، ص: 271.

⁵ - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، مصدر سابق، ص: 986.

أزمة، تلك الأزمة التي يرمي مسئوليتها على الدولة نفسها، أما في سياسته إزاء الأهالي، فإنه معارض كل المعارضة لكل إصلاح وذلك بإصرار جنوني"¹.

وذلك بعد أن تحالف كبار الملاك وأصحاب العقارات، أرباب الكروم والحلفاء مع الرأسمالية الصناعية ومالكي مناجم الفوسفات والحديد وآبار البترول، فشكّلوا سدا منيعا في وجه أي تغيير سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي²، بل يمكن الحديث عن لوبي كولونيالي حقيقي تقف وراءه العائلات الإقطاعية الكبرى³.

التي صممت الدفاع عن النظام الاستعماري الذي يضمن لها امتيازاتها وسيطرتها وبذلك كانت بالمرصاد حتى لا يختل نظام الاستعمار، مستعدة دائما لتعبئة جميع قواها في سبيل ذلك، وهم بذلك لا يعرفون للعواطف معنى ولكنهم يعرفون إلا مصالحهم خاصة إذا ما كانت مهددة⁴. وما ذلك بغريب عنها إذ ومع تفكيك المنظمة الخاصة تبنت وعبر طول أعمدها وعرضها تقنع قراءها بأن المشكل الجزائري مشكل جندرما ليس إلا، حيث أن العربي لا يحترم إلا بالقوة"⁵.

وكثيرا ما سخرت من الوضع القائم خاصة مع تنامي النزعة القومية الإسلامية الانفصالية، حيث ارتكزت بعضها في تحليلاتها: " نرتعش نحن حين نعلم فجأة بأن خطراً بهذا الحجم يهددنا، إننا نعيش فوق بركان، يقوم العرب وخناجرهم بين أسنانهم بإيقاد ناره وتلغيمها ويهتفون بالنبي ونحن قاب قوسين أو أدنى من أن نرمى في البحر"⁶.

¹ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 147.

² - Slimane Chikh, L'Algérie en armes ou le temps des certitudes, O.P.U, Alger, 1981, p: 193.

³ - عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي 1947 - 1954، الجزء الثالث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1996، ص: 206.

⁴ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، صدر سابق، ص: 267.

⁵ - فرحات عباس، مصدر نفسه، ص: 260.

⁶ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919 - 1939، الجزء الأول، ترجمة: أحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص: 535.

وبذلك أصبحوا يتصرفون كما يرغبون بفضل الوسائل التي يملكونها في أيديهم وخاصة الصحف التي تصدر عشرات الآلاف من النسخ، أصبحت تقوم بحملات جنونية، وحتى بسكوتها المطبق على الحوادث الجزائرية، تكون جوا من الهيجان والتطرف والعنصرية التي تملأ بها قلوب القراء¹. وبما أنها وجدت الدعم والمساندة، ألزمت كل جريدة نفسها بتبني مشكلهم وجعلته من مشاكلها ولو أدى ذلك إلى انتقاد الجيش، حتى الإدارة المحلية كانت وراءها بالتشجيع والتوجيه². فراحت تنمو دعاية ذات اتجاه واحد ولعقود من الزمن يقول فرحات عباس: "معتمدة على عامل الدم الأوروبي والعقيدة المسيحية والحضارة الأوروبية لتخلق لدى المستفيدين من هذا النظام سياجا من الامتيازات غير قابل للاختراق... لا يمكن للعربي وفي جميع الأحوال أن يحل محل الأوروبي ولا أن يرتفع إلى مستواه، وإلى غاية 1954 كان هذا المفهوم بمثابة القانون"³. خاصة وأن غالبيتها خاضع من ناحية التمويل للكلون، أصبحت منبراً يدافع عن مصالحهم، ويعبر عن وجهات نظرهم، لذلك تميزت ببث الحقد والكراهية لكل ما يمت للجزائريين من صلة، باشرت حملة شرسة بإثارة الغضب في أوساط الجالية الأوروبية والمسيحية مرغمة الحاكم العام في الجزائر الإسراع في القضاء على الثورة قبل أن يستفحل أمرها⁴.

وإدراكا منها لأهميتها ودورها، سهلت الإدارة الاستعمارية مأموريتها، وحتى تستجيب لسياستها وهو ما جسده صحافة الكلون من صدى الجزائر، ووهران... عبر خطوط افتتاحياتها وبالأخص لطموحات الطبقة الكولونيالية⁵.

¹ - عبد الله شريط، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1956، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، ص 56.

² - الزبير سيف الإسلام، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص: 29.

³ - فرحات عباس، تشريح حرب، ترجمة: أحمد منور، الجزائر، 2010، ص: 303.

⁴ - لعياض نصر الدين، الخطاب الصحفي الاستعماري في ظروف الأزمة، مجلة علوم الإعلام والاتصال، العدد الثالث، 1999، ص: 10.

⁵ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص. ص: 160 - 161.

حتى جهاز الراديو في الجزائر المحتلة هو تكتيك المحتل وإطار للسيطرة الاستعمارية ووسيلة للصمود عند الأقلية الأوروبية، وضغط ثقافي على المجتمع الخاضع، حتى الكولون يقرون بذلك ويرددون "لولا الخمر والراديو لكنا الآن قد استعربنا"¹.

ومن الصحف نأخذ على سبيل المثال جريدة الأخبار التي كانت أقدم وأكبر الجرائد الفرنسية بالجزائر، نجدها تخصص بالحديث في صفحتها الأولى عن الأحداث الأوروبية وتخصص الثانية الإعلانات والثالثة والرابعة تغطي مقالات مختلفة ويليهما حياة الجالية الأوروبية، لم يكن نصيب شعب الجزائر منها إلا اسمها وكانت يمثلها الصحف الأخرى على شاكلة واحدة².

وما ذلك بغريب عنها، إذ هو نفس الدور الذي قامت به خلال الحرب العالمية الثانية، حيث أصبحت تعكس رؤيا السلطات مع دفاعها عن وجهة نظر الكولون، بل أظهرت أن المقاومين الحقيقيين هم بالجزائر وليس بباريس أو لندن، كلها كانت مارشالية، تابعت بكل تعاطف وجهات نظر "دارلان Darlan" والذي كان من المدافعين عن التقارب مع ألمانيا إلى جانب تصدرها النشرات وبكل دقة عن كل البيانات الألمانية وقرارات حكومة فيشي "Vichy" والإجراءات الصادرة عن الحاكم العام³.

ومنها واصلت جرائدهم كالبرقية La Dépêche وصدى الجزائر L'écho d'Alger وغيرها من صناعة الحدث، كما استطاعت إقناع الجميع وخاصة الوطنيين المتشددون من الحرب أن الخيار منحصر "بين الحقيقة والتأبوت"⁴. وذهبت في التحريض إلى أكثر من ذلك عندما لجأت صدى الجزائر وبتاريخ 21 جويلية 1955 إلى نشر ما كتبه الأب "شارل دوفوكو" عن ثورة الأوراس سنة 1916، جاء في ذلك: "إن عدم القمع بشدة معناه تشجيع المجرمين ودفع الآخرين إلى إتياعهم... فقدان احترام الجميع،

¹ - فرانز فانون، العام الخامس للثورة...، مصدر سابق، ص. ص: 68-72.

² - الزبير سيف الإسلام، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص. ص: 24-25.

³ - أني غولد زيفر، مرجع سابق، ص: 40.

⁴ - باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: 18.

الخاضعين والتمتردين الذين لن يروا في ذلك السلوك غير الضعف والتردد والخوف، إفشال الأوفياء الذين يرون أن نفس المعاملة تقريبا تنتظر الأوفياء والتمتردين ومفعولها الكامل الذي قد يكون خطيراً ومؤدياً إلى التمرد المطلق"¹. إنها لم تنقيد بصياغة الخبر بل مجهودها كان يهدف إلى زرع الرعب والخوف في النفوس، يرمي إلى تثبيت منطق تبريري للتدخل الاستعماري العنيف بغية القمع والاضطهاد"².

خطابها كان يهدف لاكتساب شرعية استباحته هدر دم المجاهدين وأكثر من ذلك يقدم أحكاماً تفند الوجود الاستعماري بل تقدم قيماً لاستمراره، مبرزة الإنجازات التي حققها في الجزائر المستعمرة، وأكثر من ذلك فإنها تتساءل عن سبب توجيه السلاح إلى صدر المستعمر، صحافة وضعت صورة المستعمر بناءً مشرقة وصورة المستعمر هدامة وقاتمة"³.

ترك لها الاستعمار حرية البروز، إنها تمثل أصحاب المليارات الذين يخشون الثورة وانتصاراتها، الكولون الكبير يقول لعماله الاختصاصيين هل تعرفون مصيركم لو تستقل الجزائر، إن العربي الذي يطردني من هنا يستعبدكم... سيحرق بكم الأرض، لم تسمعوا بأن "فلان" الذي كان يشتغل عندنا راعياً والذي التحق بالثوار طالب بأن تكون له هذه المزرعة، وهل تعرفون أن الثوار وعدوه بذلك..." هي اللهجة التي استعملها كبار الكولون وقرأها صغارهم في الصحف أو عبر بلاغات متحمسة في المناشير ويسمعونها في الحقل، المصنع، المكتب وفي الاجتماعات المحمومة وحتى في مواضع بعض الكنائس، جعلهم يبدون رد فعلهم في مظهر المجموعة، وبذلك نجح أصحاب المصالح من كبارهم إسهام الأوروبيين الصغار أن استقلال الجزائر يعني الإبادة وبذلك ضمنوا أغلبيتهم واندفاعهم وراء شعارات سطحية وتمسكهم بالجزائر الوهمية"⁴.

¹ - L'écho d'Alger, 21-07-1955.

² - المجاهد، 16-11-1959، العدد، 55، ص: 14.

³ - لعياض نصر الدين، الخطاب الصحفي، مجلة المصادر، العدد الأول، 1999، ص: 24.

⁴ - المجاهد، 11 ديسمبر 1961، العدد، 110، ص: 5.

لذلك شنت وبالظاهر حملة شعواء ضد انطلاقتها، إذ كثيراً ما حرفت الأحداث وزيفتها، تكلمت عن بعض الأعمال اللصوصية وأعمال منفردة وذلك لتتنقص من قوة الثورة وضخامتها¹. لكنه وبعد أن أحست بالخطر غيرت من لهجتها التي أصبحت تصب في التحريض والدفع بالحكومة الفرنسية القضاء عليها وأخذ الأمور بشكل جدي وهو ما عبّرت عنه جريدة صدى الجزائر: " أن الثورة ناجمة عن برنامج مستوعب التفكير وأن مدبري هذه العمليات أدركوا أن جو الجزائر يفتح طريقاً إلى عمليات أكثر عمقا وأكثر اتساعاً وانتشاراً، لذا يجب العمل بسرعة على ترحيل الديناميت الملقى على الجزائر لأن السلم الاجتماعي يتطلب ذلك"².

كما أورد مبعوثها الخاص من مدينة سطيف يصف فيه مظاهر الثورة وقلق الأوروبيين المدنيين واضطرابهم أمام تواصلها جاء في مقاله ما يلي: " إن الأوروبيين يعيشون في جو خائف يخلفه الفدائيون والغريب أنه كلما أُلقي القبض على خلية من الخلايا، إلا وتشكلت أخرى مكانها بسرعة عجيبة، لتواصل العمل، والغريب أن هذه الخلايا تتمتع دائماً بتأييد أناس في المدينة"³.

كما عبّرت جريدة البرقية اليومية وعلى صفحاتها الأولى وبالبنء العريض: " اضربوا على الرأس" موجهة انتقادات لاذعة للإدارة الفرنسية لإهمالها دافعة إياها باتخاذ سياسة واقعية يرغبها وينتظرها السكان الأوروبيون والمسلمون مشددة على ضرب هذه الكمشة من المهرجين على الرأس⁴. حتى أنها وظفت تلك الحساسيات لخلق الانقسام انطلاقاً من سياسة فرق تسد وسط الشعب الجزائري لدفعه إلى التناحر والاقتتال، على

¹ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 278.

² - L'écho d'Alger, 2-11-1954

³ - المجاهد، 02-04-1959، العدد، 39، ص: 11.

⁴ - La dépêche quotidienne, 2-11-1954

أساس تناقض وهمي، إذ أكدت ومن غير براءة على المفردات التالية: "الشاوي، العربي..."¹.

كما قامت بشحنهم بعبارات وتحاليل جنونية متطرفة: "سحارب إلى آخر واحد منا، سنحمل السلاح وسنصعد إلى الجبل، سنقضي على وجود الجمهورية، لم يبق إلا تقتيل جميع العرب، الجيش هو وحده القادر على تسيير دفة الحكم، كل الفرنسيين في فرنسا جناء، إنهم يتخلون عنا فسنتطلب الإعانة من الأمريكان، هيئة الأمم المتحدة هي وحدها القدرة على إنقاذنا، يجب أن نخرج جميعا من الجزائر..."².

وفعلا تجسدت مطالبهم إذ أصبح وعلى مستويات عليا من السلطة وعندهم وزير الداخلية الفرنسي آنذاك "فرانسوا ميتران" والذي أبدى رفضا لكل تنازل بالتفاوض مصرحاً: "لا يمكن أن تكون هناك محادثات بين الدولة والعصابات المتمردة... إلى جانب من يساندون مطالبهم هم أعداؤنا عليها بإعلان الحرب عليهم"³.

وكثيرا ما تعارضت صحفهم مع الحكومة المركزية إلى أن وصلت بتصدر صفحاتها التشجيع على الانفصال أو الاستقلال بالجزائر، لكنه ومع اندلاع الثورة التحريرية تقاربت وتحالفت معها مع استعطافها لوضع إمكاناتها المتاحة لاسترجاع الأمن والاستقرار الذي كانوا ينعمون به، فبذلك تحولت صحفهم إلى منبر الإدارة الاستعمارية على الجزائريين وأبعد من ذلك أنها كانت بمثابة المحرض للقراء على مقاومة الثوار⁴.

لقد ركبت موجة الدعاية المغرضة والموجهة للرأي العام العالمي، وخاصة الغربي منه، أن ما يحدث في الجزائر ما هو إلا تمرد داخلي من قبل مجموعة من الخارجين عن القانون مدفوعين بتعصب ديني ومن تدبير العنصرية العربية بالقاهرة، مدعمين بتأييد الشيوعية العالمية، هدفهم إقامة دولة إسلامية والقضاء على العناصر الأوروبية الموجودة

¹ - لعياض نصر الدين، الخطاب الصحفي، مرجع سابق، مجلة المصادر، ص: 22.

² - المجاهد، 22 أوت 1960، العدد، 75، ص: 6.

³ - Le Figaro، 6.7-11-1954

⁴ - لعياض نصر الدين، الخطاب الصحفي، مرجع سابق، مجلة المصادر، ص.ص: 7-9.

في الجزائر¹. وما هو بغريب ولا ببعيد عنها، حيث أنه ومع تحرك الأمير خالد بدأت صحفهم في تحريك فزاعة القومية العربية والبلشفية ورأت في ذلك تفاقم البلبلة والتشويش باسم القومية الإسلامية التي كانت تتجمع وراء الأمير خالد². حتى أن وصل الأمر بالكولون، دفع المنتخبين الجزائريين شجب عمل الأمير خالد وبعثوا باحتجاج للرئيس "ميليران" أجمعوا حوله رفضهم الدعوة إلى الثورة على السيطرة الفرنسية، حتى أنهم اتهموه بالعمالة للألمان ورغبته في إثارة مسلمي الجزائر³.

وهو ما عبر عنه بنفسه في رسالته للرئيس ويلسون قوله: "ناهضوا أي إصلاح.. أرسلوا علينا كل العواصف الممكنة وكل الأحقاد وكل المفتريات المهينة"⁴.

وبهذا نجدها تذكر وبحزم على قوة التصدي لدى السلطات الاستعمارية، وتشدد على استعمال الوسائل اللازمة لإخماد "التمرد، تصفية الإرهاب" وهو ما يقرأ من خلال عناوين المقالات والتقارير الصحفية، "إرسال ثلاث سفن حربية إلى مواني قسنطينة، الطائرات تدعم اليوم نشاط الفرق العسكرية في خنشلة، إلقاء القبض على مائة وستة وتسعين شخصا في الجزائر خلال ثمانية وأربعين ساعة، مصادرة الأسلحة والقنابل، لقد قطع رأس المنظمة الإرهابية"⁵. كما اعتمدت على عدم نشر المجازر التي كان يرتكبها الفرنسيون في القرى الجزائرية والحملات الترويعية التي قام بها الكولون والبوليس الفرنسي على الأحياء العربي في المدن وإعدام الأسرى الجزائريين بدون محاكمات، في حين أنها تستنكر لأية هفوة تصدر من جيش التحرير، رغم أنه كان حريصا على الالتزام باتفاقيات جنيف في معاملة الأسرى الفرنسيين وعدم إيذاء المدنيين منهم"⁶.

¹ - المجاهد، 20 أوت 1957.

² - la dépêche Algérienne, 19.21Avril 1922.

³ - La Lutte sociale, 8-28 septembre 1920.

⁴ - الأمير خالد، رسالة إلى الرئيس ويلسون ونصوص أخرى، ترجمة: محمد معراجي، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص: 69.

⁵ - لعياض نصر الدين، الخطاب الصحفي، مجلة المصادر، مرجع سابق، ص: 20.

⁶ - جمال قنان، مرجع سابق، ص: 158.

وصلت صحافتهم إلى اتهامات جنونية ونداءات محمومة اتجاه فرنسيي فرنسا أنهم الجبناء، كما أن معظم المسيحيين بالجزائر يحكمون على الصحافة المسيحية بفرنسا أنها انهزامية وموالية للشيوعية وأنها تجهل المشاغل الحقيقية للجزائر، هاجمت حتى الجنرال ديغول بأفكار مغرضة عبر مناشير وزعت بانتظام جاء في البعض منها: " يجب أن يفضح الكذب والخداع المتمثل في ديغول، يجب أن يدرك شعب فرنسا أن مغامرته الإجرامية المقاتلة ليست إلا سلسلة مفصلة من الجزائر والتخلي، إن واجبنا المقدس يتمثل في الانضمام إلى صفوف الحركة المناهضة للثورة العالمية للدفاع عن فرنسا والحضارة المسيحية، إننا ندعوكم جميعا إلى مواصلة الكفاح إلى جانب الخير ضد الشر وبجانب الحركة المسيحية المناهضة للثورة ضد الثورة اللائكية والمارسونية والماركسية، فهذا فقط يمكننا أن ننقذ الجزائر الفرنسية وفرنسا"¹.

بما في ذلك كتابات "دي سيزني" صاحب جريدة "ليكو دالجي" الاستعمارية والذي يعتبر من كبار الرؤوس المتطرفة بالجزائر، عرف بكتاباته لمقالات "وطنية ملتبهة" على الحقوق بعد تولي الجنرال ديغول السلطة، إذ اتهمه الجميع بالخيانة والتخلي عن الجزائر الفرنسية، دعا من خلال مقالاته الصمود أمام هذه السياسة والعمل على مكافحتها بجميع الوسائل²، كما كتب المريشال "جوان" مقالا نشرته صحيفته "لورور" اليمينية أبدى من خلاله معارضته لسياسة الجنرال ديغول، إذ رأى في بيان 16 سبتمبر 1958 أنه جدد للثوار آمالا كانت على وشك أن تموت وزعم أن الثوار ما هم إلا كمشة من الخارجين على القانون³.

وعملت صحافتهم على تشويه سمعة المجاهدين وثورتهم في حرب نفسية دعائية منتهجة خطاب مغرض فيه من الأراجيف كله من أجل نزع خصال البطولة والشجاعة

¹ - المجاهد، 22 أوت 1960، العدد، 75، ص: 6.

² - المجاهد، 16 نوفمبر 1959، العدد، 55، ص: 11.

³ - نفسه، ص: 11.

والإقدام والتضحية والرحمة والشفقة والإنسانية عنهم¹. وهو ما عبرت عنه جريدة صدى الجزائر بتاريخ 2 نوفمبر 1954: " في الليلة التي سبقت عيد الأموات، وفي الوقت الذي تم الاستعداد والاحتفال بذكرىات الموتى، كل الموتى وقعت سلسلة من الأعمال الإرهابية"².

وبنفس اللهجة على الصفحة الأولى من جريدة "لاكروا - La Croix" تصاعد الإرهاب في شمال إفريقيا³، كما كتبت جريدة "لوفيغارو Le figaro" نفس الاتجاه وعلى واجهتها بعنوان "موجات من الإرهاب في الجزائر، ثلاثون عملية ارتكبت عبر جهات قسنطينة، الجزائر، وهران، خلال ليلة الأحد إلى الاثنين، هوجمت مكاتب البوليس والجندرمة بالقنابل"⁴.

إلى جانب جريدة "لوكومبا Le combat" كتبت موجات من العمليات في الجزائر، سبع وفيات، الشرطة والمظليين أرسلوا على الفور⁵ بما في ذلك جريدة "لوباريزيان Le parisien" التي خطت وعلى صفحتها الأولى بالبند العريض "الإرهاب في الجزائر ليلة الأحد إلى الاثنين، ثلاثون عملية أسفرت عن ثمانية قتلى والعديد من الجرحى⁶. حتى جريدة "لوموند Le Monde" هي الأخرى وبنفس اللهجة "الإرهاب في شمال إفريقيا" العديد من القتلى في الجزائر خلال عمليات هجومية على مراكز الشرطة، عمليات عدد من القوات المسلحة أرسلت نحو الجزائر⁷. وأضافت مدن الجزائر معبرة أن "من أكبر المجرمين الذين ساهموا في العمليات الأولى ضد السلطات العسكرية الفرنسية"⁸.

¹ - لعياض نصر الدين، الخطاب الصحفي، مجلة المصادر، مرجع سابق، ص: 12.

² - L'écho d'Alger, 2-11-1954.

³ - La Croix, 2-11-1954.

⁴ - Le figaro, 2-11-1954.

⁵ - le Combat, Journal de Paris, 2-11-1954.

⁶ - Le Parisien, 2-11-1954.

⁷ - le Monde, 2-11-1954.

⁸ - L'écho d'Alger, 2-11-1954.

وكثيرا ما رددت على المجاهدين بنعوت وأوصاف تنم عن حقد وضغينة "شرذمة، إرهابيون، مخربون، الفلاقة، الخارجون عن القانون" "Hors la loi- brigands- terroristes- saboteurs- fellagas"¹.

كما زادت في تشويههم وعملت على تعميم فكرة أن المجاهدين إنما هم جماعة أشرار معزولين منبوذين من الشعب الذي لا يرغب سوى أن يبقى مع فرنسا بكامل الحقوق والواجبات².

وهو ما تبنته جريدة "لا ديباش كوتيديان" قولها: " في كل مكان حللنا به خلال جولتنا ببلاد القبائل قيل لنا، يجب القضاء على هذا التنظيم وعندئذ يعود الهدوء إلى ما كان عليه فيشعر سكان هذا البلد أنهم محميون بكيفية أحسن ويمكن للجزائر أن تسير حقيقة إلى مصيرها"³.

ذلك ما عبر عنه "تريمو Trumaud" بتصريحه أمام المجلس العام وتصدرته جريدة الجزائر: "... إن هذه الاعتداءات التي يقوم بها الجبناء، قامت بها حفنة من المتعصبين لا يمكن الخلط بينهم وبين مجموع السكان فهؤلاء هادئون فعلا وبقوا هادئين"⁴.

وهو ما عبرت عنه جريدة صدى وهران على صفتها الأولى بالبند العريض:

"Si des fous act envisages une rupture entre la France et l'Algérie c'est qu'ils sont aveugles par le fanatisme".⁵

¹ – L'écho d'Alger, 6-11-1954.

² – L'écho d'Alger, 27-11-1954.

³ – La dépêche quotidienne, 2-11-1954.

⁴ – Le journal d'Alger, 2-11-1954.

⁵ – L'écho d'Alger, 9-11-1954.

كما ركبت كل ما من شأنه التقليل للحدث بل روجت ما صدر عن سلطتها من تضليل، فعشية ما بعد الانطلاقة، أصدر الحاكم العام بالجزائر بلاغ لطمأنت الكولون وهو ما تبنته الصحف "اتخذت على الفور إجراءات حازمة وسريعة لمواجهة هذه الأحداث من بينها استدعاء الاحتياط لتدعيم القوات الفرنسية في مناطق الحوادث، وأن السكان الذين وضعوا ثقتهم فيما يتخذ الحاكم العام من إجراءات لتهدئة الحال وضمان الأمن والقضاء على الأقلية المجرمة قد سيطر عليهم الهدوء وضبط الأعصاب في جميع أوساطهم"¹.

لكن جريدة الجزائر عبرت بما يلي: "لقد وصلنا إلى ما استشرفه أناس متبصرون وتصوره كل من كان على اتصال بالواقع اليومي، إن الجزائر قد اهتزت أمس وليست الأرض التي زلزلت... وليست الجماهير التي ثارت، بل إنه أسوأ من ذلك كله... إنه الإرهاب"². إلا أن البعض منها أوعز الأمر لأيادي خارجية ذلك ما عبرت عنه جريدة صدى الجزائر بنشر مقتطفات على لسان السيد "فوجور Vaujour" مدير الأمن العام أمام الجمعية الوطنية جاء فيها أنه على يقين أن الأشخاص الذين يقفون وراء هذه الأحداث مسيروا بأوامر خارجية³. ذلك ما ذهب إليه "لاديباش كوتيدان" قولها: "أن عناصر أجنبية قد تسربت إلى الجزائر لوضع تجاربها في خدمة المشوشين الذين تراقب أعمالهم السلطات المحلية منذ أمد بعيد"⁴.

وأضافت صدى وهران ما اتهم به "مانديس فرانس" رئيس الحكومة الفرنسية دولة مصر طالبا منها توقيف مساعدتها للثوار، كما لجأ لمساومتها اقتصاديا وذلك بدعم مشروع تشييد "سد أسوان" إلى جانب تشجيع الرأسماليين الفرنسيين الاستثمار كما ألح في تدخله أمام الجمعية الوطنية الفرنسية "إن الوقت قد حان لكي تتحمل الحكومة المصرية مسؤولياتها"⁵.

¹ – la dépêche de Constantine, 2-11-1954.

² – Le Journal d'Alger, 2-11-1954.

³ – L'écho d'Alger, 27-11-1954.

⁴ – La dépêche quotidienne, 2-11-1954.

⁵ – L'écho d'Oran, 13-11-1954.

وذهبت أبعد من ذلك إذ سجلت له جريدة لوموند ما بعث به من رسائل للكتلة الشيوعية متهما إياها: "... كان الجو هادئاً، وكل الشر جاء فجأة من إذاعتي القاهرة وبودابست وهذا الوضع مثار القلق دائماً لنا، ومن هذين العالمين يعد المهاجرون والمشاغبون ومنها تتسرب الأسلحة التي بها تجد الحرب الكلامية امتدادها في الحرب الدموية¹.

وكثيراً ما استهجن البعض منها الحدث واعتبرت أن المعطيات التي رافقت هذه الأحداث كالسرية والمباغلة والإستراتيجية العسكرية المتبعة والأهداف والتوقيت، كلها أمور تدل أنها فوق طاقة تفكير الأهالي². كما حلت جريدة لوموند وعلى نفس المنحنى لجرائد الكولون، أن العمليات ليست لها طابع المصالية بحيث لم تتبعها تحركات جماهيرية أو تمردات وانتفاضات، لذلك لا يسعنا إلا أن نصدق بأننا أمام منطقة خارجة عن الأحزاب الوطنية، ولا تمت بصلة إلى الجماهير³.

من أكاذيب وبدت لها صدى واسع في الوسط الفرنسي، ودعماً لهذه المواقف صرح "جاك شوفاليي" رئيس بلدية الجزائر قوله: "إن الهدف من العمليات المسلحة التي كانت في الأول من نوفمبر في منتصف الليل، هي محاولة تشتيت بهدف فك الحصار على "الفلاقة" الموجودين في الحدود التونسية والذين يتعرضون لضغط الجنرال "دولاترو"⁴.

وعندما يخترق من رؤوس الكولون وأرغموهم على الخروج من الجزائر حتى لا يزدوا في التشهير بفضائح التواطؤ الاستعماري الغادر وفي كشف الحقائق عن ما يجري بالجزائر من تقتيل وتخريب وترويع للمدنيين الجزائريين العزل⁵.

¹ - le Monde, 21-11-1954.

² - L'écho d'Alger, 3-11-1954.

³ - Le Monde, 3-11-1954.

⁴ - الزبير سيف الإسلام، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: 92.

⁵ - المجاهد، 09-03-1962، العدد، 116.

وبعدما أن ثقلت جريدة ما من احتكاراتهم مثل ما حدث مع "الجزائر الجمهورية" التي كان يشرف عليها "هنري علاق" وهي الوحيدة التي خرجت عن الخط الذي رسمته الإدارة الاستعمارية وأعوانها¹.

جريدة واحدة كانت كافية إثارة اهتمام المجموعات المتطرفة من دعاة "الجزائر الفرنسية" وعليه وفي إحدى ليالي جويلية 1956 وضعوا عبوة ناسفة عند المدخل الرئيسي للجريدة، يقول هنري علاق: "نسف انفجارها الباب الحديدي وألحق أضرارا بالبهو والمكتب الذي تنام فيه "جورج كاتوني وأنا" كله انتفاضا من الخط الذي رسمته الجريدة لنفسها². وبما أن الجزائريين متعطشين للمعلومات الموضوعية يلجؤون للصحف "الديمقراطية" التي تأتي من فرنسا، نجد أكشاك بيعها كلهم تقريبا أوروبيين، هو أول من ينتبه لما تمثله هذه النشريات من خطر اقتصادي وسياسي، وذلك ما جعل أصحاب الصحف المكتوبة في الجزائر يحسون بمنافسة الصحافة القادمة من فرنسا مثل "الإكسبرس، فرانس أوبسرفاتور، لوموند..." وعليه بدأت بحملات تشهير استهدفتها انطلاقا من عناوين "الصحافة المتواطئة مع العدو" حتى أصحاب الأكشاك وهم غالبيتهم من قدماء المحاربين اعتادوا على الإجابة بروح عدائية لمقتنيها من الجزائريين "لم تصل بعد هذا النهار صحافة القذرين" حتى أن طلبها معناه الاعتراف علنا بالولاء للثورة وشبيها بفعل وطني"³.

ولذلك تفتنت القيادة السياسية للثورة لخطر مفعول الإعلام والدعاية خاصة منها الراديو الذي شكلت له ما يوازيه من إذاعة متنقلة وأخرى قارة بالقاهرة "صوت الجزائر الحرة" الذي كان له دور كبير في عملية التوعية والتحفيز والرفع من معنويات الشعب

¹ - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 182.

² - نفسه، ص: 217.

³ - فرانس فانون، العام الخامس للثورة...، مصدر سابق، ص.ص: 78-79.

الجزائري¹. كما أصدرت أمرها بمقاطعة الصحافة المحلية كهجوم منها على احتكارات الكولون تكون له نتائج اقتصادية بما في ذلك الابتعاد عن الدعاية الاستعمارية².

ويمكننا القول انطلاقا من قاعدة انقلب السحر على الساحر، نجد أن هذه الوسائل المستعملة انتهت بها إلى إثارة الشعب وتقطينه لوضعه، بدليل أنها ساهمت بشكل أو بآخر تنبيه الجزائريين بعناوين مستفزة "لقد احتلينا البلاد بالقوة وأصبحنا أصحاب البلاد الشرعيين"³.

كما أنها عملت على توعيتهم بعناوين صبت في منحى التمييز وغياب العدالة، مثل ما جاء في تحليلاتها على أن الجزائريين اكتفوا بحصص تموينية شهرية تافهة تمثل 7,5 كغ من الشعير في الريف في وقت يتلقى فيه الكولون قنطارا واحدا من المادة نفسها للرأس الواحد من خنازيرهم "هذا التفاوت وغياب العدالة ساهم وجعل الجماهير الريفية الأكثر غلظة، العناصر الأكثر تسييسا في الوقت نفسه أكثر استجابة وتأثرا بالأفكار الوطنية"⁴. كما أنها دفعت الطرف الآخر (الأقلية الأوروبية) مغادرة البلاد بفعل هاجس الخوف الذي تنامي في خضم الثورة، تضاعف بتطور الحرب، وتعمق بالكتابات الصحفية المثيرة⁵.

¹ - أزغدي محمد لحسن، مرجع سابق، ص: 148.

² - فرانس فانون، العام الخامس للثورة...، مصدر سابق، ص: 80.

³ - الزبير سيف الإسلام، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص: 24.

⁴ - شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، مصدر سابق، ص: 138-139.

⁵ - بن يوسف بن خدة، شهادات ومواقف، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص: 120.

1-3 الأقلية الأوروبية وأحداث 20 أوت 1955

لقد كانت بمثابة نقلة اللاعودة في معركة التحرير، والتي أراد من خلالها القائد زيغوت يوسف، الذي خلف الشهيد ديدوش مراد إنقاذ الثورة التحريرية من الجمود، خاصة وأن جبهة التحرير الوطني لم تنزل بعد في بدايتها وتأثيرها محدود، وعليه فكر في إعطائها دفعا جديداً يجعل كل مصالحه مع الخصم أمراً مستحيلاً، بزيادة خطورة الصراع وتجذير النضال، بمشاركة الشعب فيه¹.

أطلق عليها فرانز فانون في كتابه "معذبو الأرض" النقطة التي لا عودة بعدها "وما يحقق الوصول إلى هذه النقطة هي أعمال قمع ضخمة تشمل جميع قطاعات الشعب المستعمر"². إذ كانت من النقاط المدرجة في هذه الهجومات مزارع ومصانع الكولون الذين استغلوا السكان أبشع استغلال إلى أكثر من أربعة عشر ساعة من العمل القاسي وبأرخص الأجور إلى جانب انعدام سائر حقوقه حتى أنهم منعوا من السير فوق تراب مزارعهم وكل عابر قد يطلق عليه النار، هذا النوع من الكولون استهدفهم الثورة بتحطيم وإلغاء امتيازاتهم التي تحصلوا عليها عن طريق النظام الاستعماري العسكري حيث حمتهم القوانين الإدارية الظالمة³.

رغم أن الثورة التحريرية وقفت إلى حد بعيد من انطلاقها إلى تاريخ 20 أوت 1955 يقول أحمد طالب الإبراهيمي: "اجتتاب العمليات المسلحة الموجهة ضد المدنيين الأوروبيين، لكنها شرعت فيها بعد عمليات التمشيط الدموي الذي ذهب ضحيته آلاف وآلاف المدنيين من الجزائريين"⁴.

¹ - سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح، دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، ترجمة: محمد حافظ الجمالي، منشورات الذكرى الأربعون للاستقلال، الجزائر، 2002، ص.ص: 231-232.

² - فرانز فانون، معذبو الأرض، مصدر سابق، ص: 48.

³ - المجاهد، 3 ديسمبر 1956، العدد، 9.

⁴ - غني برفيليني، النخبة الجزائرية الفرنكوفونية 1880-1962، مرجع سابق، ص: 503.

وعليه جاءت الأحداث التي اجتمعت لها أسباب متنوعة منها أنها جاءت كرد على العنف الشديد الذي مارسه المظليون، حيث قاموا بعمليات قمع جماعي ضد المسلمين بالشمال القسنطيني بعد رجوعهم من حرب الهند الصينية، لذلك تصدرت الثورة الجزائرية لهم بعمليات ضد الأقلية الأوروبية¹.

كما جاءت كرد فعل عن تلك القوانين الصادرة عن الحكومة الفرنسية والتي أبدى نوابهم الموافقة وبحماسة عليها تطبيق حالة الطوارئ التي تجسدت بفعل جلسة 30 مارس 1955، حيث تدخل النائب "جنتون Janton" قوله: " حالة القطر الجزائري لا تستدعي إصلاحات اقتصادية فقط، بل الواجب يحتم على الحكومة أن تبادر بتنفيذ إصلاحات سياسية واجتماعية إلى جانبها التمكن وبسرعة وبصفة حاسمة من إرجاع الأمن والهدوء إلى الجهات التي تقع فيها أعمال الاعتداء"². حتى مندوبوهم سارعوا وبقسنطينة ضمن دورة عامة للمندوبية العامة وبتاريخ 06 ماي 1955، جاء أحد مندوبيهم محذرا قوله: "إن مقترحكم لا يتماشى مع الظرف... أتريدون أن تعودوا إلى سنة 1830؟ احذروا... إنكم وأنتم تريدون أن تأخذوا كل شيء تعرضون أنفسكم إلى فقدان العمل، وتحدثون عن الحقد... ليس لكم الحق في أن تنادوا بالقمع ولا أن تتخذقوا وراء الجيش وتنتظرون... إن الحقد الذي تحدثون عنه ليس حقداً عرقياً، إنه يستهدف الجميع، يستهدف كل أولئك الذين يضعون ربطة عنق، وينامون في سرير إنه حقد رفاهيتكم وبؤسهم"³.

وهكذا يتضح أن الفرنسيين يكذبون حتى على أنفسهم، فالمسؤولون يقول فرحات عباس يتصرفون وكأن المشكلة المطروحة منذ مائة عام قد سويت وأن جبهة التحرير الوطني قد جاءت لتعطل تطوراً طبيعياً يتم إنجازه لفائدة الجميع"⁴.

¹ - باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: 179.

² - جريدة البصائر، 8-4-1954، العدد، 313 ص: 8.

³ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص. ص: 130 - 131.

⁴ - نفسه، ص: 194.

وبالرغم من الإجراءات الأولى التي قامت بها جبهة التحرير الوطني بعدم معاقبة المدنيين الأوروبيين على أفعالهم واستفزازاتهم¹، ذلك ما ترك فرحات عباس يصرح: " يمكننا أن نلوم فرنسيي الجزائر على استهانتهم بقوة جبهة التحرير الوطني، وعلى عدم تقديرهم الصحيح لتصميم شعبنا على الخروج من حالته المهينة ويمكننا أن نلومهم على اشتراكهم في تحقيق مشكلة كان في استطاعتهم لو تحلوا بقليل من الشجاعة والتدبر، أن تحل بالتراضي"².

لكنهم كانوا مطمئنين ومعلقين آمالهم على القوة العسكرية، ورغم ذلك تسلحوا حتى جاءت الأحداث التي أقامت زلزالا حقيقيا هز أركان الاستعمار في الجزائر كلها، كانت عاملا حاسما وخطا فاصلا بين الوهم والحقيقة تجاه الكولون، فزرعت الرعب في نفوسهم، بسبب الفاجعة الغير متوقعة للمشاركة الشعبية الواسعة³، والتي أدت إلى بعض التجاوزات وعدم الانضباط والفوضى⁴.

أشار إليها عبان رمضان أنها سهلت لعبة المعمرين، إذ مست الأوروبيين والقوميين المعتدلين، أي أنها كانت دون تمييز، رغم أن زيغوت يوسف وبن طوبال عبد الله يبرران ذلك إلى العزلة التي كانت توجد فيها الثورة⁵.

وتحليل سليمان الشيخ لها جاء: " أن الوصول إلى هذه النتيجة اقتضى أن يجري الدم، واقتضى الأمر أن تسحق أكثر من "زهرة بريئة" العنف الهائج ميال إلى حذف كل مفهوم للبراءة، عندما يسود العنف في العلاقات بين المستعمرين والمستعمرين فإنه لم يعد هناك وجود للبريئين، ذلك أن اللامبالاة والسكينة المنفعلة، لم يعودوا من الأمور المسموح

¹ - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، مصدر سابق، ص: 154.

² - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 302.

³ - محمد شرقي، نماذج من سياسة التحرير الوطني اتجاه الاستعمار الفرنسي في الولاية الثانية 1954-1962، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، القيم الفكرية الإنسانية في الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، الجزء الأول، قسنطينة، 2003، ص: 176.

⁴ - نفسه، ص: 177.

⁵ - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع 1954-1962، ترجمة: كمال قيصر داخل، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، 1989، ص: 156.

بها حتى ولا الحياد، فكل يدها قذرتان، هناك من الجهة الأولى عناصر التخريب ومن الجهة الأخرى عناصر القمع بينهما يقوم الموتى والخونة¹.

ويكون أكثر وضوح فرانس فانون في كتابه "من أجل إفريقيا" فيما يصب ضمن هذا المضمون: " أن النظام الأجنبي والمحتل بالجزائر نظام قهر وقمع، لذلك لا يستطيع الفرنسي في الجزائر أن يكون محايداً أو بريئاً، فكل فرنسي في الجزائر يساهم في الاحتقار والقمع والسيطرة"²، ويضيف قائلاً: " إن الاستشهاد ببعض الحالات الخاصة، التي يبدو فيها بعض الفرنسيين قد اتخذوا بصفة غير عادية علاقات طبيعية مع الجزائريين، فإن ذلك لا يغير من طبيعة العلاقات الموجودة بين جماعة أجنبية استحوذت على مظاهر السيادة الوطنية، وبين الشعب الذي أصبح محروماً من ممارسة سلطته... إن الأمة الفرنسية بواسطة مواطنيها تعارض وجود أمة جزائرية"³.

ضف إلى ذلك القمع المسلط على الشعب، قام "زيغوت يوسف" بتاريخ 20 أوت 1955، بتوسيع رقعة الحرب، استعمال العنف والقتل ضد السكان الأوروبيين، هجوم أولي على 36 مركز استيطان⁴، مس شوارع "فيليب فيل" سكيكدة حالياً، قسنطينة، عين عبيد، القل، الحروش، وادي زناتي... الجماهير كانت معبأة بقوة أطلقت العنان لمكبوتها، من زمن طويل كانت تغذيه عمليات كل يوم ومذلاته، ارتكز سليمان الشيخ على ما كتبه المقدم "فانسان مونتاي Vincent Montail": " إن السبب الحقيقي للانفجار من هذا النوع للبغضاء، ليس إلا رد الفعل على الإساءات المرتكبة والإذلالات التي احتملت"⁵.

وهو ما أكده حاكم مدينة سكيكدة الذي بعث برسالة إلى رئيس قسم المستعمرات بوزارة الخارجية الفرنسية والتي جاءت بعض فقراتها في كتاب الورتلاني "الجزائر

¹ - سليمان الشيخ، مصدر سابق، ص: 232.

² - فرانس فانون، من أجل إفريقيا، ترجمة: محمد الملي، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص: 67.

³ - نفسه، ص: 69.

⁴ - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، مصدر سابق، ص: 164.

⁵ - سليمان الشيخ، مصدر سابق، ص: 231.

الثائرة": " لقد قام زيغوت وهو عربي جزائري في الرابعة والثلاثين من عمره، يرأس جماعة من المقاتلين، في الأسبوعين الأخيرين بهجومين على الأحياء والتكنات الفرنسية ولم ينسحب إلا بعد أن خلف وراءه ثمانين جثة"¹، أراد من خلالها أن يرهب الكولون ويشعرهم بأنهم ليسوا بمنأى عن الخطر"².

رغم أن عدد المجاهدين كان قليلا، حدد لكل هدف استعماري ثلاثة أو خمسة مجاهدين كمؤثرين يعززهم عدد كبير من أفراد الشعب أغلبهم بالسلاح الأبيض³، استهدفت جميع المواقع العسكرية من تكنات ومراكز بوليس والجنדרمة والمؤسسات الاقتصادية ومعازل الأوروبيين⁴. لقد خلفت العمليات والكمائن في هذه الأيام جوا مشحونا بالحدق بين طائفتي المجتمع الجزائرية والأوروبية، إذ لم تفلح المحاولات المحتشمة للإصلاح من أجل التوصل إلى حل توافقي وهدنة مدنية⁵.

وهو ما تجلّى على إثر ذلك التجمع لمندوبي المجلس الجزائري الذي استفسر فرحات عباس عن سبب انعقاده فأجابه أحد أعضائه "بانسيني": " لقد لاحظنا أن العنف يستشري ولذلك فنحن نتظلم عنفنا" فرد عليه قائلا: " إنني لا أفهمكم، ولا أرى إلى أين أنتم ماضون... إن عنفنا هو عنف البؤساء والمشردين والمنبوذين، إنه وليد مصائبنا، وأيضا وليد القوانين التي منحتنا فرنسا، وهي أصلا قوانين شحيحة جدا ولم تطبق، لقد اتفقتم على أن تكونا ظمأى للعدالة"⁶.

¹ - الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص: 122.
² - محمد الطيب العقون، الشهيد زيغوت يوسف، القائد الشعبي المتواضع، مجلة الذاكرة، العدد، 5، 1988، ص: 68.
³ - محمد شرقي، مرجع سابق، ص: 177.
⁴ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 108.
⁵ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 51.
⁶ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 299.

وبذلك اعتبر الكولون الحادث بمثابة خندق حفر بينهم وبين المسلمين¹، فبثت الرعب وعدم الاطمئنان في نفسيتهم² رغم أن الحكومة الفرنسية اجتهدت في كسب ثقة السكان الأوروبيين وضمان أمنهم³.

وبذلك أدرك جميع الناس والكولون أنفسهم يقول فرانز فانون: " أن الأمر لن يرجع بعد الآن إلى ما كان عليه"⁴، لقد امتلكتهم الدهشة التي أخذتهم أمام ضخامة تلك الهجمات وخاصة أولئك الخدم المقربين منهم والذين شاركوا مستعملين الفؤوس لأخذ الثأر، إن الهوة اتسعت بين المجموعتين حتى صار الأوروبيون يطالبون بأكثر عدد ممكن من قوات الأمن من أجل الدفاع عن أنفسهم⁵.

رسالة حاكم مدينة سكيكدة لرئيس قسم المستعمرات تزيد وضوحا للرعب الذي انتابهم قوله: " بينما الفرنسيون يوارون جثث قتلاهم، إذ بإذاعة الثوار تذيع عليهم: " أيها الفرنسيون ليس لكم أي خيار فإما الرحيل وإما الموت ! "لذلك قرر الفرنسيون الرحيل إذ أحصي أكثر من ثلاثمائة فيلا وبيت مهجور بمدينة سكيكدة، حيث ألفت لجان للترحيل ترأسها مواطن فرنسي اسمه "بول دومينيك" والتي ربطت لها اتصالات مع كندا وأستراليا لترحيل العائلات الأوروبية، حتى أن الحاكم العام قال له أحد كبار موظفي شركة الخطوط الجوية الفرنسية: "هناك شيء واحد يجب أن نفعله نحن فرنسيي الجزائر، يجب أن نرحل... وأن نرحل من هذا البلد بسرعة"⁶.

لقد تواصلت عملية تحطيم الكولون وتخريب مزارعهم ومصانعهم، حيث تمكن المجاهدون من إبادة قطعان الخنازير، كما نهبت جميع الأغنام والأبقار ووزعت على

¹ – Aimé Baldacci, Le temps des révoltes souvenir d'un français d'Algérie, édition Garche, paris, 1986, p: 125.

² – أزغدي محمد لحسن، مرجع سابق، ص: 104.

³ – فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 199.

⁴ – فرانز فانون، معذبو الأرض، مصدر سابق، ص: 48.

⁵ – باتريك إفيو، جون بلانشايس، مرجع سابق، ص: 182.

⁶ – الفضيل الورتيلاني، مصدر سابق، ص: 123.

الفقراء في الجبال أو تم ذبحها بمراكزهم، كما خربوا بعض الورشات، غلاتهم اعتمدوا على الجيش الفرنسي لحرق مزارعهم وحماية محاصيلهم، وعليه ركز المجاهدون عليها نهبا وحرقاً¹.

لم تضي أربعة وعشرون ساعة حتى كان رد فعلهم عنيفا اتجاه الجزائريين فبدعوا بعمليات انتقامية، لم يفرقوا فيها بين المسالمين والثائرين²، فكان رد قوي من الجيش الفرنسي والبولون، أشد عنفا، أثنوا في القتل، يصفه سليمان الشيخ: " تكرار لما شهدته المنطقة في الثامن ماي 1945"³.

فالبولون لا يزالون مضطربين بسبب تواصل العمليات التي كانت تستهدفهم، ففروا منها مندهشين ومهولين خاصة من تلك الروايات التي كانت تصلهم من القرى المجاورة، إلى درجة أنهم تسرعوا في ردات فعلهم⁴.

فاشتركوا في العمليات العسكرية وانطلقت ملاحقتهم للجزائريين، فكانوا يقتلون أيا كان، المهم بالنسبة إليهم هو الانتقام لأمواتهم⁵، وهو ما وقع بعين عبيد التي أدى الغضب الغضب الشعبي فيها إلى قتل اثني عشر فرداً من عائلة "جان ميلو Jan Milou" التي استغلت سكانها، فتحرك الأوروبيون بكل حقد ضد الجزائريين ولمدة خمسة أيام، قتلوا فيها قرابة مائة وخمسين شهيد⁶.

اهتزت إدارة العدو وانقلب الميزان وسادت الفوضى بين المعمرين وجنود الاحتلال وأكثر من الماضي، تكالبت قوات العدو من عسكريين وكولون على الشعب، فارتكبت مجزرة بمدينة سكيكدة يقول فيها علي كافي: " اغتيل كل عربي أينما وجد وأحرقت

¹ - محمد شرقي، مرجع سابق، ص: 176.

² - Aimé Baldacci, op.cit., p:125.

³ - سليمان الشيخ، مصدر سابق، ص: 232؛ علي كافي، مصدر سابق، ص: 110.

⁴ - باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، ص: 182.

⁵ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 183.

⁶ - محمد شرقي، مرجع سابق، ص: 177.

المدامر وهدمت القرى"¹، وبتواطؤ من رئيس بلديتها "فيليب دومينيك" ورئيس دائرتها محافظ أمنها "بانكي كريفو" وبعض القادة العسكريين، قاموا بجمع المدنيين بملعبها وأعدموهم دون محاكمة². إنه انقلاب رهيب في تطور الأمور يقول فرحات عباس: "حتى الحاكم العام نفسه أعطى الأوامر بقتل الأسرى وحرق القرى وتدميرها بقذائف الهاون"³. يقول أحدهم وهو يردد كلاما كان متداولاً في تلك المناطق: "أنا أطلق الرصاص أولاً، ثم انظر إن كان الضحية شخصاً حقيقياً بذلك أم لا"⁴.

لقد انتهت الأحداث بدرجة مأساوية الأرقام تشير إلى مائة وثلاثة وعشرون قتيل منهم واحد وسبعون أوروبياً، وإحصاءات جبهة التحرير الوطني وصلت إلى ألف ومائتي قتيل، الاختلاف والنزاع على الأرقام أمر تافه لا ينفي القطيعة التي نمت بين الطائفتين، يقول سليمان الشيخ وأصبحت نهائية، فزادت الهوة اتساعاً، وصلابة المواقف من الجانبين وقضي على كل تقارب بينهما⁵.

خاصة بعد فرض حالة الطوارئ التي منحتهم فرصة ممارسة التعذيب بحرية وبصورة بشعة حيث وسعتها السلطات الاستعمارية بمشاركة فرق الميليشيات من المستوطنين الأوروبيين، لمساعدة الجيش الفرنسي على قمع الجزائريين، ولقد كشفت الصحافة الفرنسية هذه التجاوزات ومنها جريدة لوموند وبعض مراسليها مثل "كلود بوردي Claude Bordie"⁶.

وبعد الميل المفضوح للحاكم العام "جاك سوستيل" مع الأوروبيين حتى أنه اتهم الثوار بأنهم عنصريين، كما شدد على قمع الشعب الجزائري وإعطاء سلطة واسعة للجيش

¹ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 110.

² - عمار قلليل، ملحمة الجزائر الجديدة، الجزء الثالث، دار البعث، قسنطينة، 1991، ص: 275.

³ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 183.

⁴ - باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، ص: 232.

⁵ - سليمان الشيخ، مصدر سابق، ص: 232.

⁶ - يحي بوعزيز، ملامح عن ثورة نوفمبر الجزائرية، ومواقف ديغول اتجاهها لغاية مظاهرات ديسمبر 1960، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، العدد، 73-74، سبتمبر 1979، ص: 25.

للثأر للأوربيين"¹. لقد عبر فرحات عباس بقوة عن ما أسفر عنه دعاة الجزائر الفرنسية ووصفهم أنهم يسبحون ضد التيار وهم متشبثين بمفهوم ميت، وبعنفهم أسهموا دون إرادتهم في تسريع حركة التاريخ"².

وبالمقابل منحت جبهة التحرير الوطني مكانتها ودحضت أكاذيب أنها قد تضاعلت وما هي إلا كمشة من الرجال، هي وقائع لخرافة روجت لها الصحافة الاستعمارية على نطاق واسع"³.

وما كان أكثر تفهما وإدراكا هو ما ارتكز عليه فرحات عباس من خلال ما جاء على لسان الشيخ العربي التبسي والذي استمد دفاعه عن جبهة التحرير الوطني وموقفه من النظام الاستعماري والأقلية الأوروبية من خلال جريدة البصائر: "استبدال النظام الاستعماري بدولة جزائرية مستقلة متفتحة على ترقية الجزائريين من كل الأصول ومن كل الديانات"⁴.

¹ - Aimé Baldacci, op.cit., p: 127.

² - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 189.

³ - نفسه، ص: 254.

⁴ فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 189، ص. ص: 264 - 265.

2- الأقلية الأوروبية ومواجهة الثورة ورفضها للإصلاح 56- 58

2-1 المواجهة المبكرة من الأقلية الأوروبية على الثورة الجزائرية:

إن عقلية السكان الأوروبيين اتسمت دائما بالاعتراض على أي تطور سياسي يمس بمصالحها، معارضة جاءت من انسلاخ ازدواجية ثقافة العنف وثقافة الخوف، ثقافة العنف تجد جذورها في النظام الاستعماري نفسه، وثقافة الخوف جاءت من جهة للوجود الدائم للآخر المختلف في ثقافته ودينه وعاداته وأخلاقه ومن جهة أخرى في العدد المتزايد لهذا الآخر¹.

وعليه عند انطلاق الثورة التحريرية كانوا أكثر تأييد لأعمال الإبادة التي تعرض لها الجزائريون المدنيون، انطلاقا من تقرير رسمي فرنسي جاء فيه: " إن الرعب الذي يقوم به "الإرهابيون" الثوار يجب أن يقابل برعب أكبر وحتى إذا كان أولئك الذين قتلوا لم يقتروا أية جريمة فإنهم لم يفعلوا ذلك فقط لأن الفرصة لم تتح لهم، ولهذا فهم مذنبون كذلك، فيجب إذن وضعهم جميعا في سلة واحدة"².

أمام اتساع الثورة وزيادة نشاطها العسكري واحتدام الصراع أثناء معركة الجزائر، تعالت أصوات الكولون المتعصبين لفكرة الجزائر الفرنسية، الإسراع في تنفيذ أحكام الإعدام والصرامة في تنفيذ الأحكام القضائية³.

حتى أن المتطرفين منهم هددوا بالدخول إلى السجون لقتل بأنفسهم المحكوم عليهم بالإعدام والمساجين الآخرين، كون التنفيذ بقي غير محدود، لذلك أصبح من أولى مطالبهم⁴.

¹ - كمال كاتب، أوروبيون أهالي ويهود بالجزائر 1830 - 1962، تمثيل وحقائق السكان، ترجمة: رمضان زبيدي، دار المعرفة، الجزائر، 2011، ص: 435.

² - A.N.O.M. Aix en Provence, département d'Alger, 4161

³ - Général Aumerran, Paix en Algérie, les presse de l'imprimerie, paris, 1959, p: 285

⁴ - هنري علاق، مصدر سابق، ص. ص: 279 - 282.

لذلك سارع الكولون سنة 1956 بتقديم اقتراحات للحكومة الفرنسية متعلقة بتنفيذ الأحكام القضائية، تضمنت الإسراع في تنفيذها، إذ لوحظ أنه من بين 704 حكم لم ينفذ إلا في 48 منهم، محاكمة أحمد بن بلة على أنه مجرم الحق العام، منع الإقامة مدى الحياة على قادة جبهة التحرير، القيام بعمليات عقابية ضد قوات التدريب في تونس والمغرب، إذ كان رد فعل مجلس الوزراء وحتى من طرف الوزير المقيم بالجزائر روبير لاکوست بالدعم والمساندة¹.

بحثهم على ضمانات الإرادة القمعية من السلطة الباريسية، أظهروا التركيز على تنفيذ العقوبات الإعدامية، فرؤساء مدينة الجزائر الأوائل الذين يصادقون على توصية بهذا الصدد، تبعتهم أخرى في جانفي 1956 من جمعية قدماء المحاربين انطلاقا من مظاهرات جمعت أكثر من 500 شخص من الكولون².

لقد كانوا دائما يلومون السلطات على تهاونها في التنفيذ حتى أنهم اتهموا الوزير المقيم "روبير لاکوست" بالضعف والكرم الزائد³، إلا أنه سرعان ما أن أفصح وأكد بقوة قوله: " لا نحارب ضد الإرهاب في حالة عدم النظام" مساء يستقبل ممثلي اللجنة ويقدم لهم الضمانات الصارمة من الحكومة⁴.

وفعلا بدأت سلسلة الإعدامات في 19 جوان 1956، بإعدام أحمد زبانة، وفراج عبد القادر سي موسى⁵، التنفيذ جاء انتقاما للجنود الفرنسيين الذين سقطوا في كمين نصبه المجاهدون ببالسترو ماي 1956 واستجابة لضغوطات الكولون⁶.

¹ – Elsen Hans Hartmut, La guerre d'Algérie 1954- 1962, la transition d'un France à une autre le passage de la VI^{ème} à la V^{ème} république, édition Publisud, paris, 1999, p. 482.

² – Le Figaro, 20-12-1955, 30-1-1956

³ – Michel Deon, L'armée d'Algérie et la pacification, plan, paris, 1959, p: 42.

⁴ – Le Monde, 01-01-1957

⁵⁵ – مجلة أول نوفمبر، شهداء المفصلة، العدد، 157، 158، 1997، ص: 21.

⁶ – Michel Deon, op.cit., p: 42

وعليه مع بداية تنفيذ حكم الإعدام وتواصله، قررت جبهة التحرير الوطني وبتاريخ 19 جوان 1956 تاريخ التنفيذ في أولى شهداء المقصلة، اعتُبر الأوروبيون في الجزائر هدفاً مشروعاً لعملياتها المسلحة بعد أن ظلت تتجنبهم وهو ما زاد من ضراوة العنف والعنف المضاد بينها وبين السلطات الاستعمارية الفرنسية¹.

ويتظاهر كولون مدينة قسنطينة التي شارك فيها حتى الطلبة بتاريخ 08-02-1956 اتجهوا نحو السجن المدني مطالبين إحقاق العقاب على المحكوم عليهم من الجزائريين²، وفعلاً جنحت الإدارة الفرنسية لهم وتواصلت عملية الإعدامات ممن كانوا بسجن الكدية للمدينة فتم إعدام خمسين جزائري في الفترة الممتدة ما بين 13-12-1956 إلى 29-04-1958³.

موازاة مع هذا التطرف الحاسم الذي عبر عن نفسه في الشارع، فإن الحياة السياسية بمدينة الجزائر تعرف نشاط اليمين المتطرف أين تنظم تكتلات والتي سوف تكون بوتقة المنظمة المسلحة السرية، وعليه سيكثر نشاط الحركة الأكثر إرهاباً والمسمى خلافاً للأصول "إرهاب مضاد" حيث تصفه سيلفي ثينو في كتابها "تاريخ حرب من أجل استقلال الجزائر": "لا يطابق إرهاب الجبهة"⁴، فالإعدامات خلفت غضب لدى السجناء والشعب. أُنذر عبان رمضان القيام بأعمال انتقامية، حيث تم القضاء على نحو خمسين من الكولون القاطنين بالجزائر بعد أربعة أيام من تنفيذ أول عملية إعدام⁵. حتى وإن كانت جبهة التحرير الوطني اتخذت قرار بقتل ذلك الرئيس للشرطة لأنه اعتبر أداة للتعذيب، أو

¹ - Benyoucef Benkhedda, Alger capital de la résistance 1956- 1957, édition Houma, Alger, 2002, p.p: 27- 30.

² - سيلفي ثينو، تاريخ حرب من أجل استقلال الجزائر، وزارة المجاهدين، منشورات دحلب، الجزائر، 2013، ص:127.

³ - مجلة أول نوفمبر، شهداء المقصلة، العدد السابق.

⁴ - سيلفي ثينو، مرجع سابق، ص: 128.

⁵ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 108.

ذلك الزعيم الاستعماري، فإنما ذلك يكون مثل هؤلاء الرجال يشكلون عقبة أمام تقدم الثورة¹.

ومع مواصلة الثورة التحريرية زحفها دفع مستوطني الأرياف الهجرة نحو المدن، جراء الهجمات المكثفة عليهم، وهو ما دفعهم المطالبة بالحماية مع اتخاذ التدابير اللازمة²، لذلك بادر الثوار بإشراك الفلاحين وسكان الريف ضمن عمليات حرق مزارع المعمرين، اتخذ جيش التحرير تكتيكاً للتعبئة الشعبية منها³.

كما جاء ذلك نتيجة القرار الذي اتخذته جبهة التحرير الوطني بمناسبة انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة بتبني هجوم شامل على مزارع الكولون عبر كامل التراب الجزائري، كما دعت عمال الأرض بإضراب عن العمل يوم 20 سبتمبر 1955، لتعطي نشاطها بعدا وطنيا ودوليا⁴.

فتجسد في أهم أشكال المقاومة ورفض الاحتلال والرغبة في تطهير البلاد من الكولون، لذلك نفذ المجاهدون بالناحية الشرقية من المنطقة الثانية يوم 5 جويلية 1955 عملية إتلاف لمزارع الكولون وصلت إلى تخريب 70 مزرعة، قطع 40 هكتار من أشجار الكروم، 40 هكتار من أشجار الحوامض، إتلاف أكثر من 700 هكتار من القمح والشعير⁵.

كما استهدفوا ثلاثين مركزاً استعماريا بغرب البلاد فيما بين 01- 04 أكتوبر 1955 إلى جانب تخريب عدد من الجسور والطرق وأعمدة الكهرباء والهاتف ومزارع

¹ - فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، ترجمة، مصدر سابق، ص: 51.

² - المجاهد، 02-04-1959، العدد، 78، ص: 4.

³ - محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، مصدر سابق، ص: 153.

⁴ - A.N.O.M., G.G.A., Carton 22H91

⁵ - أحسن بومالي، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954- 1956، المتحف الوطني للمجاهد، دون تاريخ، ص: 297.

الكولون ومؤسسات اقتصادية¹. كما شهدت مدينة معسكر من يوم السبت 22 سبتمبر 1956 عمل هجومي على امتداد أربع كيلومترات بين تغنيف و"كاشرو" - سيدي قادة حاليا- ضد أربعة عشر مزرعة لهم². رغم تغيير الكولون لمعاملاتهم وربطهم لعلاقات عمل جيدة مع عمالهم خاصة بمنطقة عين تموشنت، إذ تفاجئوا بأخلص عمالهم مه من الذين اقتلعوا جذور الكروم وقطع أشجار الزيتون حتى أنهم قادوا الثوار المسلحين إلى ضيعاتهم التي تم حرقها³.

وهو ما صرح به بعض الكولون لمصالح الدرك أن العمال الزراعيين هم الذين قادوا المجاهدين ودلوهم على المزارع المستهدفة في بلدية غلال التابعة لعين تموشنت، واتهم فيها اثنين من العمال الفلاحيين⁴.

حتى المنطقة الجنوبية الغربية لم تسلم من العمليات الثورية ضد الكولون، إذ تمكن المناضلون الجزائريون بمدينة البيض ليلة 6 جوان 1955 من إضرام النار في مسكن منعزل لأحد كبار اليهود يدعى "زينو Zenon" كما عثر صباح تلك الليلة على كومة من الأوراق أشعلت النار فيها تحت باب مسكن منعزل لأحد الكولون، أعمال أحدثت قلاقل وسط السكان الأوروبيين⁵.

وبالجهة الجنوبية الشرقية، أتلّف المجاهدون ضيعة المعمر "ديفورغ Dufourg" قرب مدينة بسكرة، أثارت شعور بحالة انعدام الأمن، كما أثارت تقارير استعمارية أن الحالة النفسية للكولون جد مقلقة بالمنطقة⁶.

¹ - محمد قنطاري، الفاتح أكتوبر 1955، استئناف الهجومات الكبرى ضد القوات الفرنسية بالقطاع الغربي، الجمهورية الأسبوعية، 27-09 إلى 10-03-1994، العدد، 284، ص. ص: 12-13.

² - Echo d'Oran, 23- 24/09/ 1956, N°30651

³ - Echo d'Oran, 3 mai 1956

⁴ - Michel Levney, Paysans algériens, le terre, la vigne, et les hommes, édition du Seuil, paris, 1963, p: 161.

⁵ - عدة بن داهة، مرجع سابق، الجزء الثاني، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2008، ص: 442.

⁶ - عدة بن داهة، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: 444.

وما زادهم فزعا وتخوفاً، المنشور الذي وزعه جيش التحرير الوطني، منطقة الأوراس، مكتوب باللغة الفرنسية العبارات التالية: " أضرمو النار في الضيعات، وفي المزارع وفي كل ما يمتلكه الاستعماريون الكولون، اقتلوا حراس الغابات"¹.

وهو ما مكن المجاهدين ما بين 1 نوفمبر 1954 حتى 1 نوفمبر 1957 من تخريب 6353 مزرعة وقطع 50746 عمود تيليغرافي وقتل 77963 رأس حيوانية وكسر واقتلاع 587700 شجرة مثمرة².

وأكثر المزارع التي أُلقت ألحق بها المجاهدون خسائر كبيرة هي مزارع الكروم التي نزلت مساحتها من 396000 هكتار سنة 1954 إلى 362000 هكتار سنة 1962، مما انجر عنه تراجع في إنتاج كمية الخمر ذلك ما يشير إليه الجدول التالي من 1954 حتى 1962:³

السنة	الإنتاج بالهكتولتر	السنة	الإنتاج بالهكتولتر
1954	19297000	1959	18601000
1956	16619000	1960	15850000
1957	15285000	1961	13631000
1958	13827000	1962	12277000

استُهدفت مزارع الكروم لأنها كانت تمثل العصب الحيوي للاقتصاد الزراعي الاستعماري في الجزائر (تجارة الخمر) والتي كانت تدر عليهم أرباحاً وأموالاً طائلة، لذلك كانت أهدافاً متميزة لضربات المجاهدين خاصة وأن البعض منها كانت مراكز عسكرية يقيم فيها مجندون فرنسيون يتولون أمن الكولون وحماية حقولهم وممتلكاتهم⁴.

¹ – A.N.O.M., G.G.A carton 22H91.

² – Philippe Bourdrel, Le livre noir de la guerre d'Algérie français et algérien 1954- 1962, Plan, France, 2002, p: 184.

³ – عبد اللطيف بن أشنهو، مرجع سابق، ص: 424.

⁴ – عدة بن داهة، نفس المرجع، الجزء الثاني، ص: 437.

فاتخذت إدارة الاحتلال مجموعة من الإجراءات لأمنهم، كإنشاء نقابات للدفاع الذاتي، مع إصدار أوامر بتاريخ 11-10-1957 تنص على العقاب والتغريم الجماعي ضد الدواوير القريبة من الضيعات والمزارع التي تتعرض للتخريب، كما جعلت من مزارع كبار الكولون مؤسسات زراعية نموذجية تحظى بالحراسة من طرف مجندي الليف الأجنبي، مقابل فرضها ضرائب عليه¹. وهو ما ترك الجنرال "جاك ماسو" سنة 1958 يذكر أمام مساعديه بأن الفوائد التي حققها مزارعو الكروم خلال هذه السنة تعود إلى إخضاع 2670 مزرعة شمال عمالة الجزائر للحماية من طرف القوات العسكرية².

ورغم ذلك فإن العمليات تواصلت من جيش التحرير ودون انقطاع، وهو ما أشارت إليه التقارير الذي ذكرت أن "الكولون تبددت أحلامهم وفقدوا الثقة في قوات الاحتلال ومصالح الأمن خاصة وأنها بلغتهم بأنها قد تمكنت خلال شهر أبريل 1957 من تفكيك قيادة الأركان لجيش التحرير وبصفة نهائية"³.

وأمام ازدياد قلقهم على أمنهم وأمن مزارعهم وقع أحد رؤساء البلديات بعمالة قسنطينة قوانين لجمعية تدعى "لجنة الدفاع ضد الكوارث الزراعية" الغرض منها إنشاء مجموعات للدفاع الذاتي مكونة من الفلاحين الأوروبيين ضد ما تقوم به الخلايا التابعة للثوار⁴.

إلا أنهم تقلصوا وبشكل كبير، ذلك ما وقف عليه الصحفي زدرافوبيكار من خلال كتابه "شهادة صحفي يوغسلافي" ومن خلال إحصائيات تبين أنه "ومن القرية "س" الصغيرة تعد 3500 ساكن تضم 1000 أوروبي لم يبق منهم سوى 50 عائلة"⁵.

¹ – Michel Launay, op. cit., p: 180.

² – Jacques Massu, Le torrent et le digne, Plan, paris, 1972, p: 198.

³ – A.N.O.M. G.G.A, Rapport mensuel d'information, Secret, Avril H.L.L. carton 22H/92.

⁴ – Francis et Collete Jeanson, L'Algérie H.L.L. Alger, 1993, p: 206.

⁵ – زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 160.

كما لجئوا مباشرة إلى تكوين ميليشيات في شكل وحدات إقليمية متكونة من مقاتلين سابقين والذين تم جمعهم في كتائب وسرايا تمت تعبئتها لمدة تتراوح ما بين أربعة إلى خمسة أيام في الشهر¹.

حدد سن الانتساب لهذه الوحدات المحلية ما بين العشرين إلى الأربعين سنة، سلحوا بالبنادق والمسدسات، شكلت منهم فرق ضمت ثلاثين رجلاً، يتقاضون أجوراً من المديرية العامة للجزائر نظير ساعات العمل التي يعملها هؤلاء في الخدمة المحلية مثل ما يتقاضاه الجندي الفرنسي².

كما استحدث المقدم "ترينكي" الذي ترأس قطاع الجزائر الساحل مجموعات الشرطة المدنية التي كان دورها إراحة الوحدات المظلية، أمدتها السلطة العسكرية بأسلحة وسهلت لها التنقل ليلاً ونهاراً، هي مجموعات مصغرة داخل الأحياء ساعدت وبشكل كبير الشرطة في البحث عن المعلومات، كما ساهمت في القبض على المبحوث عنهم، مما جعلها أداة مرعبة، خاصة وأن أعضاءها يعتبرون من الأفراد المتطرفين، أشهرهم الدكتور "كوفاكس روني René Kovacs" الذي سيطرأس مجموعات وينفذ الكثير من أعمالها الإجرامية، تلك التي أريد بها الإطاحة بالجنرال "راؤول سالان"³، هذا الأخير طاله عنف الكولون، بحيث تعرض لهجوم بقذيفة "Rockets" من سطح عمارة مجاورة لمكتبه أدت إلى إصابة مدير مكتبه "باست Basset" بجروح ومقتل نائبة الرائد "روديه Rodier"⁴ كان ذلك بتاريخ 16 جانفي 1958، إذ أراد منفذوه خلط الأوراق، حتى الأقلية الأوروبية دب فيها الغضب والخوف⁵.

¹ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 112.

² - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 412.

³ - باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص. ص: 74 - 76.

⁴ - Pierre Nicol, Algérie perdu, Edition du Fasseau, paris, 1965, p: 17.

⁵ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 124.

رأت فيها الجمعيات المتطرفة من الشخصيات المغضوب عليها، إذ حملته هزيمة فرنسا في الهند الصينية، واعتقدت أن سياسته ستؤدي إلى فقدان الجزائر كما فقدت الهند الصينية وغيرها من المستعمرات الفرنسية¹.

فأصبح الأمر ينذر بتعفن الوضع بعدما وصلت النساء الأوروبيات حمل الأسلحة وعلى الخصوص منهن الإسرائيليات، اللواتي أُرهن بها الجزائريين². حتى المسيحيين المتعصبين دعوا إلى حرب ضد الإسلام باسم الصليب³ انسأقت وراءها الجمعيات المتطرفة منها تلك التي ترأسها الأستاذ "بوسكي Bosquet" والتي حظيت بتعاطف واسع من الأوروبيين، لجأت للعمل السري كما أنها شاركت في عديد العمليات الإجرامية، إلى جانب لجنة النهضة الفرنسية التي كانت تسمى لجنة الوفاق لقدماء المحاربين⁴.

إلى جانب تنظيم لجنة الأربعين ضد الجمهورية "Comité anti républicain des quarante" الذي هدد بنسف المساكن أمام كل أوروبي يُقتل⁵، كما كانت هناك منظمة المقاومة من أجل إفريقيا فرنسية "Organisation des résistance en Afrique française" التي تأسست في 6 فيفري 1956 وترعها الطبيب ذو الأصول البلغارية "روني كوفاكس" بما في ذلك لجنة الوفاق لقدماء المحاربين لـ "أوغست أرنولد August Arnold" التي كانت تلح على إعدام مناضلي جبهة التحرير الوطني وفرض حالة الطوارئ، إلى جانب لجنة الاتحاد الشمال الإفريقي التي تعتبر تجمع الكولون ظهرت نهاية 1955، ارتكبت الكثير من الأعمال الإجرامية⁶.

¹ – Pajoud Henri, La révolution d'Alger, les fils Aymon, paris, 1958, p: 33.

² – Communiqués et lettres adressés aux autorités françaises par les élus de Constantine, boîte48,

مركز الأرشيف الوطني.

³ – Yves Courrière, La guerre d'Algérie, le temps des léopards, Fayard, paris, 1969, p: 884

⁴ – Colonel Godard, Les paras dans la ville, les trois batailles d'Alger, Fayard, paris, 1972, p: 169.

⁵ – Yves Courrière, op.cit., p: 383.

⁶ – Colonel Godard, op.cit., p: 169.

كما كانت إلى جانبهم لجنة النشاط الجامعي التي ترأسها الأستاذ بوسكي، واتحاد فيدرالية رؤساء بلديات الجزائر والتي ترأسها رئيس بلدية بوفاريك "أميدي فروجي Amédée Froger"¹، بما في ذلك منظمة اليد الحمراء والتي ظهرت من خلال وسائل الإعلام سنة 1952، بفعل اقترافها جريمة قتل ضد النقابي التونسي فرحات حشاد وبعدها ظهرت بالمغرب ثم الجزائر مع نهاية 1955، هي عبارة عن قوة موازية غير مراقبة تتلقى الدعم المادي والمعنوي من الشرطة والجيش الفرنسي، أشاعت الرعب والموت بالجزائر².

إلى جانب كل هذه المنظمات وجدت مجموعات صغيرة متطرفة مثل مجموعة "جوزيف روزا Joseph Rosa" ومجموعة الإخوة "دي روزا Di Rosa" ومجموعة "جورج وتان George Watin"، هي مجموعات إرهابية اختصت في الاغتيال ورمي القنابل اليدوية بالمقاهي والأماكن التي يرتادها الجزائريون، تحرك عناصرها كان بواسطة هويات شرطة مزورة، هي تنظيمات قاسمها المشترك عنصرية مقبلة اتجاه الجزائريين ممزوجة بروح صليبية لا يمكن تجاهلها³.

إذ أنه لا يوجد اتفاق حول أول عملية إرهابية نفذها الأوروبيون، فهناك من يرى أن أولها كان بتاريخ 24 ماي 1956، ورأي آخر يعتبر تاريخ 30 جوان 1956 أول عمل إرهابي من الأوروبيين بمدينة الجزائر والذي استهدف مقر الاتحاد العام للعمال الجزائريين⁴.

إلا أن الوثائق المتوفرة تثبت أن إرهاب الكولون بدأ قبل ذلك، حيث استقبل "روبير لاکوست" بتاريخ 16 مارس 1956 وفداً عن منتخبي القسم الثاني، إذ عبروا له خلال لقاءهم به عن قلقهم من انتشار عمليات الاعتداءات المسلحة التي يتعرض لها المسلمون

¹ – Benyoucef Benkhedda, op.cit., p.p: 30- 35.

² – Ibid., p: 33.

³ – Benyoucef Benkhedda, op.cit., p: 36.

⁴ – Elsen Hans Hartmunt, op.cit., p: 441.

وخاصة منها داخل المدن¹. كما ركزوا عملهم الإجرامي ضد المدنيين بالأرياف حتى يعززوا اطمئنأنهم وليمكنوا النظام الاستعماري ويستعيدوا عجرتهم السابقة وازدرائهم التقليدي فاتضحت عرقيتهم ووقاحتهم، كله لأجل التقليل من أثر الأعمال العسكرية التي يقوم بها الجيش الوطني"²، التي كثيرا ما تحجج الكولون بما تقوم به مجموعاتا المشكلة من فرق كومندر، لكن حقيقة الأمر هو أن الأوربيين هم أول من اعتمد على العمل الإرهابي بواسطة وضع القنابل والمتفجرات³.

هذه التفجيرات التي قدمت على أنها من إجرام وترهيب جبهة التحرير الوطني، لكن حقيقة الأمر جاءت لتكرس وجهة النظر الفرنسية المتحيزة، التي تعطي الانطباع بأن جبهة التحرير الوطني هي المعتدية وأن الأوربيين ما تحركوا إلا للدفاع عن النفس⁴. وفي حالات أخرى حتى يقال أن جبهة التحرير لا تريد السلم وتارة أخرى تحاول الدعاية الفرنسية أن تنسب هذه الاضطرابات إلى عناصر أخرى خارجة عن الجبهة لتتمكن من القول أنها منقسمة وأنها لا تمثل الشعب⁵. ذلك ما يؤكده ياسف سعدي في كتابه "ذكريات عن حرب الجزائر" بقوله: "إن سلسلة التفجيرات الشهيرة التي نفذتها الجبهة في 30 سبتمبر 1956، جاءت في الواقع كرد فعل عن العمل الإرهابي الذي قام به الفرنسيون يوم 10 أوت 1956 بالقصبة وبتواطؤ من الشرطة والجيش الفرنسي"⁶.

كما كشفت جبهة التحرير الوطني أن المحرك الأساسي لهذه الأعمال الإرهابية هو "أندري أشياري" أحد مؤسسي منظمة المقاومة من أجل إفريقيا فرنسية، بمساعدة المحافظ

¹ - Communiqués et lettres adressés aux autorités françaises par les élus de Constantine, boîte 48,

مركز الأرشيف الوطني (الجزائر).

² - فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 48.

³ - سليمان الشيخ، مصدر سابق، ص: 97.

⁴ - Benyoucef Benkhedda, op.cit., p: 31.

⁵ - المجاهد، 30 جانفي 1961، العدد، 88، ص: 6.

⁶ - Yacef Saadi, Souvenirs de la bataille d'Alger, édition Julliard, paris, 1962, p: 32.

"تروجا Troja" والذي يشغل محافظ شرطة من المخابرات العامة إلى جانب المحافظ "لافارج La Farge" من الشرطة المدنية¹.

ولا يمكن اعتبار التفجيرات التي شهدتها الجزائر أنها أولى العمليات التي استهدفت المدنيين الجزائريين، يقول ياسف سعدي: "إن العمليات الإرهابية سبقتها تفجيرات 10 أوت 1956 حيث العديد منها والتي قام بها متطرفين من الأوروبيين"². وبالتاريخ المذكور قام أشتياري نائب عمالة سابق لمدينة قالمة والذي له ماضي أليم في أحداث 8 ماي 1945، دبر عملية اغتيال التي وقعت بشارع "تابس Thebes" بحي القصبة³.

استخدمت القنابل المحكمة التفجير عن قرب تقول سيلفي ثينو: "أنها كانت سابقة بالنسبة للوطنيين في استخدامها"⁴ أودت بحياة 15 إلى 60 شهيد⁵، مراجع أخرى تذكر حتى حتى ثمانين شهيد⁶ وتدمير أربعة منازل ولم تتدخل الشرطة لإيقاف أي عنصر منهم، لتتحول العمليات الفدائية لجبهة التحرير الوطني من المسدسات والرشاش إلى استعمال القنابل⁷.

هذه الاعتداءات التي لعبت دوراً تقول سيلفي ثينو: "في ترقية الإرهاب الخاص بالجبهة والذي زاد عن الضغط الممارس داخل المنظمة الوطنية من طرف قاعدتها التي نفذ صبرها وعليه ردت عن العنف الذي يستهدف الجزائريين المدنيين"⁸.

كثفت الميليشيات من هجوماتها على الدواوير مما جعل الشعب يحس بأنه دون دفاع وحماية وأن الأوروبيين قادرون على كل ما يريدون، فترة يقول عنها فرانز فانون:

¹-Yacef Saadi ,Op.cit., p: 32.

² – Benyoucef Benkhedda, op.cit., p: 32.

³ – أحمد طالب الإبراهيمي، مصدر سابق ، ص: 22.

⁴ – سيلفي ثينو، مرجع سابق، ص: 128.

⁵ – نفسه، ص: 128.

⁶ – Elsen Hans Hartmut, op.cit., p: 442.

⁷ – محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 108.

⁸ – سيلفي ثينو، مرجع سابق، ص: 128.

"كنا نسمع أثناءها أوروبيون يصرخون في الشوارع، فليتول كل واحد منا عشرة منهم ويملص رقابهم، ولسوف ترون أن المسألة ستحل بسرعة"¹.

وهو ما يبين أنهم كانوا أكثر المتحمسين لعمليات الترهيب ضد السكان الجزائريين، منظماتهم المختلفة ومنها "اليد الحمراء" التي تشكلت مباشرة مع اندلاع الثورة لضرب كل العناصر المشبوهة نفذت سلسلة من الاغتيالات وأعمال إبادة ضد جماهير السكان المدنيين، وجدت لها من يدبرها من ضباط الجيش، حيث فتحت لها مراكز خاصة للتدريب، كما وضعت وحدات للشرطة تحت تصرفها عند خروجها لتنفيذ اعتداءاتها².

بموضوعية، وللتاريخ، يجب أن نشير أنه وفي مرات عديدة قام رجال الشرطة بتزويد خلايا محلية لجبهة التحرير الوطني عن عمليات مقبلة أو بإخطار جزائري هو تحت المراقبة أو يندرونه أثناء عملية التعذيب بأن الشخص نطق باسمه أو أشار إليه³.

وأمام تصاعد العمليات الإرهابية قام أفراد كومنذو جبهة التحرير الوطني وبتاريخ 9 جوان 1957 التصدي لها ومقاومتها وذلك بالرد عليها بوضع قنبلة شديدة المفعول تحت مصطبة الجوقة بـ "كازينو دولا كورنيش" حيث سقط فيها موسيقيون وراقصون بين قتلى وجرحى، ورداً على ذلك قامت الأقلية الأوروبية القاطنة بباب الواد يوم تشييع جنائز الضحايا بإغلاق محلاتهم، وبادروا بالتهجم على كل مسلم يصادفونه حتى أنهم قاموا بشنق البعض منهم في معالق القصابية⁴.

لقد كان نشاط تلك المنظمات الإجرامية عنيفا، إذ وبمجرد دخول موعد حظر التجول نخرج "لصيد الخنزير" حسب تعبيرهم، فتتوجه كل مجموعة إلى مكان عملياتها رفقة أعوان الشرطة الذين يحملون قوائم بأسماء وعناوين الأشخاص الذي يرغبون

¹ - فرانز قانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 49.

² - زدرافيكار، مصدر سابق، ص: 385.

³ - فرانز قانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 176.

⁴ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 126.

اغتيالهم تلك الليلة، يهاجمون المنازل وسط صياح وبكاء النساء والأطفال فيأخذون الرجال إلى مواقع الإعدام¹.

إذ أن كل عملية يتم تنفيذها تترك صدى، تضاعف بآثارها المحبطة لمعنويات السكان الأوروبيين، كما أن التغطية المكثفة كانت مدمرة على المستوى المعنوي والنفسي لهم، كما اتضحت لهم وبالرغم من وجود جيش جرار، عدم قدرته على حفظ الأمن، أصيبوا بهاجس العزلة والانطواء².

وما زاد من مخاوفهم ما قامت به جماعة فدائية من كومندو جبهة التحرير الوطني بحي القصبة وذلك بوضع متفجرات بمقهى "لاتوماتيك" سقط على إثره قتلى وجرحى، مما جعل الواقعة عليهم كزلزال مدمر فقدوا نتيجته أعصابهم وانهارت معنوياتهم³. تتالت عليهم الأحداث بإعلان جبهة التحرير الوطني إضراب الثمانية أيام 28 جانفي - 4 فبراير 1958، تركتهم يتجمعون متخوفون لوحدهم في الشوارع دون وجود وسائل النقل، إذ لم يلتحق سوى العمال الأوروبيين بمواقع عملهم بالمؤسسات⁴. إذ أخليت الشوارع التي لم تعد تعرف نشاطها السابق، وأحياءهم الغربية من الأحياء العربية لم يتجرؤوا الاقتراب منها، فاكتفت وحدات الجيش بتدمير واجهات المحلات ونهب محتوياتها، حدث ذلك في وهران، تلمسان، سيدي بلعباس، مستغانم، إذ أغلب المتاجر كانت مغلقة⁵.

إن نشاط المجموعات المتشددة كان بتواطؤ مكشوف من الشرطة المحلية بما تقوم به من عمليات ضد السكان المدنيين، حتى أنها مست مقرات بعض الصحف المعارضة لخطها السياسي كجريدة الجزائر الجمهورية حيث لغم مبناها ومطبعاتها⁶. على هذا الوضع الوضع ألحت السلطات العسكرية على حل تلك الوحدات التي استخدمت السلاح لأغراض

¹ - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 385.

² - نفسه، ص: 132.

³ - بن يوسف بن خدة، شهادات ومواقف، مصدر سابق، ص: 120.

⁴ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 118.

⁵ - بن يوسف بن خدة، شهادات ومواقف، مصدر سابق، ص: 125.

⁶ - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 234.

شخصية، وأمام هذا الإلحاح يخبر الكولون رئيس البلدية والذي بدوره يخبر معارف له بالجزائر العاصمة، الذين يفرضون على المديرية العامة للجزائر تحويل الضابط الذي طالب بحل تلك الوحدات¹.

حتى الشرطة تمكنت من امتلاك كل أسماء المسؤولين الوطنيين لكنها غضت الطرف عن الإجرام الأعمى الذي تمارسه الأقلية الأوروبية والتي لم تتمكن من مضايقة العنف الثوري لجبهة التحرير الوطني، مما أدت باللجوء إلى الجيش وضباطه الذين تعاطفوا مع السكان الأوروبيين².

فكان رجال الشرطة مكروهين لدى الأوروبيين إذ اتهمهم المتطرفون بأنهم يبدون دائما أكثر استعدادا لصد مظاهراتهم بدل الذهاب لكسر الغول في البادية، حتى أنه كلما ظهروا إلا وتسمع شعار "CRS في الأوراس"³.

فانتقامهم من المدنيين كان أشد، إذ شكلوا بالليل عصابات مسلحة ترتدي الزي العسكري وتطرق أبواب الجزائريين مدعية أنها دورية جاءت للتفتيش، فإذا فتح لهم أحد منزله، أخذوا الرجال وذبحوهم. وفي بعض الأحيان يقتلون الجميع، حتى اليهود كانوا أكثر انتقاما، فهاجموا كثيرا المنازل العربية وقاموا مع الأوروبيين بإلقاء القنابل على دكاكين العرب ومنزلهم⁴.

وعندما افتضحت أساليبهم، غيروا ذلك باستعمال السيارات، والتي أطلقوا منها نيرانهم صوب كل جزائري يعترض طريقها، وإذا وجدوا ركابها غفلة يختطفونه ليذبحوه ويهشموا رأسه ثم يتركوه جثة ملقاة على الأرض، وقع ذلك ببئر خادم، الحراش، القبة، رودوت، ضواحي العاصمة، بوفاريك، البليدة، شبلي ومدن المتيجة⁵.

¹ - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 412.

² - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 112.

³ - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 282.

⁴ - المجاهد، 16 جانفي 1961، العدد، 87، ص: 5.

⁵ - المجاهد، 30 جانفي 1961، العدد، 88، ص: 6.

وعندما تتوجه عائلات المغتالين في اليوم الموالي للسلطات الفرنسية لطلب الحماية، يقولون لهم "اطلبوها من الفلاقة، اطلبوا منهم حمايتكم"¹.

لقد أفرطوا في جنونهم لما ارتكبوه من جرائم، خاصة عندما شعروا بدنو أجلمهم في الجزائر. فكان أسوأ رد فعل دفعوا بسلطتهم الاستعمارية، تجميع الآلاف من الجزائريين في المحتشدات الإجبارية التي أقيمت سنة 1957 لغرض فصل وتحطيم شبكات الدعم لجهة وجيش التحرير الوطني².

بطشهم وإجرامهم ترك كومنندو جبهة التحرير الوطني بتنفيذ عمليات جريئة في حق بعض متطرفيهم مثل أميدي فروجي، رئيس بلدية بوفاريك ورئيس فيدرالية رؤساء بلديات الجزائر، ضمن عملية نوعية، بحيث اعتبر وجه بارز من دعاة الاستعمار، كان على رأس مجموعة من المتطرفين والتي صفت الكثير من سكان البلديات المشتبه فيهم³، صنف كزعيم للمحافظين ومن أشد المعارضين لسياسة "روبير لاكوست"⁴. نسبت إلى الجبهة عدد من الأعمال الإجرامية، كان وراء مقتل عدد من العمال في بوفاريك شهر جويلية 1956، كما قتل الجيش وبايعاز من مجموعة المناضلين بسهل متيجة⁵، لأن من حوله يقول فرانز فانون: "يتجمع اللصوص وسفاحو الشعب الجزائري، يشد بعضهم أزر بعض"⁶.

لذلك استهدف وقتل أمام مسكنه 108 شارع ميشلي، لتشييع جنازته يوم 29 ديسمبر 1956، تاريخ صادم نزول الفرقة المظلية العاشرة بالعاصمة⁷، قتله أثار لدى الأقلية

¹ - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 385.

² - Claude Collot, Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale 1830- 1962, O.P.U., Alger, 1987, p: 142.

³ - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 238.

⁴ - Michel Deon, op.cit., p: 77.

⁵ - Mohamed Labjaoui, Vérités sur la révolution algérienne, ANAP, Alger, S.d., p: 19.

⁶ - فرانز فانون، العام الخامس للثورة، مصدر سابق، ص: 51.

⁷ - Mouloud Feraoun, Journal 1955- 1962, édition du Seuil, paris, 1962,p: 179.

الأوروبية والذين يتقاسمون مواقفه رغبة هستيرية في الانتقام¹. تعجبوا في عدم نجاعة قوات النظام، نسبوا للحكومة مسؤولية رفض الكفاح على الجبهتين وأنها تسعى لتعطي ضمانات للفئة المتطرفة أشد التطرف من السكان الأوروبيين². موجة من الذعر الشديد في أوساط الاستعماريين الذين دفعوا أذنابهم للقيام بمذابح سقط ضحاياها من الجزائريين³.

إذ بالجمهور الكبير المتوجه نحو مقبرة "سانت أوجين" ببلوغين الجزائر تفاجئوا بانفجار قنبلة بالمقبرة أثارت ثائرتهم، يقول حمود شايد في كتابه "دون حقد ولا تعصب": "شهدنا ملاحقة حقيقية للعربي، كل الذين كانوا موجودين في طريق الموكب ضربوا بوحشية أو جرحوا أو قتلوا، من الصبيان والنساء والشيوخ لم ينجوا من عنفهم"⁴.

ليلا أفواج من شبان الكولون المسلحين اخترقوا المدينة وضربوا وطردها الجزائريين إلى الشوارع كما هاجموا دكاكينهم وسياراتهم... طلقات نارية ضد المسلم انصب رجال ونساء بحدة على الجثة ومرة أخرى استدعي الجيش كمدد، أما المسؤولون السياسيون تعرضوا للشتن، "غي مولي يشنق، لاكوست يشنق، الجيش في الحكم"⁵.

ويضيف بن يوسف بن خدة في كتابه "شهادات ومواقف" إذ يقول: "لقد كان غلاة المعمرين يهجمون على الجزائريين الذين كانوا يتجولون في الشارع المواجه للبحر ما بين ساحة الشهداء وحديقة صوفيا بالبريد المركزي، يلقون بهم إلى رصيف الميناء فيموتون في ظروف جد أليمة وبشعة"⁶.

لقد وصفت جريدة لوموند جنازته أنها لم تكن عادية بحيث تحولت إلى مظاهرة حقيقية عبر فيها المتطرفون من الكولون عن امتعاضهم عن سياسة بلادهم والتي رأوا أنها

¹ - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 238.

² - Le Monde, 01-01-1957.

³ - بسام العسلي، أيام جزائرية خالدة، مرجع سابق، ص: 206.

⁴ - حمود شايد، دون حقد ولا تعصب، صفحات من تاريخ الجزائر المحاربة، ترجمة: كابوية عبد الرحمن، منشورات دحلب، الجزائر، 2010، ص: 88.

⁵ - Le Monde, 01-01-1957.

⁶ - بن يوسف بن خدة، شهادات ومواقف، مصدر سابق، ص: 120.

لا تستجيب لتطلعاتهم وآمالهم في الحفاظ على الجزائر الفرنسية، تقول: "تجمع الآلاف منهم في شارع ميشلي أمام قنصلية الولايات المتحدة الأمريكية، كما قاموا بأعمال عنف واعتداء على كل جزائري صادفوه في طريقهم. وأمام ساحة الحكومة هاجم المتطرفون أربعة جزائريين كانوا داخل سيارة فقتلوا السائق وجرحوا أحد مرافقيه أما الآخرين نجوا بصعوبة¹. حتى أنه ومن شدة حقدهم أرادوا اقتحام سجن سركاجي للاعتداء على المساجين².

يضيف حمود شايد في ذكر إجرامهم حيث يقول: "كنت يومها في عربة من "ترام مدينة الجزائر" بعض الشبان الأوروبيون حطموا عمود اتصال الكهرباء الترام الذي توقف على مستوى مدخل شارع باب عزون في اتجاه ساحة الشهداء، أراد الشبان من أبناء الكولون أن يجبروا الجزائريين على النزول، غير أن سائق الترام وهو فرنسي رفض فتح الأبواب كما شاهدت عبر الزجاج شباناً فرنسيين مسلحين بالعصي وقضبان الحديد قد أحاطوا بشاب جزائري وأشبعوه ضرباً"³.

ضغينتهم جعلتهم مستمرين في عنفهم حتى اليوم الموالي من دفن "أميدي فروجي" حيث نقلت الصحف الفرنسية خبر وقوع انفجارات استهدفت أربع كنائس بالعاصمة، صدى الجزائر وجهت اتهامها للشيوخيين، لكن مراسل جريدة "لوفيغارو" ذكر أن مصدر هذا العمل الذي لم يخلف ضحايا غير واضح ويستبعد أن يكون الفاعل من الشيوعيين أو من جبهة التحرير الوطني⁴.

¹ – Le Monde, 1 janvier 1957, p: 4.

² – Le Monde, 31 décembre 1957, p: 4.

³ – حمود شايد، مصدر سابق، ص: 89.

⁴ – Le Monde, 3 janvier 1957, p: 4.

وحقيقة الأمر أنها عمليات إجرامية من متطرفي الأقلية الأوروبية والتي وعدت أن تجعل كل سكان الجزائر من الأوروبيين والجزائريين يعيشون جو من الرعب والخوف، تكون نتيجته هي أن تزداد الهوة الفاصلة بينهما عمقاً¹.

ومن أجل التخفيف من حدة إجرامهم كتبت صحفهم منها "La dépêche quotidienne" وبالبند العريض على صدر صفحتها الأولى: "أسفرت استقرايات إرهابية عن رد فعل عنيف من طرف الحضور خلف ستة قتلى وستون جريحاً"²، بالرغم من أن الضحايا كانوا أكثر بكثير مما ذكر وهو ما أدرجه محفوظ قداش في كتابه "وتحررت الجزائر" إذ يقول: "أدت الأحداث إلى استشهاد حوالي 400 شخص"³.

وما اقتصر عمل كوموندو جيش التحرير على الجزائر بل شمل مناطق عدة منها قتل محافظ شرطة قسنطينة "سان مارسيلي" المعروف بمعاملته الوحشية للجزائريين، إذ أنه وبمجرد انتشار الخبر خرج ابنه وأصدقائه يحملون أسلحتهم ونزلوا للشارع فأطلقوا النار على المارة ورواد المقهى الشعبي من المسلمين⁴. لقد كان اختيار جيش التحرير في تنفيذ عملية التصفية في غلاة الكولون عبر كامل التراب الوطني الهدف منها الدفع بهم للتراجع نحو مساندة الاستعمار الكولونيالي، لذا كانت هناك عمليات هنا وهناك، أمثلة عنها اغتيال "كومار أوجين Comard Eugène" عند المدخل الجنوبي لقرية فروجة الواقعة جنوب معسكر وذلك يوم الأحد 23-09-1956⁵.

كما اعترض المجاهدون "جورج مورياس George Mauries" بحاجز من الحجارة جنوب غريس مساء يوم الأحد 06 جانفي 1957، حيث أعدم رميا بالرصاص،

¹ - المجاهد، 30 جانفي 1961، العدد، 88، ص: 7.

² - la dépêche quotidienne, 31-12-1957, p: 1.

³ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 109.

⁴ - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 239.

⁵ - L'écho d'Oran, 25/12/1956. أنظر: بن داهية عدة، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: 460.

مع تحويل زوجته وطفلها نحو مركز غريس"¹، واغتيل روني فورنيل مساء يوم الثلاثاء 4 جوان 1957 بمزرعة "سان هيبوليت" المامونية حالياً شمال معسكر². كما اغتيل "فليكس جوزان نلات Phelix Joseph Nallat" وزوجته التي هي الأخرى كانت تساهم في إطلاق النار على المجاهدين ليلة 9 أفريل 1958 قرب مطار غريس دون أن يصاب بأذى من أبنائه الثلاثة³.

إلا أن جبهة التحرير الوطني لم تتخذ من العمل العسكري كوسيلة لمقاومتهم بل كانت إستراتيجيتها النشاط الجوّاري أي الاتصال بصغار الكولون والمزارعين والوكلاء منذ الشهور الأولى للثورة لاكتساب شريحة منهم والعمل على إبعادهم عن الصراع بل جعلهم أداة دعم هامة للثورة. لذلك ميزت في الحرق والتدمير الذي شملته مزارعهم، حتى أحدثت شرخاً بينهم ترك متطرفيهم يقومون بإشعال الحرائق في أملاك تلك الفئة من الأقلية الأوروبية وبتقتيل ما يملكه من أغنام بالجملة حسداً على الحماية التي يتمتعون بها⁴. ولا يمكن أن ننكر بأن الثورة وجدت فيهم سنداً ودعماً سواء بالتنازل عن الأسلحة التي كانوا يملكونها إلى جانب الدعم المالي كما أصبحت مزارعهم تستعمل مقراً للمرضى وملاجئ ومحطات للتوقف والتخزين وحتى الاجتماعات والكثير منهم رفض الحماية على اعتبار مزارعهم واقعة بمناطق إستراتيجية، كطريق مرور بين جبلين أو محاذاة للحدود، فبغياب الجيش الفرنسي تسهل حركة جيش التحرير الوطني، حتى أن البعض منهم إذا ما فرض عليه ذلك فإنه يجعل من حياة الجنود الفرنسيين مستحيلة كما أنه يقوم بتزويد مسؤولي جبهة التحرير الوطني بالمنطقة عن كل المعلومات وبشكل دقيق⁵.

كما أنه يجب الإشارة أن الثورة وجدت كذلك في هذه الأقلية الأوروبية وخاصة بالمدن دعماً كبيراً، عناية بجرحى جيش التحرير، تسليم أدوية مضادات للالتهابات،

¹ - L'écho d'Oran, 08/01/1957، أنظر: بن داهة عدة، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: 461.

² - L'écho d'Oran, 05/06/1957، أنظر: بن داهة عدة، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: 461.

³ - L'écho d'Oran, 09/04/1954، أنظر: بن داهة عدة، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: 462.

⁴ - فرانس قانون، العام الخامس للثورة، مصدر سابق، ص: 170.

⁵ - نفسه، ص: 173.

خاصة وأنه حجز عنها وبإجراء من الوزيرين المقيمين بالجزائر "روبير لاکوست- جاك سوستيل" حتى أن هناك أطباء تنقلوا للجبال المجاورة لعلاج الجرحى، كما أنهم قاموا بتنظيم دروس سرية قصد تخريج ممرضين عسكريين، فتيات أوروبيات يضعن أنفسهن تحت تصرف خلايا سرية للطباعة والنشر، إيواء مسؤولين سياسيين، منح جوازات سفر بهويات شخصية مزورة وبطاقات مهنية، والعديد منهم أوقف وعذب حتى القتل¹.

2-2 موقف الأقلية الأوروبية من إصلاحات الحكومات الفرنسية 1954-1958:

لقد أثبتت الثورة التحريرية قدرتها على الصمود والاستمرار بفضل التأييد والدعم الذي أصبحت تحظى به في أوساط الشعب، وهو الخطر الذي هدد التواجد الفرنسي في الجزائر، مما جعل الإدارة الاستعمارية تسارع إلى الإعلان عن جملة من الإصلاحات الإدارية والسياسية، خاصة وأن الأقلية الأوروبية كانت مهيمنة على الكثير من الهيئات المنتخبة، لذلك بادر المنتخبون الجزائريون بتقديم استقالة جماعية، تزامنت بعد عام من انطلاق الثورة التحريرية².

إضافة إلى ذلك فإن رئيس الحكومة "مانديس فرانس" أعطى تعليمات بخنق الثورة الجزائرية، إذ تمكنت قوات الشرطة من سجن أكثر من 200000 جزائري، حتى أن الأقلية الأوروبية ومن خلال "ريني مايير" هنأته على ما بذله من مجهودات للقضاء على الثورة وتمسكه بالجزائر الفرنسية ومنه نالت ثقة أعضاء البرلمان يوم 12 نوفمبر 1954 أصوات الغالبية وخاصة منها نواب الكولون³.

وبعدما تأكدت السلطة الاستعمارية من عدم جدوى سياسة القمع، وأن السكان أوفياء لثورتهم، قرروا إدخال إصلاحات سياسية وإدارية في الجزائر، وموازية مع ذلك توجيه ضربات قوية للثوار أينما وجودوا من أجل إرضاء الأوروبيين المعتقدين أنه الأسلوب

¹ فرانس فانون، العام الخامس للثورة، مصدر سابق، ص. ص: 174 - 176.

² - Elsenhans Hartmut, op.cit., p: 766.

³ - Alistaire Home, Histoire de la guerre d'Algérie, Abbin Michel, paris, 1980, p: 127.

الفعال لسحق الثوار، تماشياً مع هذه السياسة قام وزير الداخلية "فرانسوا ميتران" بتقديم مشروع إصلاحات سياسية وإدارية لمجلس الوزراء الفرنسي بتاريخ 5 جانفي 1955، تضمن إنشاء مدرسة وطنية للإدارة في الجزائر قصد تكوين فئة من المسؤولين الجزائريين وتعيينهم في مناصب عليا ضمن جهاز الوظيفة العمومي، إلى جانب دمج رجال الشرطة في الجزائر ضمن نظام فرنسا بباريس قصد إخضاع قوات الأمن في الجزائر إلى مراقبة مستمرة من طرف وزارة الداخلية، إلى جانب اقتراح إلغاء نظام البلديات المختلطة من أجل توحيد تطبيق قانون واحد على الجميع مثلما هو عليه الحال بفرنسا¹.

وكثيراً ما غيرت فرنسا أنظمتها السياسية الداخلية، ولكنها بقيت في الجزائر متمسكة بنظريتها الأولى فلم تغيّر لا هدفاً ولا جهازاً، إن هذا النظام يدور كله حول الأقلية الأوروبية التي هي قوامه وأساسه ومحوره².

وبالتالي أصبح من الصعب إقناع الجزائريين بجدوى سياسة الإصلاح ومنها الإدماج بعد اليأس والصدمات العنيفة التي قطعت الأواصر الواهية بين المجموعتين، كان آخرها المواجهة الدامية في العشرين أوت 1955³.

لكنها ورغم ذلك سارعت إلى مباشرة إصلاحات رغبة منها أنها تستقطب الجزائريين نحو الحكومة الفرنسية وبذلك سيتخلون على الثوار وعندها ستخدم الثورة، كما أنهم ارتأوا تغيير الحاكم العام "روجيه ليونار" والذي أصبح في نظرهم غير مناسب للمرحلة فاستقروا على "جاك سوستيل"⁴، رغم أن الأغلبية الأوروبية ومنذ تعيينه كانت رافضة له خصوصاً من قبل نواب البرلمان ورجال الإعلام، فاتهموا يومها رئيسها بتعيين

¹ – Droz Bernard et Lever Evelyne, Histoire de la guerre d'Algérie 1954- 1962, paris, Seuil, 1982, p:p 63- 64.

² – فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 24.

³ – Alistaire Home, op.cit., p: 99.

⁴ – Droz et Levet, op.cit., p: 66.

يساري يهودي "بن سوسان" جاك سوستيل حاكم عام على الجزائر واتهموه أنه ينوي التفاوض مع الثوار الجزائريين كما سبق ذلك مع تونس والمغرب¹.

فتعرضت الحكومة الفرنسية لعملية نقد شرسة من الأقلية الأوروبية الثرية مثل "روني مايير وأوميران، وكوبيس ومدير جريدة صدى الجزائر، الذي قال فيه وزير الداخلية آنذاك فرانسوا ميتران: " إنك المسؤول الوحيد على الإطاحة بـ"مانديس فرانس" لما قامت به هذه الجريدة من تحريض واسع لدى الوسط الأوروبي الذي ضغط وبقوة لإقالتها، وفعلا أسقطت بتاريخ 06-02-1955، مغرقة فرنسا في أزمة حكومية دامت تسعة عشر يوما"².

فاستطاع الكولون إسقاطها أمام البرلمان الفرنسي بـ 319 صوت مقابل 273، نظرتهم إليه كانت أنه يمثل الشيطان وهو ما عبرت عنه كتاباتهم الحائطية "ديغول يساوي مانديس"³ فسقطت الحكومة التي تولى فيها جاك سوستيل منصب الحاكم العام، إلا أنه بقي وفيًا لرئيسها حيث كثيراً ما استشاره، وفعلا قدم له النصائح الواجب إتباعها منها ما جاء في نص رسالة استقالته التي ضمنها إرشادات تتمثل في الإسراع من أجل إحداث قطيعة مع السياسات السابقة وتجنب الوقوع في نفس الأخطاء لسوء تقييم الواقع كله ومن أجل كسب تلك العناصر التي عرفت بثقتها لفرنسا لزمّن طويل وإلا ستطرد من الجزائر⁴.

كما خاطبه قائلاً: " إنك تحتاج إلى شجاعة لكي تواجه الإقطاعيين وأصحاب النفوذ والمال الكبار بالجزائر العاصمة الذين تعودوا على إصدار مراسيم نزول المطر وبروز الشمس" وهو ما يفسر ويعتبر الدليل القاطع على أنهم كانوا يسيرون ويضغطون بشكل كبير على الحكومات الفرنسية التي وظفوها لخدمة مصالحهم، لينهي مانديس فرانس

¹ - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق، ص: 101.

² - Philippe Bourdrel, op.cit, p: 2120.

³ - Philippe Hermandy, Ce qui étaient les pieds noirs, la NEF, N°8, décembre 1956, p: 66.

⁴ - بسام العسلي، الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة، دار النفائس، الطبعة الأولى، بيروت، 1984، ص: 57.

نصحه له: " إن مهمتك ستكون صعبة" ¹، ذلك ما يبين وبكل وضوح أن رئيس الحكومة اعترف له بأن السلطة في الجزائر هي بأيديهم وبتوجيههم وتحت ضغطهم، طلب منه على أن يذهب لإصلاحات جديدة متجددة لقانون 1947².

وفعلا انتهج سياسة الاندماج التي أعلن عنها في 23/02/1955 تجسيد لقانون 1947 مع تبني تغييرات مضمونها عدم التفرقة بين السكان لا في المجال الديني والعرقي، والجميع يصوت في صندوق واحد، وهي السياسة التي اعتبرها كستار غطى به القمع الذي سلكه لإرضاء الأقلية الأوروبية ³، كما أدرج بإجراءات نص أعطى فيه المرأة الجزائرية حق الانتخاب ⁴.

ودفع وزير العدل الفرنسي إصدار مرسوم يسمح للمحاكم العسكرية أن تنتظر في الأشخاص الذين ارتكبوا جرائم، كما تقرر بتاريخ 3 أبريل 1955 إصدار قانون الطوارئ والذي بموجبه أعطى للشرطة الحق في اعتقال أي شخص وفي أي وقت دون الحصول على موافقة الجهات القضائية مع إقامة مناطق أمنية لاعتقال المواطنين وإبعادهم عن ديارهم إلى جانب إنشاء جهاز للشرطة الريفية المتنقلة، تحديد إقامة الأشخاص وعدم السماح لهم بالتنقل "وعليه يتضح أن عهده اتسم بقمع لا مثيل له اتجاه الشعب الجزائري، ويتبين أن السلطة الفعلية في الجزائر هي بيد الجيش الفرنسي" ⁵.

ورغم ذلك فإنه تعرض لهجوم من كبار الأقلية الأوروبية منهم "ريني مايير" الذي خاطبه: " أنا لا أعلم إلى أين ستأخذنا سياستك، حيث أنه في شمال إفريقيا ينبغي الاختيار

¹ - Droz et Lever, op.cit., p: 67.

² - Philippe Hernandez, op.cit., p: 64.

³ - Francis et Colette Jeanson, L'Algérie hors la loi, paris, Seuil, p: 278.

⁴ - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، مرجع سابق، ص: 100.

⁵ - حماميد حسنة، المستوطنون الأوروبيون والثورة الجزائرية 1954-1962، الطبعة الأولى، متيجة للطبع، الجزائر، 2007، ص: 127.

بين سياسة المصالحة والإصلاحات أو سياسة القمع وما يترتب عنها من عواقب وخيمة ومرعبة والحكومة اختارت الحل الأول"¹.

هي انتقادات رافضة للإصلاحات رغم فظاعتها بحيث أوصلت الجزائريين إلى وفيات أعلى بالعالم لدى الأطفال والتي بلغت 284 في الألف كما ارتفعت نسبة البطالة حدها، ورغم ذلك رأت الأقلية الأوروبية أنها تنازلا للمتمردين، فعارضوها بل دعوا إلى إرسال مزيد من جنود الليف الأجنبي والطابور المغربي².

كما رفضوا سياسة الدمج بالمجلس الجزائري، إذ أعلن نوابهم من ولاية الجزائر قبول الدمج الاجتماعي والمالي والاقتصادي رافضين الإدماج السياسي باعتباره سابق لأوانه³، حتى العسكريين الفرنسيين في الميدان فهموا من خلالها أنها طريقة ومحاولة للقضاء على الثورة بإيهام السكان "بجزائر الأخوة" في إطار التطور الاجتماعي والثقافي، وعليه فإن فكرة الاندماج عندهم أو حتى الكولون هي مجرد موقف دفاعي ومن الحيل العسكرية⁴. لذلك فإن بقائه في حكومة إدغارفور تفاجئوا لها، بحيث لم تنل عودته رضاهم، بل عبروا أنهم لا يريدونه ورفضوا التعامل معه⁵.

لكنه سرعان ما تبينت حقيقته مع هجومات 20 أوت 1955 حيث انحاز وتعاطف لصف الكولون وتراجع سياسة الدمج بصفة علنية، وأصبح همه الوحيد ترضية الأوروبيين عن طريق إعادة الأمن بأي طريقة كانت مع فرض إرادة فرنسا على الثائرين، حتى أنه وفي فترته ارتفع عدد الجنود والضباط إلى 190 ألف إذ أنه لم يكن يتجاوز عددهم بداية الثورة ثمانون ألف⁶.

¹ - Droz et Lever, op.cit., p: 64.

² - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها، مرجع سابق، ص: 30.

³ - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين 19-20، دار البعث، قسنطينة، 1980، ص: 413.

⁴ - عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص: 72.

⁵ - محمد العربي الزبيري، الثورة الجزائرية في عامها الأول، نفس المرجع، ص: 101.

⁶ - يحي بوعزيز، الثورة الجزائرية في القرنين 19-20، المرجع سابق، ص 414.

فانتصرت المعارضة الأوروبية لكل تغيير سياسي في الجزائر يمس مصالحها ويخلق المساواة بينهم والجزائريين المسلمين، على الرغم من أنها حكومة يسار لكنها تنكرت وتجاهلت كل الأسباب الحقيقية للثورة الجزائرية وأرجعتها للظروف الاقتصادية والاجتماعية، رافضة إرادة التحرر من قيود الاستعمار لذلك فسقوط الحكومة وبقاء فرنسا في أزمة سياسية عبر عن قوة وقدرة الأقلية الأوروبية¹.

فأصبحت حكومة إدغار فور عرضة للإطاحة بها من خلال البرلمان الفرنسي نتيجة ما تبنته من إصلاحات أخذت منحى زوال امتيازات الأقلية الأوروبية، وبضغطهم انتهت إلى الزوال وبقي برنامجه حبرا على ورق².

ليعين غي مولي رئيسا لها، ومن خلال حفل التنصيب تحدث عن الشخصية الجزائرية إذ أوضح أن الجزائر ليست إقليما فرنسيا لأن سكانها يتميزون بصفات اجتماعية وثقافية مغايرة عن الأوروبيين، فبذلك أثار مخاوفهم وسرعان ما قاموا بمظاهرات بتاريخ 29 جانفي 1956 بقراءة لائحة جاء فيها: "إننا لن نشرف الجنرال كاترو بأن يحكمنا"³. وفي هذا المضمار يذكر عبد الرحمن فارس من خلال كتابه "الحقيقة المرة" أنه استقبل من قبل رئيس الحكومة "غي مولي" بمقر الحزب الاشتراكي بفرنسا حيث لفت انتباهه للخطأ الفادح الذي هو مقدم عليه بتعيينه للجنرال "كاترو" إذ يذكره أنه كان محافظ ساميا في الجزائر غداة تحرير فرنسا، وأنه اقتص من بعض الزعماء السياسيين من الأقلية الأوروبية التي ناصرت "بيتان Pétain"، حيث وضعهم تحت الإقامة الجبرية بالجنوب، فهؤلاء هم الذين سيناھضونه بكل الوسائل أنهى قوله: "إنهم سيستقبلونك بمظاهرات عنيفة عندما تحل بالجزائر"⁴، ومما زاد في سخطهم عند تشكيله لحكومته التي كان فيها مانديس فرانس وزير دولة وكريستيان بينو وزير خارجية

¹ - محمد العربي الزبيري، نفس المرجع، ص: 101.

² - يحي بوعزيز، الثورة الجزائرية في القرنين 19-20، مرجع سابق، ص: 413.

³ - عبد الله شريط، مرجع سابق، ص: 104.

⁴ - عبد الرحمن فارس، الحقيقة المرة، مذكرات 1945-1962، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار القصة، الجزائر، 2007، ص: 80.

وبورجيس مونوري في وزارة الحرب، وهم كلهم من المغضوب عليهم من قبل الكولون وما زاد غلوهم عندما بادر بتعيينه الجنرال "كاترو" مع تنحيته جاك سوستيل¹.

لذلك سارع كبارهم "ألان دي سيزني" مدير جريدة صدى الجزائر وأميدي فروجي رئيس المجلس العام للجزائر ورئيس فيدرالية رؤساء البلديات، بضغط وتوجيه كبيرين على رئيس الحكومة بإرسال تلغراف احتجاج ضد تعيين الجنرال "كاترو" باعتباره مواليا للجزائريين². وما عقد من صعوبة مهمته تصريحاته المتعلقة بتسيير المجالس المحلية التي لاقت انتقاداً من اللوبي الكولونيالي في الجزائر، انتفاضة هستيرية لهم بالجزائر بما في ذلك معارضة شرسة داخل البرلمان الفرنسي أفستت عليه كسب تأييد القوى السياسية في فرنسا للإصلاحات في الجزائر³.

كما عبر قدماء المحاربين عن رفضهم لسياسة "غي مولي" فأسس نواب الجزائر بالبرلمان لجنة عامة تحت رئاسة "لاكايير" عبروا فيها عن رفضهم للقسم الانتخابي الموحد ورفضهم لإطلاق سراح المعتقلين السياسيين بما في ذلك مجيء الجنرال "كاترو" ورغم مقابلتهم له إلا أنه رفض التراجع بل أكد على المجيء لتعيينه⁴.

ولتخطي هذه المرحلة ومن أجل إقناع الجزائريين بأن السياسة الفرنسية إيجابية تهدف إلى الاهتمام بوضعهم الاقتصادي والاجتماعي، وأنها أفضل بكثير مما يمكن أن تحققه لهم جبهة التحرير الوطني، إذا ما تقلدت زمام الحكم، لأنها ستكون عاجزة عن بناء جزائر جديدة على أنقاض الجزائر الفرنسية⁵.

وجدت هذه الدعاية من الأساتذة الجامعيين والذين انخرطوا فيها مبدئين قناعة كبيرة بالدور الإيجابي الذي تقوم به حكومتهم في الجزائر، بحيث فسروا على الجهل والعاطفة

¹ – Droz et Lever, op.cit., p: 80.

² – Philippe Bourdrel, op.cit., p: 24.

³ – Le Monde, 11- 26 janvier 1957, p: 2.

⁴ – Aimé Baldacci, op.cit, p: 125.

⁵ – Leprevot Jacques, Défense l'Algérie, librairie Dominique, Alger, 1957, p: 248.

هي وراء تنكر ما أنجزته فرنسا في الجزائر من إنجازات جد إيجابية، رغم أن كل المعطيات والإحصائيات تفند وتكذب، بحيث جندت فرنسا لهذه الحرب أكثر من مليونين وخمسمائة ألف شاب فرنسي، خلفت وراءها الكثير من الضحايا¹.

فاتخذت بدائل في إطار خطة إستراتيجية شاملة تكون مؤهلة للمحافظة على النمط الإداري الفرنسي بالجزائر، وعليه جاء قرار إلغاء البلديات المختلطة²، وتعويضها ببلديات عادية ومنه يتبين أن هذه الإصلاحات التي نصت عليها ترسانة من القوانين والمراسيم لم تكن سوى دعاية للاستهلاك³.

وما زاد من تفاقم الوضع، إضراب الطلبة الجزائريين 19 ماي 1956، الذي قابله طلبة الكولون يتزعمهم أستاذ القانون بجامعة الجزائر "فياغبول إميل Viardpaul Emile" ونائبه "غيلاني جون Gialiani Jean" مفتش التعليم الابتدائي بتأسيسهم جمعية الدفاع عن التواجد الفرنسي عبر سائر المستعمرات خاصة منها الجزائر كما عملت على الدعاية والترويج للمنجزات التي حققتها السلطة الفرنسية بالجزائر⁴.

وصل بهم الأمر الضغط على الحكومة الفرنسية لعزل الأستاذ "أندري ماندوز" من كل الجامعات الفرنسية نتيجة تعاطفه مع جبهة التحرير الوطني، إلى جعل احتواء مقالته تصريحات عبان رمضان الموجهة لـ "بيير مانديس فرانس" بما في ذلك توجيه نسخة باسم المقاومة الجزائرية للشعب الفرنسي بعودته للجزائر 6 مارس 1956 لحرم جامعة

¹ – Michel Carnaton, Les camps de regroupements de la guerre d'Algérie, L'Harmattan, paris, 1998, p: 30.

² – عبد المجيد شيخي، الإستراتيجية الدفاعية الفرنسية ومكانة الجزائر فيها، مجلة الرؤية، السنة الأولى، العدد الثاني، ماي- جوان، 1996، ص: 61.

³ – Elsenhans Hartmut, op.cit., p: 550.

⁴ – Archive Wilaya d'Alger, boîte 196/5070,161,1Z, Mouvement universitaire pour le maintien de la souveraineté française.

الجزائر، أسفر عن مشادات شرسة بين الطلبة الفرنسيين وأعضاء الاتحاد العام للطلبة الجزائريين المسلمين انتهى بخروجه ومغادرته الجزائر إلى وجهة غير معلومة"¹.

وما جعلهم أكثر تأثيرا على الحكومة، تجمع حوالي مائة ألف مستوطن أوروبي جاءوا للتعبير عن غضبهم وحزنهم على رحيل "جاك سوستيل" حيث صرخوا " ابق معنا، لا تتركنا، بدونك سنضيع" اعتُبر يوم مشهود في نظرهم، رغم أنه وجد معارضة شرسة من قبلهم حتى أنهم نعتوه "باليهودي المنبوذ" إلا أنه برهن مع أواخر حكمه على مدى تعلقه بهم وولائه لهم"².

قرر "غي مولي" تحديد يوم 6 فيفري لزيارة الجزائر للإعلان عن برنامج الجديد الذي تضمن حسب تصريحه المساواة التامة في الحقوق لكافة سكان الجزائر، مهما كانت أصولهم وديانتهم، وتعايش الجماعات واستقلالية واسعة في التسيير مع الحفاظ على روابط لا تنفصم بين الجزائر وفرنسا المترابولية، بما في ذلك تعيين الجنرال "كاترو" حاكم حام للجزائر³.

وعليه صار فرنسيو الجزائر يتوجسون خيفة من أن تتخلى الحكومة عنهم، فلم يكونوا يثقون فيها لأنهم لم يساهموا في تعيينها، واستخلاف الحاكم العام "جاك سوستيل" بالجنرال "كاترو" مؤشر عن قرب نهاية ما يسمى بالجزائر الفرنسية⁴.

ذلك ما أثار عليه غضب وسخط في الجزائر، لقي صده في الجزائر فكتبت جريدة صدى الجزائر بقلم مديرها "دوسيزني": " لا يمكن للأغلبية الساحقة من فرنسيي هذا البلد الأصليين إلا أن يكونوا معادين لهذا الإجراء الذي سيكرس تطبيقه انحطاطهم الكامل"⁵.

¹ - عبد الله حمادي، الحركة الطلابية الجزائرية 1871 - 1962، مشارب ثقافية وإيديولوجية، طبعة ثانية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص: 59.

² - Aimé Baldacci, op.cit., p: 165.

³ - محمد حربي، حياة تحد وصمود مذكرات سياسية 1945 - 1962، ترجمة: عبد العزيز بوباكير، علي قسايسية، دار القصة، الجزائر، 2004، ص: 234.

⁴ - ليفي برفيلي، النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880 - 1962، مرجع سابق، ص: 232.

⁵ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 296.

فابتداء من 4 فيفري خرجوا في مظاهرات عدائية تضاعفت بالعاصمة وبقيادة منظمة قدماء المحاربين التي انضمت لها لجنة العمل بقيادة الجامعي "بيار لاغايارد Pierre Lagaille" فأعلنوا عن إضراب يوم 6 فيفري 1956، إلى جانب بعثهم برسالة احتجاج لرئيس الجمهورية الفرنسية "روني كوتي". تميزت حركتهم ونشاطهم بشعبية واندفاع كبير، تجمعوا في إطار لجنة الدفاع عن الجزائر الفرنسية¹.

فاجتمع الرجعيون ومتخلفو النظام الاستعماري والنشطاء من كل صنف، المسيحيون المنفلتون من زمن الصليبيين ومحاكم التفتيش وأولئك الذين لا يريدون أن يفهموا أي شيء مما أفرزته الحرب العالمية الثانية².

ما وراء جدار الأمن الكولون يشتمون بقوة، وفي الأحياء الأوربية سيطر الاضطراب العام على الأجواء وكانت "كوبيات سوداء" معلقة على شرفات منازلهم، المحلات التجارية مغلقة، كتبت عليها مغلق بسبب الحداد، حشود كبيرة غزت الموقع وهي تصرخ، كانت غاضبة جداً، بالمكان كان أعضاء لجنة الوفاق الخاصة بقدامى المحاربين للطيار "آرنولد" ورجال "أميدي فروجي" رئيس جمعية رؤساء البلديات، مجموعة البوجاديس، جمعية التجار لصاحب مقهى الفوروم "جوزيف أورتيغ" "روبير مارتل" حضر وهو يحمل السلاح صحبة صغار كولون المتبعة التابعة لروني كوفاكس وفيليب كاستيلي الذين قاموا قبل أشهر بمحاولة اغتيال الجنرال "سلان" كان من بين الحضور حتى طلبة الثانويات والجامعة³.

ما بعد منتصف النهار كل شيء مغلق نزل "غي مولي" من سيارته مرفقا بوزارته، فجأة أمطر بالطماطم والبطاطا والبيض تساقطت عليه ومرافقيه، عداً انهش له رئيس الحكومة واعتبره اعتداء على حرمة فرنسا، تدخلت قوات الأمن لإنقاذ ممثلي الجمهورية الفرنسية، وتحت حماية الشرطة التحق بقصر الحكومة، بدا عليه مصفراً وفي

¹ – Philippe Bourdrel, op.cit., p: 23.

² – فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 298.

³ – باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، ص: 185.

وضع مخيف، صدامات بين الأوروبيين والسلطة الفرنسية¹. أمام ضغطهم استسلم رئيس الحكومة، وعلى وقع تصفيقات المتطرفين الكولون أعلن إقالة "كاترو" من التعيين كحاكم عام للجزائر².

انتشر الخبر الذي جعلهم يصرخون بالانتصار فاعتبروه يوم نصر وهو ما عبر عنه رئيس الطلبة "بيار لاغايار" قوله: "الآن أنا متأكد أننا نستطيع أن نقوم بانقلاب ضد الدولة هنا في الجزائر"³ هي من المواقف التي سجلها لهم التاريخ وهم متعودون عليها ولأبلغ دليل ما قامت به هذه الأقلية بتاريخ 1 أفريل 1848 برواية كبير الأطباء لجيش إفريقيا "ماريوس نيكولا بوال" كيف استطاع الأوروبيون المقيمون بمدينة الجزائر أن يتحاملوا على الجنرال "شانغريني" الوالي العام الذي عينته فرنسا على الجزائر فطردوه وهو الذي ساهم طيلة خمسة عشر سنة في احتلال البلاد⁴. فزادوا ضغطا عليها باشتراطهم عليه التخلي عن جميع خطط الإصلاح، أذعن يومها لهم، فشرعت حكومته في تنفيذ سياسة إعادة النظام والأمن أي سياسة الرعب والدمار في أبشع صورها⁵. فالكولون ناقدون على وطنهم فرنسا ليس السبب هو التقصير في حمايتهم، لأن فرنسا ما فتئت تحميهم بكيفية لا تتناسب ومخاوفهم، إن السبب الحقيقي هو التخوف من سحبها للدعم الذي تقدمه لهم من أجل المحافظة على امتيازاتهم، فدورها تتصوره الأقلية الأوروبية في أنها سلطة عليا تضمن لهم أرباحا طائلة وتمارس سياسة القمع بدون شفقة على الأهالي⁶.

وهو ما رسم صورة تافهة للحكومة في أعين المسلمين، وأعطى آمال كاذبة عن تفهم الحكومة الاشتراكية للمشكلة الجزائرية المطروحة من قبل جبهة التحرير الوطني، لقد

¹ – Philippe Broudel, op.cit., p: 27.

² – هنري علاق، مصدر سابق، 2007، ص: 216.

³ – Philippe Broudel, op.cit., p: 28.

⁴ – مصطفى الأشرف، مصدر سابق، ص: 187.

⁵ – زدرا فويكار، مصدر سابق، ص: 218.

⁶ – مصطفى الأشرف، مصدر سابق، ص: 186.

كانت الأقلية الأوروبية على قناعة بأنه بإمكانها باتحادها ومظاهراتها مواجهة أي نوايا لإصلاحات أو مفاوضات تقوم بها الحكومة الفرنسية بل أنه بإمكانها حتى الإطاحة بها¹.

وما خلاص إليه فرحات عباس في كتابه "تشريح حرب" ليعبر عن ذلك قوله: " لا ينتظر من حكومات تخضع لفوضى الشارع ولمناورات القوى المالية²، إذ لا يستطيع رئيس حكومة في ظروف كهذه، أن تكون السلطة التحكيمية الدائمة التي ينبغي أن تحتفظ بها فرنسا؟ تحكيم يتصف منذ أول الأمر بالتحيز والعجز، فالقولون يفرضون قانونهم بالقوة، يملون أوامرهم على الوزراء، البرلمان، ورئيس الدولة لأنهم يملكون المناصب الهامة، وهم الذين يخنقون صوت الملايين من الجزائريين ويضعون سيادتهم مكان سيادة فرنسا³.

رغم أن البعض منهم كان على النقيض من ذلك مثل "جاك شوفاليي" الذي يقول عنه أحمد مهساس: " أنه وعى أن زمن السياسة الاستعمارية التقليدية قد انقضى، كان يعيب عليها أساليبها العنيفة المتغطرة قطعها الطريق أمام أي تطور للسياسة الجزائرية وأعتقد أن هذه الأساليب ستؤدي حتما إلى الكارثة بالنسبة للأوروبيين في الجزائر"⁴.

لتهدئتهم أبعد الشخصيات اليسارية التي يرفضها القولون رغم أنهم أعضاء في حزبه إذ كان من المفروض أن يتولوا مناصب وزارية منهم "إيف شاطينيو" الأستاذ "بارك Berque" إلى جانب المؤرخ شارل أندري جوليان⁵.

كما توجه بخطاب ألقاه بتاريخ 09-02-1956 لسكان الجزائر جاء فيه: " إن الحكومة سوف تقاتل وفرنسا ستقاتل لكي تبقى الجزائر، وسوف تبقى بكل تأكيد، كما

¹ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 99.

² - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 298.

³ - يحي بوعزيز، من وثائق جبهة التحرير الوطني 1954-1962، الجزء 1-2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص: 34.

⁴ - أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر 1914-1954، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص: 353.

⁵ - Charles André Julien, Une pensée anti-coloniale 1914- 1979, paris, édition Sindibad, p:168.

حرص في خطابه على طمئنة جمهور الكولون بأن الحكومة الفرنسية لا تقا تل في الجزائر إلا من أجل المحافظة على امتيازاتهم"¹.

وما يزيد الأمور وضوحا أكثر رضوخه التام، بل سعى لكسب رضاهم، وهو ما جاء في خطابه الذي وجهه إليهم، فيه رضوخ تام لإرادتهم: "... لقد ظهرت كمستعمرين، أنا لا أنقاسم معكم هذا الرأي، أيها الموظفون، أيها التجار أيها الأساتذة أيها الأطباء أيها الرجال الذين استوطنتم الجزائر لعدة أجيال وفيها توجد عائلاتكم وممتلكاتكم وموتاكم... ومنذ مجيئي إلى هنا سمعت أصواتكم، أنتم الذين تسمعونني، تظنون بأن فرنسا ستتخلي عنكم، لقد فهمت مصدر قنوطكم لقد أكدت مظاهرات يوم الاثنين مدى تعلقكم بالجزائر وأنا أؤكد لكم بأنني فهمتكم، فرنسا ستبقى في الجزائر، والرباط الذي يربط فرنسا بالجزائر سوف لن ينقطع..."².

عين "روبير لاكوست" في منصب الوزير المقيم في الجزائر، إذ تولى بموجب مرسوم صدر بتاريخ 15-11-1956 من منصب حاكم عام إلى وزير مقيم، أصبح من خلالها يتمتع بسلطات أوسع كونه أصبح عضوا في الحكومة الفرنسية³.

ومن يومها أصبح المتكلم باسم الكولون إلى درجة أنه طرد منها اليساريين المتعاطفين مع الثورة وهو ما جعلهم يرفضون تطبيق القوانين الجاري بها العمل في فرنسا ومنها النظام الانتخابي الموحد القائم على أساس المساواة، كما أصروا على مواجهة الجزائريين بكل قمع وقوة⁴.

وبذلك أصبح برنامجهم قائما على سحق النزعة القومية الجزائرية، ذلك ما تأكد من خلال المرسوم الصادر بتاريخ 13 أفريل 1956 والذي من خلاله قرر وزير الدفاع

¹ - مصطفى الأشرف، مصدر سابق، ص: 186.

² - حماميد حسينة، مرجع سابق، ص: 138.

³ - عبد المجيد لخروبي، ميلاد الجمهورية الجزائرية والاعتراف بها، ترجمة: العربي بونيون، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ص.ص: 48-52.

⁴ - Charles André Julien, op.cit., p: 161.

الفرنسي "بورجيس مونوري" مضاعفة عدد القوات الفرنسية للقضاء على الثورة، زيادة على 200 ألف أرسل 160 ألف جندي جديد مما دفعه إلى استدعاء الاحتياط بما في ذلك تمديد الخدمة العسكرية¹. وكان أكثر وضوحا بتصريحاته لصالح الكولون إذ عبر قائلاً: " لا مفاوضات مع الجزائريين ولا استقلال للجزائر، وأن رئيس الوزراء أدرك أن مسألة المفاوضات مع العصاة لا يمكن أن تخطر على بال أحد، إذ كانت تستهدف اعتبار الفرنسيين الذين يعيشون في الجزائر أجانب، إن مثل هذه الفكرة لا يمكن أن يكتب لها الوجود"².

وما زادهم تعاطفا معه اعتقادهم أنه هو الذي خطط للقرصنة على الطائرة المغربية التي كانت تقل الوفد الجزائري، ذلك ما جعلهم يتأكدون أنه منقذ الجزائر الفرنسية³.

ورغم ما قامت به الحكومة الفرنسية لترصيتهم، حتى أنها تنازلت على جزء من سلطاتها للجيش، ذلك ما أقدم عليه "روبير لاکوست" بموافقته وبتاريخ 7 جانفي 1957 على إمضاء أمر يسمح للجنرال "جاك ماسو" تولية جميع صلاحيات الشرطة للجيش بدل الوالي قصد حماية الأوروبيين وربح المعركة⁴.

وموازاة مع ذلك فتحت لهم باب العمل، داخل الجيش فجندت الأوروبيين بالمئات، كما أسست "الوحدات الإقليمية Les unités territoriales" لمساعدة الجيش وللقضاء على جبهة التحرير الوطني، ورغم ذلك فإنها لم تحظى بثقتهم واتهموها بالضعف، وأنها تعمل وتهيب الوضع للتخلي عن الجزائر⁵. رغم أن رئيس الحكومة ومن خلال نص بيان الاستقالة نتضح نواياه وبشكل واضح قوله: "توطيد الثقة وإبقاء شعلة الأمل... حتى لا

¹ – Philippe Hernandez, op.cit., p: 39.

² – Le Monde, 30-04-1956.

³ – Droz et Lever, op.cit., p: 95.

⁴ – Philippe Hernandez, op.cit., p: 39.

⁵ – Philippe Hernandez, op.cit., p: 39.

يدفع من يخالفنا إقصائنا من أرض الجزائر عاجلا أو آجلا، وهي العملية التي من واجبنا أن نتصدى لها بكل قوانا ومهما كلفنا الأمر..."¹.

وهو ما جعلهم يندفعون للعنف ضد المسلمين باعتمادات على أحياء الجزائريين، بوضع القنابل والتي أدت بحياة الكثير من المدنيين، وهو ما فجر معركة الجزائر التي تبنتها خلايا جبهة التحرير الوطني². كما جعل التغيير الحتمي من خلال حكومة "بورجيس مونوري" الذي كان رئيسها وزيرا للدفاع في الحكومة السابقة، كان أكثر ميلا للكولون، وكوزير للداخلية في حكومته "إدغاروفور" لم يخفي تصلبه وتشبته بالحفاظ على الجزائر الفرنسية، أبقى في حكومته على "روبير لاكوست" في منصب حاكم عام مع جلبه لشخصيات مؤيدة جلها للمستوطنين³.

محتوى ما تضمنته الخطوط العريضة لبرنامجهم والمتمثلة في عدم التفاوض مع جبهة التحرير الوطني إلى جانب العمل على سحق الثورة المهددة لوجود وأمن الكولون كما دعمت برنامجها في الإسراع لتجسيد الأسلاك الشائكة بغية عزل المجاهدين عن قاداتهم إلى جانب وعدهم بالوقوف بعدم قيام برلمان تكون فيه الأغلبية للجزائريين، وهو ما جعلها تجد التزكية والقبول بالتصويت لها بـ 240 صوت مقابل 194 ضد⁴.

لكن ما أعاد الحكومة إلى نقطة البداية، هو الضغط الدولي الذي مورس عليها من أجل وضع إصلاحات لصالح الجزائريين، مما دفع بروبير لاكوست الرجوع للقانون الإطار⁵، كمحاولة لصالح المساواة بين المواطنين وتحقيق تضامن الجماعات فيما بينها ومع فرنسا بواسطة نظام فدرالي مزدوج وبفضل ثنائية برلمانية لم توفق في نهاية الأمر إلا بإثارة أنصار الجزائر الفرنسية⁶.

¹ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص. ص: 203 - 205.

² - شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، مصدر سابق، ص: 169.

³ - نفسه.

⁴ - Droz et Lever, op.cit., p: 162.

⁵ - Ibid., p: 163

⁶ - غي برفليي، مرجع سابق، ص: 446.

كما أنه يعتبر بالنسبة للجزائريين غير مقبول بحيث أعرب عنه فرحات عباس قوله: " إن هذا الإصلاح جاء متأخرا جداً"¹.

والذي وقف له النواب الأوروبيون وأنصارهم من اليمين، رأوا فيه أنه مسهم في كرامتهم ساندتهم حتى "جاك سوستيل" الذي رأى فيه أنه مجحفا لحقوق الأقلية الأوروبية، وعليه أطيح بهذه الحكومة بتاريخ 30 ديسمبر 1957 بأغلبية 279 صوت ضد 253، وبقيت فرنسا تتخبط في أزمة وزارية لمدة خمسة وثلاثون يوما، تجلى من خلاله قوة ونفوذ الكولون في تسيير دواليب الحكم، إذ وبالتنسيق مع قادة الجيش والأحزاب الموالية شكلوا حكومة جديدة برئاسة "فليكس غايار" الذي كان من ورائه النائب الأوروبي "ريني مايير" ففازت بتزكية البرلمان وبأغلبية ساحقة للجبهة الاشتراكية بـ 337 صوت مقابل 173 ضد، منحت صلاحيات واسعة كله من أجل تحقيق أهداف ومطامع الأوروبيين بالجزائر².

وما بين رضوخها وضعفها أمام الأوروبيين وقادة الجيش هو الهجوم الذي شن على ساقية سيدي يوسف بتاريخ 08-02-1958 دون الحصول على موافقتها وأكثر من ذلك فإن ضغطهم تواصل برفضهم رسالة بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية أمام تونس حيث صرح "جورج بيدو" أن على فرنسا أن تحل مشاكلها بنفسها، فاتهمت الحكومة بالضعف ورئيسها بالعمالة للولايات المتحدة الأمريكية وهو ما جعلها تسقط بتاريخ 15 أبريل 1958 بـ 321 صوت ضد 255³.

وعليه ما كان أمام هذه الحكومة إلا بالرجوع لقانون الإطار كإصلاح صودق عليه يوم 29 نوفمبر 1957: 268 صوت مقابل 200، حيث أصبح الحل الوحيد لإبقاء "الجزائر الفرنسية"، ذلك ما وقف عليه البرلمان اليميني "جورج بيدو" وبتصريح 31

¹ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 29.

² - Aimé Baldacci, op.cit, p: 364.

³ - Philippe Bourdrel, op.cit., p.p: 200- 201.

جانفي 1958 قوله: " أن جبهة التحرير الوطني ستفرض هذا المشروع كحل لأنه ينص على بقاء الجزائر خاضعة لفرنسا ولأنه لا يتطرق للاستقلال¹.

وبالرغم من ذلك فإن الكولون ومنهم الطلبة اليمينيون تظاهروا وعبروا بحقد واحتقار ضد "روبير لاكوست" واتهموه أنه يريد التخلي. ولقد عبر إيمي بلداسي عنه: " إنه يهدد مستقبلنا رغم أنه يفرق بين المجموعتين الأوروبية والمسلمة لكنه يضع سلطتنا وإدارتنا المركزية بتقسيمه الجزائر إلى عشر مناطق كل منها مستقلة إداريا وماليا ثم يتساءل ماذا سنحكم؟ وكيف سيكون مصير الخزينة؟"²، لذلك اتضحت أن سلطة الجزائر هي بأيديهم دون منازع، فأصبحت مؤامراتهم تتجلى في تكتل ضمن منظمات وأحزاب كمنظمة قداماء المحاربين والتي نظمت مظاهرات 06-02-1956، أشادت التعبير عن أهدافها بتنظيم مظاهرات 26 أفريل 1958 معبرة عن رفضها وسخطها مطالبة بتأسيس حكومة الأمن العام³.

وعليه تمكن فرنسيو الجزائر من وضع حاجز عازل بينهم وبيننا، دون أن تفعل فرنسا الاستعمارية أي شيء، حيث يقول فرحات عباس: " اكتفت بالتصفيق لعنصرية مواطنيها حتى اليوم الذي تحولت المأساة إلى نجاح، فحاولت أن تعوض الوقت الضائع بإصلاحات مستعجلة ومرجلة في حين كان الداء قد استفحل ولم يعد ينفع مع الدواء، حيث وصلت الإصلاحات متأخرة جدا"⁴.

وبذلك يمكن القول أن سياسة الإصلاح وفشلها تعود بالأساس لتماطل الإدارة الفرنسية أمام المعارضة، والتعنت الذي أبدته الأقلية الأوروبية اتجاه كل محاولة بفعل أن "المشكل الجزائري يعود أساسا على أنه ذو طابع عنصري وديني والإقصاء الذي يمس الأهالي يتوسع على مستوى كل طبقات المجتمع"⁵.

¹ - Droz et Lever, op.cit., p: 165.

² - Aimé Baldacci, op.cit, p:365.

³ - Philippe Bourdrel, op.cit., p:p: 202- 205.

⁴ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 305.

⁵ - محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1919 - 1939، الجزء الثاني، ترجمة: أمحمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص: 219.

الفصل الرابع

الأقلية الأوروبية والثورة الجزائرية في ظل الجمهورية الخامسة 1958-1960

1 - الأقلية الأوروبية موقفها ودورها ضمن مرحلة 1958/1960

1 1 رد فعل الأقلية الأوروبية اتجاه قوة وشمولية الثورة الجزائرية.

1 2 دور الأقلية الأوروبية في أحداث 13 ماي 1958.

1 3 موقف الأقلية الأوروبية من سياسة الجنرال شارل ديغول.

2 - ضغوطات الأقلية الأوروبية في إبقاء الجزائر الفرنسية 1958/1960.

2-1- أسبوع المتاريس 24 جانفي 1960.

2-2- دورها في مظاهرات ديسمبر 1960.

2-3- مساهمتها في انقلاب 22-25 أفريل 1961.

1- الأقلية الأوروبية موقفها ودورها ضمن مرحلة 1958/1960

1-1 رد فعل الأقلية الأوروبية اتجاه قوة وشمولية الثورة الجزائرية:

إن ضغط الثورة الجزائرية ودخولها مرحلة الشمولية، عقدت من وضع الحكومات الفرنسية، لذلك أصبحت تتبنى سياسة الهروب إلى الأمام، خاصة بعد دخول جيش التحرير الوطني حرب المدن، حيث لم تتمكن لا الإدارة ولا الشرطة ولا حتى الجيش الفرنسي ضبط الأمن والاستقرار الذي أضر كثيراً بالكولون¹.

تطورها وانتشارها خاصة بعد 20 أوت 1955 إلى مؤتمر الصومام 1956، أربك فرنسا وجيشها بما في ذلك الكولون الذين أصبحوا يعيشون عزلة تامة²، فعجز العسكريون الفرنسيون عن فهم الدوافع العميقة للثورة، كما فشلوا في الوصول إلى إيجاد حلول لإبقاء الجمهورية الرابعة التي كانت في آلام الموت، كما تعترف الأرقام الرسمية الفرنسية بأن متوسط العمليات لسنة 1958 أصبح في حدود ستين عملية يومياً إلى جانب قتل سبعة آلاف عسكري فرنسي³. وهو ما وقف عليه علي كافي من خلال مذكراته قوله: " إن بداية ربيع 1958 كانت جحيما على الإدارة الفرنسية في باريس والجزائر، الثورة انتشرت وعمّت وتطورت وتعززت وحقت انتصارات هائلة في الميدان رغم تكاثر عدد القوات الفرنسية وتعزيزها بمختلف الأسلحة المتطورة ورغم التلويح بالإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية التي حمل رايتها (جاك سوستيل) تصدى لها جيش التحرير وصمد أمامها الشعب"⁴، وبذلك لم تقوى الجمهورية الرابعة السيطرة على الجيش الفرنسي المتواجد بالجزائر الذي هو الآخر لم يعد مرتاحا لها⁵.

¹ - Mahfoud Keddache, El l'Algérie se libère 1954- 1962, Alger, 2003, p.p: 101- 102.

² - عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، الجزء الثاني، دار البعث، قسنطينة، 1991، ص: 192.

³ - Bernard Tricot, Les sentiers de la paix, Algérie 1950- 1962, Plan, paris, 1972, p.p: 164-165.

⁴ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 117.

⁵ - Jean Planchais, Patrick Evens, La guerre d'Algérie, dossier et témoignage, Haphonic, Alger, 1999, p: 216.

وفي تحليل الجنرال شارل ديغول لهذه الوضعية يقول: "ثمة أسباب كثيرة كانت تحمل الشعب الفرنسي على أن يعد امتلاك الجزائر أمراً مفيداً ومستحقاً، ولا ريب أنه كان يتحمل على مضض، وبصبر فارغ، القتال البالغ النفقات الذي نسب فيه مما حمله على معارضة الجمهورية الرابعة التي عجزت بشكل خاص عن إيجاد مخرج لهذه الأزمة¹. وبذلك أصبح جيش التحرير الوطني يثبت وجوده على الميدان بالمجابهة والهجوم في الوقت الذي لا يكون العدو ينتظر ذلك، وهذه الإستراتيجية لم يكن تحقيقها سهلاً إلا بدعم ومساندة من الشعب².

وما أربك الأقلية الأوروبية أكثر هي تلك الأزمات الداخلية والخارجية التي مست الجمهورية الرابعة بمظاهر ونتائج وقفت عليها ولخصتها جريدة المجاهد: "فرنسا أمام ثورتنا أزمة دائمة"³ وما زاد في تعقيد أوضاعها خسارتها لمعركتين دبلوماسيتين خلفتا آثارها الواضحة على ما سيقوم به الكولون لاحقاً، وهما العدوان الثلاثي على مصر 5 نوفمبر 1956 وعدوانها على ساقية سيدي يوسف في 8 فيفري 1958.⁴

إلى جانب تلقي الدبلوماسية الفرنسية صفة قوية على إثر عملية القرصنة الجوية ضد الطائرة المغربية في 22 أكتوبر 1956⁵، بما في ذلك طرح القضية الجزائرية ودراسة ملفها أمام هيئة الأمم المتحدة، وهو ما ساهم في انتشار صيتها كما أسهم في رص صفوف المغاربة إلى جانبها⁶.

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 49.

² - محمد صايكي، مذكرات، شهادة تائر من قلب الجزائر، الجزائر، 2003، ص: 64.

³ - المجاهد، 7 ماي 1958، العدد، 23، ص: 5.

⁴ - Yves Courrière, Le temps de léopards .., op.cit, p.p: 412- 413.

⁵ - Edmond Jouhoud, Ce que je n'ai pas dit Sckiet- OAS. Evian, édition Fayard, paris, 1977, p.p: 67- 68.

⁶ - Redha Malek, L'Algérie: Evian, histoire de négociation secrètes, 1956- 1962, édition, Alger, 1998, p: 36.

كما ازداد الضغط الأمريكي على فرنسا مع اتساع رقعتها وارتفاع حدة الحرب الباردة في منطقة البحر المتوسط والشرق الأوسط، وهو ما تفسره رسالة الجنرال إيزنهاور لفليكس غيار بتاريخ 11 أبريل 1958 التي تضمنت:

- تأييد أمريكا للدول العربية المناهضة للشيوعية وفي مقدمتها تونس والمغرب،
- حل المشكلة الجزائرية بما يرضي الدول العربية قبل أن تحل بضغط من الاتحاد السوفييتي وجمال عبد الناصر،
- عدم تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في السياسة الفرنسية بالجزائر، إلا أنها تحرص على توقفها عن دفع الجزائريين إلى أحضان جمال عبد الناصر،
- لجوء فرنسا إلى مجلس الأمن مجدداً يظهر الاتحاد السوفييتي كمدعم وناصر للعرب¹.

هذا الضغط الممارس على فرنسا خارجياً خاصة بعد الخمسينات حيث نمت تيار قوي رافض للسياسة الاستعمارية، داعياً إلى تحرير الشعوب من العبودية والاستغلال، إذ أنه في أوت 1956 أعلنت مجموعة دول إفريقية دعمها إلى جيش التحرير الوطني، كما طالبت تسعة دول أخرى من فرنسا أن تعترف بحرية الشعب الجزائري في تقرير مصيره وتوقف عملها العدواني مع سحب قواتها العسكرية من الجزائر بما في ذلك الدخول في مفاوضات مباشرة².

وبذلك أصبحت الدبلوماسية الفرنسية في تراجع بداية من إعلان السناتور "جون كنيدي" عن موقفه في 2 جويلية 1960 من القضية الجزائرية والمتمثل في عملية تصفية الاستعمار، مصرحاً: " أن الحرب الجزائرية تضع الولايات المتحدة الأمريكية في أخطر مأزق عرفته منذ أزمة الهند الصينية ومع ذلك فإننا لم نفعل شيئاً لنواجه هذه المشكلة،

¹ - المجاهد، أبريل 1958، العدد، 22، ص: 2.

² - Redha Malek, op.cit., p: 33.

فسياسيون لم يبذلوا جهداً بالرغم من أن القضية الجزائرية تتطلب مجهوداً أكثر من أي مشكلة أخرى¹.

وعليه أصبحت الحكومة الفرنسية تعيش الحصار الدبلوماسي مع غياب الاستقرار السياسي، كل هذا نتيجة منطقية لانتشار الثورة وانتقالها إلى مرحلة كلها تنظيم وشمولية بعد مؤتمر الصومام². وما زاد في عدم قدرتها مسايرة الوضع نفقاتها اليومية التي بلغت ثلاثة ملايين سنتيم يومياً مما أدخلها في مديونية للحلف الأطلسي وبذلك أصبحت سيادتها وهيمنتها وقيمتها منحة بين الدول وفي المحافل الدولية وحتى بهيئة الأمم المتحدة³. وصلت أعباء الحرب إلى ثمانية ملايين فرنك فرنسي من ميزانية الدولة لسنة 1958⁴.

تكاليف على حساب التنمية الداخلية، إمدادات مستمرة، أصبحت تتفق أربعة أضعاف ما كانت تنفقه على حرب الهند الصينية في أشد أيامها قوة وعنفاء، إلى جانب مقدار آخر لا يقل عن خمسين مليار يفقده الاقتصاد الفرنسي كل سنة بسبب تعطيل الإنتاج الناجم عن تجنيد مائتي ألف من الاحتياطيين⁵.

فأصبح ميزانها التجاري يشكل عجزاً بـ 148 مليار فرنك سنة 1954 ليقفز إلى 500 مليار فرنك سنة 1957، كما بلغت مشتريات فرنسا من الولايات المتحدة الأمريكية وحدها من التجهيزات العسكرية لسنتين 1956-1957 ثلث مقبوضات فرنسا من الذهب⁶. كما تراجعت بورصتها المالية من أصحاب الأسهم ما بين 1957-1958 إلى عشرين بالمائة وما ترتب عنها من خوف وهلع عند الرأسماليين وأصحاب المؤسسات

1 - عمار قليل، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص: 136.

2 - المجاهد، عدد خاص مؤتمر الصومام 1956، العدد، 18، ص: 32.

3 - محمد قنطاري، مظاهرات ديسمبر 1960 (أسبابها، وقائعها، نتائجها)، مجلة المصادر، العدد، 3، 2000، ص: 30.

4 - Jean Planchais, Patrick Evens, op.cit., p.p: 222- 223.

5 - أزغدي محمد لحسن، مرجع سابق، ص: 148.

6 - جمال قنّان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المتحف الوطني للمجاهد، 1994، ص: 276.

المختلفة¹. وهو ما جاءت به جريدة المجاهد من خلال تصريح "منداس فرانس" أمام الجمعية الوطنية الفرنسية شهر نوفمبر 1957: "إن مصاريف حرب الجزائر شيء غريب حقاً، والشعب الفرنسي يجهل تماماً ما هذا الشيء الغريب، وكل ما يقال هو أن الثورة الجزائرية ستنتهي قريباً"². حتى أن المصاريف المالية لفرنسا اتجاه الاقتراض من المنظمات المالية وضعتها في موضع حرج وضعف أمام الضغط من حلفائها الأمريكيين والبريطانيين³.

وهو ما انعكس على نفقاتها الموجهة لإصلاح الوضع الاجتماعي، تحسين مستوى الشعب الفرنسي تنمية ثروته ومداخله مع إصلاح ميدان التعليم والثقافة والبحث العلمي، الأمر الذي هدد بدوره تقدم وازدهار فرنسا⁴.

وما زاد في تأزم الوضع، معارضة الطبقة المثقفة للنهج المتبع من قبل هذه الحكومات بإصدار المناشير والمقالات وإمضاء العرائض اليومية⁵، كما شكل تأجج شباب شباب فرنسا الذي يقضي إجازاته على رمال الجزائر الحارة الملتهبة، مع بقاء سفن فرنسا ضمن حركة ما بين فرنسا والجزائر في تنقل يومي للمزيد من القوى ووسائل القتال مع عودتها محملة بدفعات جديدة من القتلى والجرحى، ظل مشهد حزين في موانئ فرنسا، حيث زاد عدد المتضررين في عهد الجنرال ديغول أرامل، أمهات ثكالى، أطفال أيتام وحاملي النعوش وباقات الورود كلهم ينتظرون جنث القتلى⁶.

ورغم كل هذه المصائب التي ألمت بالدولة الفرنسية إلا أن نفوذ الأقلية الأوروبية ازداد صلابه وقوة وتدعم بالمتشددین من المؤسسة العسكرية، هذه المؤسسة التي فقدت

¹ - محمد الميلي، مواقف جزائرية، مصدر سابق، ص: 85.

² - المجاهد، 15-01-1958، العدد، 15، ص: 8.

³ - Guy Pervillé, Pour une histoire de la guerre d'Algérie 1830- 1930, Edition, Picard, 2002, p: 182.

⁴ - عمار قليل، مصدر سابق، ج3، ص: 129.

⁵ - أزغیدی محمد لحسن، مرجع سابق، ص: 164.

⁶ - بسام العسلي، مرجع سابق، ص: 189.

شرفها في معركة "ديان بيان فو" و"قناة السويس" جاءت تجر الذل والعار وعقدة الهزيمة¹.

ذلك ما جعلها تقترب منهم، لتشكل منهم مجموعات متطرفة وبإقامة مركز التنسيق بين الجيوش ضمن علاقات سرية معهم² وقد كان مقصود غلاة الكولون من وراء ربط تلك الاتصالات هو الاستعداد لقلب كل حكومة تفكر في التفاوض مع جبهة التحرير الوطني³.

لقد استولى الجنون عليهم فأغلقوا على أنفسهم في برجهم العاجي مع التصميم ليس فقط على جعل جبهة التحرير الوطني تستسلم لهم ولكن معها فرنسا نفسها⁴. إذ كان يبدو لهم أن الاحتفاظ بالوضع الراهن أمر حيوي، مهما كلف ذلك فرنسا⁵، حيث يوضح علي كافي قائد ولاية الشمال القسنطيني من خلال حديث أدلى به لجريدة المجاهد: "أن هذه المؤامرة تمت ما قبل 13 ماي بزمان طويل، إذ عرض الأمر على الجنرال "جاك ماسو" ليعمل معهم على تهيئة الجهاز الذي يحقق الانقلاب فرفض، فهدّد بالموت فخضع، كما عرضوا نفس المساومة على الجنرال "راؤول سالان" فرفض لذلك حاولوا اغتياله في حادث البازوكا الشهير سنة 1957"⁶.

أحداث كانت منتظرة من الجميع إذ يقول محمد حربي في كتابه "حياة تحد وصمود": "الحقيقة أن رد فعل الجيش والأوروبيين في الجزائر المناهض للجمهورية الرابعة لم يفاجئنا"⁷. وعليه فبشعورهم بقوة الثورة وبما أنهم عجزوا على تحقيق الأهداف

¹ - محمد الميلي، الفاشية العالمية الحديثة، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1963، ص: 50.

² - Anne Marie Duraton Crabol, Le temps de l'OAS, édition Complexe, paris, 1995, p: 16.

³ - المجاهد، 16-04-1959، العدد، 40، ص: 8.

⁴ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 301.

⁵ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 50.

⁶ - المجاهد، المصدر السابق.

⁷ - محمد حربي، حياة صمود وتحدي، مصدر سابق، ص: 246.

التي رغبوا الوصول إليها نظموا في مجموعات وبتعاون مع الجيش الفرنسي الموجود بالجزائر في تواطؤ مفضوح من أجل تنظيم تمرد ضد أي حكومة فرنسية في فرنسا¹.

إدراكا منهم بانسداد الأفق الدبلوماسي وانهايار مؤسسات الجمهورية الرابعة، مع عجزها عن إيقاف تيار الثورة القوي والجارف، لقد ظلوا يبحثون عن الاطمئنان². ذلك ما جعل الجنرال ديغول يقف على ما يختلج من أفكار في عقولهم قوله: " كانت تسيطر على عقولهم موجة من الأفكار، مؤداها أنه إذا تخلت فرنسا عن حكم البلاد وإدارة شؤونها ومعاقبة الخصوم، فستغمرهم الأحداث حتما، ويجمدون من أموالهم ويطردون من البلاد"³. البلاد"³.

انعدام الاستقرار الوزاري جعلهم يتأكدون من عجز مؤسسات الجمهورية على مجابهة الوضع وإعادة السلم للجزائر، وضعية استغلها الغلاة منهم وقادة الجيش وبعض السياسيين الطموحين لتبني مؤامراتهم، وما جعلهم أكثر قوة هو ما كان يتمتع به الجيش الفرنسي من صلاحيات واسعة في مجال الأمن والذي تخلى عنه "روبير لاکوست" لصالحهم بداية من سنة 1957، مما جعل الإدارة المدنية غير متمتعة بنفوذها الفعلي وموازية مع كل هذا دعم قادة الجيش حضورهم وسط الكولون وحول تنظيماتهم الفاشيستية إلى قوة مساعدة لهم، تولدت وسطهم طموحات نمت وتطلعت لما يخدم مصالحهم ولتبقى الجزائر فرنسية⁴.

لذلك ساندوا وساهموا في حركة 13 ماي خوفا من أن تتخلى عنهم السلطة، كما أخذوا يطالبون بالاندماج رغبة منهم في تغيير مظاهر السيطرة الفرنسية، دون تعديل

¹ - الجندي خليفة وآخرون، حوار حول الثورة، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ص: 515.

² - Yves courrière, op.cit., p: 221.

³ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 50.

⁴ - جمال قنان، مرجع سابق، ص: 280.

أسسها للحيلولة دون تطور الأمور صوب المساواة في الحقوق واستقلال الجزائر إداريا مع تجنب الذوبان وسط عشرة ملايين مسلم¹.

وهو ما عبر عنه الجنرال شارل ديغول قوله: " كان يحذوهم الأمل الأكيد بأن الجيش سيتمكن هذه المرة من إعادة فرض النظام لمصلحتهم، وكان يبدو لهم أن كل إصلاح يرمي إلى ضمان المساواة بين الفئتين ينطوي على خطر بالغ، كانوا يرون أن المأساة التي تعانيها البلاد منذ عدة سنوات يجب أن تنتهي بسحق الثورة والاحتفاظ بما كانوا يسمونه "الجزائر الفرنسية" التي تنطوي على تثبيت سلطتنا المباشرة وسيطرة نفوذهم"².

1-2- دور الأقلية الأوروبية في أحداث 13 ماي 1958:

لقد تمكنت فرنسا من احتلال الجزائر لكن الأوروبيين هم الذين استوطنوها، فتولدت عن هذا الاستيطان ظواهر دخيلة في الجزائر، اجتماعية، قانونية، تعليمية، سياسية فكرية وإعلامية، وبقدر ما كانت مختلفة فيما بينها ومتصارعة بقدر ما كانت متحدة ضد جبهتين، الأولى ضد الجزائريين والثانية ضد سلطة باريس أحيانا، وبناء على هذا لم تكن الثورة الجزائرية ومن ورائها الشعب الجزائري في مواجهة القوة الحربية الفرنسية فقط، بل كانت أيضا في مواجهة القوة الاستعمارية الاستيطانية الأوروبية³.

وهو ما وقف عليه المؤرخ الروسي "روبرت لاند" بإجابته من خلال حديث أجراه مع محمد عباس لسؤال، هل عقدتم مقارنات بين الثورة الجزائرية وغيرها من ثورات القرن العشرين؟ فكانت إجابته: " من مميزاتها أنها ذات طابع استيطاني مما جعل الكولون

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 51.

² - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 50.

³ - عمير اوي أحيدة، فاتح الثورة الجزائرية مقارنة بالثورات العالمية، مجلة المصادر، العدد، 9، السداسي الأول، 2004، ص: 17.

يشكلون حجر عثرة في عملية التحرر، وقد ازداد هذا الحاجز خطورة بعد انقلاب 13 ماي 1958¹.

ومن المعلوم أن تاريخ الاستعمار الكولونيالي على هذه الأرض، ووضعيتهم مع الجزائريين كفيل بتفسير كيف استطاعوا أن يؤلفوا كتلة منسجمة قوية في الميدان السياسي عن طريق تقسيم المجتمع إلى أوروبي من الدرجة الأولى وأهلي من الدرجة الثانية، ذلك ما سهل على هؤلاء الكولون من رجال البنوك والرأسماليين الصناعيين والإقطاعيين الزراعيين، امتلاك وسائل الدعاية التي ستكون لهم دعما ومساندة وترويجا لأفكارهم².

وبعدما أصبحت فرنسا الاستعمارية تعيش جحيم الثورة لانتشارها وتطورها وتحقيقها لانتصارات كبيرة في الميدان رغم تكاثر قوات العدو وتعزيزاته بمختلف الأسلحة المتطورة ورغم التلويح بالإصلاحات. لكن حقيقة الأمر أن الجمهورية الرابعة قد زادت نار الحرب اشتعالا، لم يكتف حكامها بتلبية رغبات الكولون بل ذهبوا حتى لتسليم جزء كبير من سلطتهم إلى هؤلاء الاستعماريين المتطرفين من مدنيين وعسكريين، فكان "غي مولي- بورجيس مونوري- فليكس غايار" سوى ناطقين باسم غلاة الاستعمار ومنفذين لسياساتهم، إذ كانت أهداف سياستهم متفقة قولا وعملا معهم، لكن اتفاقهم المتين وتواطؤهم الفعلي لم يمنع الجمهورية الرابعة من السقوط المهين على يد من عملت كل ما في وسعها لترضيبتهم وتلبية رغباتهم³.

تحديهم لسلطتها وعدم الاطمئنان لتدابيرها، بات واضحا منذ أحداث 20 أوت 1955، إذ أصبحوا يعيشون الاضطراب والخوف من أداء القوات الاستعمارية، فباشروا بتكوين ميليشيات خاصة بهم⁴. وما زاد الأحداث تطورا تلك الضربة القاسية التي تلقاها الجيش والأقلية الأوروبية شهر أفريل 1958، ممثلة في تنفيذ حكم الإعدام في حق ثلاثة

¹ - الخبر اليومي، الخميس 14 فبراير 2008، العدد، 5244، ص: 21.

² - المجاهد، 21-09-1959، العدد، 51، ص: 7.

³ - المجاهد، 25-09-1961، العدد، 105، ص: 3.

⁴ - جمال فرحات، السياسية الأمريكية في الجزائر نشأتها تطورها آثارها، دار الريحانة للكتاب، بدون تاريخ، ص135.

جنود فرنسيين بتونس بتهم القتل العمدى والاعتصاب والتعذيب¹ رداً على تنفيذ حكم الإعدام في حق الطالب "طالب عبد الرحمن" ووطنيين آخرين. وهو ما أعلنت عنه جريدة المجاهد: "ينبغي على الرأي العام الفرنسي أن يكون على علم أن كل وطني جزائري يصعد إلى منصة المقصلة منذ غد يعرض أسيراً فرنسياً للإعدام"². مما جعل الأقلية الأوروبية تتظاهر مطالبة بتتصيب سلطة تلتزم بخوض حرب دون هوادة "للتخلص من الفلاقة نهائياً" كما عمت منشورات تداولت في المدينة منادية بالثأر بدماء الجنود الذين قتلوا من قبل جبهة التحرير الوطني³.

حتى أن الكثير من قادتهم ومنهم "روبير لاکوست" الذي انتابه ذعر كبير من إصرار جيش التحرير الوطني رغم الدماء المتدفقة فإنهم يؤمنون بتحقيق النصر، فصرح قائلاً لمجلة ليكسبراس ماي 1958: "فهم يعدون أنفسهم لثلاث سنوات أخرى من الحرب، وهم مستعدون للتضحية بمئات الآلاف، والآن يجب التساؤل هل سيتمكن الأوروبيون من البقاء في الجزائر... سيكون مصيرنا الهلاك إذا استمرت الثورة"⁴.

وبذلك استطاعت الثورة التحريرية أن تضع الجمهورية الرابعة في موضع ظهرت فيه عاجزة عن تسيير لدفة الحكم، مما جعل الوضع العام بالجزائر على وشك الانفجار الذي يعمل له الكولون وضباط الجيش الفرنسي الراغبين في بقاء الجزائر الفرنسية⁵.

وهو ما ترك الأقلية الأوروبية تدعو إلى فكرة النهوض الوطني التي دعا إليها "جاك سوستيل" وقادها الغالب من أبناء الكولون وقدماء المحاربين إلى جانب الإقطاعيين الكبار، تطورت بداية من ماي 1958، فاستقطبت ضباط الجيش الفرنسي بالجزائر، حيث تكونت عند الجميع فكرة وطنية مزيفة لكن مفعولها كان قويا ومهيجا سيدفع بأصحابها إل

¹ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 176.

² - Le Monde, 11- 12 mai 1958.

³ - هنري علاق، مذكرات جزائرية، مصدر سابق، ص: 278.

⁴ - زدرا فويكار، مصدر سابق، ص: 183.

⁵ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 117.

قلب نظام الحكم في فرنسا، وبهذا تحولت الأقلية الأوروبية إلى عصابة من الإقطاعيين والجيش الفرنسي، تكونت بين الجميع وحدة منسجمة بالظاهر قائمة على المصالح¹.

ذلك ما صرح به "روبير لاکوست" قوله: "كل الأوهام التي تخطر ببال باريس أو حتى عواصم أخرى ليس في وسعها إلا إحداث ضحايا إضافيين"² وما زاد الأمر تناسقا هو ما اطلع به الجنرال "صالان" وزير دفاع فرنسا قوله: "على أن الجيش بالإجماع سوف يعتبر إهمال هذا التراب الوطني إهانة"³.

فانتشرت شعارات "السلطة للجيش" عمت العاصمة بداية من 26 أبريل 1958، حتى ما قبل هذا التاريخ، في مارس تم إنشاء جهاز فرقة السبعة المتكونة من عناصر فاشية وعنصرية منهم "لاغايارد" "أورتيز" دعوا الجيش لاستلام السلطة⁴. ومن سخرية التاريخ أن يطالب الكولون بعودة العسكر إلى الحكم وهم الذين كانوا قد اشترطوا إلغاءه في نهاية عهد الإمبراطورية الثانية، ومع إعلان حالة الطوارئ وجدت الدولة الفرنسية نفسها تحت سيطرة ومراقبة جنرالات الجزائر⁵.

فاستخلص الرأي العام الفرنسي وحتى بالجزائر عجز الجيش عن إرجاع الأمن للجزائر كما تراه السلطات الفرنسية، وبذلك وجدت السلطة الاستعمارية نفسها بمعزل عن الجزائريين بل بالعكس برهن الشعب الجزائري، رغم القمع والاضطهاد والدعاية الكاذبة بالتهدة المزعومة على التفافه حول جبهة التحرير الوطني، مما أدى هذا الوضع إلى تزايد الاحتجاجات من طرف المعارضة الفرنسية لسياسة الحكومة الفرنسية والمطالبة

¹ - المجاهد، 21-09-1959، عدد سابق، نفس الصفحة.

² - Le Monde 11- 12 mai 1958.

³ - سيلفي ثينو، مرجع سابق، ص: 176.

⁴ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 118.

⁵ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 469.

بزيادة الإمدادات العسكرية ومواصلة الحرب، كما وقع في فرنسا اضطراب أدى إلى عدم القدرة على تأسيس حكومة واستقرارها¹.

أصبحت الوضعية لا تطاق بالنسبة لهؤلاء المستوطنين الذين كانوا يملكون ويتصرفون كما يحلو لهم، فظهرت بذلك فرنسا عاجزة عن تسيير دفعة الحكم، وسقطت سمعتها إلى الحضيض أمام حلفائها الغربيين حيث أضحت سائرة نحو الهلاك².

وأكثر من هذا أدرك قادة الجيش الفرنسي أنهم خابوا خيبة مرّة في الميدان العسكري، وعليه بحثوا عن ستار يتخطون به هذه الهزيمة، فشاركوا في انقلاب 13 ماي 1958 والذي حاولوا أن يظهره في شكل انتصار سياسي كبير³ لاسترجاع قوة وهيبة المؤسسة العسكرية التي عاشت عزلة تامة مع نهاية الحرب العالمية الثانية⁴.

وبالتالي ما أن بدأ الكولون في حركتهم حتى تنبأها الجيش وحماها، وعليه يبدو من الظاهر أن الأحداث من صنع الكولون، لكن في الأصل لها جذور عميقة في ضمير الجيش الفرنسي الذي ذاق مرارة الذل مرتين في ظرف قصير، انهزام أمام ألمانيا 1940، وفي معركة ديان بيان فو 1954⁵. لذلك استغل كبار الرأسماليين هذه الظروف وزادوا في تهيئتها لاستلام الجيش للسلطة، وما دفعهم نحو هذه المغامرة ما لحق بهم من أضرار جسيمة على مستوى المؤسسات والورشات الصناعية حتى ما مس القطاع الزراعي⁶.

مما جعلهم يقدمون على تشكيل لجان الأمن العمومي عبر كامل التراب الجزائري، معلنين أنهم أصحاب السلطة، إذ طالبوا الرئيس الفرنسي "روني كوتي" على لسان رئيس

¹ - زهير إحدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954 - 1962، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2007، ص: 55.

² - شارل ديغول، مصدر سابق، ص ص 24-25.

³ - المجاهد، 16 أفريل 1959، العدد، 40، ص: 8.

⁴ - Anne Marie Duraton Crabol, op.cit, p: 16.

⁵ - مجلة أول نوفمبر 1983، العدد، 633، 13 ماي أسبابها ونتائجها، ص. ص: 30-31.

⁶ - محمد الملي، مواقف جزائرية، مصدر سابق، ص. ص: 84-58.

لجنة الإنقاذ الجنرال "جاك ماسو" الذي أبرق مستعجلا في طلبه تشكيل حكومة الإنقاذ العمومي¹، هذا الأخير الذي صرح قبل أيام من عملية الانقلاب العسكري " أن التخلي عن الجزائر بأي شكل من الأشكال وأية مفاوضات، هو ضربة موجهة إلى شرفنا والجيش ولن يسمح أبداً... لا بد من المحافظة على وجودنا شهرا بعد شهر، مهما تعاقبت الصعوبات، لا بد من المحافظة على وجودنا"².

لقد كانت المشاركة قوية في هذه الحركة التحضيرية خاصة من كبار ملاك الأراضي بالمتيجة منهم "روبير مارتل" ومعه عشرون ألف من الكولون، إذ أصبحت سلطة "روبير لاقوست" والجمهورية الرابعة تنهار أمام طغيانهم³، والذين أصبحت مصالحهم وسلطتهم على الاقتصاد الجزائري والوضعية التي يعيشونها بما في ذلك جميع مصالحهم، شعورهم بقوة الثورة وخطورتها حاولوا فرض حكومة تساندهم في مسعاهم الأساسي وهو القضاء على الثورة وهم كلهم استعداد لتمويل ذلك بالمال وبكل ما يملكون من وسائل حتى تظل الجزائر فرنسية⁴.

حتى أن الإقطاعيين والبرجوازيين الموجودين بفرنسا هم أيضا دافعوا ووقفوا إلى جانب الكولون بالجزائر⁵، فشكّلوا لجان وجمعيات تعتبر النواة الأساسية لبروز التطرف منها قدماء المحاربين والتي ترأسها الطيار "أوغست أرنولد" والجمعية العامة لطلبة الجزائر يترأسها "بيار لاغايارد" وهو من تزعم المظاهرة ببزة عسكرية إلى جانب "جاك رونو" فجمعت متطرفي الجامعة والثانويات⁶.

¹ – Droz et Lever, op.cit., p: 168.

² – زدرافوييكار، مصدر سابق، ص: 184.

³ – Philippe Bourdrel, op.cit., p: 207.

⁴ – الجندي خليفة وآخرون، حوار حول الثورة، الجزء الأول، مرجع سابق، ص: 515.

⁵ – نفسه، ص: 520.

⁶ – Anne Marie Duraton Crabol, op.cit., p: 19.

بما في ذلك الاتحاد الفرنسي لشمال إفريقيا الذي يترأسه زعيم الكولون "روبير مارتل" المعروف بتعصبه الديني وتزمته الشديد¹، ساهم في التعذيب والاغتيال بإحدى الفيلات ببئر مراد راي²، نفوذه كبير داخل أوساط الكولون مما جعله يتحكم في حوالي ألف من المدنيين المسيحيين³. إلى جانب أتباع "بيار بوجاد" الذي يعد من أكبر الإقطاعيين بالجزائر، أتباعه أطلق عليهم بالبوجاديين، معادي للحكم البرلماني معارض للشيوعية، يؤمن بفكرة الاستعمار وبتفوق الرجل الأبيض⁴، يعد من أبرز المتشددین على ضرورة الضرب على كل من يعارض الاحتلال من أبرز أتباعه "غوتالييه" صاحب مطعم بباب الوادي، جورج أورتييز صاحب مقهى الفوروم بالعاصمة⁵.

حتى ضباط الفرق الإدارية المتخصصة انضموا إليها وهو ما يوضحه "دولا توكنني" قائلاً: " عندما علمت أخيراً أننا على استعداد لكسر سياسة النبذ تلك التي كانت تخيفنا وتروعنا، قررت تشكيل لجنة إنقاذ محلية ووضعت نفسي تحت تصرف الجنرال "جاك ماسو"⁶، هذه اللجان التي عمت الدوائر، خاصة منها التي يتواجد فيها الكولون بكثافة والتي أدرج ضمنها حتى المسلمين الجزائريين تحت مسعى التآخي⁷.

تآخي لم يتجسد منذ أن وطئت أقدام الكولون، فاستعملوه بالظاهر من أجل تهدئة الوضع بعدما شعروا بالخطر، حملوه كشعار وغطاء لنواياهم السيئة التي هدفها الأساسي الوصول إلى فصل الجزائر عن فرنسا⁸.

¹ - Claude Mouton, La culture révolution en Algérie le combat de Robert Martel et ses amis, édition Pensée française, paris, 1972, p: 22.

² - J.P. Ould Aoudia, Autopsie d'un assassinat, 15 mars 1962, ENAL, Alger, 1994, p: 137.

³ - Claude Mouton, op.cit., p: 20.

⁴ - M'Hamed Youcefi, L'OAS et la fin de la guerre d'Algérie, ENAL, Alger, 1985, p: 20.

⁵ - Yves Courrière, Le temps de léopards .., op.cit , p: 218.

⁶ - فريغور ماتياس، الفرق الإدارية المتخصصة في الزائر بين المثالية والواقع 1955-1962، ترجمة: محمد جعفري، الطبعة الأولى، الجزائر، 2013، ص: 207.

⁷ - نفسه، ص: 209.

⁸ - عمار فليل، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص: 135.

وعليه أصبح من الواضح أن الأقلية الأوروبية أضحت ترصد تعيين القادة السياسيين والعسكريين بحذر شديد، وأصبحت تتصدى وبكل قوة لكل مرشح لا يظهر صفات التطرف والعنف الاستعماري لبقاء الجزائر الفرنسية¹. رغبته كانت أكثر تشدد إلى جانب شخصيات من النظام السياسي الفرنسي، نشطوا تلك الخلايا والجمعيات ميدانياً، تميزوا بالتنظيم الجيد، هدفهم كان في أن تؤخذ السلطة من قبل الجيش الفرنسي لإنقاذ وجودهم²، أثروا على الرأي العام الفرنسي، وأصبحت بذلك الأوامر تأتي للحكومة الفرنسية من الجزائر فبذلك فقدت سلطتها³.

وجد الرئيس الفرنسي نفسه بين خيارين لا ثالث لهما، بعث شخصية من اليمين التي طالب بها الكولون أو الدفع بشخصية تجر فرنسا نحو التفاوض مع جبهة التحرير الوطني⁴، وعليه اختار "بيير فليملان" لتشكيل الحكومة، هذا الأخير أعلن وبتاريخ 2 ماي 1958 أمام المجلس العام: " أنه يجب استغلال الفرص لفتح باب المحادثات مع الثوار على أساس وقف إطلاق النار " الأمر الذي جعله يزيد من فقدانه لثقة الأوروبيين الذين أعلنوا رفضهم وسخطهم له لأنه في نظرهم يريد بيع الجزائر للمسلمين⁵.

فأجمع كل المنتخبين الأوروبيين وأنصار الجزائر الفرنسية وقادة العمل البسيكولوجي والمتشددين في صفوف الجيش، على رفض المخرج الوحيد الذي يصلح والمتمثل في الحل السياسي ومن خلاله سبل المفاوضات⁶.

من الشخصيات السياسية التي سعت وعملت على رجوع الجنرال ديغول إلى السلطة "شبان دلماس، جاك سوستيل، دوبري، ليون دلباك... يطلق عليه بالديغولييين⁷

¹ - جمال فرحات، مرجع سابق، ص: 136.

² - Patrick Eveno et Jean Planchais, op.cit, p: 218.

³ - باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، ص: 231.

⁴ - Droz et Lever, op.cit., p: 168.

⁵ - Ibid., p: 169.

⁶ - محفوظ قداش، مرجع سابق، ص: 174.

⁷ - Patrick Eveno, Jean Planchais, op.cit., p: 213.

ومن قائمة العسكريين أعضاء لجنة الإنقاذ ثلاثة عقدا "ديكاس- توماز- ترينكي، يترأسهم الجنرال "جاك ماسو" هذا الأخير الذي تكن له الأقلية الأوروبية حبا شديدا ممن رأوا فيه خلاصهم وهو الذي تزعم انقلابهم¹، مواقفهم كانت جد واضحة وهو الذي رد على الذين نعتوهم بالمستغلين قوله: "إن الكولون المشكلين الأقلية الأوروبية، هم الذين جلبوا للجزائر ثروتها الأساسية بتثمين أراضيها"².

حتى من ضباط الفرق الإدارية المتخصصة الذين سعوا لترقية المجتمع المسلم بنظرة استعمارية والذين لم يسلموا من وجودهم في وضعية خصام مع الأوروبيين الذين كانوا يرغبون التمسك بوضعيتهم الاقتصادية والاجتماعية المميزة، ذلك ما وضعهم في نظرهم بالخونة وفي نظرة جبهة التحرير الوطني بالمنبوذين، هم الآخريين شاركوا الحركة الانقلابية³.

فأصبح السياسي يمتن ويتدخل في الشؤون العسكرية والعسكري يتدخل في الأمور السياسية، فاشترك الاثنان في المؤامرة وتبنوا الانقلاب، وهو ما يبين قوة الثورة الجزائرية التي بعثت أوراق الجمهورية الرابعة⁴. وعليه التفت كل الحركات والمنظمات الأوروبية في 8 ماي 1958 للتخطيط بعدما أن تأكدوا بأن المفاوضات باتت محتومة، كما قرر قادة الجيش بالجزائر قطع الطريق عليه ببعث برقية للجنرال "إيلي" بباريس طالبين منه لفت انتباه الرئيس نحو قلقهم الشديد مع رغبتهم في حكومة قوية تبقي علم فرنسا مرفوعا بالجزائر⁵.

¹ - Ibid., p: 207.

² - Jacques Massu, Le torrent et le digne, paris, plan, 1972, p: 05.

³ - فريڤور ماتياس، مرجع سابق، ص: 204.

⁴ - Patrick Eveno, Jean Planchais, op.cit., p: 213.

⁵ - برنارد ليدويدج، ديغول ما له وما عليه، ترجمة: محمد سميح السيد، الطبعة الأولى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1985، ص. ص: 231-232.

يوم 9 ماي عقد "روبير لاكوست" ومدير ديوانه بمعوية مسؤول القوات المسلحة اجتماعا في إحدى ضواحي الجزائر العاصمة، كان محتواه التحضير للقيام بمظاهرات عامة بشوارع مدينة الجزائر ضد كل حكومة قد تقدم طلب اعتمادها من طرف الجمعية العامة وهي تقصي روبير لاكوست من حقيبة وزير للجزائر¹.

ومع أمسية الأحد 11 ماي 1958، أصبح مخطط الانقلاب جاهز وأصبح في الواقع نظامان لوجه واحد، أحدهم بباريس والآخر بالجزائر². أخذ المتظاهرون يصيحون: " لنذهب جميعا إلى دار الحكومة" فاحتلوها على مرأى ومسمع من مصالح الأمن المتعاطفة معهم³.

رغم ذلك فإن الرئيس الفرنسي لم يتراجع عن قراره، وهم أصروا على بقائهم محتلين مقر قيادة الحاكم العام بمدينة الجزائر لإرغام الجيش نحو السير في مخططهم، إذ والجمعية التأسيسية مجتمعة للتصويت بتكليف "فليملان". الكولون يتظاهرون بمدينة الجزائر مهاجمين محتلين مكاتب الحاكم العام⁴ فقاموا برمي ومن النواذ الملفات التي تعد بالآلاف والأثاث الموجود بالمكاتب، حتى الآلات الراقنة، مرددين "يحيا ماسو، الجزائر الفرنسية" بعضهم قام بتخريب المركز الثقافي الواقع في نهج ميشلي⁵. وصل الأمر بهم إلى التهديد والزحف على باريس والاستعراض في شوارعها الرئيسية، انقلاب على فرنسا نفسها من قلب الجزائر وبجيشها وغلاة معمرها، حتى خيم على فرنسا جو قاتم من الفوضى وشبح الحرب الأهلية⁶.

¹ - باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، ص: 79.

² - Anne Marie Duraton Crabol, op.cit., p: 21.

³ - سيلفي ثينو، مرجع سابق، ص: 176.

⁴ - برنارد ليدويدج، مرجع سابق، ص: 231.

⁵ - باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، ص. ص: 64-65.

⁶ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 151.

كما قامت مصالح الدعاية والمظليين تحت مظلة التآخي بدفع المسلمين الجزائريين إلى ساحة الاعتصام والمظاهرات واعدن إياهم بالمساواة واضعين إياهم تحت المراقبة، إلا أن التحاقهم كان تحت طائلة التهديد والوعيد¹.

من أجل إبراز اليمين مع سياسة التآخي وأن مشاركة المسلمين في المظاهرات لدليل على ذلك، رغم أنه بقي ظاهرة محدودة ومؤطرة من اختصاصيين في مناورات لإغراء الجماهير². أحداث برهنت أن الأوربيين من ذوي الامتيازات سواء كانوا من الأجراء أو التجار أو الموظفين من أصغرهم إلى أكبرهم، جميعا اظهروا تمردهم على عظمة فرنسا، كان لهم وزن أكبر من وزن الغالبية العظمى من الشعب الفرنسي بما في ذلك الحكومة الفرنسية نفسها³.

اتضح تراجع سلطة باريس على شؤون الجزائر تراجعا واضحا أمام المتطرفين واستسلموا لمطالبهم ورغباتهم الجنونية وتخلوا شيئا فشيئا عن سلطاتهم المدنية حتى أصبحت كاملة بأيدي المتطرفين والعسكريين في الجزائر⁴.

فاجتماع 9 ماي 1958 كان له دور كبير ومؤشر على نجاح حركة 13 ماي، لأن السيد "بيكو" مدير الأمن العام بالجزائر وهو المتعاون الأقرب لروبير لاكوست، ترك شرطة الجزائر العاصمة دون أن يعطيها الأوامر وهو الأمر الذي يوضح أن بعض الجنرالات مثل "ماسو- سالان"، كانا يؤيدان تلك المظاهرات⁵.

ليظهر الجنرال "جاك ماسو" والذي اكتسب شعبية كبيرة لديهم من خلال ما قام به بمدينة الجزائر تفكيكا لخلايا جبهة التحرير الوطني سنة 1957، تباحث مع المحتلين الذين كان يقودهم "بيار لاغايارد" طلب منهم العودة إلى الهدوء بالإعلان عن قيام لجنة للسلامة

¹ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 177.

² - سيلفي ثينو، مرجع سابق، ص: 180.

³ - مصطفى الأشرف، مصدر سابق، ص: 162.

⁴ - المجاهد، 25 أفريل 1961، العدد، 41، ص: 4.

⁵ - باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، ص: 79.

العامة " إلا أن الكولون ورغم تصفيقهم وهتافهم على ما تلاه الجنرال "ماسو" من بيان، إلا أنهم واصلوا ضغطهم مطالبين استلام الجيش للسلطة¹.

جوّ وصفه الجنرال ديغول عبر مذكراته قوله: " اضطراب يزداد عنفا في الجزائر لاسيما أن الوزير "روبير لاکوست" كان يعرب علنا من تخوفه من حادث دبلوماسي مماثل لديان بيان فو، وأن اتحاد جمعيات المحاربين القدماء كان يعبر على إحداث حكومة لإنقاذ الوطن بمثل الوسائل الممكنة وأن القائد العام الجنرال "سالان" أبرق إلى باريس ملمحا إلى احتمال حدوث رد فعل يائس لدى الجيش..."².

مما يبين أن الحكومة الفرنسية عجزت كليا عن مسايرة الوضع، مما فتح المجال للمتعصبين المطالبة بالانفصال وتنظيم دولة يسبونها على غرار جنوب إفريقيا³. أما هذا الضغط الكبير وفي حدود الثالثة صباحا خرج وللمرة الثانية "جاك ماسو" عن صمته ليقرأ بيانا مقتضبا قال فيه: " بما أن مهمتي هي حمايتكم ها أنا امسك ولو بصفة مؤقتة بزمام الأمور بمصير الجزائر الفرنسية، لكن أطلب منكم أن تضعوا ثقتكم في الجيش الفرنسي، وقادته وأن تبرهنوا بفضل هدوئكم على عزيمة⁴.

تصاعد وتيرة الضغط دفعت بقيادة الجيش والأقلية الأوروبية في بحث مستمر عن سلطة قوية من شأنها إنقاذ الجزائر الفرنسية معتقدين أنهم وجدوها في شخص الجنرال شارل ديغول⁵. وهو ما تبناه "جاك سوستيل" بعد عودته من فرنسا بتاريخ 17 ماي 1958 ومن على شرفة مبنى الحكومة العامة أثار سلسلة من الهتافات مرتبطة بعودة

¹ - برنارد ليدويج، مرجع سابق، ص: 232.

² - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 24.

³ - الجندي خليفة وآخرون، مرجع سابق، ص: 515.

⁴ - باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، ص: 72.

⁵ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 173.

الجنرال ديغول وحفاظا على الجزائر الفرنسية "تحيا الجمهورية، تحيا الجزائر الفرنسية، يحيا ديغول"¹.

تعتقد الأمور حتى أن بدأت اللجنة تأخذ منحى ديغوليا حيث أرسلت إليه برقية تطالب فيها بتسليم مصير الأمة، وافق "سالان وماسو" عليها إلا أنه لم يستجب لذلك وهو بذلك يريد المناورة أكثر لاستلام السلطة بصورة متحررة².

إذ كان متيقنا أنه الشخصية المرشحة لذلك قوله: "سواء أعربوا عنها علنا أو تهامسوا بها فيما بينهم"³، إلى جانب قوله: "وقد شعرت منذ البداية أنني الأداة المنشودة لهذا الواجب الذي لازمني منذ انزوائي"⁴.

على الرغم ممن عارضوا رجوعه ممثلين في بيار لاغيارد، روبير مارتل، موريس كرييان، جوزيف أورتيغز، الطبيب برنارد لوفابر، روجي فوثالييه ممن أطلق عليهم مجموعة السبع والذي كان لهم دور كبير في أحداث 13 ماي، بحثوا على شخصية أخرى متذرعين أنه تتأقل وأظهر شخصه في صورة الملك راغبين في بقاءه تحت المراقبة، فارضين عليه شروطهم من خلال لجنة الإنقاذ الوطني⁵.

إلا أنه في ظل هذه الأجواء المضطربة أصبح يسمع هنا وهناك ضرورة عودة الجنرال شارل ديغول للسلطة لأنه الوحيد القادر على إنقاذ فرنسا، وهو الدور الكبير الذي قام به "ليون دالباك" الذي شرح له الوضع بحيث يقول أنه اقتنع بضرورة العودة إلى الحكم⁶. تخوف الرئيس الفرنسي من الوضع الذي آلت إليه فرنسا جعله وبتاريخ 29 ماي

¹ - سيلفي ثينو، مرجع سابق، ص: 178.

² - برنارد ليديج، مرجع سابق، ص: 236.

³ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 22.

⁴ - نفسه، ص: 24.

⁵ - Jean Jacques Jordi et Guy Pervillé, Alger 1940- 1962, une ville en guerre, édition autrement collection, mémoire n°56, p: 183.

⁶ - Droz et Lever, op.cit., p: 169.

1958 ييرق إلى المجلسين النواب والشيوخ يوضح فيه أن الحرب الأهلية على الأبواب وأنه قرر استدعاء الجنرال ديغول لقصر الإليزيه حتى يتفق معه على المرحلة النهائية من العمل المشترك¹.

لكنه تباطأ في تلبية النداء تاركا الجو يزد تغفنا، بعد مناورة وعمل واسع نجح وبشكل كبير في لعب أوراقه سياسيا مع معارضيهِ ليعود إلى الحكم ليس بقوة السلاح² بل بتأييد شعبي، فخلق نفوذ ودعم لسياسته الجديدة بتقوية سلطة الدولة ليتمكن من توجيه وتسيير السياسة الفرنسية دون تأثير بدل ترك المبادرة للقوى الموازية في الجزائر أن تصنع القرار السياسي الفرنسي وتطيح بأي حكومة ترفض أن تخضع لرغباتهم وأهدافهم³.

إلا أن ظروف رجوعه بقيام الجمهورية الخامسة حملت في طياتها بذور انهيارها نتيجة أن الذين كانوا السبب في عودته هم من الجنرالات المتمردين وكبار الكولون الاستعماريين والذي أصبح الجنرال نفسه يكيل لهم المدائح حتى يتخلص من ضغطهم⁴.

وهو ما يفنده ويجسده من خلال إجابته عن سؤال طرحه عليه أحد الصحفيين عن تقييمه للوضع في الجزائر، فأجاب قائلاً: " في الجزائر يوجد سكان يعيشون في خضم الحرب منذ ثلاث سنوات..." هؤلاء السكان لاحظوا أن النظام القائم في باريس لا يستطيع حل مشاكلهم... إنهم يرون في باريس أزمة تعقبها أزمة، عجز يعقبه عجز... كيف يمكن أن نتصور هؤلاء السكان لا يثورون... لقد هتف الجزائريون بعبرة "يحيا ديغول" وبذلك قدم فرنسيو الجزائر أروع برهان على أنهم لا يريدون الانفصال عن الوطن الأم مهما كان الثمن، فهم لا ينادون بهذه العبارة إذا لم يكونوا مع الوطن"⁵.

1 - برنارد ليديج، مرجع سابق، ص: 236.

2 - برنارد ليديج، مرجع سابق، ص: 236.

3 - عمار بوحوش، مرجع سابق، ص. ص: 432 - 433.

4 - المجاهد، 25 - 09 - 1961، العدد، 105، ص: 3.

5 - A.N.O.M. Aix en Provence, FM, 81F/87 "Réponse du général De Gaulle aux questions posées par les journalistes le 17 mai 1958.

لكن ما عبر عنه فرحات عباس عقب أحداث أيام 13 ماي ومظاهراتها بساحة الولاية العامة التي كانت تعج بالناس وتزدان بالأضواء قوله: " سنطفئ الأضواء، ونبخر الأحلام وتبقى الحقيقة وحدها وهي الحرب"¹.

1-3- موقف الأقلية الأوروبية من سياسة الجنرال ديغول:

لقد سعى القادة العسكريون ومن ورائهم الكولون لمنع أي حل سياسي وذلك بإلقاءهم في الحرب بستمائة ألف جندي من الجيش النظامي في إطار جهودهم الرامية لخنق الثورة الجزائرية، أضيف إليهم ستمائة ألف شرطي ودركي ومائة وخمسون ألف من أعضاء الميليشيات المحلية المشكلة من المعمرين الفرنسيين².

لكن حساباتهم خابت وانتهت فرنسا إلى فوضى عارمة خيم عليها جو قاتم من الفوضى وشبح الحرب الأهلية³، وبذلك استدعت الضرورة عودة الجنرال شارل ديغول للحكم نتيجة السيطرة التي فرضتها الثورة التحريرية على الميدان بتصديها لجميع المحاولات الهادفة لإجهاضها، رجوعاً وصفه علي كافي: " بالمؤامرة الدستورية، وبالعودة في ظل فوضى برلمانية"⁴. إذ كانت الحكومة الفرنسية يترأسها "بفيلمان" الذي توجه يومها بدوره وبموافقة البرلمان الفرنسي للجنرال ديغول فقبل هذا الأخير بتولي الحكم وبأغلبية النواب، كلف بتشكيل حكومة جديدة⁵، بعدما أن ترك فرنسا تعيش مخاضاً عسيراً ليباشر مسؤولياته متحرراً قوله: " هل كان الأجدر التدخل فوراً لكي أقضي في المهد على الفاجعة المتوقعة حدوثها على أن أتعرض فيما بعد للمناقشة والمشاكسة من قبل بعض الذين

1 - المجاهد، 02- 04- 1959، العدد، 39، ص: 4.

2 - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 346.

3 - علي كافي، مصدر سابق، ص: 118.

4 - نفسه، ص: 118.

5 - زهير إحدادن، مصدر سابق، ص: 55.

ساورهم الاطمئنان، أم أنتظر على النقيض من ذلك أن تزداد الأحداث عنفا كي يضمن لي الذعر والإرهاب موافقة دائمة مستمرة"¹.

رجوعه لسدة الحكم كانت نتيجة حركة 13 ماي 1958 التي قام بها العقداة وقادة الكولون الذين انضموا إليهم فيما سمي بلجان الإنقاذ العمومي "Comité de salut public"². لقد نسوا كراهيتهم للديغولية ليتمسكوا بهذا الأمل الأخير، أمل الرجوع إلى جزائر خاضعة ومروضة كما في زمن الأب "بيجو" لكن ما وصلت إليه أي رأي غولديغر هي الحقيقة التي يرفضها الكولون قولها: " أن جزائر الأوروبين أصبحت ماضوية بكل حزم بعد زلزال ناحية قسنطينة"³.

عودته لسدة الحكم بعد اثني عشر سنة من الغياب في ظل كارثة لم تعرفها الجمهوريات الأربعة السابقة ليضعه علي كافي في سياقه التاريخي: " عاد رجل برازافيل لسنة 1944، وقبل 8 ماي 1945، وضميره ملطخ بـ 45 ألف ضحية جزائرية"⁴، تجربته مع الجزائريين معروفة بمحدودية سياسته من خلال ما تبناه من إصلاحات نادى بها كمنع صفة المواطننة لندبة جزائرية إلى جانب إصلاحات اجتماعية⁵، كما ارتبط اسمه اسمه بمجازر 8 ماي 1945 التي ارتكبت من قبل حكومته والكولون الذين كانوا تحت حمايتها، بما في ذلك تبنيه وجهة نظرهم خلال مرحلة عبوره الصحراء 1946-1958⁶، 1958⁶، وهو من قال: " الجزائر تحتل في حياتنا اليومية أهمية لا مجال للموازنة بينها وبين بقية البلدان التابعة لنا" مضيفاً " فقد غمرنا الفرح لأننا أصبحنا سادة أرض كلفتنا تضحيات كثيرة"⁷.

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 25.

² - Yves courrière, La guerre d'Algérie, l'heure des colonels, op.cit , p! 329.

³ - أي رأي غولديغر، مرجع سابق، ص: 419.

⁴ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 118.

⁵ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 178.

⁶ - رمضان بورعدة، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول 1958-1962، سنوات الحسم والخلص، منشورات بونة للبحوث والدراسات، باتنة، 2012، ص: 212.

⁷ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 62.

وبعد تنصيبه رئيسا للحكومة وفي أول زيارة له بتاريخ 4 جوان 1958، تقدم إليه الجنرال "جاك ماسو" وقدم نفسه على أنه مسؤول للجنة الإنقاذ العمومي إذ صرح له: " سيدي الجنرال أمامكم فريق من الوطنيين، يضم مدنيين من كل الفئات وعسكريين من كل قطاعات الجيش ومسيحيين ومسلمين، إن اللجنة تتمنى أن تتحدثوا سيدي الجنرال عن الاندماج لكل سكان الجزائر والصحراء في الأمة الفرنسية ضمن إطار المساواة بين الجميع في الحقوق الواجبات ونطلب كذلك تصفية رجال النظام وأن تكون لجنة الإنقاذ العمومي دعامة للثورة التي سنقوم بها"¹.

لكن الجنرال ديغول قاطعه وحتى لا يبقى حبيس هذه اللجان خاطبه قائلا: " ألم يعلم ماسو أن لجنة الإنقاذ العمومي هي شيء من الماضي"²، وحتى يطمئنه صرح له أنه سيتم منح منصب وزير للجزائر للجنرال "راؤول سالان" وتكليف زميله "جاك سوستيل" بمنصب يليق به³.

وهو بهذا يسير على إستراتيجية مبنية على سياسة المناورة قوله: "... ستبقى الجزائر فرنسية من عدة أوجه، وتحافظ على الطابع الذي اكتسبته، هذه إستراتيجيتي في السياسة التي أريد أن أنتهجها. أما الخطة الواجب إتباعها فكانت تقضي أن أسير بحذر وعلى مراحل متعددة وسأنتهز تدريجيا كل هزة مناسبة لأخطو خطوة إلى الأمام وسأحصل على تيار قوي من المرافقة لإنجاز كل شيء... وكان يقضي الواجب أن ألجأ إلى المناورة"⁴. وهو الذي قد أسرّ إلى مقربيه ومنذ 1955: " أن الجزائر ستستقل في يوم يوم من الأيام" اعتراف ضمني بما وقف عليه الجنرال ديغول لكن دون أن يتبنى الاختيار

¹ – Yves Courrière, La guerre d'Algérie, l'heure des colonels, op.cit., p: 329.

² – Max Gallo, De Gaulle le premier des français, tome 3, édition Robert Laffont, paris, 1998, p.p: 273- 274.

³ – Jean Jacques Jordi et Guy Pervillé, Alger 1940- 1962, une ville en guerre, édition autrement collection, mémoire n°56, p: 189.

⁴ – شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 55.

الاستقلالي¹. وبذلك اتفقت كل الأطراف الفرنسية على تصفية جبهة التحرير الوطني لكل طرف مبرراته وأهدافه الخاصة به، فديغول كان يريد منح فرنسا سلطة قوية، والكلون يريدون الحفاظ على مزاياهم، أما الجيش يريد التخلص من عقدة الهزيمة التي تطارده منذ "ديان بيان فو"².

تصريحاته الأولى: "تحيا الجزائر الفرنسية، لقد فهمتكم" كانت عفوية لاستمالة الجماهير الأوروبية في الجزائر³. ورغم ذلك بدأت فئات من المتطرفين التشويش عليه انطلاقا من زيارته التي قام بها للجزائر ومنها التي كانت إلى وهران بحيث يقول: "كنت ألقى خطابا في وهران، كانت فئات من المنتشرين بين الجمهور تنادي عبر التصفيق والهتاف بعبارة "ليعيش ديغول" بأصوات حادة ومنسقة "السلطة للجيش، سوستيل، سوستيل" إلى حد أنني اضطررت أن أنقطع عن الخطابة لأرغمهم على السكوت"⁴.

سكوته وعدم تفوهه خلال زيارته هذه وأمام جمهور غفير خاصة من أنصار حركة 13 ماي 1958، ما كان محبذا لديهم وهو الإدماج، بل ذكر "المساواة السياسية، هيئة انتخابية واحدة" فاتجه مخاطبا الجزائريين بقوله: "من اليوم فرنسا تعتبر أنه لا يوجد في الجزائر إلا صنف واحد من السكان، لا يوجد إلا فرنسيون لهم المكانة الكاملة مع نفس الحقوق والواجبات"⁵.

وهو الأمر الذي لم تقبل به الأقلية الأوروبية التي نتجت عن تركة سياسية انتزعت من فرنسا يلخصها فرحات عباس في قوله: "هل يقبل أولاد مدللون، تربوا على يد أمهم وسط خدم يلبسون كسوة الخدم أن ترفع مكانة خدمهم إلى مستواهم؟ أم يعترضون على

1 - سيلفي ثينو، مرجع سابق، 2013، ص: 182.

2 - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 181.

3 - نفسه، ص: 178.

4 - شارل ديغول، نفس المصدر، ص: 58.

5 - Yves Courrière, La guerre d'Algérie, l'heure des colonels, op.cit., p: 329.

إرادة الأم التي تريد لهم أن يعيشوا الند للند مع خدمهم؟ إن المشكلة كلها تكمن في هذا التساؤل¹.

وهو ما ترك الجنرال "راؤول صالان" أن يستنتج من خطابه هذا وسكوته عن الإعلان "الجزائر الفرنسية" في طريق المزيد من التنازل صوب الجزائر المستقلة². بذلك أدرك الجميع استحالة الانتصار العسكري على جبهة التحرير الوطني، وشعروا بخيبة تحولت لسخط عام، توهّموا بتخلصهم من الثورة إذ بها تواصل زحفها، فانهارت معنوياتهم لأنهم لا يعرفون إلى أين تقودهم حكومة فرنسا، مصيرهم غامض والمسؤولون يتعمدون الغموض في تصريحاتهم، الجنرال ديغول لم ينطق بكلمة الإدماج³.

رفضه لسياسة الدمج منطلقها أنه أدرك فشلها، بالرغم من دعم قادة الجيش الفرنسي والأقلية الأوروبية اليسارية لها بما في ذلك الدعم والمساندة من قبل الحاكم العام "جاك سوستيل" الذي سعى لتجسيدها، إلا أنها باءت بالفشل نتيجة معارضتها من قبل الكولون والجزائريين⁴. وهو ما أكدّه عبد الرحمن فارس في كتابه "الحقيقة المرة" عن دعوته للإدماج قوله: "كنت واعيا بأن البيان الذي تلوته قد يفاجأ بعض الأوساط الجزائرية التي لا تفقه شيئا في اللعبة السياسية، أما فيما يخص الأوروبيين فإن مجرد ذكر كلمة هيئة انتخابية وحيدة كفيل بأن يسبب لهم الأرق، لأنهم بمجرد أن يسمعوا تلك العبارة يتصورون أنفسهم وقد غرقوا وسط طوفان المنتخبين العرب على حد تعبيرهم"⁵.

لهذا استبعد الجنرال ديغول بعد رجوعه للسلطة، حتى وأن قبل بها قبل مائة عام واضعا لها شروط "لو تمكنا آنذاك أن ينقلوا إلى الجزائر عدة ملايين من الفرنسيين" وهو بذلك يتغافل عن الفشل الذريع الذي منيت به سياسة الاستيطان رغم ما ضخت له

¹ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 300.

² - Jean Touchard, Le gaullisme 1940- 1962, édition Seuil, paris, 1978, p.p: 169- 170.

³ - المجاهد، 08- 06- 1959، العدد، 39، ص: 8.

⁴ - Max Gallo, op.cit., p: 273.

⁵ - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، 2007، ص: 79.

فرنسا من أموال وامتيازات لصالح الفرنسيين حتى الأوروبيين لكنهم بقوا في ذلك أقلية، ويضيف: " أن يضمّنوا هجرة عدد مماثل من الجزائريين إلى فرنسا" وهو بذلك يتناسى موقف الكولون من هجرتهم، حتى أنه يقول: " لعلها كانت من الممكن عقب الحرب العالمية الأولى إبان نشوة النصر التي تبعت المفخرة" وهو بذلك ينسى الرفض المستميت للمطالب التي تقدمت بها النخبة الجزائرية والتي وقفت لها الأقلية بالمرصاد، ويسترسل أنها حتى كانت ممكنة ما بعد الحرب العالمية الثانية بموجب روح التحرير وضمن مشروع 1947 والذي كان نزولا عند رغبة الأقلية الأوروبية نتيجة ما تضمنه من نقاط تبقيهم سادة هذا البلد¹، في ظل رفضها من الجزائريين جملة وتفصيلا بالتحضير والإعداد للثورة في وعاء المنظمة الخاصة.

موقفه الرافض لسياسة الدمج كشف عنها بتاريخ 06 جوان 1958 لمدير ديوانه "بيار لوفران" "PierreLaFFont": "إنهم يحملون لقد نسوا أنه يوجد تسعة ملايين مسلم، مقابل مليون أوروبي، إن الإدماج معناه ثمانين نائب مسلم في الجمعية الوطنية الفرنسية، ستكون لهم بذلك القدرة على صناعة القانون والجيش ماذا يعني؟... لن نستطيع الحفاظ على الجزائر، ثق جيدا. آه لو كنا كثيرين... ولكن تسعة ضد واحد وزيادة على ذلك فإن تونس والمغرب يتمتعان حاليا بالاستقلال، فإذا أغلقنا الحدود، فإن الأفكار تمر، ولا أستطيع منع الجزائريين من التطلع إلى ما يملكه جيرانهم (الاستقلال)"². هدف شدد عليه وبكل وضوح رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فرحات عباس جازما لكل من توهم أن تبقى الجزائر فرنسية بقوله: "أفضل على أن نكون عشرة ملايين من الجثث على أن نكون عشرة ملايين من الفرنسيين"³.

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص. ص: 53-54.

² - Max Gallo, op.cit., p: 273.

³ - - برنارد ليدويج، مرجع سابق، ص: 215.

وهو الأمر الذي سرعان ما اتضح مع تصلب الإدارة الاستعمارية في إبقاء التمييز قائم بين الطائفتين وبلغة جديدة اعتمدت على المفهوم العرقي للأصل متوازنة لأنها بنيت على نفس النمط، فرنسي من أصل أوروبي وفرنسي من أصل شمال إفريقيا¹.

ورغم محاولة الجنرال صالان التمثيلية التي قام بها بقسنطينة عند تقديمه لأطفال مسلمين يحملون العلم الفرنسي ليتمكن من دفعه أن الجزائريين مع الإدماج فسمعه "صالان" يتمتم: "وقل إنهم سيقفون بعد عشر سنوات ضدنا"².

حقيقة وقف عليها الجنرال ديغول من خلال حديثه لمدير جريدة صدى وهران "بيار لافون" بتاريخ 26-11-1959 خاطبه قائلاً: "لا تقل لي يا لافون أن أشخاصا مثلك يعتقدون أنني كنت في أي لحظة مهما كانت، مؤيداً لفكرة الإدماج، أنني لم أتفوه قط بهذه الكلمة لأنني لم أؤمن بها قط... يوجد في الجزائر سكان يختلفون عنا في كل شيء في الأصل والدين وفي نمط الحياة، ولم نفعل شيئاً لتذليل هذه الهوة، إن فرنسيي الجزائر يريدون حقا العيش مع العرب، بشرط أن يبقوا خاضعين لهم، وهذا ما لا يريده المسلمون، إن هذا الوضع قائم منذ 130 سنة، ولا يمكن أن يستمر"³.

هجمات الصحف الاستعمارية كانت عليه قوية وهو ما تركه يتذمر منها خاصة وأنها وضعت في صورة أنه خان أمانة الذين أخرجوه من ظلمات النسيان ومكنوه من التصرف في مصير فرنسا ومصيرهم عكس ما كانوا يأملون⁴. لهذا انصب انشغاله كله لإنقاذ فرنسا ولضمان أكبر قدر ممكن على مصالحها في جزائر الغد وليس كما يريده المستوطنون وأنصارهم داخل مؤسسات الدولة بالجزائر فرنسية خاصة وأن مؤسسة

¹ - سيلفي ثينو، مرجع سابق، ص: 183.

² - François Xavie, De Vivie, Le Zénith illusoire de l'Algérie française, histoire, N° spécial, la fin de l'Algérie française 1959- 1962, p: 6.

³ - Pierre Laffont, L'entretien De Gaulle, histoire N° spécial, 425, 1982, p: 68.

⁴ - المجاهد، 25-08-1958، العدد، 37، ص: 3.

الجيش تدفع فرنسا ثمنا باهظا لذلك¹. وحتى يجسد خطاباته مراوغا الجزائريين بأشهر عمله بخطوة أخرى في استفتاء 28-09-1958 بفرنسا والجزائر للمصادقة على الدستور الجديد، فزار الجزائر بتاريخ 27 أوت 1958 حتى 29 منه وجه كلمة للناخبين عبر إذاعة الجزائر جاء فيها قوله: "يوم 28-09-1958 سيقوم الجزائريون من كل المجموعات في ظل مساواة كاملة بالتأثير بشكل مباشر على مصير فرنسا من خلال قولهم كلمة واحدة وهي (نعم) أو (لا) لأن شكل اختيارهم سيؤدي إما لتجديد المؤسسات أو العودة إلى النهج المعتاد الذي تسبب في إلقاء الجمهورية في الحضيض"².

لكن الاستفتاء جرى تحت ضغط كبير على الناخبين الجزائريين من الجيش الفرنسي الذي أغلب قيادته تؤمن بالجزائر الفرنسية وأن المشاكل ستحل بواسطة الأخوة fraternisation بين الأوروبيين والجزائريين، وهو ما جعلهم يساهمون فيه بحماس وفعالية كبرى³، الأمر الذي شهد به أحد مراسلي وكالات الأنباء الأجنبية وهي أحد صحفي الولايات المتحدة الأمريكية التي كتب بعد عودته: إن غالبية الفرنسيين يصوتون على الدستور الجديد، أما الجزائريون فيقاطعون الاستفتاء إلا إذا تمكنت فرنسا من حشد قوات كبيرة في المدن تعادل قواتها في البوادي⁴.

أما الكولون أعطي لهم ضمانا وارتياحا حتى أن أغليبيتهم أقبلوا على التصويت، يفسر ذلك "جون توشار" إقبال على هذا الاستفتاء ظنا منهم أنه يقاسمهم نفس الشعور والطموح⁵. أي أنه سيتبنى سياسة الإدماج معتمدين على ما سمعوه منه يوم 6 جوان

¹ - François Xavier, op.cit., p: 7.

² - Raoul Salan, Fin d'un empire, Algérie De Gaulle, 7 juin 1958- 10 juin 1960, édition Presse de la cité, paris, 1974, p: 72.

³ - André Nouschi, L'Algérie amère 1916- 1996, édition de la maison des sciences de l'homme, paris, 1995, p: 225.

⁴ - المجاهد، 10 أكتوبر 1960، العدد، 79، ص: 6.

⁵ - Jean Touchard, op.cit., p: 173.

1958 أثناء زيارته لمدينة مستغانم " تحيا الجزائر الفرنسية، تحيا الجمهورية، تحيا فرنسا" أما فرنسيو فرنسا فمنحوه ثقتهم من أجل أن يجد حلا نهائيا للمعضلة الجزائرية"¹.

وبعد توليه لمنصبه كرئيس للجمهورية بتاريخ 8 جانفي 1959 بادر بتاريخ 14 جانفي 1959 بتخفيف العقوبات لفائدة عدد من الثوار والمعتقلين منها الإعدام لـ 180 جزائري إلى السجن المؤبد، مقابل السماح لمصالي الحاج بحرية الحركة في فرنسا ونقل الزعماء المختطفين من سجن "لاسنتي La santé" إلى مكان أفضل، قرارات حظيت بتأييد واسع في فرنسا، لكنها لقيت استخفافا من قبل تنظيمات الكولون فبعثوا برسائل استنكار للمفوض العام "بول دولوفريه" وحتى إلى رئيس الحكومة "ميشال دوبريه" معتبرين ذلك بمثابة مكافئة للقتلة، طالبوا باستدعاء البرلمان لتقنين شروط ممارسة سلطة العفو، مذكرين أن الجزائر صوتت بنعم الإدماج لا من أجل المحكوم عليهم بالإعدام².

هذا الضغط جعله يصرح لأحد مقربيه "جاك فندوز" "Jacques Vendouse" بتاريخ 16-01-1959 بقوله: " إن الجزائر علبة عقارب، ألا ترى جاك أن كثيرا من الفرنسيين لديهم أو هام فيما يتعلق بهذا الموضوع قد تجعلنا ندفع ثمنا غاليا، إنهم مقتنعون بأنني عدت إلى السلطة من أجل الحفاظ على ما يسمى بالجزائر الفرنسية في حين أن مهمتي في الحقيقة هي إنقاذ فرنسا نفسها"³.

وبالمقابل نجد الجنرال ديغول يتعهد بنفسه والجيش أنه يضمن حرية وسلامة الأقلية الأوروبية، إذ قرروا أن يستقروا نهائيا بقوله: "... يجب لمصلحة فرنسا والجزائر

¹ – Philippe Massu, La décision vient de paris. Yves Courrière, La guerre d'Algérie, tome 6, p.p: 1793- 1798.

² – Pierre Albert Lambert, Le président parle, Yves Courrière, La guerre d'Algérie, tome 6, p.p: 1889- 1899.

³ – Max Gallo, op.cit., p: 315.

المشاركة أن تعقد بينهما معاهدات تنشئ علاقات وتمنح الطرفين امتيازات خاصة لا سيما فيما يتعلق بوضع الأشخاص " أي أنه يحبذ حل الشراكة¹.

وهو يعترف لمدير ديوانه "بيار لافون": " بصعوبة الحل وتبعثر أوراق هذه المؤسسة وقيادتها بطريقة مشرفة نحو النهاية إلا بالحفاظ على بعض الأوراق الراجعة حتى أنه يقول: "إنهم يتحدثون عن الأخوة، إنها وهم، فلو قلنا لفرنسيي الجزائر بأن الأخوة هي المساواة بينكم وبين المسلمين سيركبون رؤوسهم وسيقومون فوراً بعزل العرب في أكواخهم... ينبغي البحث عن صيغة للتعاون تراعي فيها مصالح فرنسا"².

أنانيتهم وقف عليها الجنرال ديغول من خلال مذكراته قوله: " الفرنسيون الأصليون في مجموعهم يعدون أنفسهم فوق كل فرنسي ويأملون بأن يؤثروا على الوطن الأم ويرغمونه على اتخاذ موقف معين"³، حتى أنه وفي إحدى تصريحاته وصل به الأمر قوله: " ما يريده المتطرفون هو الحفاظ على "جزائر أبي L'Algérie de papa" لكن جزائر أبي قد ماتت، وإذا لم تفهم هذه الحقيقة فسنموت مثلها"⁴، لكن الملاك الأثرياء من الكولون، سكان فيلات أعالي الجزائر والأحياء الفاخرة بوهران وعنابة وقسنطينة ظلوا عمياً وثاروا ضد الرجل الذي استدعوه هم أنفسهم بسبب رؤيته المخالفة لهم والصائبة لأخطاء الماضي برؤيته⁵.

لكن حقيقة الأمر أنه جاء ولديه برنامج محدد تكتيكي وإستراتيجي في نفس الوقت، كان الهدف التكتيكي ينحصر أساساً في الميدان الاجتماعي والبسيكولوجي لإفراغ الثورة من محتواها ومحاولة استقطاب الريف مهد الثورة لفصل الشعب عن جيشه الوطني⁶.

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 55.

² - Max Gallo, op.cit., p: 274.

³ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 57.

⁴ - Max Gallo, op.cit., p: 317.

⁵ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 352.

⁶ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 119.

لهذا ظل يكشف عن حقيقتهم قوله: " إنهم ينتمون إلى تكتلاته تبدو أنها مختلفة ومتنافسة تهدف إلى تحقيق أهداف سياسية تتجاوز حدود الجزائر وكانوا ينتهزون أزمات الاضطرابات التي أصبحوا يتفقون إثارته... ينظمون شبكات وفئات قد تؤدي إلى القيام بأعمال هدامة... ومن الطبيعي أنهم سيلقون تأييد من بعض العسكريين أصحاب نظرية تسلم زمام الحكم"¹.

رغم أنه كان واضحا في مسعاه لإبقاء الجزائر الفرنسية من خلال مشاريع قوانينه داخل البرلمان الفرنسي سنة 1959 والتي أكدت استمرارية نظريته الاستعمارية، هي مشاريع تتدرج كلها في خطة إدماج الجزائر بفرنسا ماليا واقتصاديا حيث كانت ممثلة في:

- إلغاء الاستقلال المالي للجزائر ودمج ميزانيتها في الميزانية الفرنسية،
- توحيد الشارات النقدية بين الجزائر وفرنسا،
- إلغاء الرقابة الجمركية على السلع والأشخاص في حالة التنقل بين الجزائر وفرنسا.

خطوات تبدو أنها ضد هيمنة الكولون الأوروبيين في الجزائر، لكنها في حقيقة الأمر تصب في منحى سابقه من الاستعماريين، لأنها تتجاهل كلية مطامح الشعب الجزائري².

لكن الكولون تصرفوا معه بقوة حتى أن وصلت بهم جرأتهم إلى احتجاز وزيرين مرافقين له "ماكس لوجون Max Le jeune" لويس جاكينو "Louis Jacquinot" إذ لم يسمح لهما بالظهور معه من شرفة قصر الحكومة، لكن الجنرال شارل ديغول وبعد تجمع الضباط أمام قصر الصيف بمدينة الجزائر تحدث إليهم بصراحة قائلا: " لقد انتهى زمن الشعارات، إن حكومة فرنسا هي التي توجه سياسة الأمة"³ وبعدها التفت لوزير الدولة

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 57.

² - محمد الميلي، مواقف جزائرية، مصدر سابق، ص. ص: 182-183.

³ - Yves Courrière, op.cit., p.p: 331- 332.

"غي مولي" متذكرا ما حدث له من قبل الكولون "رميه بالطماطم بتاريخ 6 أفريل 1956" والتي اعتبرها وصمة عار لحقت بالدولة ينبغي أن تمحى حتى تستعيد الدولة هيبتها"¹.

وبادعاء لجنة إنقاذ الوطن أنها تمارس السلطة بواسطتها دفع الجنرال ديغول تكليف المندوب العام رسميا وجوب التقيد بالنظام يقول: "أفهمته أن المجلس المؤلف في 13 ماي لا يملك حق استعمال أي سلطة وأن اقتراحاته لا تتمتع بأية قيمة قانونية أو إدارية"². وبتاريخ 14 أكتوبر 1958 دعا شارل ديغول كل العاملين في القطاع الحكومي، مع ضباط الجيش الفرنسي العاملين بالجزائر الخروج والابتعاد عن لجنة الإنقاذ العمومي وبسرعة³، حتى يفكك الروابط بينهم وبين الأقلية الأوروبية من المتشددین، رافضا تهديداتهم وابتزازهم من الطرفين: "لقد حان الوقت الذي يجب فيه على العسكريين الكف عن الانتساب إلى أي منظمة ذات طابعة سياسي مهما كانت الأسباب التي بررت هذا الانضمام بشكل استثنائي نتيجة الظروف التي مرت بها الجزائر منذ شهر ماي، لا شيء يبرر من الآن فصاعداً هذا الانضمام"⁴.

وهو ما جاء في مذكراته قوله: "أصدرت أمري إلى الضباط والموظفين الذين كانوا أعضاء فيه أن ينسحبوا وهذا ما فعلوه فوراً"⁵، وسرعان ما بدأت الخلافات تطفو نحو السطح، وهو ما يوضحه الملازم الأول "ليون": "لقد فاجأتني معارضة بعض الأوروبيين، أصبحوا خصوما يثيرون الرعب ابتداء من اليوم الذين فهموا فيه أن الفرق الإدارية المتخصصة أصبحت ترمي إلى تحقيق وعود الجنرال ديغول بتوفير جبهة ثانية ضد المظالم الاجتماعية لأول مرة منذ قرن من الزمان أصبحت سياسة السلطة لا تستجيب لامتيازاتهم"⁶.

¹ - Max Gallo, op.cit., p: 274.

² - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 61.

³ - Jean Touchard, op.cit., p: 173.

⁴ - Paul Marie de la gorge, Le discours de Constantine, Yves Courrière, La guerre d'Algérie, tome 6, p.p: 1727- 1728.

⁵ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 70.

⁶ - فريشور ماتياس، مرجع سابق، ص: 210.

وبذلك انقرض عهد لجان الإنقاذ العمومي، حجز الجيش الفرنسي محلاتهم وطلبت الحركة النقابية في فرنسا من أعضائها بالجزائر الانسحاب من جميع لجان الإنقاذ ووحدات الدفاع الإقليمي، حتى أصبح عموم الأوروبيين لا يعيرون أي اهتمام لبلاغات حركة 13 ماي، وأصبحت ملصقاتها تمزق من الفرق الرسمية¹.

أعضاؤها وجهوا نداء عنوانه "لقد تعرضنا للخيانة" دعوا فيه أعضاء اللجان التجند وفسروا هذه المواقف بتنصل الجنرال ديغول من النشاط الأخوي الذي بدأه الجيش². بل نجدهم وجهوا رسالة للقيادة الفرنسية بالجزائر استنكروا فيها أن الجيش الفرنسي قد جلا عن جهات واسعة من بعض المناطق كالميلية والقل... وأن الحراسة الوحيدة التي بقيت موجودة هي حراسة الطيران في النهار. ومنه يتبين أن معظم الكولون قد انهارت معنوياتهم³. دعوا إلى إضراب عام يوم 16 أكتوبر 1958 حثوا السكان على التجمع في ساحة الفوروم "Forum" قرب قصر الحكومة بما في ذلك دعوة العسكريين العودة للجان الإنقاذ العمومي مع إرجاع السلطات المدنية لهم⁴.

زاد ضغطهم بحيث ما انفك سكان البوادي من الكولون التحرك مطالبين القيادة الفرنسية بأن تحميهم من جيش التحرير الوطني وفدائييه، حيث أرسلت ست جمعيات منهم بمنطقة جيجل رسالة ضمنت: "إن الأوروبيين قد أفلسوا من جراء الاغتيالات والاختطافات والتخريبات المتواليات على أرزاقهم ومزارعهم، إنهم معرضون لخطر الموت ولا تستطيع أن تواصل أعمالها والحالة هذه، مهددين برفضهم دفع الضرائب والقيام بالمهام الإدارية التي تنسب إليهم وبقطع أي اتصال بالسلطة الفرنسية إن لم تتخذ التدابير اللازمة لفائدتهم"⁵.

¹ - المجاهد، 02-04-1959، العدد، 39، ص: 11.

² - Paul Marie de la gorge, op.cit., p: 1728.

³ - المجاهد، 02-04-1959، مصدر سابق.

⁴ - Raoul Salan, op.cit., p: 337.

⁵ - المجاهد، 02-04-1959، مصدر سابق، ص: 4.

واستهتاراً بالموقف ما نشرته جريدة المجاهد انطلاقا مما ورد في صحيفة فرنسية أن "دي سيزيني" طلب من مصلحة الضرائب تخفيض خمسة وثلاثين مليون فرنك، لأنه يدفعها للثوار حتى لا يهاجموا السيارات التي تتولى توزيع صحيفة صدى الجزائر الاستعمارية"¹.

حتى وحدات الدفاع الإقليمي التي كان دورها فعالا في حركة 13 ماي، إذ أنها تعتبر من الخلايا التي اعتمد عليها المتطرفون في تنظيم لجان الإنقاذ وأن القيادة العسكرية الفرنسية هي التي تتولى تصليح هذه الوحدات، والجديد أن القيادة العسكرية بدأت تنتزع منها الأسلحة، بل لقد طالبت بعض البلديات مثل بلدية سيدي بلعباس إزالة هذه الوحدات وحلها مرة واحدة كما شاع الخبر في الجزائر أن القيادة الفرنسية تعمدت تزويد هذه الوحدات بخراطيش عيار مخالفة لما تحمله أسلحتهم، بذلك أصبح المدنيين الفرنسيين المجندين يبدون تخوفهم منها ورغبتهم في الخروج لم يكلفهم ذلك من متاعب، بدأوا يشعرون أن لا جدوى من ورائها"².

وعليه كثفوا من تهديداتهم بعدما أن طالبوا كل من "روجي ديشي Roger" و "جورج بيدو Duchet" و "George Pidault" أندري مورييس "André Maurice" باتخاذ مواقف علنية من سياسة ديغول، ودفعوا بالأمر إلى حدوثها بعد تلك التحذيرات التي جاءت من الجنرال "جاك ماسو" للجان الإنقاذ أنه سيستعمل القوة لقمع الإضراب الذي حثوا عليه، وهو ما دفعهم لإيقافه صبيحة 16/10/1958³. هي أحداث جعلت من الجنرال ديغول يغض الطرف عن بعض الشخصيات التي وقفت حائلا لتجسيد سياسته كالجنرال "راؤول سالان" الذي كان متيقنا من صلاته بالمتطرفين وبتعاطفه مع لجان الإنقاذ وأنه مع أنصار الإدماج وفكر الجزائر الفرنسية"⁴.

¹ - المجاهد، نفسه، ص: 11.

² - المجاهد، 02-04-1959، العدد، 39، ص: 11.

³ - Paul Marie de la gorge, op.cit., p.p: 1728- 1729.

⁴ - Raoul Salan, op.cit., p: 337.

لذلك قرر الاحتفاظ به إلى غاية ديسمبر 1958 وبعدها نقله إلى باريس وعينه مفتشا عام للجيش في شهر جانفي 1959 حاكما عسكريا عليها¹، قرار أربك الأقلية الأوروبية إلى حد بعيد²، لكن استبدله بمن هو من أنصار الجزائر الفرنسية الجنرال "شارل موريس Charles Maurice" المقبول لدى الأوروبيين وحتى من قبل قادة الجيش الفرنسي، الذي نزع عنه المهام المدنية وأسندها لـ "بول دولوفريه" كمندوب عام للحكومة الفرنسية بالجزائر³، وضعية أصبحت على مواقفه أنها مناهضة للكولون من اليمين الاستعماري المتطرف⁴.

أضاف إليها مواقف أخرى من مناوراته ضد الثورة الجزائرية والحكومة المؤقتة، أوضح أن الطريق أصبح مفتوحا لإجراء مفاوضات حول وقف إطلاق النار مع ممثلي الثوار، حتى أنه كان ماكرا بدعوته لعبد الرحمن فارس واقترح له أن يشترك في حكومته بصفة وزير دولة ليتولى التدابير المتعلقة بمصير الجزائر، دون مجال للحديث عن الاستقلال، أي استسلام وبقاء الجزائري في أحضان التبعية لكن الرجل تحفظ للاستشارة ثم بعد خمسة عشر يوما أعلمه أنه لا يستطيع القبول بطريقة لبقة⁵، وهو ما يفهم من خلاله محاولته تدعيم القوة الثالثة التي يسعى الجنرال ديغول لتكوينها وإبرازها كطرف فاعل⁶.

ثم اتجه إلى الشعب إدراكا منه أنه احتوى الثورة وصار كالماء للسمة معلنا في خطابه من قسنطينة يوم 3 أكتوبر 1958، عن مخططة الخماسي الهادف إلى تحويل الجزائر المتخلفة إلى أمة مصنعة بإنشاء " 400 ألف منصب شغل جديد، توزيع 250 ألف هكتار من الأراضي الزراعية، رفع الأجور، خلق مناصب إدارية للجزائريين، فتح

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق ص: 70.

² - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 251.

³ - Max Gallo, op.cit., p: 292.

⁴ - محمد الميلي، مواقف جزائرية، مصدر سابق، ص: 172.

⁵ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 70.

⁶ - محمد الميلي، مواقف جزائرية، مصدر سابق، ص: 208.

مدارس ومستشفيات، بناء ألف قرية اشتراكية¹، غايته تكوين فئات جزائرية تستفيد من الحرب بصور مختلفة يعتمد عليها في إيجاد قوة سياسية تنافس جبهة التحرير الوطني، وتستخدم ضدها وفصله للشعب عن الثورة².

وبعدها تقدم للثوار بتاريخ 23 أكتوبر 1958 ما سماه "عقد صلح الشجعان"³ عرضه أشبه بطلب الاستسلام مع بقاء الجزائر في أحضان التبعية الفرنسية⁴ مصرحا بقوله: "أقولها متوجها إلى الذين يطيلون أمد الحرب، لماذا القتل؟ يجب أن نعيش، لماذا التهديم؟ يجب أن نشيد، أوقفوا هذه المعارك، وستجدون السجون تفرغ والأمل يزدهر والمستقبل يفتح للجميع⁵.

وبالمقابل وأمام ضباط الجيش وحتى ضباط الصف والجنود يصرح متناقضا: "إن فرنسا لا يمكن أن تخرج ومن واجبها البقاء في الجزائر وستبقى"، ثم ومن منطقة الميلية وجيجل يصرح: "لا يمكن أن نفعل شيئا إذا ما لم يتجسد أي شيء في الميدان"⁶، وبعدها أن تيقن من أن بعض القادة العسكريين لا يمتثلون للأوامر مبددين رفضهم لكل سياسة لا تصب في وعاء الجزائر الفرنسية، وعقد بمقر قيادة الجنرال "ثال موريس" الذي أقامه في جبال جرجرة منطقة القبائل خاطب العسكريين: "إن زمن الإدارة بواسطة الأوروبيين قد انتهى وبالنسبة لكم اسمعوني جيدا إنكم لستم الجيش في سبيل الجيش، إنكم جيش فرنسا وأن وجودكم نابع منها وفي سبيلها وفي خدمتها"⁷.

زياراته للمراكز العسكرية بدأ يسخرها لشرح توجهاته الجديدة في محاولة لتهئية الضباط لاستيعاب محتوى ما سيفصح عنه في خطابه الذي سيلقيه بتاريخ

¹ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 119.

² - الشروق اليومي، الثلاثاء 18-04-2006، العدد، 1664، ص: 13.

³ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 75.

⁴ - برنارد ليديج، مرجع سابق، ص: 242.

⁵ - المجاهد، 9-10-1961، العدد، 106، ص. ص: 6-7.

⁶ - Oran Le Républicain, 4 mars 1960, N°7567, p: 1.

⁷ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 86.

1959/01/16¹، ومنه بدت المخاوف واضحة لدى متطرفي الأقلية الأوروبية وحتى طرف من الجيش بل تعداه إلى معتدلي اليسار الرافضين إلى أي تقارب مع جبهة التحرير الوطني².

لهجتهم فيها مرارة وسخط حيث يرون أن سياسته ليست أتعس فقط من سياسة "غي مولي" بل هي عبارة عن فاجعة حقيقية لأن الذي يقودها يتمتع بقوة نفوذ في الرأي العام الفرنسي لم تكن عند سابقه بل إنه يملك قوة كافية يستطيع بها أن يدفعهم إلى هوة ما كان يستطيع أسلافه أن يدفعوهم إليها لضعفهم³.

خطوات انتهت إلى فشل قاسي فقد على إثره ديغول الأقلية الأوروبية بالجزائر وبذلك بدأت تنتشر شائعة حول "13 ماي جديد" في أوساطهم⁴، من دعر انتابهم فصدر بلاغ عن حركة الجزائر الفرنسية تضمن "منذ 13 ماي 1958 يعيش جميع الفرنسيين في جو تختنقه الحيرة والخوف والبلبله"⁵.

أمام هذا الوضع كلف الجنرال "شال موريس" بقيادة هجوم واسع النطاق على معاقل الثوار⁶، وهو ما يذكره قوله: "تدارست معه خطته ووافقت عليها وكانت تنطوي على تعبئة القوى اللازمة لشن الهجوم تباعا على كل مراكز الثوار" وذلك خوفا من حدوث ما هو مؤسف وحتى لا يصبح في صفوف المهزومين ويناور وهو في مركز القوة⁷.

ذلك ما استند عليه أحمد يوسف في كتابه "منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية" من خلال تصريحه عن قراره الدخول في حرب دون رحمة ضد الثورة

1 - باتريك إفينو، جون بلانشايس، مرجع سابق، ص: 140.

2 - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 179.

3 - المجاهد، 25-02-1959، العدد، 37، ص: 3.

4 - برنارد ليدويدج، مرجع سابق، ص: 242.

5 - المجاهد، 18-05-1959، العدد، 42، ص: 5.

6 - برنارد ليدويدج، مرجع سابق، ص: 242.

7 - شارل ديغول، مصدر سابق، ص. ص: 72-73.

الجزائرية قوله: " لقد قلت بطبيعة الحال أن المواجهة لم تنتهي بل هي مرسخة أشهر، وكلما طال أمدّها فإن الخصم لم يسلم من الملاحقة تقليصا لقدراته وهزمه... " كما طمأن العقيد بيجار: " لن أقبل بأن ترفرف راية جبهة التحرير الوطني على الجزائر ما دمت حيا"¹ تصريحات ومواقف متباينة جعلت الأقلية الأوروبية بما فيها الرأي العام في حالة قلق.

كما أنه أضاف إلى مناوئته المتعددة مسعى الاستحقاقات الانتخابية (برلمانية، جهوية، محلية) والتي نظمت في 30 نوفمبر 1958 - 15 أفريل 1959 - 31 ماي 1959، تمثل مراحل لتجسيد إصلاحات سياسية بالاعتماد على قواعد قانونية أساسها:

- تكوين قائمة انتخابية واحدة يسجل فيها كل الناخبين مهما كانت أصولهم ومعتقداتهم،
- منح حق الانتخاب للنساء الجزائريات².

إلا أن الأقلية الأوروبية رأت من خلال إقرار الاقتراع العام ستغرق بكتلة المنتخبين المسلمين³، ورغم ذلك ركز الجنرال ديغول في تعليماته التي أصدرها بتاريخ 14/10/1958 بشأنها والتي جاء فيها على الأخص: "... تتم الاستشارة في ظروف من الحرية والجدية المطلقة وأن تظهر قوائم انتخابية تمثل كل الاتجاهات، أقول كل الاتجاهات... لا يستبعد من ذلك إلا العناصر التي تمارس العمل الإرهابي" مقصده السياسي أن تبرز بكل حرية نخبة سياسية جزائرية " يمكن استخلاص من هذا العرض هو تحرر بالقياس إلى اليمين المتطرف وليس بالقياس إلى مطلب الشعب الجزائري في

¹ - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، ترجمة: عبد المجيد بوجلة، مراجعة: جمال يحيوي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011، ص: 39.

² - ANOM Aix En Provence, boîte 81F/82 Elections législatives municipales et sénatoriales en Algérie, document daté le 23/11/1959.

³ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 179.

الحرية والاستقلال بل إن استبعاد الأغلبية الساحقة من الجزائريين عن طريق استبعاد من يمثلونهم بحجة أنهم عناصر تعمل في الحقل الإرهابي"¹.

ورغم ما قام به الجنرال ديغول ليوضح لهم أن أهدافه تكمن بالأساس في الحفاظ على الوجود الفرنسي من خلال ضمان بقاء الأقلية الأوروبية، إلا أن الكثير منهم فقدوا الثقة فيه وهو ما انعكس وتسبب في تخلي الكثير منهم عن نشاطاته في الورشات التي انتهت أشغالها².

حدث لهم بمثل هذه الوضعية عندما تكاثرت الأعمال الفدائية بالعاصمة، انخفضت قيمة الأسهم في مختلف الشركات كما انخفضت قيمة الأملاك العقارية واستمر ذلك إلى أن استشهد "علي لابوانت" حينها بدأت الأسهم والعقارات في الارتفاع لأن الفرنسيين بدأوا يعيشون الاطمئنان³.

لذلك اتجه بخطاب و بتاريخ 16/09/1959 معترفا بخطورة ما وصلت إليه فرنسا قوله: " أمام فرنسا مشكلة صعبة ودموية ما تزال مطروحة يجب علينا حلها... لا الشعارات العقيمة والمبسطة لهؤلاء وأولئك شعار الجزائر المستقلة لجهة التحرير الوطني وشعار الجزائر الفرنسية للمستوطنين"⁴ ليضيف قائلاً: " أعلن باسم فرنسا رغبتها في منح الجزائريين حق تقرير مصيرهم، ويمكن أن يكون ذلك بحسب رأيي بطرق مختلفة إما بالانفصال الكامل عن فرنسا وهو الحل الذي يدعو فيه الجزائريين الابتعاد عنه، يعتبره الكارثة التي تفتح باب المعاناة والفوضى"⁵، لأن الانفصال أي الاستقلال في نظره البؤس

1 - الشروق اليومي، عدد سابق، نفس الصفحة.

2 - باتريك إفينو، جون بلانشايس، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 122.

3 - المجاهد، 16-11-1959، العدد، 55، ص: 9.

4 - Alain Peyrefitte, Faut-il partager l'Algérie, édition Plan, paris, 1961, p.p: 201- 203.

5 - شارل ديغول، مصدر سابق، ص. ص: 86- 87.

المدقع ومأزق سياسي رهيب يؤدي إلى الديكتاتورية الشيوعية¹، حتى أنه هدد باقتطاع مناطق الجزائر ووهران بما في ذلك حتى عنابة لتجميع الأوروبيين والجزائريين².

والخيار الثاني الذي طرحه ممثل في فرنسا الجزائريين الذين سيصبحون جزءاً مندمجا بالشعب الفرنسي يتمتعون بالمساواة الكاملة في الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية³. حل دافع عنه بقوة الكولون ومعظم قادة الجيش بالجزائر، عبر عنه بعدم إيمانه به لأنه في نظره إجراء غير عملي⁴.

والخيار الثالث ممثل في نظام الحكم الفيدرالي حتى يكون لمختلف المجموعات وجود للجيش في الجزائر⁵، مناورات التي قصد بها خداع الشعب الجزائري لم تتجح في الواقع إلا بنشر الصلح في صفوف الجيش الفرنسي ومتطرفي الأقلية الأوروبية تعصبهم الأعمى وحقدهم العنصري أبعدهم عن إدراك النوايا الحقيقية لهذا الشكل الاستعماري الجديد الذي أراد ديغول استعماله بوصفه آخر فرصة لإنقاذ النفوذ الفرنسي⁶.

وبتاريخ 10 نوفمبر 1959 حدد تقرير المصير على مسامع المسلمين والفرنسيين بقوله: " أقول لكل الجزائريين من كل القوميات من كل الاتجاهات وكل الأقطار يمكنكم وينبغي لكم المشاركة في السيرة التي من شأنها تحويل الجزائر إلى بلد لرجال أحرار... أنتم يا فرنسيي الجزائر، يا من فعلتم الكثير الكثير هنا على امتداد أجيال عديدة... إذا كانت ريح التاريخ القومية قد قلبت صفحة فإنه يمكنكم كتابة الصفحة الموالية، كفى من الحنين الفارغ! كفانا مرارة وحسرة وقلقا! اقبلوا المستقبل مثلما هو⁷.

¹ - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 42.

² - Alain Peyrefitte, op.cit., p: 201.

³ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 87.

⁴ - Alain Peyrefitte, op.cit., p: 202.

⁵ - Alain Peyrefitte, op.cit., p: 202.

⁶ - المجاهد، 25-09-1961، العدد، 105، ص. ص: 3-10.

⁷ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 364.

مستقبل يريد فيه الأقلية الأوروبية وجود وثقل يخدم به مصالح فرنسا، وهو ما جعله يصرح بتاريخ جانفي 1960 لطمأنتهم قائلاً: " كيف يمكنكم أن تسمعوا للكذابين والمتآمرين الذين يقولون لكم أنه بإعطاء الجزائريين الاختيار الحر، فإن فرنسا وديغول يريدون إهمالكم والانسحاب من الجزائر وتركها في يد المتمردين"¹. ثم بعدها صرح يقينا بالحل وما يستوجب أن يتم التحضير له سعياً للحفاظ على المصالح الخاصة لفرنسيي الجزائر وعلى المصالح العامة لفرنسا قوله: " أتمنى أن يكون في استطاعتنا تغليب حل الشراكة، ولكننا تركنا الأمور تتسم إلى درجة الخشية من أننا لن ننجو من حل الاستقلال قبل أن يمر زمن طويل، ولهذا علينا أن نعمل من الآن بحيث إذا حصلت الجزائر على استقلالها أن يتم هذا الأمر في مناخ ووفق شروط علينا بالحفاظ على المصالح الخاصة لفرنسيي الجزائر وعلى المصالح العامة لفرنسا"².

إن سياسة تقرير المصير تقتضي الدخول في مشاورات مع جبهة التحرير الوطني وطرح مسألة اختيار مصير مستقبل الجزائر على الفئات المسلمة هي الفكرة التي لم ترضي معظم الأوروبيين وحتى ضباط الجيش العامل بالجزائر³.

لذلك اشتدت معارضته من قبل ممثلي الكولون في البرلمان الفرنسي ومنهم نواب كتلة "وحدة الجمهورية" والأقلية الأوروبية من الذين كانوا وراء حركة 13 ماي 1958، أمضوا على نداء من مدينة الجزائر عنون "التجمع من أجل الجزائر الفرنسية" تضمن " إن الوقت قد حان من أجل تكتل كل أولئك الذين يريدون أن تستمر معركة الجزائر الفرنسية حتى النصر"⁴.

تكتل معهم حتى من قادة الجيش المتقاعدين منهم الماريشال "جوان" الذي صرح قائلاً: " يجب أن تخرج فرنسا منتصرة من الرهان الذي تكفل الجنرال ديغول بتحقيقه في

¹ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 182.

² - Max Gallo, op.cit., p.p: 315- 316.

³ - باتريك إفينو، جون بلانشايس، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 141.

⁴ - La dépêche de Constantine, 20- 21/ 09/ 1959, n° 16362.

الجزائر¹. ومن ليلتها بدأ الأوروبيون يكلمون بواسطة الهاتف رجال الأعمال طالبين منهم أن يوقفوا كل حركة مالية وأن يمسكوا عن عقد صفقات جديدة وراح كل واحد يريد استرجاع أمواله فانخفضت قيمة الأملاك العقارية، حتى الموظفين بمركز البريد والهاتف طلب 25% منهم نقلهم إلى فرنسا، كله راجع إلى تخوفهم من المستقبل².

وحقيقة الأمر هو ما عبر عنه فرانز فانون وبشكل دقيق عن مطامعهم قوله: " إن هؤلاء المعمرون يهددون في الوقت نفسه حكوماتهم وسوف يستعملون في محاربة هذه وأولئك طرائق واحدة بعينها، إن اغتيال عمدة إيفيان لا يختلف عن دوافعه عن اغتيال علي بومنجل، وجزائر مستعمرة وكل ما عدا ذلك كلام أو خيانة"³.

وعليه دعت المنظمات المتطرفة الأقلية الأوروبية بالجزائر النواب البرلمانيين معارضة مشروع ديغول وإسقاط حكومة "ميشال دوبري"⁴.

وهم الذين علقوا عليه آمالا كبيرة في أن يكون موقفه مختلفا عن موقف ديغول، حتى مداولات البرلمان خيبت ظنهم والتي أرادوها أن تعزز تيار المعارضة لمبدأ تقرير المصير، لكنهم في الأخير اعترفوا وبمرارة أن نوابهم لا يملكون أية ورقة جدية بين أيديهم حتى أنهم تبينوا من أن "ميشال دوبري" اكتفى بالسير في طريق ديغول⁵. رغم وضوح الرؤية لديه وبإدراك من رئيسه ديغول مدى عدم تقبله لهذا المسار، إلا أنه سعى لطمأنة الكولون الذين تيقنوا أن مضمون الخطاب مهد القضاء على الجزائر الفرنسية بقوله: "إننا لم نؤكد أبدا من قبل إرادتنا في عدم ترك الجزائر تضيق منا مثلما أكدنا الآن، إننا نتمنى وقف لإطلاق النار"⁶. ومع التطورات التي شهدتها القضية الجزائرية دفعته

¹ - La dépêche de Constantine, 27/ 12/ 1959, N° 16392.

² - المجاهد، 16- 11- 1959، العدد، 55، ص: 9.

³ - فرانز فانون، معذبو الأرض، مصدر سابق، ص: 57.

⁴ - المجاهد، 19- 10- 1959، العدد، 53، ص: 2.

⁵ - المجاهد، 19- 10- 1959، العدد السابق، ص: 11.

⁶ - La dépêche de Constantine, 28/10/1959, N° 16393.

بخطر الشعب الفرنسي ومن خلال مؤتمر صحفي عقده بتاريخ 11 أبريل 1961 بقوله: " أنه إذا أراد سكان الجزائر قطيعة مع فرنسا فلن يعارض رغبتهم" لكنه هدد بإيقاف التنمية وبدعوة المستثمرين الفرنسيين لمغادرة الجزائر إلى أن وصل تهديده " التقسيم لإقامة مناطق خاصة بالمستوطنين والمسلمين الذين أقروا على البقاء فرنسيين"¹.

لكن عصابات الكولون من أوغاد 13 ماي بدعوا في تنفيذ إجرامهم انطلاقا من تصفية الشهيد "ولد عودية" بعدما أرسلت إليه بطاقة تهديد تحمل 13 ماي، برنامجهم قائم على: " لقد دقت ساعة حمل الرشاشات" واصلوا عملهم إلى كل واحد من الذين قالوا لهم في رسالة التهديد: " وأنت أيضا" إنهم مصرون على أن يقفوا في وجه فرنسا في أي لحظة يشعرون فيها أن فرنسا بدأت تميز بين مصلحتها كدولة ومصلحة المستعمرين الأوروبيين في الجزائر كأفراد². ومن شدة مقتهم لفرنسا الليبرالية المتهمة بالتخلص "من المستعمرات وشدة مقتهم للجزائر جزائرية التي كانوا يدعون انتماءهم إليها، لم يقبلوا بأي تغيير، إلى أن جاء اليوم الذي وجدوا فيه أنفسهم وحدهم، وقد تخطى عنهم الجميع، وخاصة أولئك الذين كانوا يسدون لهم "النصح" أقصوا أنفسهم بمعارضتهم للتغيير وإنهاء الاستعمار من أرض كان في إمكانهم العيش فيها مثل كل الناس"³.

¹ – Charles Robert Ageron, L'Algérie algérienne de Napoléon 3 à De Gaulle, Sindibad, paris, 1980, p: 250.

² – المجاهد، 01-06-1959، العدد، 43، ص: 4.

³ – فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 288.

2- ضغوطات الأقلية الأوروبية في إبقاء الجزائر فرنسية 1960/1958:

2-1- أسبوع المتاريس 24 جانفي 1960:

إن نتائج ما ترتب عن أحداث 13 ماي 1958 من نجاح، أصبح بالنسبة للأقلية الأوروبية أملا يحذوهم في أن القيادة السياسية والعسكرية ستتمكن من فرض النظام لمصلحتهم كما أنهم رأوا حولا لا نهائية لما كابدوه منذ انطلاق الثورة التحريرية والتي يجب في نظرهم أن تنتهي بسحقها والاحتفاظ بالجزائر الفرنسية، وهو ما وقف عليه الجنرال ديغول من خلال مذكراته قوله: " كان يبدو للمستوطنين أن الاحتفاظ بالواقع الراهن أمر حيوي مهما كلف ذلك فرنسا... سيطرت على عقولهم موجة أفكار مؤداها أنه إذا تخلت فرنسا عن حكم البلاد وإدارة شؤونها ومعاقبة الخصوم، فستغرقهم الأحداث حتما"¹.

فور تسلمه السلطة توجه نحو الجزائر، خطب بها يوم 4 جوان 1958 وسط فرنسيي الجزائر والذي بدأه بعبارة الشهيرة والتاريخية واللغز بالنسبة للأقلية الأوروبية والغامضة لدى الجزائريين " لقد فهمتكم " ثم بعدها يقول: " شعرت كأني أثرت حركة 13 ماي... ثم صرخت أن فرنسا تمنح جميع الجزائريين المساواة في الحقوق، مهما كانت الطائفة التي ينتمون إليها..."².

لم يرق هذا الكلام الضباط الفاشيون ولا فرنسيي العاصمة، صفقوا حيناً، وصمتوا حيناً آخر³، وهو ما دفع بانتشار جو بسيكولوجي جد مناهض للجنرال ديغول وحكومته، وأصبحت البيانات السرية المنددة، وبكل قوة لتصرفاته توزع يوميا، وازداد الانشغال مع

1 - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 50.

2 - نفسه، ص: 56.

3 - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 317.

نشر أخبار تتحدث عن تعديل حكومي في صفوف جبهة التحرير الوطني، وهو ما فسر على أنه تهيئة الأرضية للدخول في نقاشات محتملة مستقبلية¹.

وما فاجأهم قراره الصادر منتصف أكتوبر 1958 والذي دعا فيه العسكريين بالانسحاب من لجان الإنقاذ التي تأسست لانقلاب 13 ماي²، هذه اللجان التي كان يظن المنضمين إليها أنه من حقهم حتى المشاركة في السلطة، وهم الذين يعتبرونها أنها جلبته للحكم. وعليه بدأت صحفهم تتهمه بالخيانة لأنه لأول مرة تقيم لهم فرنسا حداً للتدخل في السلطة، وهو ما جعل النائب لاغايارد "يقدم على تقطيع صور الجنرال علناً بمعية الطلبة الأوروبيين"³.

هي لجان كان غالبيتها من العمل ووحدات الدفاع الإقليمي، الميليشيا، الذين هم عموماً من الكولون والتي لعبت دوراً كبيراً في حركة 13 ماي، أنها هي التي اعتمد عليها المتطرفون في تنظيم فروع لجان الإنقاذ ومدها إلى جميع الجهات وأن القيادة العسكرية الفرنسية التي تتولى تسليح هذه الوحدات، والجديد أنه بدأ ينزع منها السلاح من طرف القيادة العسكرية، بل لقد طالبت بعض البلديات مثل بلدية سيدي بلعباس بإزالتها وحلها مرة واحدة، بل في بعض الجهات تعمدت تزويدها بخراطيش 08 ملمتر مع أن نوعية ما تحمله مسدساتهم 6.35 ملمتر، وعليه أصبح المدنيون من الكولون والمجندين بها يبدون رغبتهم الخروج من صفوفها⁴.

وعليه لم تستطع الأقلية الأوروبية من فهم سياسة ديغول ولم يجدوا لها تفسيراً، وعليه أصبحوا يبتعدون عنه في الوقت الذي كانت الحركة الاستعمارية تبلغ أوج شدتها في سنوات 1959-1960، وبذلك أصبحت صفوفهم تتسع وتقوى، لا سياسة التحذير الديغولي التي قصد منها خداع الشعب: " أنه يجب فتح الطرق التي كانت مغلقة أمام

¹ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص. ص: 142-143.

² - Bernard Tricot, op.cit, p: 38.

³ - Droz Bernard et Lever Evelyne, op.cit, p.p:230-231.

⁴ - المجاهد، 02-04-1959، العدد، 39، ص: 11.

الجميع وأنه يجب تسهيل الجيش للمحرومين منه... وأنه يجب الاعتراف بكرامة الذين لم يعترف لهم بها... وأنه يجب ضمان وطن للذين كانوا يساورهم الشك بوجود وطن لهم"¹.

كلام لم يتجسد في الواقع بل زاد في نشر الهلع في صفوف الجيش الفرنسي والكلون² نهاية زيارته للجزائر استقبل في مكتب لجنة إنقاذ الوطن استقبله أحد أعضائها بحرارة أن يعلن الدمج منوها بالتهديد على أنه ستتشب اضطرابات مما دفعه للإجابة وبالمثل: " سيذهب جميعهم إلى السجن"³ حديث يبقى دائما للتداول دون تجسيد، وما زاد من حدة غضبهم إقدامه على تفكيك الهيئة الإدارية المتخصصة، التي أسسها "جاك سوستيل" سنة 1956 والتي أغلب منظريها من الأقلية الأوروبية⁴. والذين عبروا عن الموقف بما يلي: " كنا مؤمنين بالفكرة ولكن بشيء من التفكير أدركنا أن الجنرال ديغول قد خاننا... لقد خدعنا بـ"فهمتكم"⁵، في حين أن عناصر اليمين الاستعماري انتظرت منه أن يؤكد سياسة الإدماج، خاصة بعد نجاح استفتاء 1958/09/28 والذي على أساسه صوت بأغلبية ساحقة في الجزائر على الدستور الفرنسي بـ"نعم" التي في نظرهم كانت تعبر عن تعلق الجزائريين بفرنسا كما كان يُفسر⁶.

إنه هذيان وتبجح بعمليات الإخاء منطلقة أن 98% استجابت لدستور الجنرال ديغول، إقناع لأنفسهم بأنهم ليسوا مهددين وأنهم على شاطئ الأمان، لكن الثورة تواصلت دون أن تتأثر بمظاهرات الإخاء الفرنسي الإسلامي، لا بالانتخابات ولا حتى الدعوة لسلم الأبطال، مرت سنة دون الوصول إلى نتيجة، تحركت نعرتهم واعترفوا صراحة بمخاوفهم وبالرعب الذي ينتابهم كلما فكروا في مصيرهم، أخذوا يخطبون، يتصايحون، يكتبون،

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 56.

² - المجاهد، 25-05-1961، العدد، 105، ص: 10.

³ - شارل ديغول، نفسه، ص: 58.

⁴ - Droz Bernard et Lever Evelyne, op. cit., p: 95.

⁵ - قريقر ماتياس، مرجع سابق، ص 237.

⁶ - الشروق اليومي، الثلاثاء 18 أفريل 2006، العدد، 1664، أوراق خاصة بقلم محمد الميلي، ص: 13.

يحتجون، يتظاهرون، ضد شخص ديغول¹. وموازة مع ذلك عبر الكولون عن سخطهم ومن خلال مظاهرات 23 جويلية 1958 على سياسة ديغول التي سمحت للمسلمين بالانتخاب في صندوق واحد معهم²، وعلى ما جرهم إليه بعد الانتخابات لأنه من صوت منهم بنعم كان يعتقد أن الجنرال ديغول سيتبنى سياسة الإدماج ويبقي الجزائر الفرنسية³. إلى جانب امتعاض قادة الجيش منهم الجنرال "شارل موريس" الذي راسل "ميشال دوبري" رئيس حكومة فرنسا وبتاريخ 16 أكتوبر 1959 متسائلاً: "كيف يمكن إقناع الجندي المحارب أن يموت من أجل قضية نهايتها غير واضحة، مضيافاً أن الجنود الذين يحاربون دون قضية هم مرتزقة، ونحن نحرضهم على أنهم يحاربون لبقاء الجزائر فرنسية"⁴ رغم أن تصريحاته المندفعة، قد عبرت عن موقفه الواضح، المدعم لحرب الإبادة التي أوكلت للجنرال "شال": "لن يكون هناك استسلام لن يكون هناك "ديان بيان فو" إن الحرب قد تستمر طويلاً فيجب تكثيفها... الاستقلال؟ أنا أسمى ذلك انفصالا وهو ما يعني الفوضى، والبؤس، إن الجزائر عندما تتفصل عن فرنسا تفقد وسائل وجودها فعليكم أن تواصلوا التهدة حتى النهاية أي حتى يتحقق نصر الأسلحة⁵.

وبذلك خرجت خطابات وأحاديث ديغول عن أهداف ومبتغى الأقلية الأوروبية، خاصة منها ما جاء في المؤتمر الصحفي الذي عقده بقصر الإليزيه وبتاريخ 25 مارس 1959 عبر فيه بما جاء في مذكراته: "سألني أحدهم أتبقي الجزائر فرنسية؟ فأجبته قائلاً: إن فرنسا إذ ستبذل جهدها لتحقيق السلم، تعمل في سبيل تعديل الأوضاع في الجزائر بحيث يتسنى بموجبها إثبات شخصيتها الجديدة⁶، لقد كان غامضاً منذ وصوله إلى الحكم، لكنه

¹ - المجاهد، 14 جوان 1958، العدد، 25، ص: 6.

² - Droz Bernard et Lever Evelyne, op. cit., p: 95.

³ - Philippe Masson, La décision vient de paris. in: Yves Courrière, La guerre d'Algérie, tome 6, p.p: 1793- 1798.

⁴ - عمار بوحوش، مرجع سابق، ص. ص: 432 - 433.

⁵ - الشروق اليومي، الأحد 8 جانفي 2006، العدد 1584، أوراق خاصة بقلم محمد الملي، ص: 10.

⁶ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 81.

أدرك أن الكولون ومن كان وراءهم من السياسيين المدعمين من قبل بعض قادة الجيش يسعون للحفاظ على مصالحهم¹.

لذلك ظهر داخل البرلمان من أبدى معارضته كـ "جورج بيدو" لسياسته فأسسوا "تجمع الجزائر الفرنسية" إلى جانب الماريشال "جوان" الذي أبدى حزنه وعدم رغبته لهذا الاتجاه، واقع عبر عنه الجنرال ديغول قوله: "أخذت تتجمع في أفق الجزائر، السحب المنذرة بهبوب العاصفة"²، ويكون أكثر وضوحا في موقفه من فكرة الجزائر الفرنسية، بحديثه لمدير جريدة "صدى وهران" الأقرب للأقلية الأوروبية "بيار لافون" عن سؤال حول وضع الكولون فأجابه قوله: "إن ما يريده رجال الأحزاب هو المحافظة على الجزائر كما كانت في عهد والدي، ولكن هذه الجزائر قد اضمحلت وستضمحل مثلها إذا لم تتفهم هذه الحقيقة"³.

لقد اقتنع أن الحل السياسي هو الطريق الأسلم، لم يجرأ إلى الحديث عن المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني، وبدأ ينبذ فكرة الجزائر فرنسية، ويشير إلى تقرير المصير، خطوة ستوقعه في صعوبات داخلية كبيرة⁴، وصوله إلى هذه الحقيقة المرة بعدما بعدما أن تأكد له أن حسمها بالسلام أمر جد مستبعد لذلك أبدى نيته في أن يعترف للشعب الجزائري عن حقه في الاستقلال لكن بمنظوره وشروطه التي لم يستوعبها قادة الجيش والأقلية الأوروبية فكان خطاب 16-09-1959 بالنسبة لهم انفجار عنيف⁵، إذ حمل في مضمونه فكرة مشروع من ثلاث نقاط على الجزائريين، اختيار واحد من هذه المشاريع الفرنسية أو المشاركة أو الانفصال، مع تفضيله للحل الثاني، ومن أجل طمأنة الأقلية

¹ - زهير إحدادن، مصدر سابق، ص: 69.

² - شارل ديغول، نفس المصدر، ص: 89.

³ - نفسه، ص: 87.

⁴ - زهير إحدادن، نفس مصدر، ص: 69.

⁵ - Hernandez Philippe: Ceux qui étaient les pieds noirs, la NEF, n°8, décembre 1956, p: 43.

الأوروبية إذا ما اختار الجزائريون الانفصال أنه يلجأ بذلك إلى تجميع الأوروبيين في المدن الكبرى وضواحيها¹.

تصريح يقول عنه محمد الميلي ضمن مذكراته أنه أراد به كسب الرأي العام العالمي من جهة مع تحويله كأداة مدمرة لوحدة الشعب الجزائري من جهة ثانية، تمزق كيانه الوطني الذي شكلته الحركة الوطنية وصهرته حرب التحرير².

ورغم ما كان فيه من ضراوة ومساومة مبنية على قاعدة التحايل على مستقبل الأمة الجزائرية، إلا أن الأقلية الأوروبية وحلفائها من قادة الجيش ما شد انتباههم وأزعجهم تقرير المصير³. ذلك ما عبر عنه بنفسه الجنرال ديغول ومن خلال مذكراته إذ يقول: " كان تأثر الفرنسيين الأصليين مثيراً وباعثاً على الاستغلال، كما أسرع أعضاء الحزب ينوهون في أحاديثهم والنشرات التي يوزعونها للجوء إلى التمرد والعصيان" ويضيف قائلاً: " أنه في أحد الاجتماعات صاح أحد الخطباء، نحن بحاجة إلى "شارل كوردامي"⁴ أشار إليها مترجم مذكراته أنها بطلة فرنسية قتلت "سارا" أحد رجال الثورة الفرنسية عام 1793، وأعدمت بالمقصلة في العام نفسه.

وهو ما نتج عنه معارضة شرسة وعنيفة في كلامها مثلها خطب من أقطاب الكولون "روبير مارتل" والذي عبر عن سخطه واحتقاره لما جاء في نص الخطاب فقال إنه إهانة لموتانا ولكرامة فرنسا، وصرح عموم الأقلية الأوروبية بأعلى أصواتهم إنه التخلي والخيانة⁵.

¹ - شارل ديغول، نفس المصدر، ص. ص: 86-87. أنظر: Patrick Eveno et Jean planchais, op.cit, p 245.

² - الشروق اليومي، الثلاثاء 3 جانفي 2006، عدد، 1576، ورقات خاصة بقلم محمد الميلي، ص: 10.

³ - Claude de Paillat, La grand tournant l'autodétermination, histoire, N° spécial, 424, paris, 1982, p.p: 13- 16.

⁴ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 88.

⁵ - المجاهد، 01- 11- 1959.

الخلافات والتكتلات التي ظهرت في الشارع بين ديغول وأنصاره بالأسس وهم على أبواب ذكرى 13 ماي الأولى هي ورقة أخيرة، تدل على أنها هي ربع الساعة الأخيرة للاستعمار الفرنسي في بلادنا¹. ومن يومها وبالتنسيق مع بعض قادة الجيش سعوا للدفاع عن الجزائر الفرنسية. إذ بتاريخ 03-10-1959 طالبت إحدى عشر جمعية أوروبية من نواب البرلمان لجعل حكومته ترغم ديغول للحد من تطبيق سياسة تقرير المصير وموازة مع ذلك بدأت تظهر تكتلات الكولون كلُّ وانتماءاته وإستراتيجياته منها (الجمعية العامة للطلبة الجزائرية، الجمعية العامة لطلبة الثانويات والكليات، اتحاد التجار الحرفيين، الحركة الشعبية بقيادة "روبير مارتل" إلى جانب تكتل الجالية الإسبانية والتي تزعمها "أورتيز" الذي أسس بتاريخ 01-11-1958 منظمة الجبهة الوطنية الفرنسية تزامنا مع الذكرى الرابعة لاندلاع الثورة².

وبذلك فإن التطور الحتمي لسياسة الغموض والتردد التي سلكتها فرنسا الاستعمارية إزاء القضية الجزائرية خلقت الجو المناسب للتطرف، وعليه أصبح المسئول الأول عن هذه الوضعية هي الإدارة الاستعمارية ومن ورائها المناورات السياسية³.

فاتضح للأقلية الأوروبية أن آمالهم في الجنرال ديغول قد تبخرت، أغضبتهم تدابيرهم مثل الفصل بين السلطات المدنية والعسكرية، إبعاد بعض القادة العسكريين المنشغلين بالسياسة. كما أغضبهم سكوتهم عن النطق بسياسة الإدماج كحيلة لتهدئة الأمور ولوضع اليد على المتمردين، حلم ورثوه عن آبائهم، واصلوا كذبهم عن أنفسهم، كان عسيراً عليهم النظر إلى الجزائر على حقيقتها⁴. دمج حزب الكولون وبعض الجنرالات سماعه بالرغم من أنه لم يعد ممكناً ومن الصعب تطبيقه حتى ولو وافق المسلمون لما في

¹ - المجاهد، 14 جوان 1958، العدد، 25، ص: 6.

² - Philippe Hernandez, op. cit., p: 44.

³ - المجاهد، 25-04-1961، العدد، 94، ص: 4.

⁴ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 415.

ذلك من عبء مالي لا يمكن لفرنسا تحمله، ومتابعة هذه الفكرة ستؤدي إلى حرب طويلة الأمد مع جبهة التحرير الوطني بعد تشكيل حكومتها المؤقتة¹.

هم يعتقدون أن الأمر بسيط إذ يكفي مواصلة القوات المسلحة تقتيلهم وبالجملّة لقطع دابر ما سموه بـ"الفلاقة" ويرون في الإدماج كحل يقضي على فكرة أمل الجزائريين في الاستقلال². ورغبة منهم في تغيير مظاهر السيطرة الفرنسية، دون تعديل أسسها، كانوا في الواقع يرونها وسيلة دون تطور الأمور شطر المساواة في الحقوق واستقلال الجزائر إداريا وتجنب الذوبان وسط عشرة ملايين مسلم، وإنما العمل على النقيض من ذلك، إغراق هؤلاء في خدمة مليون فرنسي³. تدابيرهم فهموا منها أنه يريد القضاء عليهم لذلك فكروا في انقلاب جديد وفي مجابهة كل حكومة تفتح باب المفاوضات⁴. انعكس الوضع على الناحية الاقتصادية التي تحكموا فيها، إذ استغنت بعض المؤسسات الصغيرة عن توظيفها وأصبح النقشف سمتهم لأن المستقبل مخيف، محادثاتهم تدل على مبلغ الانهيار المعنوي، حيرتهم بلغت ذروتها، شعورهم بالمأزق الحقيقي، إذ أصبحوا مهتدين في وجودهم كمجموعة متميزة⁵.

على الرغم من أن الجنرال ديغول أخذ مخاوفهم مأخذ الجد فجسد في السنة الأولى من حكمه سياسة قمع بلغت ذروتها ضد مجموع الشعب الجزائري في اتجاه تصفية جيش التحرير الوطني وإلى تحقيق سياسة الدمج التي عملت لها الحكومة الفرنسية عبر ثلاث مشاريع، الأول بدمج ميزانية الجزائر في ميزانية فرنسا والثاني على توحيد الشارات التقليدية والثالث على إلغاء الرقابة الجمركية على السلع والأشخاص⁶. مشاريع تؤكد استمرارية النظرة الاستعمارية عند الجنرال وتفصح عن قناعاته التي تطمح إلى ربط

1 - برنارد ليدويج، مرجع سابق، ص: 245.

2 - المجاهد، 14 جوان 1958، العدد، 25، ص: 6.

3 - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 51.

4 - المجاهد، 16-04-1959، العدد، 40، ص: 9.

5 - المجاهد، 19-10-1959، العدد، 53، ص: 11.

6 - محمد لحسن أزغدي، مرجع سابق، ص. ص: 126 - 127.

الجزائر بالمصير الفرنسي¹ وهو الذي يستبعد سياسة الدمج التي يقول فيها: كان ذلك ممكنا قبل مائة عام لو تمكنوا آنذاك من نقل عدة ملايين من الفرنسيين للجزائر وبالمثل من الجزائريين نحو فرنسا².

لكنه زاد وضوحا لموقفه ووجهة نظره بشكل دقيق عند إجابته عن سؤال وجه له من قبل "بيار لافون" عن سياسة الدمج: " لا تقل لي يا "لافون" أن أمثالك قد تصوروا في يوم من الأيام أنني كنت مقتنعا بالإدماج، أنا لم أنطق بهذه العبارة إطلاقا لماذا، لأنني لم أؤمن بها أبداً، لأن فرنسيي الجزائر يقبلون بأن يعيشوا مع العرب بشرط أن يكون هؤلاء خاضعين لهم، لكن المسلمين لم يعودوا يقبلون بهذا الوضع... إن الإنسان عندما يكون رئيس دولة وأنا كذلك، لا يستطيع أن يبني سياسته على الخيال والمشاريع الطوباوية، ولكن على الوقائع والوقائع القائمة عام 1960، والمستمرة منذ مائة وثلاثين سنة لا يمكن أن تستمر"³.

لهذا فإن الكولون شعروا بالخطر على حياتهم، في نظرهم هناك تخاذل من السلطات العامة، وهو ما زاد في سخطهم، إلا أن الحقيقة تؤكد أن الثورة الجزائرية هي التي فرضت منطقتها ولم تستطع السلطات الاستعمارية إيقاف ذلك ورغم استعمالها لكل الوسائل، وعليه بدأ مناصرو الأقلية الأوروبية من فرنسا يمهدون التدخل للحد من سياسة ديغول، حتى أن وصل الأمر وبتاريخ 11 أكتوبر 1959 استقالة 11 نائبا من حزبهم استنكاراً للمسلك الذي يأخذه الجنرال ديغول وهو ما يؤشر على بداية سيناريو التمرد، تمهيداً للعمل الفعلي⁴.

¹ - الشروق اليومي، 18 أبريل 2006، العدد، 1664، أوراق خاصة بقلم محمد الميلي، ص: 13.

² - شارل ديغول، مصدر سابق، ص. ص: 53-54.

³ - الشروق اليومي، الثلاثاء 3 جانفي 2006، العدد، 1664، أوراق خاصة بقلم محمد الميلي، ص: 13.

⁴ - Hernandez Philippe, op. cit., p: 44.

مشروع وجد الدعم والمساندة حتى من القيادة العسكرية التي رأت في هذا المنحى ستتغير الأوضاع حتى أن تصل إلى ارتباط الجزائر بفرنسا¹.

وفعلا بدؤوا في التكتل مع جمعية الطلبة برئاسة "لاغايرد" ورئيس الجبهة الوطنية الفرنسية "أورتيز"، تدارسوا الأوضاع والوسائل الضرورية لمواجهة زحف الثورة واتفقوا على تأليف لجنة تحرير المطالب التي سيحرضونها على السلطات الاستعمارية والجنرال "جاك ماسو" طالبوا بتعزيز أجهزة الدفاع وإمداد المستوطنين وتزويدهم بالأسلحة الجديدة زيادة عن تلك التي كانت بحوزتهم ليتمكنوا من تسليط المزيد من الانتقام والاضطهاد ضد الجزائريين². حتى أنهم دفعوا الحكومة الفرنسية، بتتبع تلك الصحف المعتدلة مثل "لوموند، ليكسبريس، لويسرفاتور..." والتي اعتبروها عدو لذود لهم وعائق كبير في طريق الانتصار على الثورة التحريرية، وطالبوا بمنعها من الرواج والطبع بل حتى محاكمة أصحابها الذين اعتبروهم من الخونة³.

في ظل هذا الوضع تدخل الجنرال "ماسو" ودعا للتهدة وتخفيفا للضغط الذي هم عليه ووعدهم ببقاء الجزائر الفرنسية، وما سياسة تقرير المصير إلا ضمان لموقف فرنسا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، إلا أنهم بقوا عازمين على تجديد حركة 13 ماي⁴.

لكنه وبعدما أن منحه البرلمان ثقته حول تقرير المصير بتاريخ العاشر نوفمبر 1959، ومن خلال مؤتمر صحفي حدد الجنرال عرضه لتقرير المصير فتوجه مخاطبا الجزائريين: "أقول لكل الجزائريين بكل الجماعات، بكل الميول بكل الأفكار أنتم ملزمون وستستطيعون الاشتراك في التغيير الذي سيجعل من الجزائر بلد الإنسان الحر، المحترم، الأشرف والمزدهر... على كل حال إنها فرصتكم المشتركة" وبعدها توجه للأقلية الأوروبية: "أنتم، فرنسيو الجزائر لطالما فعلتم وفعلتم هنا، منذ أجيال لو أن صفحة قلبت

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 53.

² - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، مرجع سابق، ص. ص: 440-441.

³ - المجاهد، 14 جوان 1958، العدد، 25، ص: 6.

⁴ - Droz Bernard et Lever Evelyne, op. cit., p. p: 230- 231.

عن طريق رياح التاريخ، لكان من حقكم كتابة ورقة أخرى، أوقفوا لوعة شوقكم الذي لا طائلة منها، والحرارة الفارغة والغلق الباطل، تقبلوا المستقبل كما هو وخذوه حلقة حلقة..."¹.

علق فرحات عباس على ذلك أنه "لن يجرؤ أحد على أن يدعي بأن الجنرال ديغول لم يراعي مصلحتهم فهو الوحيد الذي دلهم على السبيل الأمثل للخروج من المأزق والذي أراد لهم البقاء المناسب في الجزائر"².

إن الجنرال ديغول كان يرى من وراء مشروع تقرير المصير أن يقبل فرنسيو الجزائر بنظام تسيير ذاتي يتولون فيه تسيير شؤونهم الإدارية مع بقاء صلاحيات السيادة (الخارجية، الدفاع، التعليم، الاقتصاد) بيد باريس هو الحل الذي كان يراه من وراء شعار الجزائر فرنسية³. رغم تيقنه بأنهم يسعون إلا لتحقيق مصالحهم الشخصية ولا يعيرون اهتمام لمصلحة فرنسا العليا إلا أنه وقف معهم لإزالة الحكم الفاسد في فرنسا وإرجاع نفوذ فرنسا، رؤيته كانت مساندة الجيش والاستماع لجميع الأطراف⁴.

كان تصوره بإعلانه لمشروعه السياسي في صورة الجزائر جزائرية سيمكنه من شعبية داخل الجزائر يستطيع أن يفرض مشروعه على أوروبيي الجزائر وفي نفس الوقت يستعمل الكولون للحد ما أمكن من الطموح إلى الاستقلال ولدفع الجزائريين نحو القبول بالمضمون المحدود للاستقلال الذاتي⁵. ومما زاد من استياء قادة الجيش ومنهم الجنرال "ماسو" استدعاء أحد ضباطه والذي استجوبه أحد القضاة حول قضية اغتيال "موريس أودان" والذي توفي تحت التعذيب ذلك ما أثار سخطه وأفقده ثقته واتزان⁶.

1 - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 273.

2 - نفسه، ص: 365.

3 - الشروق اليومي، السبت 31 ديسمبر 2005، العدد، 1574، أوراق خاصة بقلم محمد الملي، ص: 16.

4 - زهير إحدادن، مصدر سابق، ص: 43.

5 - الشروق اليومي، الأربعاء 4 جانفي 2006، العدد، 1577، ص: 16.

6 - عمار بوحوش، مرجع سابق، ص: 440.

لكن ما أوصل الأمور إلى الانفجار الحتمي هو ذلك الحديث الذي أدلى به الجنرال "ماسو" ذا الشعبية الكبرى لدى الأقلية الأوروبية لأحد الصحفيين الألمان قوله: "أود أن تساعدنا الحكومة على رؤية المستقبل بأكثر وضوح حتى نتمكن من النجاح في المحافظة على الجزائر الفرنسية" مضيفاً: "لم نعد نفهم سياسته لم يكن الجيش يتوقع أبداً موقفاً كهذا"¹. ذهب أبعد من ذلك عندما صرح قائلاً إن قاداته لا يطيعونه طاعة عمياء مضيفاً لذلك قوله: "بأن استدعاء ديغول للسلطة كان خطأ"² بما في ذلك تهديده للنظام بانقلاب ثاني من قبل الجيش³.

رأى الجنرال ديغول في هذا التصريح بمثابة التحدي وتطول على نفوذه وهيبته الدستورية⁴، وعليه أقدم على استدعائه رغم شعبيته لدى الأقلية الأوروبية قوله: "رأيت من الضروري معاقبته على تهوره، أستدعي إلى باريس، ولن يعود إلى مدينة الجزائر"⁵. الجزائر⁵.

وهو ما روجت له صحيفتهم الأكثر انتشاراً "صدى الجزائر" بتاريخ 23 جانفي 1960 وبعنوان عريض "الجنرال ماسو يقال من منصبه"⁶ ومن خلال مذكرات هذا الأخير يذكر أنه جرى حديث ونقاش حاد بينه والجنرال ديغول قال له فيه: "إن تقرير المصير لا يناسب الجزائر" فرد عليه شارل ديغول: "أنا لا أعرف الحل السياسي بعد، ولكن إذا كانوا لا يريدوننا... أنا الذي أستطيع إنقاذ الجزائر..."⁷.

¹ - أوليفي دارد، في قلب منظمة الجيش السري، ترجمة: عبد السلام يخلف، قاطمة بن شعلان، موسى أشرشور، طبعة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2013، ص: 54.

² - برنارد ليديودج، مرجع سابق، ص: 248.

³ - Raphaëlle Branche, Torture la république en accusation, Histoire, N° 15, 2002, p: 60.

⁴ - L'écho d'Alger, 19 janvier 1960.

⁵ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 29. أنظر: سعد دحلب، مهمة منجزة، منشورات دحلب، 1986، ص: 115.

⁶ - L'écho d'Alger, 23-01-1960.

⁷ - Jacques Massu, Le torrent et le dingue, paris, Plan, 1972, p.p: 310- 311.

قرار عزله ترك الجنرال ديغول يعقد اجتماعا في 22 جانفي 1960 متعلق بالجزائر، ساعتها أبلغ الجنرال شال بذلك فيقول: " رغم سخطه الشديد حذر من احتمال انفجار الموقف"¹ وهو ما لم يتبالغ فيه الصحافة العالمية عندما اعتبرت قضية "ماسو" رمزا يتبلور فيه نزاع القوة بين ديغول والجيش الفرنسي"² لأنه في نظرهم يعتبر بطل معركة الجزائر، مفكك تنظيم جبهة التحرير الوطني، مرغما لجنة التنسيق والتنفيذ على مغادرة مدينة الجزائر، ولهذا أصبح يتمتع بشعبية في أوساطهم لتقاسمه معهم نفس الأفكار أساسها الحفاظ على الجزائر الفرنسية³.

وبالنسبة للكثير منهم خاصة القادة النشطاء وعلى رأسهم "أورتيز" تعتبر الحالة النفسية للجنرال "ماسو" ومقربيه بوابة لكل الآمال، حيث بدأت الجبهة الوطنية الفرنسية في حشد همم أوروبيي الجزائر والذين هم أصلاً في حالة غليان"⁴.

وبذلك اجتمعت عوامل والتي دفعت لذلك التكوين الشبه عسكري للجبهة الوطنية الفرنسية وميليشياتها التي كانت أكثر استعدادا للحركة الفورية والسرعة مما كانت عليه الكتائب القروية للسيد "مارتال" أو طلبة "لاغايارد وسوزيني"⁵ فوجهوا دعوى لسكان القرى والضواحي جاء فيها: " كلكم معا خلف المدافعين عن الإقليم وقادة المعركة من أجل أن تحيا الجزائر مقاطعة فرنسية"⁶.

سياسة باريس نبذها أوروبيو الجزائر إلى درجة أنها بعثت في نفوسهم فكرة التمرد، التي كانت حتى لبعض قادة الجيش الذين صدموا بأن وظيفة الوصاية التي كانوا

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 90.

² - المجاهد، 25-01-1960، العدد، 60، ص: 5.

³ - Léo Palacio, le Général Massu vide son sac, Yves Courrière, La guerre d'Algérie, tome 7, p. 2187.

⁴ - أوليفي دارد، مرجع سابق، ص: 60.

⁵ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص: 143.

⁶ - أوليفي دارد، مرجع سابق، ص: 60.

يفرضونها على الأمة أو على الأقل يحلمون بها قد سلبت منهم لتذهب إلى تدعيم
صلاحيات الحاكم السابق لفرنسا الحرة¹.

إذا كانت الأقلية الأوروبية تنتظر وعلى أحر من الجمر أن تأتي عليهم ذكرى 13
ماي لتتحقق أحلامهم ويصبحوا سادة الجزائر الأقوياء، مثلما كانوا قبل 1 نوفمبر 1954،
لكن الذكرى اقتربت وأحلامهم بقيت أحلام لذلك جن جنونهم وعاودهم الحنين إلى تجديد
عملية قلب النظام السياسي الذي وضعوه لعلهم يقضون على الثورة².

سبقت حركة التمرد اجتماعات منها تجمع 12-11-1959 لمنظمات داخل حركة
متطرفة أطلقوا عليها اسم "تجمع الحركات الوطنية بالجزائر والصحراء" اجتماع 28-
12-1959 بعاصمة الجزائر عدد من الكولون تحت شعارها أسموه "لجنة الدفاع عن
التجار والصناع" صادقوا على لائحة احتجاج وجهوها للسلطة العامة اتهموها بالإهمال
وعدم اتخاذ التدابير اللازمة للقضاء على الثورة، تلاه اجتماع 4 جانفي 1960 حضره
أربعون مستوطنا من سهل متيجة صادقوا على لائحة أخرى، استنكروا فيها تراخي
السلطات العامة في مقاومة الثورة وعدم اهتمام البرلمانين بذلك، 7 جانفي 1960 اجتماع
أربعمائة مستوطن بالحراش وفقا لتوصية الاجتماع السابق وصادقوا على ما جاء في
لائحة 4 جانفي 1960³.

تسارعت الأحداث والتي استغلها الكولون بإبعاد الجنرال "ماسو" ودعوا إلى
إضراب عام بتاريخ 24 جانفي 1960⁴، إذ اتخذه أوروبيو الجزائر ذريعة للانقلاب⁵،
عزله كان بمثابة الشرارة الأولى للعصيان العلني الذي سيقوم به الكولون لأنه بالنسبة

¹ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع نفسه، ص: 20.

² - المجاهد، 14 جوان 1958، العدد، 25، ص: 6.

³ - المجاهد، 11-01-1960.

⁴ - برنارد ليدويدج، مرجع سابق، ص: 249.

⁵ - Patrick Eveno, et Jean Planchais, op. cit., p: 145.

إليهم "معركة الجزائر ضد الإرهاب" إبعاده إعلان حرب على أوروبيي الجزائر¹، وهو الذي علقت عليه الأقلية الأوروبية آمالا كبيرة في أن يبقى لهم الجزائر فرنسية².

لكن الجنرال ديغول يقول أنها حجة واهية ركبوها: "المباشرة خطتهم التي سبقت تهيئتها إذ بتاريخ 23 جانفي أقدم "بيار لاغيارد" على احتلال المعاهد بين هتاف الطلاب... وبمساعدة عدد كبير من المتظاهرين، ينتمي معظمهم إلى وحدات الدفاع الإقليمية... جعلوا من الجامعة قلعة لهم"³.

كما انتشروا ضمن جماعات مسلحة في شوارع العاصمة مقيمين متاريس في نقاط حساسة، إلى جانب اتصال زعماء هذه الجماعات (أورتيز، سوزيني، لاغيارد...) بحلفائهم العسكريين وعلى رأسهم (أرغود، ماسو، كارد) طالبوا منهم جر الجيش لدعم حركة التمرد⁴ والعدول عن مساندتهم لسياسة ديغول وعن رفضهم لمبدأ حق تقرير المصير فأسسوا التجمع من أجل الجزائر الفرنسية⁵.

خاصة وأن هناك توافق تام بين قادة جنود المظلات والأقلية الأوروبية انطلاقا من مشاركتهم في حركة 13 ماي، وعليه نشأت علاقة وثيقة بينهم جعلت عدد كبير من الشباب الأوروبيين ينخرطون في فصيلات المظليين⁶، جعل الجو أكثر تكهربا وعلى الرغم من أن قادة الجيش رفضوا إطلاق النار مبررين ذلك أنه أن يُقتل فرنسيون خرجوا في مظاهرات منظمة ليهتفوا بالإبقاء على فكرة الجزائر الفرنسية ويعبروا عن معارضتهم لفكرة تقرير المصير⁷.

¹ – Philippe Hernandez, op. cit., p: 44.

² – Guy Pervillé, Terrorisme l'armée du FLN, Histoire, N°15, 2002, p: 500.

³ – شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 80.

⁴ – برنارد ليدويدج، مرجع سابق، ص: 249.

⁵ – Mohamed Taguia, L'Algérie en guerre, édition O.P.U, Alger, p: 208.

⁶ – عبد الله شريط، الثورة المرجع السابق، الجزء الأول، ص: 89.

⁷ – Yves Courrière, L'heure des colonels, op.cit, p: 467.

ذلك ما جعل "جون جاك سوزيني" يحدد أهداف الحركة معبراً عنها بما يلي: " لقد دقت الساعة لقلب النظام، سوف نبدأ الثورة في الجزائر لتنتهي في باريس" ¹ وضمن هذا المسار واصل الأوروبيون توزيعهم المناشير وإصاقها على الجدران كتب عليها: "الجنرال ديغول يساوي جبهة التحرير" كما أنه عير على تقرير كتبه الاستعماريون من الكولون يوجهون فيه الاتهام للجنرال ديغول وإلى أعضاء حكومته بأنهم يستعدون جميعاً لبيع الجزائر إلى جبهة التحرير الوطني"².

وبتعليمات من "أورتيز" قام الكولون بإقامة المتاريس والحواجز معلنين بداية التمرد، حيث أغلقت الدكاكين والحانات والمطاعم 24-01-1960 لتبدأ المظاهرات الصاخبة والقوية ضد الجنرال ديغول لإجباره على التراجع فتجمع حوالي عشرة آلاف شخص حول مقام الجندي المجهول ومن أعلى مبنى قصر الحكومة خطب "أورتيز" وسوزيني " أمام الجموع حاثا الكولون على الاتحاد من أجل الحفاظ على الجزائر فرنسية³. فرنسية³.

تبعتها أحياء العاصمة وخاصة باب الوادي وبلكور بغلق المتاجر والمحلات مع توقيف العمل في الكثير من الورشات، صبيحة الأحداث كثرت البيانات من مختلف المجموعات، لجنة قدماء المحاربين، اتحادات الوحدات الإقليمية، مجموعات الدفاع، كلها تدعو لاجتماع في باب الوادي أمام مقر البلدية معبرين على: " أنه يوم الجزائر فرنسية سندافع معا وضد ديغول"، حاولوا الاستيلاء على مقر الإذاعة والتلفزيون، لتتصاعد المظاهرات بحضور العميل: "الباشاغا بوعلام" نائب رئيس التجمع للجزائر فرنسية الذي ألهب حماس المتجمهرين مصرحاً: أمام قوة التخلي ظهرنا للحفاظ على الجزائر فرنسية، الجيش أعينه محدقة بنا، ليتحمل مسؤوليته لتتحمل مسؤولياتنا، اليوم المنازلة الكبرى" ⁴.

¹ - برنارد ليدويديج، نفسه، ص: 249.

² - المجاهد، 01-06-1959، العدد، 43، ص: 4.

³ - L'écho d'Alger, 24-25/01/1960.

⁴ - L'écho d'Oran, dimanche- lundi 24-25-01/1960, N° 1692, p: 3.

حتى أن هؤلاء الانفصاليين أشركوا فصائل جزائرية من العملاء والحركة معهم في هذه المواجهة ليثبتوا حركة التآخي الموجودة بينهم¹.

لقد استجاب معظم الكولون للتمرد وحاصروا معظم شوارع العاصمة متظاهرين بهتافات "يحيا ماسو" "تحيا الجزائر فرنسية"²، لأن فرنسيي الجزائر قد نال منهم الخوف والقلق والغيرة على مصالحهم وامتيازاتهم، أخذوا يفقدون صوابهم أكثر فأكثر فهم لا يعرفون بمن يلوذون، وكانوا يتبعون أول متهور مغامر يأتي، المهم أن يصيح بأعلى ما في صوته "الجزائر فرنسية"³. وما جعلهم أكثر تشبثا بتصريح الجنرال "شارل موريس" قوله: " بعد هذه الأيام الحزينة من الأجدر أن نضع النقاط على الحروف ولتفادي الرجوع للوراء فإن الجيش أثبت صبرا قويا واتحادا لقواته، هو جيش الدولة وفرنسا، جيش يبقى دائما مدافعا عن بقاء الجزائر من التراب الفرنسي، والجزائر الجديدة تبنى باتحاد الكل... وأكرر مرة أخرى أن الجيش الفرنسي يحارب لبقاء الجزائر فرنسية وإلى الأبد"⁴.

وهو ما جعلهم يستعرضون عضلاتهم بمدينة الجزائر، شلت فيه حركة النشاط بالميناء، حتى أصبح وسط العاصمة من دون روح، كان المشهد رجال نسوة أطفال من الأوروبيين محملين بالمواد الغذائية والأفرشة وغيرها لتزويد رجال الحواجز ومناصرتهم، والأمر عم مدن الجزائر في حركة إضراب شامل نادت به قيادات المنظمة المسلحة السرية⁵.

وحتى يبرهن الكولون على أنهم ليسوا وحدهم يناهضون سياسة تقرير المصير، وإنما يؤيدهم في هذا التمرد الشعب الجزائري نفسه الذي يريد أن يبقى حسب زعمهم

¹ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 366.

² - Pierre Mannoni, Les français d'Algérie, vie, mœurs, mentalité, paris, édition L'harmattan, 1993, p: 261.

³ - سعد دحلب، مصدر سابق، ص: 104.

⁴ - L'écho d'Oran, Jeudi 28-01-1960, N°31675, p: 5.

⁵ - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 49.

فرنسيا، لذلك ساهمت قوات الأمن والجيش في إرغام الناس بالقوة في إخراجهم من منازلهم ودكاكينهم يسوقونهم تحت التهديد إلى الحي الأوروبي للمساهمة في التظاهر¹.

لم يقتصر التمرد على الجزائر فقط بل تعداه نحو مدينة وهران التي يقطن بها الكولون بكثرة، هم الآخريين ساهموا في هذه الأحداث، بعد صباح هادئ من يوم الأحد 24-01-1960 مساءه شهدت المدينة بداية غليان بالتظاهر، السيارات استعملت منبهات بشكل متقطع "الجزائر-فرنسية" وبعد فترة تكونت مجموعات ورددت شعارات متنوعة دعت إلى سقوط الحكومة القائمة، مطالبين برجوع الجنرال "ماسو" كما تلقى الجنرال "غامبيي" ممثلين عن المستوطنين من رؤساء اللجان والجمعيات التي عبرت له عن رفضها لهذا التوجه، ساعتها قام المتظاهرون بتحطيم باب المدخل للجناح الإداري، تدخلت الشرطة وقامت بعزل المنطقة من كل حركة، وبداية من الثامنة ليلا غلق للمحلات والمقاهي، كما ظهرت كتابات حائطية تدعو "غدا إضراب عام واجتماع على الساعة الثامنة بساحة الانتصار"².

ورغم أنه كان بوسع الجيش القضاء على التمرد في يوم واحد، لكن تضامن جنود المظلات وتعاطفهم معهم بل حتى أنه تجاوز لتقديم يد المساعدة حيث شوهدت سيارتين للإسعاف تابعتان لوحدة الدفاع الإقليمي تحملان عدة مرات كميات الأسلحة والذخيرة الحربية من مركز الفيلق العاشر لجنود المظلات وتزويدها للمتمردين، كما شوهدت ليلة 25 جانفي سيارة جنازة قامت بعدة رحلات بين مراكز المتمردين وسهول النتيجة، مهمتها كانت في جمع الأسلحة الموجودة عند المعمرين لنقلها إلى مراكز التمرد³. وهو ما توقف عليه الصحفي باتريك إفينو ضمن كتابه "حرب الجزائر": "كانوا مسلحين ومؤطرين، فمنذ أشهر كانت تسجل تطورات ونمو لهذه الكتيبة المنفردة المسماة بالجبهة الوطنية

¹ - المجاهد، 8-2-1960، العدد، 61، ص: 6.

² - L'écho d'Oran, Dimanche- lundi 24-25/01/1960, N°31692, p: 3.

³ - المجاهد، 26-02-1960، العدد، 62، ص: 10.

الفرنسية والتي كان يعرف أن لها علاقة وطيدة مع حركة الأمة الفتية كان الجميع على علم أنهم يتسلحون بصفة مكثفة وأن تأطيرهم كان يتدعم باستمرار¹.

إن الأقلية الأوروبية لم تستسلم ولمدة أسبوع كامل بقوا بقيادة أورتيغ وسوزيني ولاغايارد محاصرين قصر الحكومة، ومعظم الشوارع وحتى الجامعة²، لأنهم كانوا مؤازرين من الجيش، ثقتهم في رعايته كانت مطلقة، لهذا سمحوا لأنفسهم بالتصرف وبحرية، وبزحفهم أجبروا السلطة على التحالف والتخاذل والتنازل، وبالتالي فرض وجهة نظرهم على فرنسا³.

تزامنا مع حرب الجزائر العاصمة، وقفت الأقلية الأوروبية في كل من تلمسان، سيدي بلعباس، تيارت تضامنا ومساندة للعناصر المتطرفة ودعواتهم⁴، وبمدينة مستغانم حاولت قوات الحرس الإقليمي من الفرنسيين أن تحمل التجار الجزائريين على غلق دكاكينهم والتخلي عن عملهم وقوات الأمن تتفرج دون أن تدافع عن حرية الإضراب، تسامح مع المتمردين الفرنسيين الذين يحملون السلاح في وجهها ولا تهتم بالدفاع عن الجزائريين⁵.

لنتخذ هذه الحركة أبعداً كبيرة بتحولها من إضراب إلى عصيان، اعتصام لرجال مدججين بالأسلحة حتى داخل الجامعة⁶، إلى جانب قيامهم ليلاً بمهاجمة الأحياء العربية للانتقام اختطاف الأشخاص من منازلهم بل حتى أنهم أصبحوا يهاجمون في وضوح النهار وأمام مرأى قوات الأمن، ذلك ما عاشه سوق المدينة الجديدة بوهران، حيث أحرقت المحلات التجارية⁷. واصل الكولون إضرابهم بتجمعهم في "ساحة النصر" منادين بـ

¹ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص: 144.

² - Pierre Mannoni, op.cit., p: 262.

³ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 244.

⁴ - L'écho d'Oran, Mardi 26-01-1960, N°31693, p: 2.

⁵ - المجاهد، 08-02-1960، العدد، 61، ص: 6.

⁶ - سعد دحلب، مصدر سابق، ص: 116.

⁷ - عمار قليل، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص: 208.

"ماسو" كما أصبحت المصانع معطلة، وفي المساء كثر تواجدهم فكثفوا من شعاراتهم "تحيا ماسو، تحيا الجيش، تحيا الجزائر الفرنسية"¹.

وما زاد في دفعهم نحو الغلو جريدة صدى وهران التي عنونت وبالبند العريض "في إطار سلمي وهادف وشريف مدن وقرى وهران يواصلون تحركهم وبشجاعة لبقاء الجزائر فرنسية"²، وفي 24-25 ماي وجه ديغول بواسطة الإذاعة نداء موجز طلب فيه المتمردين إلقاء السلاح وأمر الجيش بتنفيذ الأوامر³، حيث يقول أعلنت: "أنني سأقوم بواجبي" وقد تميزت الأيام التالية بارتياح مرهق⁴.

بعد أن اتخذت تدابير لإخلاء الهضبة حيث احتشد جمع غفير غالبية من الأوروبيين تم فيها تبديد شمل المتظاهرين، لكن قوات الحرس فوجئت عند وصولها بإطلاق نيران عليها من قبل الفئات المسلحة فتعرضت لخسائر فادحة من القتلى والجرحى⁵، غير أنه يبدو أن قادة المستوطنين الأوروبيين كانوا مخطئين في توقعاتهم لنتائج المظاهرات التي يقومون بها من أجل إرغام الجنرال ديغول وحكومته على التراجع بشأن سياسة تقرير المصير والإطاحة به وبحكومته وتعيين الجنرال "شال موريس" على رأس الجمهورية إذا ما اقتضى الأمر ذلك⁶.

وفي ظل هذا الجو المشحون صدر بيان من قيادة الجيش جاء فيه: "الجيش يتحدث إليكم تعلمون أن هناك عناصر متطرفة تحاول أن تخلق وتزرع أفكار مغلوبة بمدينتنا، لا تتركوا مثل هذه العناصر تتدس في وسطكم وتتصرف بنفس طريقة "الفلاقة" محدثة فوضى، لا تتركوا العمل الذي يقوم به الجيش الفرنسي في إطار التهدة لا يصل إلى مبتغاه، هذا الجيش الذي يدافع لمصلحتكم ومن أجل بقاء الجزائر فرنسية، كونوا متيقنين

¹ - L'écho d'Oran, mercredi 27-01-1960, N°31694, p: 1.

² - L'écho d 'Oran, Jeudi 28-01-1960, N°31695, p: 1.

³ - برنارد ليدويديج، مرجع سابق، ص: 249.

⁴ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 93.

⁵ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص. ص: 90-91.

⁶ - Yves courrière, l'heur des colonels, op. cit., p.p: 485- 486.

أن النظام سيسترجع أبقوا على تهدئة أعصابكم وثقوا في جيشكم"¹. وهو ما ترك الانطباع عند الجنرال شارل ديغول: " أن ولاء قسم على الأقل من قوى النظام، لم يبقى مضمونا مما زاد في انتشار الاضطراب والقلق في فرنسا وحتى ضمن الحكومة نفسها"². ولأنه كان واعيا بدور الجيش الذي أخذ برأيه في جميع المناقشات المتعلقة بالجزائر، إذ أن الحكومة كانت حقا في باريس لكن السلطة فيما يتعلق بالجزائر كانت ممارسة من طرف طغمة من العقلاء على رأسهم بعض الجنرالات الذين سئموا أن يروا تضحياتهم لا تقدر ولا تراعى وأنهم يسعون على ألا تلحقهم هزيمة أخرى كهزيمة "ديان بيان فو"³.

لكن الأحداث لم تؤثر على ضباط الفرق الإدارية المتخصصة إلا بشكل نسبي باستثناء بعض ممن كانوا ينتمون للأقلية الأوروبية الذين كانت تعيينهم، وكثيراً ما عبروا عن تضامنهم مع أصحاب المتاريس⁴. قرر عندها الجنرال شال ورغم أنه من أنصارهم بإخلاء المدينة من عناصر الجبهة الوطنية الفرنسية لكنه وبأقل استخدام للقوة والدليل وصول المظليين المتأخر المتعمد⁵.

وما يؤكد التواطؤ المفضوح لقادة الجيش تصريح الجنرال "شال": " إنكم تحاربون من أجل بقاء الجزائر فرنسية، أصرح بذلك لأنني أعرف إمكانياتنا ونستطيع الفوز على "الفلافة"⁶.

مواقف وتصريحات كلها ومع الوقت ثبت أنها للاستهلاك وغير مجدية وتدخل ضمن سياسة التضليل التي لم يسلم منها حتى السياسيين، فهذا ممثل وهران في البرلمان

¹ – L'écho d'Oran, Mercredi 27-01-1960, N°31694, p: 1.

² – شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 91.

³ – علي كافي، مصدر سابق، ص: 244.

⁴ – فريشور ماتياس، مرجع سابق، ص: 216.

⁵ – برنارد ليدويدج، مرجع سابق، ص: 249.

⁶ – L'écho d'Oran, vendredi 29-01-1960, N°31696, p: 1.

يشارك المتظاهرين ويصرح: "إن الحل الوحيد هو الدمج"¹، بالمقابل دفع برئيس حكومته "ميشال دوبري" القيام بزيارة للجزائر للاطلاع على الأوضاع والاتصال بالمسؤولين والعمل على إقناعهم أن السياسة الجديدة التي أعلن عنها الجنرال ديغول لا رجعة فيها ولن تتغير، بل عليهم بذل كل المجهودات الممكنة من أجل التعجيل بإعادة الهدوء².

وهو الشخصية التي لا تتماشى وهذا الخط السياسي، نستشفها من خلال رسائله التي نشرت شهر نوفمبر 1957 حيث كتب قائلاً: "آخر ما تمتلك من أوراق هي الجزائر والصحراء اللتين من دونهما لن يكون لفرنسا فرصة في هذا العالم، وأي غياب للسياسة هنا سيؤدي بنا إلى خسارتهما في الأشهر القادمة"³، وما يزيد موقفه وضوحاً قوله: "فليعلم كل الجزائريين بأن رفع السيادة الفرنسية عن الجزائر هو عمل غير شرعي أي أنه يعرض أصحابه وكل المتواطئين معهم إلى جعلهم خارجين عن القانون، أما كل من يتعرض لهم مهما كانت الوسيلة المستعملة في ذلك فيعتبر في حالة دفاع شرعي"⁴.

لكنه وتحت أمر الجنرال شارل ديغول حل بها وبتاريخ 25 جانفي 1960 قصد إقناع قادة المستوطنين العدول عن فكرة التمرد، لأنه سيؤدي إلى حدوث انشقاق وسط الجيش، وهو ما يوقع البلاد في حرب أهلية⁵. الزيارة جعلته يقابل فيها قيادات من الجيش وعلى رأسهم الجنرال شال موريس بما في ذلك الحاكم العام "بول ديلوفريي" تمكن من خلالها الاطلاع على خطورة الوضع⁶، غادرها وهو مذهول أمام شدة ونقمة والعداوة التي التي يكنها الكولون للحكومة الفرنسية والجنرال ديغول، ومع فشله لمهمته هذه قدم استقالته التي رفضت في الحال⁷.

¹ - L'écho d 'Oran, Jeudi 28-01-1960, N°31695, p: 1.

² - Yves courrière, L'heur des colonels , op. cit., p: 481.

³ - أوليفي دارد، مرجع سابق، ص: 41.

⁴ - نفسه، ص: 41.

⁵ - Bernard Droz et Evelyne Lever, op. cit., p: 241.

⁶ - Yves courrière, L'heur des colonels, op. cit., p: 485.

⁷ - Bernard Droz et Evelyne Lever, op. cit., p: 241.

ذلك ما ترك التصادم المسلح يسقط فيه العديد من الضحايا، اتهمت فيه عناصر الجبهة الوطنية الفرنسية، إذ دلت التحقيقات أنها كانت منطلقة من فوق شرفات الكليات حيث كان يتمركز "اورتيز" ورجاله، وفي الجهة المقابلة للساحة من مقر الخطوط الجوية¹.

إنها أول مرة يصطدم فيها الفرنسيون مع بعضهم البعض بالسلاح، ذلك كله نتيجة الضغط الذي مارسه الثورة على الطرفين، إذ عبر الجنرال شارل ديغول عن ذلك قوله: " كنت على يقين بأن القائمين بالفتنة كانوا يتوخون إرغامي عاجلا على التراجع عن موضوع تقرير المصير²."

لكن الجنرال ديغول تبني مسلكا فيه من المناورة لحل هذه المشكلة قوله: " تركت الفتنة تستكمل نضجها بضعة أيام، شعرت أن الوقت قد حان لوضع حد لهذه المشكلة والقضاء على الأوهام³. وما يوحي ميله الصارخ اتجاههم وصفهم بأنه كانت نواياهم حسنة قوله: " يجب علي أن أتغلب على الألم الذي يحز في نفسي لإقدامي عامداً متعمداً على إنهاء سيطرة استعمارية، كانت تعد في الماضي مجيدة وأصبحت اليوم مرهقة مالياً⁴."

لكن فرحات عباس يرجع أسباب هذه الأحداث والمشاغبات التي دبرها الاستعماريون بتاريخ 24 جانفي 1960 هي اعترافاته ما بعد وصوله للسلطة بالجهد المبذول و"التضحيات" التي مست الأقلية الأوروبية⁵، وبعدها أن وصلت الأمور إلى حدها حدها ألقى الجنرال ديغول خطابا على شاشة التلفزيون بتاريخ 28 جانفي 1960 جوهره التأكيد على حق الجزائريين أن يختاروا مصيرهم، كما توجه بخطابه للأقلية الأوروبية

¹ - دحماني تواتي، المنظمة المسلحة السرية في الجزائر 1961-1962، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، 1999-2000، ص: 60.

² - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 91.

³ - مصدر نفسه، ص: 92.

⁴ - نفسه، ص: 96.

⁵ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 42.

لتبديد مخاوفهم ثم دعا الجيش للتقيد والانضباط¹، حتى أن فرحات عباس عند سماعه الخطاب مع رئيس الجمهورية التونسية "الحبيب بورقيبة" تساءلا، هل ستعيد الأقلية الأوروبية التفكير في مشكلتها وهل سيقضي الحوار بين الشعبين إلى حل وانفراج ممكن؟² تأثير النداء جعل المتمردين يختفون وراء المتاريس³.

الأمر الذي جعل الجيش يكلف بإخلاء المراكز المجاورة للمعاهد والتضييق على المتمردين لذلك تخلى عدد كبير منهم عن أماكنهم مستسلمين للجيش، ليتحتم على البقية تسليم أنفسهم وأسلحتهم حتى أن البعض طلبوا الالتحاق بالوحدات النظامية حيث سمح لهم باستثناء قياداتهم⁴.

وفعلا بدأ بعض العقلاء مثل "أرغود، بروازا، غودار..." التراجع والاختفاء والظهور بمظهر المحافظ على الأمن بعدما أن لاحظوا تمسك الجنرال ديغول بسياسته مع يأس الكثير من المستوطنين والتحاق بعض أفراد الوحدات الإقليمية ببيوتهم⁵، فعبر عنهم الجنرال ديغول للجنرال "شال موريس": "إن رفاقك الذين يسندون مهزلة المتاريس هذه مجرمون"⁶.

وما يبين أن أهدافهم كانت كلها مبنية على دعم الجيش لتجسيدها، هو أنه عندما خيّر المتمرّدون بين تسليم السلاح أو الالتحاق بالجبال لمحاربة من أسموهم بـ "الفلاقة" أجمعوا كلهم على الالتحاق، لكن العسكريين ولمعرفتهم لنفسيتهم تركوا لهم أجلا قدره أربعة وعشرين ساعة ليفكروا، وما أن سمعت زوجاتهم وأمهاتهم بهذا الأجل حتى راحت توجه النداءات المتضرعة عن طريق الإذاعة إلى الأبناء والأزواج فتسمع مثلاً: "أتضرع

¹ - شارل ديغول، نفس المصدر، ص: 92.

² - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 376.

³ - برنارد ليدويدج، مرجع سابق، ص: 249.

⁴ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 93.

⁵ - Yves Courrière, Le temps des léopards 1955- 1957, Seuil, p: 473.

⁶ - الشروق اليومي، الأحد 28 جانفي 2006، العدد، 1520، ورقات بقلم محمد المليي، ص: 10.

إليك يا جان كلود ارجع إلى المنزل إنك مزكوم" لم تمضي ساعات حتى أصبح العدد 50 من 7300 ومع انتهاء المهلة لم يبقى إلا عشرون¹. لم يستطيعوا الصمود، تفكك بسرعة ليرجعوا إلى منازلهم في جو من الخزي والغموض²، حيث اعتبرت ضربة قاضية للأوروبيين، قصمت ظهرهم بتفكك قاداتهم³، وكانت تلك المرة الأولى التي عاش فيها أوروبيو الجزائر حقيقة حالة حرب⁴، وأنها المرة الأولى في تاريخ الوجود الاستعماري، يجد فيها الكولون أنفسهم عاجزين عن السيطرة على الأمور بواسطة بث الفوضى والبلبلة⁵، خاصة بعد امتثال أغلبية الجيش للسلطة فصاحت الطائفة الأوروبية بالخيانة⁶. إن إن تعصبهم الأعمى وحقدهم العنصري منعهم من إدراك النوايا الحقيقية لهذا الشكل من الاستعمار الجديد الذي أراد ديغول استعماله بوصفه آخر ورقة لإنقاذ النفوذ الفرنسي⁷. وعليه إن فرنسا بدأت تميز بين مصلحتها كدولة ومصلحة الأقلية الأوروبية في الجزائر كشريحة كانت لا تراعي مصلحة فرنسا إذا اقتضى الأمر توقيف الحرب. وعليه فإنهم لا يترددون في هذه الحالة وضعها موضع المساواة العدائية التي يضعون فيها جبهة التحرير الوطني⁸.

انتهى التمرد ببقاء التطرف مع أصحابه الذين انتقلوا أفواجا من مقر الجامعة إلى زرالدة مركز الليف الأجنبي⁹، إذ أصبحت خرافة العودة والجزائر فرنسية هي من الكتابات التي تركوها وراءهم مثل "الحق معنا، سنعود، الجزائر فرنسية لم تمت"¹⁰ تركتهم يشكلون كومنندوس "الجزائر فرنسية"¹¹.

1 - المجاهد، 26-02-1960، العدد، 62، ص: 10.

2 - بوعلام نجادي، الجلادون 1830-1962، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص: 91.

3 - عمار بوحوش، مرجع سابق، ص: 442.

4 - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 52.

5 - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 368.

6 - علي كافي، مصدر سابق، ص: 244.

7 - المجاهد، 25-03-1961، العدد، 105.

8 - المجاهد، 01-06-1959، العدد، 43، ص: 4.

9 - Yves Courrière, op. cit., p: 500.

10 - المجاهد، 2 ماي 1962، العدد، 95، ص: 7.

11 - محمد الملي، مواقف جزائرية، مصدر سابق، ص: 34.

وعليه فإن أسبوع المتاريس قد كشف عن تمركز المتطرفين داخل فئة الأقلية الأوروبية¹، التي هي مستعدة أن تتبع فرنسا مقابل أن تبقى لهم الجزائر، وهم كلهم استعداد لمقاومتها إذا ما تخلت عن جزائهم ارتباطهم بها هو بمقدار ارتباط فرنسا بإبقاء الجزائر بأيديهم². آمالهم هذه منطلقها تلك المحاكمات التي اتسمت بالمرونة إزاء معظم عناصرها، حيث جاء النطق في حقهم بالتبرئة والفارين منهم بأحكام مخففة، حتى من ثبت في قتله 14 عسكريا وهو النقيب "رonda" المنتمي للوحدات الإقليمية والذي هو في حالة فرار بثلاثة أشهر سجنا³. إذ عبرت جريدة المجاهد عن هذه المحاكمات أنها كانت منبرا ودعوة للتمرد أكثر مما كانت أداة تهديد وردع ضد المتمردين⁴.

الأمر الذي فصح المجال لقادة أسبوع المتاريس اللجوء إلى إسبانيا، إذ أخذوا يعدون العدة لحركة أخرى⁵، وهو ما يفضي أن العلاقة بين أوروبيين الجزائر والعلاقة بين الجيش والسلطة المحلية تشير إلى عدم إمكانية حل المشكلة سياسيا، وفتح الباب أمام إمكانية خوض حرب قذرة غير منتهية⁶. وفي نداء من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بينت فيه مدى خطورة ما يقدم عليها الاستعماريون والذين يعتبرون عقبة في طريق الحرية والسلم، وأحداث 24 جانفي 1960 لا تفسر هذه الحقيقة فقط بل تبرر الثورة الوطنية التي قام بها المجاهدون إذ يواصل النداء: " حقيقة أن المتمردين يستطيعون أن يحملوا سلطات باريس على الاستسلام لهم، لأن ذلك أصبح من التقاليد المسطرة في تاريخ الحكومات الفرنسية" لكن البيان يؤكد أنه في غير استطاعة المتمردين أن يحملوا الثورة على التراجع⁷.

1 - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص: 145.

2 - المجاهد، 01-06-1959، مصدر سابق.

3 - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 52.

4 - المجاهد، 8 ماي 1961، مصدر سابق.

5 - برنارد ليدويدج، مرجع سابق، ص: 252.

6 - جون بول كاهن، كلاوس يرغن مولر، جمهورية ألمانيا الفيدرالية والثورة الجزائرية 1954-1962، ترجمة: عبد

القادر ليفا، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص: 237.

7 - المجاهد، 8-2-1960، العدد، 61، ص: 2.

وموازاة مع ذلك فإن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية كانت أكثر إنصافاً معهم لما جاء على لسان رئيسها فرحات عباس قوله: " إن وضعية فرنسيي الجزائر تغنيا عن كتب لسنا فيها بالنسبة لإشكالياتهم إن لهم حقاً في الجزائر هنا ولدوا وترعرعوا وبنوا حياتهم، بل إن إحدى نقاط تشريفنا تكمن في تفهمنا لهم، وقبول الاختلاف الكامن بيننا، إن التفرقة التي عانينا منها طيلة قرن من الزمن لا يجب أن تسلط عليهم ¹. وفي نداء آخر وجهته تبين فيه مدى خطورة ما تقدم عليه الأقلية الأوروبية، كما كلف فرحات عباس التحدث إليهم إذ وبتاريخ 17 فبراير 1960 طلب منهم ومن خلال نداء في غاية الأهمية دعاهم فيه أن ينسوا الماضي ويتوجهوا صوب المستقبل قوله: " الجزائر للجزائريين لكل الجزائريين على اختلاف أصولهم... إننا نريدكم أن تشاركوننا بناء هذا الصرح، إن مشاركتكم الصريحة الشجاعة في حق تقرير المصير لهو دليل رغبتكم في ذلك. فلا تضيعوا فرصة وحدة ثرية الجوهر واسعة الآمال..."².

نص البيان جاء كاملاً في كتاب مصطفى الأشرف " الجزائر الأمة والمجتمع" والذي عبر فيه هذا الأخير على أنه نداء مجرد من الأقوال المزخرفة والتنازلات الشكلية مشحون بحقائق ناصعة واعتبارات سياسية وإنسانية، خالي من المحاباة ومن النزعة الانتقامية³. لكن فرحات عباس يتأسف عن عدم جدية هؤلاء قوله: " لم يكن في قلوب فرنسيي الجزائر المتعطشة للتسلط أي استعداد للتعاون وللتعامل وللبحث عن الخير في مضامينه"⁴. حتى صحافتهم الحكومية منها والخاصة بما في ذلك إذاعة الدولة قابلته بالحدق بالحدق والكراهية إلى جانب عدم اهتمام قادتهم السياسيين من تخليص عقولهم من السموم بل كانوا يريدون التماذي في وضعية انتحارية لا تطاق⁵. وبذلك فإن بذور الفتنة بقت قائمة لخطر تمرد ما يزال موجوداً وأن المتأمرين من المدنيين والعسكريين الذين لم يتمكن

1 - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 377.

2 - نفسه، ص: 377.

3 - مصطفى الأشرف، مصدر سابق، ص. ص: 365-366.

4 - فرحات عباس، تشريح حرب، نفس المصدر، ص: 377.

5 - مصطفى الأشرف، مصدر سابق، ص: 366.

القانون من التعرف عليهم، لأنهم سيغتنمون أول فرصة قادمة لتنظيم تمرد آخر أوسع نطاقاً، وبفعل استمرار الثورة وضغطها المتواصل ستخلق بذور تمرد آخر والدليل على أنه بداية من 16 فبراير 1960 ظهرت بيانات تقول: "ستقوم الحواجز مرة أخرى بإعانة الجيش"¹.

2-2- دور الأقلية الأوروبية في مظاهرات ديسمبر 1960:

مع فشل أسبوع المتاريس وخطاب الجنرال ديغول بتاريخ 29 جانفي 1960 والذي أراد من خلاله إزالة أسباب التوتر خاصة مع الجيش، فيه من التنازلات التي من شأنها تضيق مجال سياسة تقرير المصير، تقريبها بالمعنى الذي يفهمه ويرغبه الجيش بتعهده في استمرار التهدة إلى أن يتحقق انهزام الثورة الجزائرية².
لكن المستوطنين زاد حقدهم ورغبتهم في الانتقام وهو ما تبينه الكتابات الحائطية التي تركها جنود الليفي الأجنبي بمركز زرالدة "سنعود، الجزائر فرنسية لم تمت":
"المتطرفون استغلوا هذا التوتر للمزيد من تعفين الجو عن طريق إضرام النار في البنايات الرسمية، بما في ذلك القتل لمن رأوا فيه الخيانة، إلى جانب شتمهم إضرابات استعداداً لساعة التضحية"³.

ذلك الذي ترك الجنرال ديغول أن يتخذ إجراءات تمتص غضب قادة الجيش ومن أجل إبعاده عن ميله نحو المستوطنين⁴، ومطمئناً بتصريحاته قيادات الجيش ومن ورائهم الأقلية الأوروبية قوله: "ذلك أنني قلت بالطبع لهؤلاء الجنود... إن النضال لم ينته بعد وأنه ما زال مستمراً ويجب البحث عن الخصم والتغلب عليه وإحاق الهزيمة به"⁵.

1 - المجاهد، 8-2-1960، العدد، 61، ص: 10.

2 - عبد الله شريط، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: 99.

3 - المجاهد، 8 ماي 1961، العدد، 95، ص: 7.

4 - Historia, La fin de l'Algérie française 1959- 1962, N° spécial, 424 bis, 1982, p: 154.

5 - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 48.

وهو ما يستخلص أنه حاول التوفيق بين سياسته الجزائرية والجيش الفرنسي الذي يحاول الانفصال والتمرد عنه¹، لذلك سعى لإبعاده عن ما سيتخذ من قرارات قد تدفعه الميل نحو المستوطنين، ذلك الذي يوضحه عن طريق اتخاذ إجراء هام وهو نزع السلطات المخولة للجيش لتحل محلها الشرطة. إذ أصبحت وبداية من 4 فيفري 1960 خاضعة للولاية والمندوب العام في الجزائر لأن ديغول لم يعد يثق بقيادة الجيش بسبب تعاونهم المستمر مع الأوروبيين²، ومن خلال ما وقف عليه لتورط قادة الجيش في أحداث 24 جانفي 1960 وانغماسهم في القضايا السياسية، ذلك ما جعله يقرر بتاريخ 20 مارس 1960 بتحويل الجنرال "شال موريس" لقيادة القوات الفرنسية وسط أوروبا³.

وبتاريخ 23 أفريل 1960 عين الجنرال "كريبان Crepin" محل الجنرال "جاك ماسو" قائدا جديدا للجيش في شمال إفريقيا⁴، تبعها قائد الجيوش الفرنسية "بيار مسمار" وبأمر من الجنرال ديغول يحل الوحدات الإقليمية التي كانت في مقدمة التمرد، ومصدر القتل إلى جانب عزل مع تحويل بعض الضباط الذين كان لهم ضلوع في العصيان من بينهم "غارد، بروازا، أرغود، غودار..."⁵ بما في ذلك حل الجبهة الوطنية الفرنسية وكل الحركات النشطة تحت لوائها⁶، منها الحركة الشعبية، الحركة الوطنية للطلبة ولجنة الوفاق الوفاق لقدماء المحاربين⁷.

وأمام هذا التواطؤ المفضوح لجهاز الشرطة عوض هو الآخر بعدد كبير من عناصرها بما في ذلك المكتب الخامس وجميع الفروع التابعة له بعدما أضحي إلى مركز

¹ - عبد المجيد عمراني، جون بول سارتر والثورة الجزائرية، مكتبو مدبولي، دون تاريخ، ص: 122.

² - Droz Bernard et Lever Evelyne, op. cit., p: 247.

³ - Bernard Tricot, op.cit., p: 156.

⁴ - عمار بوحوش، مرجع سابق، ص: 443.

⁵ - Historia, op. cit., p: 154.

⁶ - Slimane Cheikh, op.cit, p: 193.

⁷ - حسينة حماميد، مرجع سابق، ص: 190.

لتدبير المؤامرات¹، ومن يومها أصبح وبشكل جليّ أن الكثير من قادة الجيوش المتواجدين بالجزائر يعارضون سياسة الأمر الذي كان له تأثير على بقية إدارات الجيش وجنوده². ورغم ذلك فإنه يحاول وبمناورات أن يكسب الأقلية الأوروبية بمهاجمته لجهة التحرير الوطني وقادتها السياسيين بتصاريح نارية منها ذلك الذي أدلى به للصحفي بيار لافون بتاريخ 1960/11/25 وعلى إثر سؤال أدرجه إياه مضمونه: ما تريده جبهة التحرير الوطني؟ فيجيبه ديغول قائلاً: "ماذا يريد هؤلاء الناس؟ هل يتصورون أن بإمكانهم حقاً أن يسيّروا بمفردهم الجزائر، إن فرحات عباس عاجز عن ذلك، هل يتصورون أن المليون فرنسي يقبلون بذلك دون أن يحركوا ساكناً؟ سيكون هناك حمام دم، أم لعله يتصور أن منظمة الأمم المتحدة تستطيع أن تقرر النظام...؟ لكن الصحفي أثاره وبسؤال يندرج مما أقره في مشروع الاستفتاء إذا اختار الجزائريون الاستقلال، ينفجر ساخطاً: " لا تتكلم عن الاستقلال يقال أن "فولبيريو" مستقل لكني أنا الذي أدفع له مرتبه، فهو غير مستقل في نظري"³ ورغم ما كان يقدم من دعم للمستوطنين إلا أنهم شعروا بانهيار أسطورة الجزائر الجزائر الفرنسية كما أحس العسكريون بتراجع نفوذهم لسلطة المدنيين في الحكومة العامة وعلى رأسها "بول دوليفي"⁴.

وموازة مع ذلك وبداية من شهر ماي 1960 تحرك نحو تجسيد سياسة تقرير المصير بإجراء اتصالات سرية وعلنية مع الثوار الجزائريين مراوفاً ضاغطاً على الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، حتى تقبل بشروطه وإلا تفاوض مع رجال الثورة، وفعلاً التقى بتاريخ 10 جوان 1960 بقيادة الولاية الرابعة للتحاكت معهم في مسألة تقرير المصير⁵، نتيجتها انتهت إلى إزاحة قائد الولاية الرابعة "سي صالح". اضطر الجنرال

¹ - Rému Kauffer, L'OAS, histoire d'une organisation secrète, Fayard, paris, 1986, p.p: 79-81.

² - عبد الله شريط، مرجع سابق، الجزء الأول، ص: 104.

³ - الشروق اليومي، الثلاثاء 3 جانفي 2006، العدد، 1576، أوراق خاصة بقلم محمد الملي، ص: 10.

⁴ - Bernard Tricot, op. cit., p: 89.

⁵ - حسينة حماميد، مرجع سابق، ص: 190.

ديغول يوم 14 جوان 1960 بتوجيه خطاب يدعو فيه إلى التفاوض قائلاً: " أتوجه إلى قادة الثورة وأعلن بأننا في انتظارهم لإيجاد الحل المرضي للصراع الدائر"¹.

وفعلا انطلقت المفاوضات بتاريخ 25 جوان 1960 وهو ما اعتبر انتصار للثورة الجزائرية، إلا أن الأوروبيين اعتبروه خيانة ومبادرة لتخلي عنهم والتنازل عن الجزائر وعليه فبداية من 14 جوان 1960 بدأ المستوطنون في تعاون مع قادة الجيش قصد إزاحة ديغول من الحكم أو منعه من التفاوض، إذ أقدموا بعد يومين من خطابه للتفاوض على إنشاء منظمة تعمل على إبقاء الجزائر الفرنسية أطلق عليها "جبهة الجزائر الفرنسية" احتضنها أكثر من مائة ألف مستوطن²، وما جعلهم أكثر تعلقا بفكرة الجزائر الفرنسية تصريح الجنرال "راؤول سالان" ومن إسبانيا: " إذا قرر فرنسيو الجزائر القتال من أجل الجزائر التي هي مسقط رأسهم فإني سأذهب هناك، لأقاتل إلى جانبهم"³. وما زاد في تهيجهم انتقاله بتاريخ 14 سبتمبر 1960 للجزائر وإعلانه أنه لا يحق لأي سلطة أن تقرر مصير أية أراضي تحت سيادة فرنسا"⁴، بما في ذلك بروز منظمات يسارية أشرفت على مظاهرات مناهضة للوضع السائد كالبيان 121 شخصية وعلى رأسهم "جون بول سارتر" الصادر في 5 سبتمبر 1960 المحرض بعدم تلبية الشباب لتأدية إلزامية الخدمة العسكرية بالجزائر⁵.

تبعته الأقلية الأوروبية بتنظيم مظاهرات عنيفة وشديدة اللهجة بتاريخ 03-10-

1960 حملوا فيها شعارات عنصرية ضد الموقعين على البيان، شاركت فيها جمعيات ومنظمات سياسية خاصة أعضاء الجيش المتقاعدين، انطلاقا من ساحة قوس النصر بباريس احتجاجا على الذين تمردوا وأعلنوا عصيانهم على النظام الفرنسي وساندوا

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 100.

² - Droz Bernard et Lever Evelyne, op. cit., p: 255.

³ - Pierre Cannavagis, L'Algérie algérienne ou la fin des illusions, in Histoire, La fin de l'Algérie française 1959- 1962, numéro spécial, p: 58.

⁴ - حسينة حمامة، نفس المرجع، ص: 192.

⁵ - عبد المجيد عمراني، مرجع سابق، ص: 168.

الشعب الجزائري في تقرير مصيره منادين بأصوات مختلفة، شتما لكل الممضين خاصة "جون بول سارتر" مصرحين عالياً: "أعدموا جون بول سارتر، الجزائر الفرنسية، حرروا الزعماء، سالان في السلطة"¹.

ومما فتح المجال لدى الأقلية الأوروبية طرح الجنرال ديغول لأمر الاستفتاء، الذي انتهى باستقالة "جاك سوستيل" وأبدى المتمردون معارضتهم له في كل مكان إذ اجتمعوا في الجزائر ضمن إطار "جبهة الجزائر الفرنسية" التي تجاوب معها الكثير منهم². وما زاد تأزما للوضع هو عدم تمكن الجنرال شال ومن خلال عملياته الحد من هجمات جيش التحرير³ والتي جعلت ميزانية فرنسا الاستعمارية غير قادرة على مسايرة هذه النفقات، ذلك الذي دفع الجنرال ديغول يصرح معترفا قوله: "إن فرنسا تصرف ألف مليار سنويا في الجزائر هذا عدا الخسائر البشرية"⁴. وما يبين فشله إفصاحه ضمينا أثناء زيارته لمعقل الجيش عبر التراب الوطني قوله: "إن أقل ما يمكن قوله هو أن الجزائر تكلفنا أكثر بكثير مما نربح منها... إن هذه الدولة ستمتع بسيادتها داخليا وخارجيا وليست النتائج العسكرية التي حصلت جبهة التحرير الوطني عليها هي التي أملت علي ما قلته"⁵. قلته"⁵.

ويكون أكثر وضوحا في الحوار الذي أجراه مع الصحفي ونائب مقاطعة وهران "بيار لافون" قوله: "نستطيع مواصلة الحرب وقد قتلنا مائتي ألف وسنقتل خمسمائة أسبوعيا، لكن إلى أين نسير؟ الجيش الذي يرى أبعد من الجبل لا يريد أن يحرم من انتصاره... ولكن ماذا يفيدنا هذا إذا نجحوا؟ أن نعيد ذلك في خمس سنوات في عشرة،

¹ - مرجع سابق، ص: 142.

² - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 104.

³ - Claude Paillet, La grand tournant l'autodétermination, histoire, N° spécial, 424, paris, 1982, p: 15.

⁴ - Benyocef Benkhedda, Les accords d'Evian, 2^{ème} édition, OPU, Alger, 1991, p: 91.

⁵ - شارل ديغول، نفس المصدر، ص: 117.

المسلمون سيكونون أكثر عددا من اليوم، الجيش لم يفهم أبداً السياسة... يضيف إلي أين نسير؟ إلى فقدان ما نملكه في الجزائر ويسخر منا العالم"¹.

ورغم أن الثورة الجزائرية ويدها الضاربة، جيش التحرير الوطني، لم تزعم أن تحقق انتصارا عسكريا مشابها لـ "ديان بيان فو" لكن الشيء المؤكد أنه تمكن من الحد وتحجيم عمليات الجنرال "شال" وإفشالها عن طريق إستراتيجية الانتشار والمناوشة والعمل الفدائي في المدن، وبهذه الطريقة تمكن من تثبيت الجيش الفرنسي عبر التراب الوطني²، تطبيقا لمخطط حرب العصابات الأساسية التي نظر لها "ماوتسي تونغ" مدرسة فكر الحروب الثورية وأحد قادتها في الصين الشعبية حيث يقول: "إذا تقدم العدو ننسحب، إذا خيم نضايقه، إذا تعب نهاجمه، وإذا جلا نطارده"³.

في ظل هذه الأحداث المتسارعة سعى الجنرال ديغول لتغليب الحل العسكري بواسطة عمليات عدة "الشرارة في الحضنة، الأحجار الكريمة في القبائل الصغرى، جومال في القبائل الكبرى... إلى جانب ذلك أخذ له عدة مبادرات سياسية خطاب حول تقرير المصير الذي أعلنه في سبتمبر 1959، ندائه من أجل وقف إطلاق النار، مناوراته السياسية سلم الشجعان جوان 1960، محاولة لقاء مولان والجزائر جزائرية، كلها خطوات أغضبت الأقلية الأوروبية والتي شددت على معارضة سياسته⁴. خاصة وأنهم قد تعودوا على تطويع الحكومة الفرنسية حسب مشيئتهم⁵ في الكثير من القضايا وخاصة تلك الإصلاحات التي تبنتها الحكومات الفرنسية إلى غاية نجاحهم في انقلاب 13 ماي 1958، لكنه وابتداء من تمرد جانفي الذي انتهى بخيبة أملهم، إذ اعتبروه سابقة خطيرة ونكسة عاشتها الأقلية الأوروبية مع الحكومة الفرنسية، على إثر اقتتال أدى إلى سقوط عدة

¹ - Pierre Laffont, L'entretien De Gaulle, Histoire, N° spécial, 425 bis, 1982, p: 8.

² - الأخضر بورقعة، مذكرات شاهد على اغتيال الثورة، دار الحكمة، الجزائر، 1990، ص: 25.

³ - دحو فغور، حرب العصابات، دراسة للمفاهيم والممارسة، مجلة الذاكرة، العدد السادس، نوفمبر، 2000، المتحف الوطني للمجاهد، ص: 169.

⁴ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 234.

⁵ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 393.

ضحايا وهو ما مس من معنوياتهم¹، فجعل فرحات عباس يصل في تحليله إلى حتمية نهاية هذه الأقلية قوله: " سيتدرجون دون شعور منهم صوب الهاوية"². وانطلاقا من خطاب الجنرال ديغول الذي ألقاه بتاريخ 1960/11/04 والذي أثار ضجة كبرى في الوسط الفرنسي وخصوصا المستوطنين جاء فيه: " إنني قررت طريقا جديدا لفرنسا... هذا الطريق يوصل ليس إلى الجزائر يحكمها الوطن الأم فرنسا، لكن إلى جزائر جزائرية، وهذا يعني جزائر حرة، جزائر يقرر سكانها مصيرهم بأنفسهم... هذه الجزائر يمكن بناؤها مع فرنسا أو من دونها... وإذا كان لا بد من قطيعة عدائية فإننا لن نلح على البقاء إلى جانب أناس يرفضوننا"³.

خطاب كانت له ردود فعل عنيفة من الأوساط اليمينية المتطرفة ومنها حتى القادة العسكريون وعلى رأسهم الماريشال "جوان" الذي رفض فكرة التخلي تلاه الجنرال "سالان" والذي عبر عن "لا للجزائر جزائرية" داعيا المستوطنين تحمل مسؤولياتهم⁴، كما ردت جبهة الجزائر الفرنسية باسم أوروبيي الجزائر بمعارضتها لتأسيس جمهورية جزائرية، ومن وهران ردت منظمة قدماء المحاربين على لسان رئيسها "روبير مارتل" الذي أصيب في عينه أثناء الحرب، فبعث بتلغراف للجنرال ديغول قائلاً: " باسم كل من فقدوا بصرهم بسبب الحرب في وهران، أريد أن أقول بأننا فقدنا بصرنا من أجل الجزائر الفرنسية ومن أجل فرنسا وليس من أجل ميلاد الجزائر الجزائرية"⁵.

كما كثرت المشادة بين المستوطنين وقوات الأمن، مع ظهور مناشير معادية للحكومة الفرنسية حتى أصبح المندوب العام "بول ديلوفريي" فاقد السيطرة على الأوضاع مما أجبره على تقديم استقالته والذي تم تعويضه بتاريخ 23 نوفمبر 1960 بالسيد "جون

¹ - المجاهد، 02-04-1959، العدد، 38، ص: 04.

² - فرحات عباس، تشريح حرب ، مصدر سابق، ص: 313.

³ - Pierre Connavagio, op. cit., p: 58.

⁴ - محمد عباس، ديغول والجزائر أحداث قضايا وشهادات، دار هومة، الجزائر، 2007، ص: 237.

⁵ - Jacques Rouvière, Le putsch d'Alger, paris, édition France empire, 1976, p: 70.

موران Jean Morin¹. وفعلًا بدأ هذا الأخير في شرح مخططات ومشاريع الجنرال ديغول تحضيراً وتهيئة للرأي العام الفرنسي وتحضيراً لزيارته للجزائر²، وهو الذي كان مطمئناً من الجيش الذي لن يتمرد عليه حيث كان يتصور أن فئات الموظفين الجزائريين ستمكنه من تشكيل قوة ثالثة سياسية تعتمد عليها فرنسا في مواجهة جبهة التحرير الوطني، إلى جانب مشروعه الجزائري جزائرية ستمكنه من شعبية داخل الجزائر يستطيع بها أن يفرض على أوروبيي الجزائر، وفي نفس الوقت يستعمل فيه الجمهور الفرنسي بالجزائر للحد ما أمكن من الطموح إلى الاستقلال ولدفع الجزائريين نحو القبول بالمضمون المحدود للاستقلال الذاتي³. وفي ظل ضغط من بعض قيادات الجيش الموالية للأقلية الأوروبية راجع موقفه من جبهة التحرير الوطني بل حتى المجموعة الدولية المساندة لحق تقرير المصير بلجونه إلى القوة العسكرية وذلك بتفجير أول قنبلة نووية بتاريخ 13 ماي 1960، مشدداً لهجته بتصريح ألقاه بتاريخ 5 مارس 1960 نفيه لمناقشته وحواره مع جبهة التحرير الوطني حتى أنه أمر ودفع بالجيش لمواصلة الحرب حتى الانتهاء من تصفية التمرد⁴.

وفي ظل هذا الجو المشحون قرر الجنرال ديغول القيام بزيارة خاصة عبر مناطق عدة من الجزائر للاطلاع بنفسه على الواقع بما في ذلك معرفة رأي الشعب الجزائري حول تقرير المصير إلى جانب الاطلاع على رد فعل المستوطنين بالجزائر⁵.

لجئوا إلى مظاهرات واسعة سبقت الزيارة يوم 11 نوفمبر 1960 احتجاجاً على إثارة الجنرال ديغول في خطابه 4 نوفمبر 1960 إجراء استفتاء، الأمر الذي زاد في هيجانهم بحيث اعتبرته الأقلية الأوروبية بداية تشكيل حكومة جزائرية، وأن سياسة ديغول

¹ - حسينة حماميد، مرجع سابق، ص: 193.

² - محمد قنطاري، مرجع سابق، ص: 32.

³ - الشروق اليومي، 4 جانفي 2006، العدد، 1577، أوراق خاصة بقلم محمد الميلي، ص: 16.

⁴ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 500.

⁵ - محمد قنطاري، مرجع سابق، ص: 31.

تهيئة الظروف لتسليم الحكم للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية¹. ومما ساعدهم على ذلك الصحف اليمينية التي روجت صورة الجنرال ديغول خائن الأمانة لأولئك الذين أخرجوه من ظلمات النسيان ومكنوه من التصرف في مصيرهم².

فأصبح حديث الأقلية الأوروبية في أوساط المتطرفين عنيفا ضد شخص الجنرال ديغول وزيارته للجزائر، ومن بين ما جاء في أحاديثهم قولهم: "كيف يجرؤ هذا الخائن، وهذا الوغد على المجيء ليتحدثنا في بيتنا... سيرى أي استقبال سننظمه له"³، في حين رابطين صفة الوفاء للخونة والقومية⁴ منهم "الباشاغا بوعلام" الذي اعتُبر من المسلمين المتعاونين الأوفياء⁵.

لقد رغب الجنرال ديغول وعزم على التخلص نهائيا من "الجزائر الفرنسية" والإعلان عن الجزائر الجزائرية ولهذا أعطى تعليماته بأن تترك الحرية في هذه المظاهرات لصالح الجزائر الجزائرية⁶.

كما انه سعى وعبر خطابه التي أرادها أن تصب في محاولة الدفع بالطرفين لقبول بعضهما البعض، وتكون بذلك فرنسا من ورائهم قد نجحت في توطيد معالم أخرى للهيمنة، قوله من عين تموشنت: "بين فرنسا الجديدة وهذا الجزائر الجديدة سيتم إبرام عقد جديد، حقا إنكما تتحدرون من أصلين جد مختلفين الواحد عن الآخر، ومع ذلك أنتم جميعا جزائريون وتحبون جميعا الجزائر، عليكم أن تتعاونوا من أجل بنائها معا... عليكم بناء جزائر الأخوة التي يجب أن تصنع بتعاون كل الطوائف"⁷.

¹ – Francis Attard, A Alger la peur succède à la future, in La guerre d'Algérie, tome 8, p: 2591.

² – عمار قليل، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص: 337.

³ – Pierre Albert Lambert, Un voyage mouvementé, in La guerre d'Algérie, tome 7, p: 2591.

⁴ – Paul Marie de la Grace, op.cit, p: 141.

⁵ – محمد قنطاري، مرجع سابق، ص: 32.

⁶ – علي كافي، مصدر سابق، ص: 237.

⁷ – Le Monde, 12-12-1960, n°4944.

لكن الأوروبيين والذين كان عددهم يفوق تسعى آلاف بعين تموشنت يعدون من كبار الكولون، استقبلوه بهتافات وشعارات "يسقط ديغول، الجزائر الفرنسية، يسقط العرب"¹، وهو الذي شهد بذلك قوله: " منذ وصولي في 9 ديسمبر إلى عين تموشنت في منطقة وهران لاحظت الموقف العدائي الذي اتخذته كثير من الفرنسيين الأصليين، وببجاية جرت حول دار المحافظة حيث سأقضي ليلتي اشتباكات عنيفة بين الطائفتين"².

وبعدها من تلمسان متحدثا مروجاً لفكرة الإخاء: " أيها الجزائريون عليكم أن تبثوا الجزائر"³ ورغم قلتهم لكنهم خرجوا في الساحة الكبرى في اتجاه البلدية منادين بسقوط ديغول والصحراء فرنسية، وتقسيم الجزائر. وبنفس الشعارات من مدينة شرشال والشلف التي انتهت فيها باكتشاف مؤامرة اغتياله⁴، على أنه ركز وبقوة في نفس المسعى من تيزي وزو قائلاً: "إنني مقتنع بأنه سيأتي يوم تتصافح فيه الأيدي فالجزائر الجديدة هي للجزائريين ولمختلف الجماعات التي تتشكل منها"⁵. وفي ظل احتجاجات الأوروبيين المطالبين بالجزائر فرنسية، لا لتقرير المصير، لا لتسليم الجزائر للفلاحة، يسقط ديغول"⁶.

قابلها الجنرال ديغول بخطابات أراد منها جس نبض الجزائريين ومحاولة تفجير قوة من بينهم، تسنده في مواجهة كل من الأوروبيين وجبهة التحرير الوطني، كما أنه تجنب في رحلته هذه المرور بكبريات المدن التي توجد بها أعداد غفيرة من الأوروبيين كالعاصمة وهران، والتي يخشى من متطرفيها استعمالها لإحباط مشروعه⁷. وفعلاً لقد وجهت جبهة الجزائر الفرنسية نداء تحريضياً ضد زيارته بتاريخ 8 ديسمبر 1960 جاء

¹ - محمد قنطاري، مرجع سابق، ص: 32.

² - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 106.

³ - Le Figaro, samedi, dimanche, 10-11/12/1960, N°5061.

⁴ - محمد قنطاري، مرجع سابق، ص: 35.

⁵ - le Figaro, Lundi, 12/12/1960, N°5062.

⁶ - محمد قنطاري، مرجع سابق، ص: 39.

⁷ - الشروق اليومي، 4 جانفي 2006، العدد، 1577، أوراق خاصة بقلم محمد الميلي، ص: 16.

فيه: " يا فرنسيي الجزائر، مسلمين وغير مسلمين، لقد حان الوقت لكي نؤكد تصميمنا الجبار على أن نبقي فرنسيين، لقد آن الأوان لأن ننهض في وجه سياسة التخلي، ويجب أن نعبر عن إرادتنا هذه بالإضراب العام الذي سوف نشنه في وجه ديغول"¹.

إضراب عام لمدة أربعة وعشرين ساعة تزامن ووصوله للجهة الغربية، وزعت آلاف المناشير بمدينة الجزائر والتي كان مضمونها: " يجب أن تتوقف الحياة في مدينة الجزائر، حركة السيارات بالمدينة ممنوعة إلى جانب عدم فتح المحلات التجارية وإلا تعرضت للتخريب"². جوّ عبر عنه الجنرال ديغول بنفسه قائلاً: " كانت زيارتي مشبوهة بالإضراب، حيث أعلنت جبهة الجزائر الفرنسية إضراب عام مع إغلاق المخازن في كل من مدينتي الجزائر ووهران رغم أنني كنت مقررا عدم زيارتهما"³.

وبذلك تقرر صبيحة 1960/9/9 اليوم الأول من الزيارة، تظاهر الأوروبيين وسط مدينة الجزائر تعبيراً عن غضبهم وعدم قبولهم للزيارة بمضمون ما فيها من اقتراحات تتعارض ووجودهم⁴. سيطر فيها الأوروبيون وبايعاز من "جمعية شباب الأمة" على المنافذ الحساسة لأحياء باب الوادي الأكثر عدداً بهم، بما في ذلك ملتقى الطرق ووسط المدينة حتى حي بلكور⁵، في هذا الحي شلت الحركة ببقر عجلات السيارات، وعند الساعة العاشرة وقعت صدامات، تعالت منبهات السيارات وصيحات "الجزائر الفرنسية، لاغايارد إلى جانبنا، الجيش معنا" مشادة تلتها اعتقالات خلقت جواً من التمرد، وما زاد في غضبهم واستيائهم صبر ولا مبالاة الجزائريين⁶.

¹ - المجاهد، 19 ديسمبر 1960، العدد، 85، ص: 8.

² - Le Figaro, Samedi et dimanche, 10-11/12/1960.

³ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 106.

⁴ - Francis Attard, op. cit., p.p: 2558- 2560.

⁵ - Yahiaoui Messaouda, Les événements du 11 décembre 1960 dans la révolution Algérienne, El Massadir, N° 7, novembre, 2002, p: 12.

⁶ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 235.

تحركهم كان شبيها بحركة ماي 1958، هدفهم كان تمهيدا لانقلاب سياسي، وربما في الحكم، اعتمادا على بعض رؤوس الجيش الفرنسي والتي طالما تحركت لدعم جماهير الأوروبيين معا محاولة إثارة الجزائريين ضد الجنرال ديغول حتى يتراجع وبدفعهم بقوة على أن يضربوا تضامنا معهم¹، حيث أنهم ضغطوا على التجار الجزائريين وحاولوا إجبارهم وبقوة السلاح على غلق متاجرهم ومشاركتهم في المظاهرات التي تعبر عن رغبتهم وأهدافهم².

تلك الأهداف التي كانت شعاراتها واضحة بمدينة عين تموشنت ومع خطواته الأولى والتي كانت برفقة وزير الشؤون الخارجية "لويس جوكس" إلى جانب المحافظ الجديد "جان سوران" بدأت الهتافات " يسقط ديغول، تحيا الجزائر الفرنسية"³، وبالمدن الكبرى خاصة منها الجزائر العاصمة أقيمت المتاريس في وجه القوات الفرنسية التي لم يبذل أي جهد جدي للقضاء عليها، وهو ما تركهم يحولون أسلحتهم صوب الجزائريين فراحوا يطلقون النار عليهم⁴، وصلت بهم جرأتهم التحضير لعملية ضد الجنرال ديغول بمدخل مدينة "أورليون فيل" (الشلف حاليا) اكتشفت من قبل الاستخبارات العسكرية⁵.

إن عنف الأقلية الأوروبية وأنصار الجزائر الفرنسية أثار مقاومة السكان الجزائريين، لذلك تحول هذا التصدي إلى فيضان جماهيري تلقائي في عدة مدن مثل وهران، العاصمة قسنطينة وعنابة⁶، تحرك مضاد وبقوة بينت من خلاله أجهزة الأمن الفرنسية ميلها في مواجهة المظاهرات إذ كانت عند الأوروبيين دون حتى جرحى لكن عند الجزائريين قمعت وبشدة خلفت عددا كبيرا من الضحايا⁷. بفعل اصطدامات

1 - الشروق اليومي، 4 جانفي 2006، العدد، 1577، أوراق خاصة بقلم محمد الميلي، ص: 16.

2 - المجاهد، 19 ديسمبر 1960، العدد، 85، ص: 8.

3 - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 394.

4 - المجاهد، 19 ديسمبر 1960، عدد سابق.

5 - Le Monde, lundi 12-12-1960, N° 4944. وفرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 395.

6 - علي كافي، مصدر سابق، ص: 237.

7 - محمد حسين، الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الرابعة، الجزائر، 1986، ص: 502.

الأوروبيين مع الجزائريين انتظمت المسيرات وأقيمت المتاريس وتباينت الهتافات ورفعت الأعلام الجزائرية، بُهت الجيش الفرنسي لسرعة امتدادها وتوسعها، فحوصرت أحياء المسلمين، ومنعت من التدفق نحو أحياء الأقلية الأوروبية لتنتهي بإطلاق النار عليهم من قبل المظليين، وحتى من المدن الأخرى والتي بها عدد كبير من الأوروبيين كوهران التي قاموا فيها بمظاهرات رد عنها مئات المسلمين متدفقين نحو المدينة الأوروبية صارخين بحياة بن بلة وتحيا الجزائر المسلمة، الحكم لعباس، كما شهدت قسنطينة هجومات للشبان الأوروبيين الذي هتفوا بشعارات الجزائر الفرنسية وحطموا زجاج السيارات المتوقفة¹. تدخلت جبهة التحرير الوطني بذكاء لتهتف لصالح ديغول والتحرير والاستقلال من كل مكان في العاصمة².

وعليه جُنّ جنون الأوروبيين لأنهم لم يتعودوا على مثل هذا التحرك الجماعي ضدهم، فراح بعضهم يطلق الرصاص على الجزائريين من شرفات المنازل، وأصبح كل جزائري هدفا لهم، فاجأتهم الأحداث داخل الحي الأوروبي في عداد الموتى، حتى أنهم شعورا بالاعتزاز والفخر لما قاموا به ضد الجزائريين فذلك فرح لقتله جزائري وآخر منبسط لأنه وخز رأس مظلمته في رأس قتيل، إلى آخر مظاهر التصرفات الوحشية والقتل بسابق الإصرار³.

لم يكتف الأوروبيون بالقتل بل خربوا المقاهي والمتاجر الجزائرية وأضرمو النار فيها، رغم أنهم كانوا مسلحين إلا أنه استولى عليهم الفزع حتى أن استجدوا بإدارة الأمن التي بعثت بفرق من الجيش الاستعماري هتف لها الأوروبيون: " اقتلوهم عن آخرهم إنهم جميعا فلاة"⁴، وذلك ما شهدت به جريدة لوموند التي حرمت بالجزائر يومين متتاليين لنشرها ما اقترفته أياديهم، إذ وصفت الأحداث: " كانوا بين نارين، نار الأوروبيين

¹ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص.ص: 236 - 238.

² - فرحات عباس، تشريح حرب، نفس المصدر، ص: 395.

³ - الشروق اليومي، 4 جانفي 2006، العدد، 1577، أوراق خاصة بقلم محمد الميلي، ص: 16. فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 396.

⁴ - المجاهد، 19-12-1960، عدد سابق.

واعتداءاتهم ونار رجال حفظ الأمن... الأوروبيون يقومون بالعيد وهم حاملين الأسلحة من مسدسات وعصي باحثين عن المتظاهرين المسلمين"¹. توهم الأوروبيون أن الجزائريين سوف يهزمون بسرعة أمام هذه الإمدادات الضخمة وهذا الحصار الخانق، سرعان ما تبينوا أنهم جادون في موقفهم، فتراجعوا تاركين الجنود لوحدهم في مهمة مواجهة الجزائريين².

انتهت المظاهرات بسقوط ضحايا من الجزائريين على يد مسلحين مدنيين أوروبيين من عصابة جبهة الجزائر الفرنسية والتنظيمات الأخرى³، إذ تشير الإحصائيات الرسمية إلى وفاة مائة وعشرون جزائري إلى جانب ضحايا من مدينة وهران وعنابة⁴، إلا أن إحصائيات "بيار مانوني" والتي يذكر فيها بتفصيل استشهاد تسعين جزائري وجزائرية مع وفاة ستة أوروبيين وإصابة ثلاثمائة وسبعة عشر مسلما بجروح وثلاثة وخمسون من الأوروبيين في الجزائر العاصمة، أما في مدينة وهران استشهد ثمانية عشر مسلما ومسلمة وجرح أكثر من مائة متظاهر من الطرفين، وبعنابة استشهد أربع جزائريين وأصيب خمسة عشر بجروح⁵.

لكن الأوروبيين ظلوا يستعرضون عضلاتهم في وجه المسلمين، وفي وجه الحكومات الفرنسية المتعاقبة خاصة منذ نجاحهم في الإطاحة بالجمهورية الرابعة، إلا أن مظاهرات المسلمين كسرت شوكتهم، حيث أكدت التقارير الرسمية الفرنسية أن ضخامتها وتبنيها لشعارات جبهة التحرير الوطني أصابت المستوطنين بالرعب والذهول⁶، كما أنها أعدت ضربة قاضية للسياسات الفرنسية والجنرال ديغول إذ أفشلت جميع خطته

¹ - جيلالي صاري، مظاهرات 11 ديسمبر 1960 ودورها في التحرير الوطني، مجلة المصادر، العدد الثاني، 1979، ص: 145.

² - المجاهد، 19-12-1960، مصدر سابق.

³ - Mohamed Tegua, op. cit., p: 360.

⁴ - Jean Planchais, Après le putsch l'action clandestine, Histoire, N° spécial, 700, p: 2.

⁵ - Pierre Mannoni, Les français d'Algérie, vie, mœurs, mentalité, paris, édition l'Harmattan, 1993, p: 264.

⁶ - A.N.O.M., Aix en Provence, boîte 81F/891.

ومشاوراته كما ردت على الغلاة من الكولون والعسكريين صدى "دان بيان فو" جديدة¹. وما كان يتصور الأوروبيون والعسكريون أن تلك المظاهرات سوف تغير مجرى الحرب²، وبقدر ما كانت مظاهرات الجزائريين تدل على نضج الشعب الجزائري ووعيه³، ورغم أن الكولون تكالبوا صفاً واحداً ضد الجزائريين عندما صدع هؤلاء بما يحملون من مشاعر زاد تضامن جيش فرنسا الاستعماري في شكل عنصري يربطهم وأوروبيي الجزائر⁴. لم يجد الأوروبيون بداً من أن ينضموا إلى جيشهم الاستعماري ليكونوا كتلة واحدة تقف في وجه الشعلة الجزائرية الزاحفة عليها من شوارع القصبة بمدينة الجزائر ووهران وعنابة وقسنطينة⁵.

وسرعان ما رجع ذلك الصراع الذي عاشته الأقلية الأوروبية في ظل الحكم العسكري أيام نابليون الثالث والجيش الفرنسي في ظل رغبتهم الانفراد بالسيادة وحتى لا يشاركهم فيها فرنسيو فرنسا، نزاع كله من أجل أن تكون له السلطة في الجزائر⁶، مشاعر مشاعر عبر عنها أحد الأوروبيين لصحافي فرنسي "هنري توران" اعتمدت عليه جريدة المجاهد قوله: "إن الجيش يتخلى عنا، لقد انتهينا، وقد كان ينبغي علينا أن نفهم هذه الحقيقة في 24 جانفي 1960 إذ سجلت بعض الصحف الفرنسية أن الكثير من فرنسيي الجزائر أصبحوا يفكرون في مغادرة الجزائر والالتحاق بفرنسا⁷، لأن الأخوة التي طالما تغنى بها الجميع بين الفرنسيين والجزائريين أصبحت مجرد وهم وخيال⁸.

1 - جيلالي صاري، مرجع سابق، ص: 147.

2 - الشروق اليومي، الأحد 8 جانفي 2006، العدد، 1580، أوراق خاصة بقلم محمد الميلي، ص: 10.

3 - المجاهد، 2 جانفي 1961، العدد، 86، ص: 8.

4 - المجاهد، نفسه.

5 - المجاهد، 19 ديسمبر 1960، عدد سابق.

6 - المجاهد، 2 جانفي 1961، العدد، 86، ص: 8.

7 - المجاهد، 19 ديسمبر 1960، عدد سابق.

8 - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص: 218.

بل أنذرتهم وجعلتهم يعيشون تحت هاجس العد التنازلي للرحيل من أرض دنسوها بجرائمهم التي لن تنساها الأجيال¹. إن جولات الجنرال ديغول بعثرت مخططات الناشطين الأوروبيين بالجزائر، حتى أنهم فشلوا في دفع القوات العسكرية الانضمام لمخططهم²، وهو ما عبر عنه ديغول بعد زيارته إذ يقول: " ظلت الطائفتان في هذا المجال منها بعيدة عن الأخرى أكثر من أي وقت مضى " هي حقيقة أراد أوروبيو الجزائر أن يجنبوه عنها من خلال دفعهم وضغطهم على الجزائريين للتظاهر معهم³.

حتى تلك القوة الثالثة التي أراد الجنرال ديغول تقويتها أصبحت في موقف حرج، فأعلام جبهة التحرير الوطني التي رفعت وبأعداد كثيرة بمناطق عدة، حتى تلك التي كان يبدو أن جهود التهدة بها نجحت مثل مدينة وهران⁴. فالأوروبيون ذهّلوا أمام وقع المظاهرات فانقلب حماسهم إلى الخوف، لمسوا هزال قوتهم أمام المظاهرات الجزائرية⁵، وأمام هذا الوضع أطلق الأوروبيون عليهم النار فقتلوا العديد من الجزائريين⁶.

وبذلك حملت نهائيا أحلام وأساطير ما كان يسمى بالجزائر الفرنسية بالنسبة لكل الجالية الأوروبية⁷، عجلت بنهاية الوجود الاستعماري في الجزائر وهو ما تؤكد جريدة الشعب ضمن مقال لها واستناداً على أحد الصحفيين الفرنسيين آنذاك عندما وصف المظاهرات بقوله: " إن الأمر الذي فوجئ به الجميع هو أنه منذ بداية الثورة حتى شهر ديسمبر لم يسبق للجزائريين المدنيين (سكان المدن) أن أعربوا عن عواطفهم وشعورهم الوطني بمثل هذه القوة وهذه الثقة بالنفس، فقد تجاوز حماس النساء والرجال حماس

¹ - عثمان الطاهر عليه، الثورة الجزائرية أمجاد بطولات، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1996، ص: 179.

الشروق اليومي، الأربعاء، 2006/2/4، العدد، 1576، أوراق خاصة بقلم محمد الميلي، ص: 16.

² - A.N.O.M., Aix en Provence, boîte 81F/811.

³ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 107.

⁴ - A.N.O.M., Aix en Provence, boîte 81F/811.

⁵ - المجاهد، 19 ديسمبر 1960، عدد سابق.

⁶ - الشروق اليومي، مرجع سابق، عدد نفسه.

⁷ - جيلالي صاري، مرجع سابق، ص: 162.

الشباب في الإعراب عن تشبثهم بالاستقلال وعدائهم للاستعمار الفرنسي إنه لم يبق لنا إلا أن نحاول الحفاظ على الأمن والاستقرار ريثما نحزم أمتعتنا ونرحل" ¹، جعلتهم يدركون أن الجزائريين ملتحمون مع الثورة فهتكت حجب الأكاذيب التي طبختها لهم الصحافة الفرنسية... أقنعتهم أن الجزائر الفرنسية سراب خادع" ².

كما كانت عاملا حاسما في حمل الجنرال ديغول على التخلي عن سياسته "تحقيق الجزائر جزائرية بدون جبهة التحرير" ³، إذ أكدت له محاولاته السابقة عدم نجاحه في فصل السكان عن الثورة، بل أنها هي التي نجحت في تجنيد الجماهير ورائها بكيفية لم يسبق لها مثيل ⁴. كما تبعثت أفكاره التي جعلته أمام الأمر الواقع للدخول في مفاوضات مع جبهة التحرير الوطني ⁵ ضمن لقاء مولان الذي توقف يوم 29 جوان 1960 ⁶.

وهو ما يظهر أن الشعب الجزائري تحرك في الوقت المناسب مبرهنا على درجة كبيرة من الوعي، مدركا لطبيعة ومعادلة الصراع القائم، وعليه فإن مظاهراته أثبتت زيف أطروحة التآخي مع رفض الشعب للقوة الثالثة ⁷، وأقنعت الجنرال ديغول تخليه البحث عنها ⁸.

وعليه فإن المظاهرات حررتة من الضغط الذي كان عليه ولمدة سنتين إذ كان أسير أوروبيي الجزائر لا يقول كلمة إلا بعد أن يقرأ لها ألف حساب ⁹، لكنه وبعد عودته من بجاية كآخر محطة قاداته للجزائر وعند نزوله بمطار أورلي كان أكثر وضوحا مع

¹ - جريدة الشعب، 11 ديسمبر 1995، عدد، 10875.

² - المجاهد، 1961/12/11، العدد، 110، ص: 6.

³ - Guy Pervillé, La France n'avait pas perdu la pierre, Histoire, mars, 2002, p: 37.

⁴ - المجاهد، 9 أكتوبر 1961، العدد، 106، ص.ص: 6-7.

⁵ - A.N.O.M., Aix en Provence, boîte 81F/811.

⁶ - Droz Bernard et Lever Evelynne, op. cit., p: 293.

⁷ - - سعد دحلب، مهمة منجزة، مصدر سابق، ص: 135.

⁸ - Jean Tourchard, Le gaullisme 1940- 1962, édition du Seuil, paris, 1978, p: 185.

⁹ - المجاهد، 2 جانفي 1961، العدد، 93، ص: 8.

حاشيته التي جاءت لاستقباله خاطبها قائلاً: " إن ما جرى قد أوضح الجو " مضيفا " إن هذه السفيرة قد مكنتني من أن أعرف بالضبط مقاس المشكل"¹.

وعليه أقدم على مشروع تقرير المصير ليوافق عليه الشعب الفرنسي في جانفي 1961، إجراء أدى إلى تأزم الوضع من جديد بين الجيش الفرنسي في الجزائر وباريس، فبادرت الجالية الأوروبية بالجزائر إلى اتخاذ إجراءات ضرورية للشروع في حرب العصابات ضد فرنسا وجبهة التحرير الوطني.²

2-3- مساهمة الأقلية الأوروبية في انقلاب 22 - 25 أفريل 1961:

إنه تطور حتمي لسياسة الفوضى والتردد التي انتهجتها الحكومات الفرنسية، إذ تعود مسؤولية تعفن الأوضاع لها، وخصوصا مناورات الجنرال ديغول، فالعنف الكلامي والهجّة الفاشستية والتطرف العنصري الذي كثر ظهوره من خلال بلاغات المنظمات الفرنسية المختلفة سواء جبهة الجزائر الفرنسية أو لجنة قدماء المحاربين والتي بقية دون عقاب أو ردع من الجهات المسؤولة³، وحتى مع مجيء الحاكم العام "بول دوليفري" مارس 1959 والذي حاول إعطاء نفس جيد لمشروع قسنطينة إلا أنه اصطدم بمشاكل جمّة والتي كانت نتاج الثورة الجزائرية بما في ذلك الأقلية الأوروبية وانطلاقا من أسبوع المتاريس⁴.

بما في ذلك عدم الحرص على التقصي في قضايا أمنية منها قضية "البازوكا" المتمثلة في محاولة تصفية الجنرال راؤول سلان من قبل متطرفي الأقلية الأوروبية⁵، مع غياب الجدية والصرامة في معالجة ملف متمردي أسبوع المتاريس حيث وصل الحد الأقصى من العقوبة هو التحويل إلى فرنسا وإبعادهم عن الجزائر، وهو ما حدث للكثير

¹ - الشروق اليومي، الأحد 8 جانفي 2006، العدد 1580، أوراق خاصة بقلم محمد الميلي، ص: 10.

² - عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا. دراسة تحليلية، الشركة الوطنية للدراسة والتحليل، بدوم تاريخ، ص117.

³ - المجاهد، الأربعاء 11-12-1961، العدد، 110، ص: 6.

⁴ - Lucien Bitterlin, Nous étions tous des terroristes, édition Témoignage, chrétien, paris, 1983, p: 312.

⁵ - Jacques Delarme, L'OAS contre De Gaulle, Fayard, paris, 1981, p: 95.

من القيادات¹. بل نجد تواطؤ مفصوح حتى من الحاكم العام "بول دولفيري" الذي طلب من الولاية حسب تعليمات من إدارات مركزية وبعض قيادات الجيش بأن لا يكشفوا عن أسماء الذين أبدوا تمردهم في جانفي 1960. بل حتى أن بعض أعوان البوليس أعلموا بعض المتطرفين بأن السلطة تتوي القبض عليهم فمهدوا لهم بذلك طريق الفرار²، وهو ما أدى إلى بروز معارضة شرسة لها من الوزن العسكري والتي لجأت إلى إسبانيا. وأمام التحريف الذي قام به "جاك سوستيل" المبني على سياسة الدمج والتي كون لها لجنة حملت شعار: "نحن نخدم القانون والسلطة تخرقه"³ الضغط وعدم وضوح الرؤية دفعت الحاكم العام "بول دولفيري" الإسراع في تقديم استقالته للجنرال ديغول موضحا دوافعها قوله: "كل كلماتي المشحونة بالأمل، كل اتصالاتي وحتى مشروع قسنطينة، كل ذلك كنسته الجزائر جزائرية وعصفت به"⁴.

وأمام ما شكلته الثورة الجزائرية من أخطار هددت أمن واستقرار فرنسا داخليا، ووصلت حتى تمزيق وحدتها الوطنية، الأمر الذي دفع الجنرال ديغول تغيير سياسته في الجزائر⁵. ولكثرة المعارضين لسياسة تقرير المصير، ارتكز على الشعب الفرنسي ليفتك ورقة ضاغطة على الأقلية الأوروبية والقادة العسكريين وحتى الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، بإجرائه استفتاء 8 جانفي 1961 المتعلق بتقرير المصير للسكان في الجزائر وتنظيم سلطات عامة، تسمح له بفتح مفاوضات⁶. وبغض النظر عما حققته من انتصار لكنه ومن يومها بدأت الأقلية الأوروبية في التآمر عليه، حيث قامت جبهة الجزائر الفرنسية بضم جميع المنظمات المتطرفة بما في ذلك سعي قادة الجيش خاصة

¹ - دحمان تواتي، المنظمة المسلحة السرية في الجزائر 1961-1992، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 1999-2000، ص: 88.

² - المجاهد، الاثنين، 08-02-1960، العدد، 61، ص: 10.

³ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 177.

⁴ - محمد العربي الزبيري، انعكاسات الثورة الجزائرية على سياسة الجنرال ديغول، مجلة الذاكرة، العدد، السادس، نوفمبر 2000، ص: 81.

⁵ - كريم مقنوش، جرائم المنظمة المسلحة السرية في الجزائر، مجلة المصادر، العدد، التاسع، السادس الأول، 2004، ص: 255.

⁶ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 215.

المتطرفين منهم باتفاق على تحريض الجيش للعمل من أجل الجزائر الفرنسية¹. سياسة الغموض غدت حقد كبار الكولون من الأوروبيين المدعمين من قبل العسكريين المتطرفين من الذين يرون أنفسهم تعرضوا للخيانة وهم الآن يسعون للتآمر وقلب الأوضاع بما يحقق أهدافهم².

ذلك ما يوضحه أحد المستوطنين من الذين كانت لهم يد طويلة في أسبوع المتاريس، الرئيس السابق للطلبة الجزائريين ومن منفاه بإسبانيا "لاغايرد" قوله: " اتحدوا لأننا سنحارب"³. بذلك تجند كل الأوروبيين المدنيين لتشكيل قاعدة للعنف نحو الاحتفاظ بالجزائر ومنع دخول ديغول من تجسيد مشروع تقرير المصير بواسطة تنظيم جديد "المنظمة العسكرية السرية" التي انتصبت منافسا محاربا لجهة التحرير الوطني وسياسة التنازل التي يسلكها الجنرال ديغول⁴. حتى الجيش الفرنسي في الكثير منه قد صوت جله "لا" لإنقاذ الجزائر الفرنسية، وهو ما وقف عليه فرانسوا ميتران بتصريحه لجريدة "الإكسبريس": " في 24 جانفي 1960، قرر ديغول أن يقول "لا" لأورتيز ممثل الأقلية الأوروبية ونعم للجيش، إلا أن الجيش الذي فضل ديغول على أورتيز فضل الجزائر الفرنسية على ديغول"⁵.

هو ما نستنتج من خلاله أن الجيش الفرنسي رفض الاستسلام عن آخر مستعمرة فرنسية لعدة دوافع نلخصها في شعوره بالنقص لسبب الهزيمة في الهند الصينية، ولاستخلاصهم بأن الجنرال ديغول خدعهم بتفاوضه مع جبهة التحرير الوطني ورغبته في

¹ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 218.

² - هنري علاق، مذكرات جزائرية، مصدر سابق، ص 286.

³ - Jacques Rouvière, Le putsch d'Alger, op. cit., p: 60.

⁴ - محمد العربي الزبيري، انعكاسات الثورة الجزائرية على سياسة الجنرال ديغول، مرجع سابق، ص: 85.

⁵ - Expresse, 25 février 1960.

الاستسلام مع اقتناعهم ببناء الجزائر الفرنسية من القضايا الوطنية، وهو ما جعل الجيش الفرنسي يتقاسم مع الأقلية الأوروبية نفس الهدف¹.

إلا أن حقيقة الأمر أن متطرفي قيادات الجيش اندفعوا نحو التمرد لا من أجل الاحتفاظ بـ"الجزائر الفرنسية" لكن محاولة لغسل هزائمهم المتسلسلة من الهند الصينية إلى غينيا وعبر قناة السويس². وعليه بدأ المستوطنون والضباط العنصريين في التكتيف من رحلاتهم واجتماعاتهم السرية لتحضير مؤامرة ضد الجنرال ديغول للاستيلاء على السلطة، لكنهم ما وجدوا الجو ملائماً بفرنسا لذلك ولوا وجهتهم مقررين النشاط بالجزائر³. فوجد قادة الانقلاب السند في تنقلهم من باريس للجزائر وعن طريق الجنرال "جوهود Jouhoud" بالتوسط عبر القائد الرئيسي للقوات الجوية الجزائرية وهو من الأقلية الأوروبية إلى جانب قائد المنطقة الجوية الخامسة، مستعملين طائرة أقلتهم يوم الخميس 20 أبريل 1961 نحو الجزائر⁴، الأمر الذي دفع الجنرال "جوهود"، وهو الآخر من أبناء الأقلية الأوروبية بالمولد، باشرؤا بالتنسيق مع الجنرالات الأربع إلى جانب بعض العقلاء الذين ساهموا في تمرد 24 جانفي 1960، واستعانوا ببعض رؤوس الكولون وبالتنسيق مع شخصيات يمينية من باريس خاصة الماريشال "جوان" والذي هو الآخر من مواليد الجزائر المدافع عن الأقلية الأوروبية قوله: " أنه رغم صداقة نصف قرن التي تشدني إلى ديغول عازم... وبصفتي من الجزائريين على الاحتجاج ضد كل تفكير في التخلي عن إخواننا الجزائريين"⁵.

ومع بداية المفاوضات 7 أبريل 1961، دفع المتآمرين الفرنسيين الإسراع في تنفيذ انقلابهم بالعاصمة الجزائرية مع قبول الجنرال "شال موريس" بترؤس الحركة الانقلابية

¹ - Jacques Rouvière, op. cit., p: 43.

² - المجاهد، 11 ديسمبر 1961، العدد، 110، ص: 6.

³ - سعد دحلب، مصدر سابق، ص " 126.

⁴ - Jacques Rouvière, op. cit., p.p: 107- 109.

⁵ - Ibid., p: 30.

مع كل من (راؤول سالان، إدموند جوهود... أندري زيلر) والجميع كان واثقا من دعم فرنسيي الجزائر مقتنعين بتخلي القوات المسلحة عن ديغول¹.

وللرفع من معنويات الانقلابيين أشاروا أن الدوائر الأمريكية تدعمهم، في التحليل الذي نشرته جريدة المجاهد هو أن الجنرال ديغول يريد بمشروعه تسليم الجزائر لكل من روسيا، والصين القطب الشيوعي². ومهما قيل يومها أنها دعاية شيوعية ورغم نفي الطرف الأمريكية المتكرر ضلوعه في عملية الانقلاب، إلا أن السياسة الأمريكية كانت رافضة لسياسة الجنرال المتصلب اتجاهها بعدم قبوله الرضوخ لها³. وفعلا زاد القادة العسكريون المدعمون للانقلاب ومن الموالين للأقلية الأوروبية ومنهم (أرغود، بروازا، غاردي، غيرو، غودار...) والذين ضبطوا العملية ليلة الخميس إلى الجمعة 20-21 أبريل 1961، حيث أقاموا مركز قيادتهم في فيلا بأعالي مدينة الجزائر وبقي الأمر طي الكتمان إلى غاية السبت 22 أبريل 1961. تدخل الجنرال "شال" وأعلن من الجزائر أن الجيش تعهد بلغة الشرف أن يحتفظ بالجزائر الفرنسية⁴، وهو ما سمح لهم بالقبض على المعارضين من القيادات العسكرية بما فيهم الوزير "روبير بوران" الذي كان في جولة تفتيشية، كما استولوا على أهم الأبنية الحكومية، تآزرت معهم الإدارة المحلية والشرطة، كونوا مجلسا إداريا تولى إعلان الأحكام العرفية⁵.

كما استغلوا عاطفة إطارات بعض الوحدات المتخصصة، كما انضمت إليهم فئة كبيرة متهورة من الأقلية الأوروبية والذين غرر بهم عن طريق الترغيب والترهيب⁶، انطلاقا من أن الجنرال سالان الذي حرص على توظيفهم لأن بانقسامهم اعتقد أنه سيزيد

¹ - برنارد ليدويدج، مرجع سابق، ص: 253.

² - المجاهد، 8 ماي 1961، العدد، 95، ص: 3.

³ - Le Journal d'Alger, 2 mai 1961, N°3532, p: 5.

⁴ - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص.ص: 61-62.

⁵ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص.ص: 118-119.

⁶ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص: 223.

الحكومة القوة والحماس¹. ولو أن قادة الانقلاب ما كانوا يتقنون في الأوروبيين الموجودين بالجزائر، لذلك رفضوا اطلاق رؤسائهم بحركة التمرد إلا قبل يومين من العملية². خلاف الجنرال سالان الذي رأى فيها نجاح التمرد رغم معارضة الجنرال شال الذي رأى نجاح الانقلاب يكمن في إبعاد المدنيين من الأقلية الأوروبية حتى تأخذ طابعها العسكري البحت³.

وهو ما تأكد لهم من خلال أسبوع المتاريس، إذ تميزوا بالتهور والفاشية، ذلك ما جعلهم يتكتمون سراً عن حركتهم الانقلابية إلى أبعد الحدود وحتى تجد الدعم من الرأي العام الفرنسي⁴، إذ أن قيادة الانقلاب كانت تعلم أن معظم الجيش في الجزائر يمقت الكولون منطلقاً من مقارنة العسكريين بهؤلاء الذين كانوا يعيشون في النعيم وما كانت تصلهم الحرب إلا نادراً خلاف ما يدفعه الجيش الفرنسي⁵. وأقرت ملاحظات إلى أبعد صورة وهو البؤس الذي يعاني منه الجزائريون المسلمون⁶. كما أحس القادة العسكريون أن نفوذهم تراجع وبقوة لصالح سلطة ديغول وإدارته من المدنيين وعليه قرروا استرجاع سلطتهم بالتآمر والانقلاب⁷، متذرعين بشعار الجزائر الفرنسية إلى جانب عدم تخليهم عن الحركة من سموهم بالمتعاونين، والوفاء لمن ماتوا من العساكر الفرنسيين والتصدي لما أطلقوا عليه بالخيانة⁸.

كلها أسباب لتجاوز عار الهزائم التي تجرعوها في عدة مستعمرات وآخرها الجزائر، كانت أول خطوة يقوم بها الجنرال "شال" يوم 21 أبريل 1961 ومن مقر قيادة المظليين بتسريح بعض الفرق من الجنود الفرنسيين، فاستبدلهم بفرق من أبناء الأقلية

1 - حسينة حماميد، مرجع سابق، ص: 201.

2 - الجندي خليفة وآخرون، مرجع سابق، ص: 404.

3 - حسينة حماميد، مرجع سابق، ص: 201.

4 - le journal d'Alger, 30-05-1961, N°3556, p: 5.

5 - الجندي خليفة وآخرون، مرجع سابق، ص: 409.

6 - Droz Bernard et Lever Evelyne, op. cit., p: 295.

7 - Patrick Eveno et Jean Planchais, op.cit, p: 282.

8 - Ibid., p: 293.

الأوروبية المندفعين والمتحمسين لبقاء الجزائر الفرنسية، ليعطي مع منتصف الليل الأمر للمظليين بالزحف على العاصمة، حيث بدأت الشاحنات تحتل شوارعها وأبناء الكولون يتسلقونها في غمرة من الفرح وأمام أعين قوات الأمن التي لم تحرك ساكنا، لأنهم من الأقلية الأوروبية. كما أنهم تلقوا رسائل تدعوهم للحسم والاختيار، الذي كان ضمن الحركة الانقلابية¹، وما زاد في غبطة الأقلية الأوروبية هو التحاق الجنرال "راؤول سالان" مرفوقا بـ "جون جاك سوزيني" يوم 23 أبريل 1961 بالجزائر².

وعليه دفع متآمرو الانقلاب بالأقلية الأوروبية إلى ساحة الفوروم مواصلين بضجيجهم وتصفيقاتهم لصالح "رباعي الجنرالات" الذين أقسموا بأن لا يتخلوا عنهم، وما زادهم اندفاعا وتصلبا تصريح "ميشال دوبري" الذي ألقاه بتاريخ 23 أبريل 1961 قوله: "أقنعوا هؤلاء الجنود الذين ارتكبوا خطأ جسيماً بالتزام الهدوء، يجب أن نعود إلى المنطق السليم وأن يشعر كل واحد منا بمسؤوليته في هذه الأمة"³.

وبعد أن وزع الجنرالات لمهام بينهم تولى "شال موريس" الشؤون العسكرية وأسندت أمور المدينة للجنرال "سالان" والشؤون الاقتصادية والإدارية للجنرال "زيلر" على أن تولى الجنرال "جوهود" الدعاية والإعلام والاتصال بالأوروبيين⁴، مع محاولة استمالة الجزائريين المسلمين إلى حركتهم⁵. قرر يومها الجنرالات الأربع، الظهور على شرفة دار الحكومة، حيث دعوا السكان للاستماع إلى خطابهم إذ كان عددهم يفوق المائة ألف شخص⁶، أكدوا فيه أن التوفيق يحالفهم حيث أعلن الجنرال شال قوله: "أننا هنا للقتال وتحمل الأذى والموت إذا اقتضى الأمر"⁷. التزامات سرعان ما أخل بها، فكانت

¹ - Jacques Rouvière, op.cit., p: 153.

² - L'écho d'Alger, 23 avril 1961.

³ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 227.

⁴ - Jacques Rouvière, op.cit., p: 192.

⁵ - Droz Bernard et Lever Evelyne, op. cit., p: 303.

⁶ - L'écho d'Alger, 25 avril 1961.

⁷ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 123.

الحشود تنادي وتصرح مرفوقة بزمامير السيارات "الجزائر-فرنسية" مرددة عبارة "ديغول إلى المشنقة"¹، كانوا في أوج فرحتهم، يصرخون في الطرقات، خرجت حتى النساء الأوروبيات يعبرن والفرحة تغمر أعينهن، اعتبروه بداية نصر لهم². كما أبدوا حماسة أكبر ببيانات عبر الإذاعة، يجوبون شوارع المدينة، يعتقلون كل مشتبه فيه ممن أظهر ميول ليبرالية كما أخلوا سبيل أصدقائهم المجرمين من السجون³، حيث أفرغت سجون كل من الحراش، بني مسوس...⁴ حتى أنه أطلق سراح المتورط في اغتيال المحامي الليبرالي "بوبي" وهما "كلود بينتر إلى جانب أندري سوغان"⁵.

الجو المشحون سمح لنشطاء المنظمة المسلحة السرية البروز بمدينة الجزائر ووهران والذين تولوا مراقبة مخافر الشرطة،⁶ فاستولوا على كل ما فيها من أسلحة وعتاد كما أنهم استحوذوا على أكبر فندق بالجزائر⁷، وأعدوا المخابئ مع جمع الأموال والاتصال بالمنظمات الأخرى المناصرة لفكرة الجزائر الفرنسية وعليه اتسعت قاعدتها فتبعثرت تحركاتها ونشاطها⁸.

خلقت متاعب الانقلابيين بحيث أنهم عجزوا عن التحكم في تجاوزات الأقلية الأوروبية من انزلاقات، هي حالة هستيريا إجرامية أصابتهم⁹، وهو ما جعل نشاطها الذين كان لهم دور كبير في العملية الانقلابية ليلة الثاني والعشرين أفريل 1961 ليقوموا بوساطة بين العسكريين والمستوطنين، حيث دعته إلى الهدوء والعمل على تطبيق أوامر

¹ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 227.

² - Guy Daly Limandière, L'imposture algérienne, les lettres secrètes d'un sous lieutenant de 1960- 1962, édition Filipacchi, paris, 1992, p: 25.

³ - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 64.

⁴ - l'écho d'Oran, 25 avril 1961, N° 32025, p: 6.

⁵ - Tegua Mohamed, op.cit., p: 402.

⁶ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 121.

⁷ - Jacques Rouvière, op. cit., p: 192.

⁸ - دحمان تواتي، مرجع سابق، ص.ص: 91-92.

⁹ - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 65.

الجنرال "شال موريس"¹. وهو ما جسد في توزيع لبيان دعا فيه أوروبيو الجزائر إلى الهدوء وعدم الاستماع لما يأتي من السلطة الفرنسية جاء فيه: " كل خطاب من رئيس الحكومة يدعو لإخلاء كل مبادرة نحو السلم تدفع بنا إلى اليأس، دورنا يتمثل في دعم الجيش بكل قوانا المادية والمعنوية"². إلى أن احدث التطور بنفس ما حدث بأسبوع المتاريس 24 جانفي 1960 إذ بدأ الدعم يتقلص من حول الجنرالات المتمردين وذلك من قبل عدد الضباط السامين الذين أبدوا موافقتهم في بداية العملية لكنهم سرعان ما أخلوا بالتزاماتهم وفضلوا الرجوع إلى الشرعية منهم الجنرال "قورو" قائد منطقة قسنطينة³. وعليه تتالت العديد من كتائب الجيش ومن الضباط التراجع عن التمرد⁴، أصيبت المجموعة بخيبة أمل لهذا الرفض والتردد تأكد لهم بأن تمردهم لا قاعدة له إلا في العاصمة وهران⁵، وهو ما دفع بالجنرال "شال" بعد أن قرر الاستسلام قوله: " كنت قد اعتمدت حسابا لكني أخطأت الطريق، هذا لأنني لم أدخل فيه إلا أوباشا من الجيش الذين أعطوني الكلمة ثم خدعوني"⁶.

وعليه نجد أن أغلبية الضباط الذين أبدوا ولاءهم وبقوا لهم من الأوفياء، هم من أبناء المستوطنين أما الآخرين فما كانت لهم حسابات مع الجنرال ديغول ولا حتى أن هناك شيء يشدهم لتبقى الجزائر الفرنسية مثل الكولون⁷. تمرد أدى إلى تدعيم المنظمة المسلحة السرية والذي رأت فيه تدعيم للعمل الشجاع لإنقاذ شرف فرنسا⁸.

¹ - L'écho d'Oran, 22 avril 1961, N°32082, p: 6.

² - L'écho d'Oran, 22 avril 1961, N°32082, p: 6.

³ - برنارد ليديوج، مرجع سابق، ص: 253.

⁴ - عبد القادر خليف، سياسة الجنرال ديغول الجزائرية من خلال مذكراته، مجلة الفكر السياسي، العدد، 250، 2006، ص: 11.

⁵ - محمد العربي الزبيري، انعكاسات الثورة الجزائرية...، مرجع سابق، ص.ص: 87-88.

⁶ - الجندي خليفة وآخرون، مرجع سابق، ص: 410.

⁷ - Droz Bernard et Lever Evelyne, op. cit., p: 295.

⁸ - عبد المجيد عمراني، مرجع سابق، ص: 133.

فأصبحت أكثر نشاطا بدعايتها إذ وزعت بيانا في كل من مدينتي وهران والجزائر، جاء مضمونه يدعو إلى عنصرية وتطرف مقيت: " بكفاحكم من أجل الجزائر الفرنسية فإنكم تكافحون من أجل حياتكم ومن أجل شرفكم ومستقبل أبنائكم وتشاركون في الحركة التجديدية الوطنية الكبرى" ¹. ورغم أن مخططهم افتقر للتبصر إذ كان أكثر حماسا واندفاعا²، لكنه سجلت فيه انطلاقا حقيقية للمنظمة المسلحة السرية إذ تزودت بالسلاح إلى جانب عناصر من إطارات الانقلاب الأكثر تطرفا ³، والتي بعدما أن فشلت في الاستيلاء على السلطة من خلال انقلابها، كشفت عن عملها الإجرامي قصد تسجيل حضورها والتعبئة النفسية لإعادة الأمل للأقلية الأوروبية⁴.

كثفوا من نشاطاتهم عن طريق التحريض بإصدار بيانات وتوزيعها على أوسع نطاق احتوت في مجملها "الدعوة ضد التخلي والخيانة من لدن الحكومة" وأخرى توضح أن هناك قوة من العسكريين المحاربين هي في إطار التنظيم، كله للترهيب والإبقاء على المعنويات المرتفعة للأقلية الأوروبية ⁵، كما استغلت الظروف وبدأت في نشر شبكاتها الموازية لأجهزة الإدارة والشرطة، البنوك، البريد، حتى تكون على اطلاع بما يجري⁶. لكن الجنرال ديغول انتظر إلى أن اكتملت الصورة دق وبتاريخ 25 أبريل 1961 ببناء عبر راديو الجزائر، استطاع من خلاله أن يفشل جنرالاته الذين وصفهم على أنهم حزبيين طامعين متعصبين حاقدين متكرين مجازفين، مقررأ على أنه سيستعمل القوة وكل الوسائل لقطع الطريق على هؤلاء في انتظار القضاء عليهم، مصرحا: " أحذر قبل كل شيء كل جندي أن لا ينفذ أي أمر من أوامره" ⁷. لكن الجنرال ديغول لم يكن جادا في معالجة هذا التمرد، لأن بوادر الدعوة إليه كانت مبكرة حيث أصبحت علانية بعقد

¹ - دحماني تواتي، مرجع سابق، ص: 92- 94.

² - محمد العربي الزبيري، انعكاسات الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص: 230.

³ - Ould Oudia (J.P), op.cit, p: 424.

⁴ - دحماني تواتي، نفس المرجع، ص: 94.

⁵ - Jean Jacques Jordi et Guy Perville, Alger 1940- 1962 une ville en guerre, Histoire, N° 56, p: 223.

⁶ - Yves courrière, Les jeux de désespoir, livre de poche, p: 267.

⁷ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 121.

للمتمردين اجتماعاتهم علانية في المقاهي والحانات، يتحدثون جهرة وأمام البوليس عن المظاهرة القادمة¹.

لقد كان خطاب الجنرال ديغول حاسما وفاصلا لمعضلة كانت ستجعل فرنسا الاستعمارية تعيش التصدع والانشقاق، وعليه وبعد التهديد والوعيد أنهاء مستعطفًا الفرنسيين قوله: " انظروا إلى أين تتجه فرنسا اليوم وما الواقع الذي ستصبح عليه غداً؟... أيتها الفرنسيات أيها الفرنسيون أنا في حاجة إليكم"²، إنها ضربة قاضية للمتمردين خاصة بعدما أن ارتدى لباسه العسكري وعبر التلفزيون وجه ندائه للفرنسيين طالبا دعمهم مؤكداً على حق الشعب في تقرير مصيره غير أنه أنكر أنه يريد القطيعة بين الجزائر وفرنسا³. ورغم أنه أبدى ارتياحا لانكشاف غمته وانتهاء عقبة كؤود لكنه أبدى تأسفه لهذه الأحداث التي أفقدته كما يقول رؤساء عظام وحتى من منفيها"⁴ إلا أنه لا يعترف للثورة التحريرية بهذا التطور الذي أحدثته في مسار تاريخ فرنسا المعاصر.

خطابه قضى قضاءً كلياً على آمال الأقلية الأوروبية وقادة الجيش من الانقلابيين، أبكى الكثير في الشوارع والسلاح في أيديهم والبعض منهم يصرخ: " لقد تخلى عنا الجيش، لقد خدعنا" وهم الذين اعتبروه الأمل⁵، تأثير النداء جعلهم يختفون ويتشتتون ليبدأ الاستسلام لدى الكثير منهم⁶. إلا أن الجنرال ديغول وصفه بالمغامرة الممقوتة، في ظله ستصبح الدولة ضعيفة، منبها على أن الأمة التي يتحدونها تنتزع قوتها وتندهور مكانتها وتتشوه صورتها"⁷.

¹ - المجاهد، 8 ماي 1961، عدد سابق، ص: 7.

² - باتريك إفينو، جون بلانشياس، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 225.

³ - برنارد ليدويدج، مرجع سابق، ص: 249.

⁴ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 123.

⁵ - Guy Derlimandière, op.cit., p.p: 94- 95.

⁶ - برنارد ليدويدج، مرجع سابق، ص: 249.

⁷ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص: 226.

هي تجارب بينت للحكومة الفرنسية وعلى رأسها الجنرال ديغول أن مواصلة الحرب الاستعمارية هي التي تضعف أداة الحكم وسلطة الدولة وتقوي ضعف المتمردين وغلاة الاستعمار وتفتح الطريق لقيام نظام فاشي¹. وهو ما بدأ يتجسد فعليا بفعل راديكالية وتطرف المنظمة المسلحة السرية والتي بإجرامها استطاعت أن تنقل وتنتشر الرعب في قلب فرنسا عن طريق التفجير والدمار والتقتيل الأعمى بهدف إسقاط نظام الحكم².

لكن ما تميز به خطاب الجنرال ديغول من صرامة قلصت نجاح الانقلابيين، خاصة بعدما أن لعب الجنود الشباب والتقنيون وغالبية المثقفين دوراً إيجابياً خدم السلطة المركزية معتبرين أن الحركة الانقلابية التي تصب في الجزائر الفرنسية لا تعنيهم³.

وكثيراً ما أظهروا تضايقهم من الواقع الذي ينعم فيه أوروبيو الجزائر، تحرم منه تسعة ملايين جزائري، وعليه بينوا شدة كرههم للكلون، حتى أن البعض منهم صرح مبكراً 1956 لوزير الأشغال العمومية "روبير بارون" بأن الكلون مضجرين وجشعون، البعض منهم يبيعون لنا لتر من الماء بستة فرنكات"⁴.

لقد استطاعت الثورة الجزائرية من فرض توجهها، حيث تمكنت من تحويل الصراع من فرنسيي الجزائر إلى فرنسيي فرنسا بفضل انتصاراتها العسكرية والدبلوماسية وهو ما جعل ممثل جبهة التحرير الوطني وبتاريخ 26 أفريل 1961 السيد "سندارلي" يعلن ومن نيويورك: "أن تمرد الجنرالات الفرنسيين يسهل حل المشكل الجزائري"⁵، ولعل ما يظهر بؤادر الفشل الذريع والتراجع هو الاندفاع والحماس وحتى التضام عند التراجع والانهازم أن هناك من جاء ليقدم دعمه ومنهم من جاء بحثاً عن منصب محتمل أو ترقية، حيث أنه كلما تناقصت الحمى تناقص عددهم ولم يبق إلا الأكثر تطرفاً

¹ - المجاهد، 25-09-1961، العدد، 105، ص: 10.

² - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 507.

³ - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 65.

⁴ - Robert Buron, Carnets politiques de la guerre d'Algérie, Plan, 1965, p.p: 34- 35.

⁵ - Jacques Rouvière, op.cit., p: 420.

والرجعيون المجرمون المتعطشون للدم الجزائري¹، منهم "جون جاك سوزيني" العضو الفاعل في منظمة الجيش السري الذي ترجى الجنرال "شال" العدول عن قرار تسليم نفسه خدمة للعناصر المدنية الأوروبية وحتى دون اقتناع وشعور منه بحالة الضياع، وأفق الانضمام لمنظمة الجيش السري ومشروعها قائلاً: "الموت من أجل الموت، فالأحسن الهلاك مع رفاق منظمة الجيش السري"² لكنه سرعان ما تفتن لتهوره وعدم قبول الأقلية به مطالبين إسناد السلطة للجنرال "سالان" إلى جانب تفتنه لمشروع الانقلاب الذي يحضر له قادة الأقلية الأوروبية ومنهم "سوزيني، بيريز، دوكلارك، سرجان..." داخل الحركة الانقلابية مطالبين بأحقية المنظمة المسلحة السرية في إعطاء تعليمات وليست قيادة الانقلاب³.

ظروف دفعت بالجنرال "شال" إلى الاستسلام مع وضع حد لهذه المغامرة بعد أن شعر بأنه لم يتبع كما خطط له⁴، وإنه ليبقى تبرير غير قوي لما التزم به، بين أن موقفه كان فقط الانتقام من الجنرال شارل ديغول ومن جيش التحرير الوطني الذي لم يتمكن من الوصول معه إلى حسم، وليست بالتزامات اتجاه الأقلية الأوروبية، تبعه وبعد أيام الجنرال "زيلر" أما الجنرال سالان وجوهر انتقلا للعمل السري في صفوف المنظمة المسلحة السرية⁵، إذ يوضح الجنرال شارل ديغول: "أنهم فروا اتجاه معسكر زرادة ضمن شاحنة شاحنة مع بقية الجنود مغادرين المدينة وهم يرددون أنشودة "إيديت بياف": "لست نادما على شيء" ليشرع هذين الجنرالين في توجيه أعمال المنظمة المسلحة السرية"⁶.

¹ - بوعلام نجادي، مرجع سابق، ص: 92.

² - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 67.

³ - Jacques Rouvière, op.cit., p: 259.

⁴ - Le journal d'Alger, 7-8 mai 1961, N° 3537, p: 4.

⁵ - برنارد ليدويج، مرجع سابق، ص: 67.

⁶ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 124.

وهم بهذا اعتدوا على سمعتهم وما نجحوا إلا في إغراق زملائهم من الضباط والجنود وحتى السكان من المستوطنين في فوضى وحيرة وبلبلة¹. جريدة المجاهد حلت التمرد على أنه تحطيم لمؤسسة الجيش ونشر الأحقاد بين ضباط الوحدات المتمردة بما في ذلك توسيع الحقد بين الوحدات المحترفة والاحتياط من المجندين مع اتساع الهوة بين الفرنسيين في فرنسا الذين أحسوا بالتهديد والخطر الفاشي وأوروبيي الجزائر الذين شعروا بالعزلة واليأس².

ورغم أن الجنرال ديغول أسرع في استحداث ما تخوله المادة 16 من الدستور له من صلاحيات، كما أقال خمس رؤساء بلديات لنفس الأسباب، ومنع نشر جرائد الكولون لما قامت به من دعاية مغرضة بما في ذلك التحريض كصدي الجزائر ووهران³، كما أنشأ محكمة عسكرية تعجل الفصل في أحداث التمرد، صدور الأحكام التي كانت خفيفة مقارنة بالفعل وانعكاساته، لكنه فسرهما على أن المحكمة أخذت بعين الرأفة خدماتهم السابقة إلى جانب أنهم سلموا أنفسهم دون إراقة دماء، لكن ما كان غير مبرر ومخزي ذكره الدوافع التي حملتهم على ارتكاب ما أقدموا عليه واصفا إياها: "لم تكن بدنيئة القصد"⁴.

وموازاة مع ما يقوم به متطرفو الأقلية الأوروبية، تفتنت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية لهذا التمرد، حيث أعلنت وعلى لسان رئيسها فرحات عباس وعبر أمواج إذاعة تونس بأن هذا الصنيع من ضباط متمردين يسعون إبقاء الجزائر في كنف الاستعمار، مطالباً الجزائريين بالالتزام بالاتحاد والابتعاد عن تحريضات الجيش وإشارات الكولون⁵. كما وصفهم في نداء موجه للشعب الجزائري: "إن هؤلاء الجنرالات من

¹ - سعد دحلب، مصدر سابق، ص: 128.

² - المجاهد، 22 ماي 1961، العدد، 96، ص: 8.

³ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 305.

⁴ - شارل ديغول، نفس المصدر، ص: 125.

⁵ - Jacques Rouvière, op. cit., p.p: 214- 215.

المغامرين والذين يزعمون اليوم بالجزائر الفرنسية، هم أولئك أنفسهم الذين يقفون منذ سبع سنوات في وجه كفاحك البطولي... جعلوا أنفسهم أبطال الفاشية والاستعمار... محاولتهم يائسة وستبوء بالفشل مثلما فشلت محاولة 24 جانفي 1960¹. كما حمل وأدان فرحات عباس ضباط الانقلاب لخطئهم وتأمرهم الذي كانت له عواقب وخيمة إذ يقول: "خطأهم الأكبر كان في ساعات الحسم، لقد جروا البلاد صوب الاختبارات السيئة وكانت لهذا الأمر نتائج غير مقبولة"².

كما حذر أحمد يزيد وزير الإعلام في الحكومة المؤقتة الأقلية الأوروبية من الانسياق وراء عواطفهم، ابتعاداً عن الاستقرايات المنمية للأحقاد، ورفضهم من أن يكونوا مرة أخرى أداة في خدمة مصالح الاستعمار³. ورغم ذلك فإن خيبة الأمل التي منيوا بها وبهذا الفشل الذريع عجل في انضمامهم ضمن صفوف المنظمة المسلحة السرية ليغامروا بكل ما لديهم لعلمهم يحققون أهدافهم⁴، وهو ما قرره قادة الكولون حيث لم شمل كل الأقلية الأوروبية من جميع الطبقات إذ أن كل المنظمات والجمعيات الأوروبية انضوت تحت لواء هذه المنظمة بداية من ماي 1961⁵.

وهو ما دفع فرحات عباس بالتحليل قوله: "أنتمردون بدوركم ولأي غرض؟ أي شيء يشبه تمرد الأثرياء" وهو بذلك يريد إبعاد شريحة كبيرة منهم عن هذا التمرد ثم بعدها يتساءل ما هي الدلالة التي يمكن أن يحملها تمردكم الاحتفاظ بالجزائر على الوضع الذي هي عليه؟ تدعيم البنايات الاستعمارية؟ ثم يلقي بالمسؤولية عليهم قوله: "ألم تأبوا أن نكون فرنسيين مثلكم وتآبون اليوم أن تكونوا جزائريين مثلنا"⁶، لكن الرد كان قويا وصريحا على لسان نائب رئيس الحكومة المؤقتة ووزير خارجيتها السيد كريم بلقاسم

¹ - المجاهد، 25 أبريل 1961، العدد، 94، ص: 1.

² - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 407.

³ - المجاهد، نفس العدد السابق.

⁴ - Jacques Rouvière, op.cit., p: 418.

⁵ - Jean Planchais, Patrick Eveno, op. cit., p: 283.

⁶ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 299.

موضحاً أن التمرد سيتحطم على صخرة المقاومة التي يقودها الشعب الذي حطم كل محاولات الاستعماريين وقادتهم¹.

¹ - المجاهد، 25 أبريل 1961، عدد سابق، ص: 4.

الفصل الخامس

الأقلية الأوروبية وفقدانها الجزائر الفرنسية 1960-1962

1-الأقلية الأوروبية ونهاية البداية 1960-1962

1-1-المفاوضات الجديدة والأقلية الأوروبية 1960-19 مارس 1962

1-2- الأقلية الأوروبية ومساهمتها في اجرام المنظمة المسلحة السرية 1961-

1962.

2- الأقلية الأوروبية والمرحلة الانتقالية 19 مارس 1962 -جويلية 1962 ومواقف

هيئات الثورة الجزائرية.

2-1- الأقلية الأوروبية والمرحلة الانتقالية 19 مارس 1962 -جويلية 1962.

2-2-رؤى ومواقف هيئات الثورة التحريرية على الأقلية الأوروبية.

1-الأقلية الأوروبية ونهاية البداية 1960-1962

1-1-المفاوضات الجدية والأقلية الأوروبية 1960-19 مارس 1962

ما برحت جبهة التحرير الوطني وقادتها التخفيف من حدة وجود الأقلية الأوروبية كمشكل عويص لحل القضية الجزائرية وهو ما صرح به فرحات عباس قائلاً: " إن وجود أقلية أوروبية لن يكون حاجزاً للحيلولة دون استقلالنا"¹. لذلك سارعت جبهة التحرير الوطني وحددت مواقفها بالعناصر المقترحة كقاعدة للمفاوضات إدراكاً منها أن الحل النهائي لن يتم إلا بواسطة المفاوضات ومنها أقترح على الأقلية الأوروبية الاختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعتبرون بذلك كأجانب اتجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين، بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات" وهي بذلك قطعت مبكراً كل مناورة سياسية تخص هذه الأقلية².

وما يؤكد تفضيل القادة العسكريون وحتى السياسيون منهم سبيل المفاوضات ما جاء به فرحات عباس في كتابه "تشریح حرب": " كان بن بولعيد قد صرح للرائد "فانسان مونثوي" أن الحرب ما هي إلا وسيلة وليست غاية في حد ذاتها" ثم يقول لما طرح السؤال على كريم بلقاسم في بدايات الثورة "وجدت لديه نفس الفكرة، والتاريخيون أنفسهم بمن فيهم جماعة القاهرة كانوا مستعدين للمفاوضات وتجنيب حرب دامية، طويلة مكلفة" إلا أن فرحات عباس يصل إلى نتيجة متأسفاً قوله: " كان غلاة المستعمرين يرفضون في أعماق قلوبهم تحررنا مهما كانت الطريق المؤدية إليه"³. ورغم قدرة الثورة التحريرية على الصمود سواء على المستوى السياسي أو العسكري، فإنه من الفرنسيين من كان ينظر إلى التفاوض مع زعمائها على أنه نوع من التنازل المسيء لكبرياء فرنسا وعملية استعداد للرحيل من الجزائر⁴. وعليه فإن المفاوضات بالنسبة لفرنسيي الجزائر مع جبهة التحرير

¹ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 39.

² - El Moudjahid, N°4, numéro spécial, tome 1, p.p : 59- 60.

³ - فرحات عباس، تشریح حرب، مصدر سابق، ص.ص: 157- 158.

⁴ - Pierre Nicol, Algérie perdu, Edition du Feseau, paris, 1965, p : 102.

الوطني تظل دائما رديفة الخيانة، وعليه فإنهم يرفضون الفكرة من أساسها للمحافظة على سلطتهم المطلقة¹.

رفض لم يأتي من فراغ بل جاء من مواقف قادتهم كالذي اتخذه "فرانسوا ميتران" كوزير داخلية أمام لجنة الشؤون الداخلية في البرلمان الفرنسي قال: " لا يمكن أن تكون هناك محادثات بين الدولة والعصابات المتمردة، والجزائر مقاطعة فرنسية وجزء لا يتجزأ من التراب الفرنسي"²، حتى من قبل "روبير لاكوست" الذي أعرض عن تجديد سلسلة اللقاءات مع جبهة التحرير الوطني مصرحاً: " أن فرنسا ستحارب للبقاء في الجزائر"³.

وهو ما تبين على إثر اتصالات سبتمبر 1956 التي كانت ما بين "خضر، كيوان، يزيد، دباغين" من جهة ومبعوثي غي مولي منهم "كومان، هاربو" والذين توصلوا من خلاله إلى مبدأ الاستقلال الذاتي مع ضمان تمثيل الفرنسيين القاطنين بالجزائر، إلا ما اعترض ذلك مسألة العلم الجزائري، إلا أن ما وقع بعد اختطاف الطائرة التي كانت تقل قادة جبهة التحرير الوطني كله ذهب أدراج الرياح وتم إهمال كل شيء⁴.

ذلك ما جعل فرحات عباس حتى ما قبل التحاقه بجبهة التحرير الوطني سنة 1956 يفصح للصحفي النمساوي "آرثور روزنبورغ- Arthur Rosenberg" قائلاً: "المفاوضات وحدها يمكن أن تسوي المشكلة الجزائرية ولكن اليمين الفرنسي لن يقبل ذلك أبداً أما اليسار فلن يقدم على التفاوض خوفاً من أن يتهم بالخيانة... إن الرجل الوحيد الذي يمكن أن يتدخل وتكون معه حظوظ النجاح هو ديغول"⁵.

¹ - فرحات عباس، تشريح حرب، المصدر السابق، ص: 401.

² - رضا مالك، رضا مالك، الجزائر في إيفيان، تاريخ المفاوضات السرية 1956-1962، ترجمة: فارس غصوب، دار الفرابي، الجزائر، 2003، ص: 193.

³ - بسام العسلي، الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة الجزائرية، مرجع سابق، ص: 23-26.

⁴ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 101.

⁵ - Yves Courrière, La guerre d'Algérie, l'heure des colonels, tome 3, édition Casbah, Alger, 2005, p : 229.

وبمحاولة الجزائريين فتح حوار ديمقراطي مع فرنسا في إطار المؤسسات التي أقامها النظام الاستعماري لم يكن سوى مسلسل طويل من الرفض والاحتقار والقمع الوحشي¹. ذلك الذي وقف عليه بن يوسف بن خدة في خطابه الأول للشعب الجزائري بتاريخ 15/09/1961 جاء فيه " أما أولئك الأوروبيون المتعصبون الذين يقومون بمساعدة الجيش والشرطة الاستعمارية في المدن الجزائرية بالتقتيل والتهميش والنهب، فإنه بكل ذلك لا يعلنون شيئا سوى القضاء على مستقبلهم في الجزائر المستقلة" مضيفا: "أنه في الوقت الذي نحاول فيه أن نجد لمشكلتهم حلا عادلا وإنسانيا لا يمكن لأعمالهم إلا أن تقيم حواجز أخرى للتعايش السلمي بينهم وبين الشعب الجزائري"².

رفضوا كل محاولة للتقرب من جبهة التحرير الوطني وهو ما عبروا عنه عندما قام الصحفي "روبير بارا" « Robert Barrat » وأندري ماندوز « André Mandouz » بترتيب لقاء سري بين الحكومة الفرنسية وممثلي جبهة التحرير الوطني، أجبر هذا الأخير من قبل المستوطنين على ترك منصبه من جامعة الجزائر واللجوء هو وأسرته لفرنسا لتعاطفه مع القضية الجزائرية، كما أنهم طالبوا بملاحقة ومتابعة روبير بارا قضائيا بفعل حوار ه مع القائد "عمر أوعمران" خريف 1955 والذي نشر في صحيفة فرانس أوبسرفاتور³.

انتصارات جيش التحرير الوطني وفشل كل مناورات الجنرال ديغول والانقسامات السياسية الخطيرة التي وقعت فيها فرنسا والتي أصبحت تتذر بأفق لحرب أهلية جعلته يقتنع بأهمية التفاوض مع جبهة التحرير الوطني، الأمر الذي دفع برئيس الحكومة المؤقتة الجزائرية توجيه نداء للشعب الجزائري بتاريخ 20 جوان 1960 يعبر فيه قبل الدعوة، متشائما بنتائج ما أسفرت عنه اللقاءات السابقة بفعل تعنت الاستعماريين في باريس

¹ - مركز الأرشيف الوطني (Appel de la fédération de France (lettre aux français mai 1956) boîte 112-5

² - يحي بوعزيز، من وثائق جبهة التحرير الوطني 1954-1962، مرجع سابق، ص.ص: 94-95.

³ - Francis et Colette Jeanson, L'Algérie hors la loi, édition ENAG, Alger, 1993, p.p : 321-325.

والمتطرفين بالجزائر... ما ترددوا في القيام بأية مناورة من أجل إفشال المفاوضات وإطالة أمد الحرب¹.

لقد بدأت مناورات فرنسا الاستعمارية مبكراً في تجزئة الجزائر لإضعافها وهو التصور الذي عدمه الجنرال شارل ديغول²، قوله: "... وأن تمرکز حکما حول مدينتي الجزائر ووهران السكان الذين يرغبون في البقاء فرنسيين"³، إلى جانب قوله: " أن يتمكن مواطنو البلدين من التنقل بحرية من بلد إلى آخر، وأن يستقروا حيث يريدون وأن يزاولوا مهنتهم فيها وأن يدخلوا إليها كل ما يملكونه أو يتركوه فيها أو يسحبوه منها بحرية، ويجب أن يحصل المواطنون الفرنسيون على ضمانات عديدة تتعلق بأشخاصهم وأموالهم وحقوقهم المدنية وطريقة حياتهم ولغتهم ومدارسهم..."⁴.

لقد فكر في خلق منطقة ساحلية تحت السيادة الفرنسية يشكل فيها الأوروبيون والمسلمون الأغلبية مع ترك سائر البلاد دون منطقة البترول في الصحراء لأهلها يحكمونها كما يشاؤون،⁵ ذلك ما جاء في مذكراته: "فقد آثرنا اقتراحا يرمي لإعادة تجميع الأوروبيين والمسلمين الذين يرغبون في الاحتفاظ بجنسيتهم الفرنسية في منطقة ضيقة يؤلفون فيها أغلبية السكان، وتتولى فرنسا حمايتها كما لو كانت جزءا من إقليمها"⁶. ضمانات أعطيت للأقلية الأوروبية، في حالة بقائها بالجزائر يقول محمد الميلي عنها: "تجعل منها بالفعل طابورا خامسا للاستعمار الحديث، وتكون مبرراً لتدخله الدائم في شؤون الجزائر المستقلة بعنوان: "فرض احترام الاتفاقيات" ولا شك أنه في عزم الحكومة الفرنسية تشجيع بقاء هذه الأقلية في الجزائر بكل ثمن"⁷.

¹ - El Moudjahid, 20 juin 1960, N°66, tome 3 ; p.p : 123- 124.

² - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان، مصدر سابق، ص: 17.

³ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 109.

⁴ - نفس المصدر، ص: 127.

⁵ - برنارد ليديج، مرجع سابق، ص: 254.

⁶ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 125.

⁷ - محمد الميلي، مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 211.

إلا أن الحكومة المؤقتة وعلى لسان جريدة المجاهد ردت وبوضوح عن المشروع قولها: " أن بلقنة الجزائر لا يمكن أن تجد طريقها للتحقيق طالما أن الشعب الجزائري بكليته يقف ضدها، زيادة على أنها تذهب عكس مصالح أوربيي الجزائر ذاتهم"¹. وهو ما يبينه فرحات عباس قوله: " إن وجود هذه الأقلية يكون مشكلة عرضية ليس حلها بالأمر المستحيل، وسيتكفل الشعب الجزائري بحلها بكل إنصاف حين تدق ساعتها"². لتضيف جريدة المجاهد وبتاريخ 20 فيفري 1960: " أن هذه "البلقنة" غير قابلة للتحقيق، وهي تجعل من وحدة الوطن الجزائري شيئا رخيصا... طالما أن الاستدماريين يعتمدون على وجود أقلية أوروبية ليست مندمجة في الشعب الجزائري، لذا فإن مشروع بلقنة الجزائر يستحق الفضح بكل حزم من كل التهديدات التي يجعلها تحوم على الوطن الجزائري الواحد وغير القابل للتجزئة"³.

ليقدم فرحات عباس الخطوة الأولى لتفكيك هذه المعضلة قوله: " حلها يقتضي بادئ ذي بدء تغيير في عقلية الجميع أكثر ما يقتضي تغييرا في القوانين، لأن المسألة قبل كل شيء مسألة بسيكولوجية"⁴. إلا أن الجنرال ديغول كان يلح لتجسيد مشروعه القائم على "حكم ذاتي ضمن مجموعات عرقية مبنية على نظام فيدرالي، ومنه نتحصل على ضمانات تتعلق بحياتها الخاصة وإطارا للتعاون فيما بينها"⁵. ذلك الذي اتضح من خلال ما قدمه فرحات عباس وانطلاقا من لقاءاته مع "آرثور روزنبرغ" إلى جانب أحمد بومنجل وغيرهم عرضا مفصلا للجنرال ديغول الذي شكره وخاطبه قائلاً: "بكل تأكيد ستكون الجزائر مستقلة" لكنه أضاف: " يجب أن تعرف ما أعني بالاستقلال؟ سيكون من الأفضل الحديث عن التعاون والشراكة مع الجزائر"⁶. لكن جريدة المجاهد بينت ومن

¹ - أندري ماندوز، الثورة الجزائرية عبر النصوص، مصدر سابق، ص: 125. المجاهد، 15 مارس 1961، العدد، 71.

² - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 39.

³ - المجاهد، 20 فيفري 1960؛ أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 157.

⁴ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص: 39.

⁵ - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان، مصدر سابق، ص: 17.

⁶ - Yves courrière, op.cit., p : 231.

خلال تحليلها أن الأقلية الأوروبية لا تستطيع أن تحصل على ضمانة جوهرية أفضل من محتوى الديمقراطية التي نريد ممارستها في بلادنا، بعد تخليصها من كل تمييز عرقي أو ديني، الأمر الذي يصح على كل الأوروبيين الذين يريدون العيش في الجزائر مثلنا ومعنا، حسب الخيار الذي يقررونه أنفسهم"¹.

والقرار لم يكن وليد المساومات والضغوطات بل كان مبكراً ومن خلال أهم وثيقة تاريخية بيان أول نوفمبر 1954، تعلن عن بداية الثورة الجزائرية التي أثارت وبكل وضوح المخارج السلمية لهذه الأقلية الأوروبية من خلال هدفها: "احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني"². كما أثارت وثيقة الصومام هي الأخرى، بكل عزم عن الحلول الموضوعية للأقلية الأوروبية دون أن تهمل وجودها ضمن شروطها التي أدرجتها كعنصر فاعل في المفاوضات، فيها حدد المؤتمر ضمن السياسة العامة في النقطة المتعلقة بإجراء المفاوضات، الاعتراف بوجود أمة جزائرية ووحدتها، ونبذ ادعاء الجزائر الفرنسية والاعتراف بسيادتها واستقلالها على جميع التراب الوطني"³. لكن الجنرال شارل ديغول واصل مناوآته السياسية باستعمال التهديد والتقسيم في حالة ما إذا اختار الجزائريون استقلالهم وإنه ليفكر في إعداد مناطق خاصة بالأوروبيين لجمعهم واستقرارهم"⁴.

وفي خطاب له بتاريخ 12 جويلية 1961 للفرنسيين ومنه ما خص به الأقلية الأوروبية يوضح مدى تمسكه به كورقة ضغط لتحقيق مصالح فرنسا قوله: "...فسنضطر في النتيجة إلى تجميع السكان الذين يرفضون الالتحاق بدولة آيلة إلى الفوضى، في إحدى المناطق، بغية حمايتهم أو ضمان وسائل استقرارهم في فرنسا، إذا رغبوا في ذلك، وعدم الاهتمام بأي حال بمصير بقية السكان ومنعهم من دخول أراضيها"⁵، الأمر الذي تكلفت

¹ - المجاهد، 15 مارس 1961، العدد، 71؛ أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 216.

² - أنظر الملحق رقم 04: بيان أول نوفمبر 1954.

³ - زهير إحدادن، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954-1962، مصدر سابق، ص: 325.

⁴ - Pierre Nicolop.cit, op : 102.

⁵ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 130.

به السلطات الاستعمارية بإرغام الجزائريين وبالقوة على مغادرة مساكنهم واللجوء إلى الأحياء التي تدعى بالأحياء الإسلامية، وهكذا يريد الاستعماريون الفرنسيون فرض التقسيم بصورة عملية وتحقيق حلمهم في تقسيم التراب الجزائري بتكوين قطع أرضية تخضع لسيادة الأوروبيين¹.

لهذا استخلص الوفد المفاوض من الحكومة المؤقتة والسلطة الفرنسية أن الجنرال ديغول تخاذل وسكت عن الأعمال الإجرامية، وهو ما جعل وزير خارجية الحكومة المؤقتة يصرح بما يلي: "أظن أن الجنرال ديغول يوظف المنظمة المسلحة السرية كأداة ضغط علينا"².

رغم أن ما جاء في مذكراته يدحض هذا التخمين قوله: "لقد كانت حركة العصيان هذه تعتقد أنها بإقدامها على الإكثار من قتل المسلمين ستعمل طائفتهم على مضاعفة المجازر والمذابح وأن مثل هذه الحالة التي تسود الجزائر، ستحول دون استمرار المحادثات المقررة، وكانت تعتقد أيضا أن الذعر الذي كان قديما محصوراً بالهيئات أصبح اليوم يشمل المجتمع بكامله، إذ كان أصحاب نظرية الإرهاب يهدفون إلى إشاعة الرعب لدى الرأي العام والسلطات العامة، عن طريق ارتكاب الجرائم بشكل مستمر لإرغام الطرفين السير في الاتجاه المفروض عليه"³. لكن رغم ذلك نقول أن التسامح الذي وجدته عصاباتا سواء في تنفيذ عملياتهم أو حتى فرارهم يدل على التواطؤ الكبير حتى في أحكام القضاء بالنسبة للذين حوكموا.

ظهور المنظمة المسلحة السرية يقول عنها محمد الميلي: "تعتبر نتيجة طبيعية من نتائج السياسة الفرنسية في معالجتها للقضية الجزائرية" ويضيف: "دخول الجهاز الديغولي بصفة رسمية في معركة ضدها من شأنه أن يخلق تعاطفا جزائريا مع سياسته

¹ - المجاهد، 19-02-1962، العدد، 115، ص: 2.

² - Anne Marie Duranton Crabol, op.cit., p : 161.

³ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 135.

وبذلك توجد قاعدة قد تسمح بتهيئة الجو النفسي اللازم لاستمالة فئات واسعة من الجزائريين إلى صفه¹.

ويضيف فرحات عباس في الشأن قوله: " مهما يكن من أمر فإننا نلقي مسؤولية جنونهم وغطرستهم على فرنسا نفسها ونحن متيقنون بأن مسألتهم تصبح في خبر كان إذا قبلت فرنسا بإنصاف استقلال الجزائر، وإذا اتفقت مع جبهة التحرير الوطني على منهاج هذا الاستقلال ورسائله². وبالمقابل توعّد سعد دحلب غلاتهم قائلاً: "... سنتمكن من إصابة المعمرين بانهزامات جديدة من جهة وإحباط مؤامراتهم من جهة أخرى والتي ترمي إلى التفرقة والإفساد"³.

فبذلك واجهت الحكومة المؤقتة هذه المخططات بمفهوم الأمة الجزائرية المكونة من شعب واحد، ومنذ عصور عديدة إلى جانب هذا الشعب توجد أقلية أوروبية والتي لا يجوز اتخاذها وسيلة للإبقاء على امتيازات المعمرين، ولا بد أن يجد هذا المشكل حلاً في إطار دولة جزائرية موحدة⁴. تضيف جريدة المجاهد من خلال تحليلها: " أما التفكير في جعل الأقلية الأوروبية أداة لضرب استقلال الجزائر وتخريب وحدتها من الداخل فإنه لا يعدو أن يكون مناورة استعمارية محكوم عليها بالفشل الذريع"⁵.

ويضيف بن يوسف بن خدة قائلاً: " لا بد من حل مشكلة الأقلية الفرنسية، ولعلنا الوحيدين من أبناء المستعمرات الذين يرون إمكانية العيش مع مستعمرهم السابقين، وأن ما نطالبهم به هو التخلي نهائياً على اعتبار أنفسهم مواطنين ممتازين، ونحن عازمون على منحهم جميع الحقوق التي تسمح لهم بالاستقرار في الجزائر، حتى ولو كانوا لا يرغبون في أن يصبحوا جزائريين"⁶.

1 - محمد المبلي، مواقف جزائرية، مصدر سابق، ص: 207.

2 - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 41.

3 - سعد دحلب، مصدر سابق، ص: 253.

4 - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان، مصدر سابق، ص: 18.

5 - المجاهد، 5 جوان 1961، العدد، 97، ص: 3.

6 - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان، مصدر سابق، ص: 78.

لكنه ومع سلسلة اللقاءات التي كانت ما بين الجزائريين ما كانت في الواقع سوى عملية جس للنقض وهذا من خلال الشروط التي طرحتها فرنسا، من ورائها البحث عن شفرة تمكنها من التسلل للوصول إلى نتيجة كبيرة ومرضية دون أن يكون عليها ضغط لتقديم تنازلات قد تغضب الأقلية الأوروبية ومن يساندها من ضباط الجيش، وذلك ما يجعلها تعيش دوامة عنف وصراع داخلي، إلا أن ما توقع حدث بحيث تميزت المحادثات بنتائج سلبية¹.

وعليه ضعف كثيرا موقف الوفد الفرنسي نتيجة المحاولات الانقلابية الفاشلة بوقوف أوروبيي الجزائر إلى جانب المتأمرين وبقائهم مساندين لمنظمة الجيش السري، مما أدخل اللقاءات الثنائية في طريق مسدود، فتضاعف الأعمال الإرهابية².

فأصبحت أهم المدن الجزائرية وفي مقدمتها مدينتا الجزائر وهران مسرحا لمآسي يومية يقول شارل ديغول: " كان سفاحو المنظمة المسلحة السرية يؤثرون استعمال الرشاش والمسدس ضد المسلمين، يصوبون النار دون تمييز على كل من يشاهدونهم أمام المخازن والمقاهي أو في أرصفة الطرقات، ويستعمل هؤلاء المجرمون في الغالب السيارات للهرب بسرعة"³. يضيف قائلا: " إنها بمؤازرة عدد كبير من الفرنسيين الأصليين وبتواطؤ فئة كبيرة من رجال الشرطة وموظفي الحكومة، والقضاء المحلي، ويجب التفكير أيضا أنه ستطرا أحداث ذات خطورة متفاوتة من جراء بعض الوحدات العسكرية التي يرى بعض كبار ضباطها أن الجزائر مستعمرة لا تستطيع فرنسا التخلي عنها"⁴.

لذلك أثارت المفاوضات سخط الجيش الفرنسي الذي كان أكثر انخراطا في عملية التهدة وهذا ما يعني طغيان الجانب العسكري وتفضيل القمع كوسيلة لحل المشكلة، فلم

¹ - Pierre Nicol, op.cit., p : 102.

² - برنارد ليديج، مرجع سابق، ص: 254.

³ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 136.

⁴ - نفسه، ص.ص: 107 - 108.

يكن متسامحا مع أي مسعى للتسوية عن طريق المفاوضات¹، هو الآخر كان مناورا ضمن ما كان يقوم به ضباط الفروع الإدارية الخاصة والذين عملوا على نشر الدعاية في القرى زاعمين أن "فرنسا تدعو للسلام والحكومة المؤقتة ترفضه، في ظل فشل انطلاق "مولان Melun" 25-29 جوان 1960². لكن هذه الأخيرة ومن خلال جريدة المجاهد بينت حقيقة ما يجري قولها: "إن طبيعة السياسة الفرنسية بالجزائر هي من طبيعة الاستعمار بالجزائر من التضامن الطبيعي بين الفرنسيين ومن التشابه الأساسي بين الاستعمار الحديث الذي يريده ديغول والاستعمار التقليدي القديم الذي يريده المتمرّدون" تضيف: "أن استقلال الجزائر هو العلاج الطبيعي والحل الأصح للقضاء على عناصر الإجرام بكيفية نهائية"³.

هذا التصور الذي كان للبعض من أوروبيي الجزائر وابتداء من سنة 1954 بفعل ما حملته الأحداث من تطور جعلتهم يشعرون بخطأ موقفهم، ووقفوا على اللعبة السياسية الضارة التي يلعبها السياسيون، اكتشفوا ووعوا لواقعهم كجزائريين ولضرورة التكتل مع الجزائريين المسلمين، لكن هذا الوعي ظل غامضا متراجعا أمام الدعاية الخبيثة التي تبثها وسطهم الإدارة والجيش ورجال السياسة⁴، دعاية تبناها الاستعمار الكولونيالي يقول فيها فرحات عباس من خلال كتابه ليل الاستعمار: "إن تعبئة الرأي العام الفرنسي ضد الشعب الجزائري بسبب وجود أقلية فرنسية في الجزائر يؤدي إلى إبقاء روح عنصرية لا تعود بالنفع على احد" ثم يتساءل: "هل من المعقول أن يؤدي الشعب الجزائري على الدوام ثمن وجود هذه الأقلية، وجود لم يكن هو بالمسئول عنه بل وقع على حسابه، هل يبقى وجود هذه الأقلية على الدوام حجة تتذرع بها فرنسا لتشن علينا حربا ظالمة"⁵.

¹ - Raymon Aron, L'Algérie et la république, librairie, Plan, paris, 1998, p : 95.

² - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان، مصدر سابق، ص: 19.

³ - المجاهد، 25 أفريل 1961، العدد، 94، ص: 4.

⁴ - علي هارون، الولاية السابعة، حرب جبهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي 1954-1962، ترجمة: الصادق عماري، مصطفى ماضي، دار القصة، الجزائر، 2007، ص: 464.

⁵ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 41.

لتضيف جريدة المجاهد تحليلا عن ما أصبحت تشكله هذه الأقلية الأوروبية من مصاعب قولها: " ما انفكت تقف عائقا جديا في طريق كل حل سلمي للحرب الجزائرية، لا لأنها في الواقع عائق جدي، ولكن لأن الفرنسيين رسميين وغيرهم نفخوا في قضية الأقلية واتخذوها مبرراً لرفض المساواة في الحقوق بالمس ورفض الاستقلال الحقيقي اليوم، نجدها بين الحجج التي تعتمد عليها الدبلوماسية الفرنسية في الخارج لمعارضة الاستقلال"¹. وبذلك أوصل "أوليفي لونغ" ومن خلال تحليله ما أصبحت تشكله القضية الجزائرية من عبئ ثقيل على فرنسا الوطن، قوله: " دون أن نتمكن من تبني سياسة جزائرية بناءة أمام حركة الاستقلال لدى السكان المسلمين، وأمام رغبة فرنسيي الجزائر في الإبقاء على الهياكل السياسية والاجتماعية الموجودة على حالتها التي تشرع اضطهاد السكان الأصليين، وبسبب مماطلتها وجدت نفسها في موقع ضعف أمام قادة الجيش الذين كانوا يقاتلون على الأرض من أجل الدفاع عن الجزائر الفرنسية"². إلا أن الحكومة المؤقتة وضحت مبكراً وعلى لسان رئيسها فرحات عباس بتاريخ 1958/09/26 عبر تصريحه لطمأنة هذه الطائفة قوله: "... إن وجود فرنسيين وأوروبيين بالبلاد الجزائرية لا يكون مشكلا عسير الحل وعلى كل حال فإن الجزائر بعد تخلصها من الاستعماريين لا تقر وجود مواطنين ممتازين، ومواطنين ذوي حق منقوص وأن الجمهورية الجزائرية لن تميز أبداً، استناداً على العنصر أو المعتقد، بين الذين يرغبون أن يكونوا من أبنائها، وستعطي الضمانات الأساسية لكي يتمتع الجميع في جميع الدرجات بحق المشاركة في حياة البلاد وأن كل المصالح المشروعة ستكون محترمة"³. ضمن هذا التحليل يضيف فرحات عباس: " يكون تعايش الطائفتين على بعض الأوروبيين لا محالة صعبا ولكنه لا يكون مستحيلا، فالمسألة مسألة زمان، إن اعتبرنا بأن الاستعمار مرض الرأسمالية

¹ - المجاهد، 11 ديسمبر 1961، العدد، 110، ص: 5.

² - أوليفي لونغ، الملف السري، اتفاقية إيفيان مهمة سويسرية للسلم في الجزائر، تقديم: ماكس بوتيبير، تعريب: أودائية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012، ص: 16.

³ - يحي بوعزيز، من وثائق جبهة التحرير، مرجع سابق، ص: 114.

الجوهري أي مرض الملاكين الكبار فإننا لا ننسى بأنه مرض معد، نعم إنه أعدى في المستعمرات المجتمع الأوروبي برمته حتى البروليتاريا منه"¹.

لكن الفترة التي أعقبت فشل لقاء "مولان" إلى انعقاد لقاء " ليسران Lucerne" 1961/02/20، تخللته تطورات سياسية جد هامة أبرزها مظاهرات ديسمبر 1960 أقيمت الجنرال ديغول بأن كل محاولة ترمي إلى فرض حل عسكري ستبقى بدون جدوى إذ كانت عاملا حاسما في تعجيل سير المفاوضات². كما بينت التأييد الشعبي الواسع لجبهة التحرير الوطني بما في ذلك التأييد الدولي الواسع الذي اكتسبته من خلال الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة للأمم المتحدة³. قابلها ديغول بمشروع الاستفتاء على تقرير المصير والتي قابلته الأقلية الأوروبية برفض كبير، إذ يقول نفسه في هذا الشأن: " أعرب الكثير صراحة عن عدم موافقتهم، بتاريخ 11 نوفمبر 1960 قامت جماهير هائجة بالتظاهر في الشوارع، نهبت عدة أبنية، رجمت القوى النظامية، وفي اليوم الموالي بدأت سلسلة انفجارات البلاستيك أقدم عليها المتطرفون⁴. رغم ذلك تجددت اللقاءات بواسطة الوزير السويسري "أوليفي لونغ olivier Lung" لتسهيل افتتاح ومواصلة المساعي في سرية مطلقة وفي ظل استفتاء تقرير المصير الذي نظم بتاريخ 8 جانفي 1961، استفتاء مكن الجنرال ديغول مواجهة المتطرفين من الجهتين"، وهو بذلك وضع جبهة التحرير الوطني في نفس خط غلاة المستوطنين رغم أنه تفاوض معها⁵. وهو ما ذكره الوسيط السويسري: "نتائج الاستفتاء فسرت على أنها تفويض للجنرال ديغول للتفاوض مع قادة الثورة"⁶.

فاشتد النقاش بين الممثل الفرنسي "جورج بومبيدو" و"أحمد بومنجل" هذا الأخير الذي قدم تصور الحكومة المؤقتة حول مستقبل الجزائر مؤكداً على تقديم ضمانات لحفظ

¹ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 39.

² - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان، مصدر سابق، ص: 20.

³ - Khalfa Mameri, Les Nations Unis face à la prestation algérienne, édition SNED, Alger, S.D.p : 165.

⁴ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 104.

⁵ - Redha Malek, op.cit, p.p : 91- 92.

⁶ - أوليفي لونغ، مصدر سابق، ص: 24.

مصالح الأقلية الأوروبية مدعما موقفه بنصوص ومواثيق رسمية عالجت هذه القضية ومنها ميثاق الصومام وبيان الحكومة المؤقتة الذي صدر بتاريخ 28-09-1959¹. لكن ضغط الحومة الفرنسية اشترطت الجنسية المزدوجة للأوروبيين ومواقع حصينة لإقامة قواعد عسكرية فيها ورفضوا أي سيادة جزائرية على الصحراء².

وهو ما يذكره سعد دحلب من خلال كتابه "المهمة المنجزة" قوله: "بقت المسائل المتعلقة بالصحراء والأقلية الفرنسية هي التي واجهنا معها اكبر المصاعب" يضيف قائلاً: "أن الوفد الفرنسي كان يتسلط عليه هاجس مصالح الأقلية الأوروبية والمصالح الاقتصادية والإستراتيجية الفرنسية في الجزائر وإفريقيا"³. ذلك الذي جاء تأكيداً في تصريح بن يوسف بن خدة في مؤتمر دول وحكومات البلدان غير المنحازة بلغراد ديسمبر 1961 توضيحاً قوله: "... ولكي تقبل فرنسا أن تمارس حق تقرير المصير فإنها تشترط أن تقيم في بلادنا جيوشاً خاضعة للسيادة الفرنسية، وقواعد عسكرية، كما أنها تطالب بمنح الأوروبيين امتيازات خاصة تمكنهم من الهيمنة على الجهاز الاقتصادي والسياسي للبلاد، وتضمن وجود دولة داخل دولة"⁴.

لذلك أبدت الحكومة المؤقتة اعتراضها على الإجراءات المطروحة من جانب الفرنسيين والمتمثلة في منح أفضلية للأقلية الأوروبية إلى جانب بقاء الصحراء والقواعد العسكرية البترولية في يد فرنسا⁵. كما ورد في خطاب ألقاه الرئيس بن يوسف بن خدة لدى الجمهورية العربية المتحدة بتاريخ 24-10-1961 قوله: "إننا نعتقد فيما يخصنا، أنه من الممكن اليوم إيجاد حل سريع للنزاع... بفتح مفاوضات جديدة تكون غايتها تحديد العلاقات الجديدة بين الجزائر وفرنسا وكذلك الضمانات للمستوطنين الأوروبيين في

¹ - Redha Malek, op.cit., p : 92.

² - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، الأسطورة والواقع، مصدر سابق، ص: 235.

³ - سعد دحلب، مصدر سابق، ص: 143.

⁴ - يحي بوعزيز، من وثائق جبهة التحرير...، مرجع سابق، ص: 100.

⁵ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 271.

الجزائر... استقلال سيجدون فيه، عندما يتخلون عن نزعة المواطن الممتاز، مكانتهم التي تلائم دورهم ومصالحهم وكرامتهم الإنسانية..."¹.

يضيف سعد دحلب في حوار أجرته معه مجلة إفريقيا العمل (أفريك أكسيون) قوله: "إن أولئك الذين يلحون على الضمانات الخاصة بالأقلية الأوروبية يسعون ربما قبل كل شيء إلى الحيلولة دون تحقيق أي تطور اجتماعي، ويجب أن نميز بين الضمانات المشروعة لهذه الأقلية وبين المصالح الحقيقية لشعبنا وحماية سيادته وحقوقه"².

وما عقد الأمور الاقتراح الذي تقدم به "جورج بومبيدو" المتمثل في إنشاء هيئة تنفيذية مؤقتة يرأسها فرنسي وتتشكل من مسلمين وأوروبيين وذكر منهم المتطرف صاحب جريدة صدى الجزائر "ألان دو سيزيني" Alain De Sésiney، ذلك ما بين الضغط الذي هو عليه المفاوض الفرنسي ونتيجة لرغبتهم في خدمة الأقلية الأوروبية³ ببقائها في الجزائر، الهدف الذي يقف عليه محمد الميلي في كتابه "مواقف جزائرية": "الضمانات التي ستمنح لها سوف تساعد على استمرار الهياكل الثقافية والإدارية الفرنسية... إلى جانب الدعم الذي تؤمنه للحضور الفرنسي، سوف يعزز عناصر جديدة تتسجم مع أنماط القوى السياسية الثالثة التي لم يتخلى عنها الجنرال شارل ديغول أبداً"⁴.

لنستأنف المحادثات بقاء بال الأولى 28-29 أكتوبر 1961 بسويسرا، حيث كان الفرنسيون يرغبون في الاحتفاظ بقواعد عسكرية في الجزائر (مرسى الكبير) ومقرات لعساكرهم، ويطالبون بأفضليات لصالح الأقلية الأوروبية وعلى الخصوص ازدواجية المواطنة مع الرغبة في عدم معاقبة الجزائريين الذين تعاونوا مع فرنسا"⁵. ذلك ما يؤكد بن يوسف بن خدة قوله: "... بقي خلالها ملف الأقلية الأوروبية حجرة عثرة في المحادثات إذ طالب ديغول بمبدأ ازدواجية الجنسية، واحترام العقيدة الدينية واللغة

¹ - يحي بوعزيز، من وثائق... مرجع سابق، ص: 105.

² - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان... مصدر سابق، ص: 75.

³ - Redha Malek, op.cit., p : 96.

⁴ - محمد الميلي، مواقف...، مصدر سابق، ص: 100.

⁵ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 279.

والأحوال الشخصية"¹. وما جعل ملف المفاوضات يكون أكثر ما ناور به الجنرال ديغول إذ جاء في تصريح وزير الإعلام الفرنسي "لويس تيرينووار Louis Terrinoire" بتاريخ 2 مارس 1961 يؤكد على ذلك قوله: "إن الجنرال ديغول مستعد لمناقشة شروط إجراء الاستفتاء لتقرير المصير مع كل الاتجاهات الجزائرية"².

لكن جبهة التحرير الوطني وعلى لسان قادتها قطعت كل مناورة نصب في هذا المنحنى وهو ما جاء على لسان أحمد بومنجل بجريدة لوموند: "رفض فكرة المائدة المستديرة بإشراك الحركة الوطنية الجزائرية بقيادة مصالي الحاج وممثلي المستوطنين في لمحادثات مع الحكومة الفرنسية"³.

حرص كبير من السلطة القائمة وعلى رأسها رئيس الجمهورية كلها خدمة للأقلية الأوروبية، إلى جانب الضغط بهذه الفئة لتحقيق والحفاظ على مصالح فرنسا الاستعمارية، مناورة أخرى جاءت من الممثل الشخصي لشارل ديغول عن ملف المفاوضات "جورج بومبيدو" والذي أكد أنه سيتفاوض مع أعضاء الحكومة المؤقتة، وأن الحكومة الفرنسية ستتفاوض مع آخرين، وأن التقسيم سيتم فقط إذا لم يتم التوصل إلى اتفاق وفي حالة ما إذا أصبحت الأقلية الأوروبية في خطر وعليه أصبح الأمر أكثر وضوحا في أنها أصبحت ورقة ضغط لفرض على الطرف الآخر مزيد من التنازلات⁴.

وبعدما أصبحت المفاوضات أكثر جدية بداية من إيفيان الأولى وبعد البلاغ الرسمي من الحكومة السويسرية بتاريخ 23 مارس 1961 المتضمن إجراء مفاوضات مخصصة لموضوع الجزائر والتي ستجري في إيفيان⁵. الأمر الذي جعل منظمة الجيش السري تجهز وبتاريخ 31 مارس 1961 على قتل رئيس بلديتها السيد "كاميل بلون Camille

¹ - بن يوسف بن خدة، اتفاقية....، مصدر سابق، ص: 29.

² - Redha Malek, op.cit., p : 97.

³ - le Monde, 5-6 mars 1961.

⁴ - Redha Malek, op.cit., p : 98.

⁵ - Max Galls, op.cit, p : 391.

"Blanc" احتجاجا على استضافة مدينته الجولة الأولى من المفاوضات العلنية التي كانت ستطلق بتاريخ 7 أبريل 1961¹. إلا أنها فشلت بفعل تصريحات "لويس جوكس" ومن وهران عبر مؤتمر صحفي جاء فيه: " أنه سيتفاوض مع الحركة الوطنية الجزائرية كما سيتفاوض مع جبهة التحرير الوطني"².

وتفاديا للتأويلات وتحضيراً للمفاوضات القادمة كلفت الحكومة المؤقتة لجنة بقيادة "أحمد فرانسيس" لتحديد إستراتيجية، ضبط مواقف الجزائر من مختلف القضايا الجوهرية قدمت للحكومة يوم 29 أبريل 1961، من بين ما جاء فيه، مبدأ وحدة الشعب أي اندماج السكان الأوروبيين في الأمة الجزائرية، رفض تشكيل أقلية أوروبية متميزة، تشكيل لجان تدرس مختلف المواضيع منها الضمانات التي ستقدم لأوروبيي الجزائر³. وما جعل الجنرال ديغول يستعجل ويلج على بدء المفاوضات هو ما وقع عليه من ضغوطات وما استخلصه من دروس على إثر انقلاب 22 أبريل 1961 وهو ما وضعه أوليفي لونغ من خلال مذكراته: " اقترح لويس جوكس أن يبدأ لقاء إيفيان بتاريخ 16 ماي 1961، لأن الجنرال ديغول مستعجلا، وهو يريد أن يضع الأوروبيين بالجزائر أمام الأمر الواقع، بعد أن تخلص من فكرة إقناعهم، إنه يريد أن يصفى القضية بسرعة"⁴.

ليس على حساب مصالح فرنسا وامتيازات الأقلية يقول سعد دحلب: " إن الجنرال ديغول حافظ عليها وبقوة" والدليل أنها أخذت بنسبة كبيرة من زمن المفاوضات والتي كثيراً ما كانت تتوقف عليها المحادثات بالفشل⁵. وفعلا وصلت إلى الفشل، مفاوضات إيفيان الأولى التي امتدت من 20 ماي حتى 13 جوان 1961 عبر عنها بن يوسف بن خدة: " أنه كان بمثابة حوار الطرشان"⁶، إلا أن الحكومة المؤقتة تصدت لهذه المناورات

1 - الخبر اليومي، الخميس 10-07-2008، ص: 20؛ برنارد لينويدج، مرجع سابق، ص: 254.

2 - أوليفي لونغ، مصدر سابق، ص: 54.

3 - Redha Malek, op.cit., p.p : 112- 113.

4 - أوليفي لونغ، مصدر سابق، ص: 79.

5 - سعد دحلب، مصدر سابق، ص: 144.

6 - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان، مصدر سابق، ص: 25.

موضحة وعبر رئيس وفدها "كريم بلقاسم" ملخصا في ندوة صحفية مطالب ما عرضه الوفد الفرنسي معلقا عليه أنه استقلال كاريكاتوري، وأن ما تعلق بالأقلية الأوروبية يراد لها أن تكون متميزة، مستعملين إياها كورقة التقسيم للضغط على الوفد الجزائري من أجل إرغامه على القبول بجميع الشروط وخاصة ما تعلق بالأقلية الأوروبية¹. لقد سلكت دوائر حكومية مسار التجزئة وواصلت السير عليه طويلا كما يقول الوسيط السويسري أوليفي لونغ، وهذا إلى غاية توقيع اتفاق المبادئ بروس في فيفري 1962، أعطت سلسلة مقالات ركزت على وثائق نشرت بصحيفة لوموند حملت توقيع السياسي "آلان بيروفيت" والذي استقطب من المؤيدين لفكرته على الخصوص بعد فشل لقاء إيفيان الأول ولوغران². حتى "فاليري جيسكار ديستان Valery Giscard D'Estaing" وزير المالية آنذاك رئيس جمهورية فيما بعد، نادى بفكرة التقسيم³.

ومن بين ما أثاره "آلان بيروفيت" في عنوان كتابه "هل ينبغي تقسيم الجزائر" والذي ارتكز عليه "موريس آلي" ضمن عنوان كتابه "الجزائر واتفاقية إيفيان" قوله: "يشكل أوروبيو الجزائر شعبا يحمل خصائص تميزه... لن يكون مصير أولئك الذين لا يتوصلون إلى الاقتناع بالذهاب، يأسا من ترك مسقط الرأس إلى الأبد، بالأمر الذي سيغبطون عليه، فإذا أسلموا من غير ضمان، لنشوة المنتصر، فإن ذلك يعرضهم يوما بعد يوم لأن يكونوا ضحايا التعصب، وفي أحسن الأحوال للمكر..."⁴. وهي الفكرة القديمة لـ "مشروع قانون هرسان" "Projet de loi Hersant" والذي تقدمت به مجموعة من النواب إلى المجلس الوطني الفرنسي بتاريخ 28 فيفري 1957، كان يهدف إلى إنشاء مقاطعة فرنسية للجزائر العاصمة ووهران، تشكل منطقة قسنطينة وتلمسان الجمهورية الجزائرية ذات الحكم الذاتي، أما الصحراء فتبقى خارج ذلك⁵.

¹ - El Moudjahid, 25 juin 1961, N°82, tome 3, Imprimerie in Yougoslavie juin 1962.

² - أوليفي لونغ، مصدر سابق، ص: 103.

³ - بن يوسف بن خدة، اتفاقية....، مصدر نفسه، ص: 41.

⁴ - موريس آلي، الجزائر واتفاقية إيفيان، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2008، ص: 115.

⁵ - بن يوسف بن خدة، اتفاقية، مصدر نفسه، ص: 40.

وهو لذلك يدعو للتقسيم الذي رفضته الحكومة المؤقتة ورأت فيه كما يقول سعد دحلب: "ستواجه في المستقبل نفس مصير كل الشعوب التي قبلت تجزئة ترابها وأرغمت على الخضوع له" يضيف: " نحن نعرف ثمن تجزئة التراب الواحد في كوريا وألمانيا... نتائجها تكون دائما متطابقة، الحروب أو أخطار الحرب والآلام والتضحيات"¹.

وعليه، فإن جبهة التحرير الوطني ومن خلال جريدة المجاهد تصدت لكل ذلك قولها: " إن الثورة الجزائرية قد وضعت وحدة الشعب لأنها كانت تدرك منذ اللحظة الأولى أغراض الاستعمار ومناوراته في استغلال وجود الأقلية الأوروبية من أجل جعل الجزائر تابعة له بشكل أو بآخر تبعية أبدية بواسطة مسمار جحا المتمثل فيما تسميه الأوساط الفرنسية بالتعاون العنصري للمجموعات أي اشتراط أن يكون الأوروبيون في الجزائر دولة داخل دولة تكون وسيلة لاستمرار الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر تحت شكل جديد"². ورغم إلحاح الوسيط السويسري أوليفي لونغ على مواصلة المحادثات لكن الوفد الفرنسي أوقفها محملا مسؤولية الفشل على عاتق جبهة التحرير الوطني ذلك ما كشف عنه "لويس جوكس" خلال ندوة صحفية بتاريخ 10 جوان 1961 قوله: " أنه توجد بيننا وبين جبهة التحرير مشاكل تفرقنا" ومن بين ما عدد فيها " أن فرنسا تريد ضمانات فعلية تقدم الأقلية الأوروبية وليس مجرد وعود"³. وما يبين أن المشكل الذي توقفت وفشلت عليه المفاوضات ليس الأقلية، إذ في لقاء "لوغران" 20-28 جويلية 1961 سارت الأمور بشكل جيد يقول أوليفي لونغ: " تعثرت في قضية الصحراء" يضيف قوله: " أن السبب الرئيسي للتوقف هو أن الفرنسيين لم يكونوا يرفضون تغيير موقفهم حول الصحراء فقط بل أكثر من ذلك لم يتركوا أي مجال مفتوح لإمكانية تغيير مستقبلي في هذا الموقف، لم يكن أمام كريم بلقاسم أية فرصة لمواصلة المباحثات بسبب الرأي العام في

¹ - سعد دحلب، مصدر سابق، ص: 147.

² - المجاهد، 5 جوان 1961، العدد، 97، ص: 3.

³ - A.N.O.M. Aix en Provence, FM/352 conférence de presse de Mr Louis Jox, Mardi 13 juin 1961.

الجزائر والدول العربية"¹. عملا بما ذكره سعد دحلب قوله: " كان علينا أن نتحلى بالشجاعة والمرونة الكافية كي تسمح للحكومة الفرنسية لتتفد كرامتها ومكانتها، وأن نتخلص من المأزق بشرف وبالتوازي مع ذلك كان علينا ألا نقرر أي شيء يمس كرامة شعبنا وعزة نفس مجاهديننا أو أن نشكك ولو لحظة واحدة في انتصار جبهة التحرير الوطني"².

وهو التحليل الذي خلصت له جريدة المجاهد: " أن شعبنا لم يقدم التضحيات الغالية ليجد نفسه مرة أخرى خاضعا لاستغلال الأقلية الأوروبية المرتبطة بالاستعمار وبالامتيازات الواسعة غير المشروعة التي تريد المحافظة عليها وتدعيمها بامتيازات سياسية جديدة"³.

وعلى الرغم من ذلك فإن وفد لقاء لوغران كريم بلقاسم وسعد حلب، يقول "أوليفي لونغ" شارحا لي مطولا ما حدث، لقد أتوا بتنازلات مهمة، خاصة فيما تعلق بالضمانات المقدمة لأوروبيي الجزائر، والتعاون مع فرنسا خلال الفترة الانتقالية حتى أنهم ساهموا في التهذئة العامة، إيقاف العمليات بفرنسا⁴.

بعد مرور شهرين على مظاهرات ديسمبر 1960 والتي كانت عاملا حاسما في تعجيل سير المفاوضات جرى لقاء جديد أولي بـ"لوسران Lucerne" 20 فيفري 1961 وبواسطة الوزير السويسري أوليفي لونغ مع ممثل الحكومة الفرنسية "جورج بومبيدو" والوفد الجزائري بالطيب بولحروف وأحمد بومنجل، حيث أثار ممثل فرنسا قضية جنسية الأقلية الأوروبية والضمانات مع تمثيل الأقليات، فكانت مواقف الطرفين متباعدة جدا"⁵.

مع بداية المرحلة الثانية من اتفاقية إيفيان عبر لقاء بال 28-29 أكتوبر 1961 وحتى تتقدم المحادثات نحو الإيجابي اتفق الطيب بولحروف مع أوليفي لونغ على عقد لقاء

1 - أوليفي لونغ، مصدر سابق، ص: 99.

2 - سعد دحلب، مصدر سابق، ص: 142.

3 - المجاهد، 5 جوان 1961، العدد، 97، ص: 3.

4 - أوليفي لونغ، مصدر سابق، ص: 99.

5 - بن يوسف بن خدة، اتفاقية....، مصدر سابق، ص: 20.

سري يعقبه اجتماع علني كما طمأنه "على أن الحكومة المؤقتة الجديدة برئاسة بن يوسف بن خدة مستعدة لدراسة الضمانات التي ستمنح للأقلية الأوروبية بشكل جدي وفعال"¹. لكن مشكل الأقلية الأوروبية يقول عنه بن يوسف بن خدة: "بقي حجر عثرة في المفاوضات نتيجة مطالب شارل ديغول المتصلبة على مبدأ ازدواجية الجنسية واحترام العقيدة الدينية واللغة والأحوال الشخصية مع حق إنشاء الجمعيات والمشاركة في المجالس السياسية بنسبة 10% والمجالس البلدية والمهنية مع إنشاء بعثات ثقافية وحرية تنقل الأموال لمدة محددة"².

في خضم هذه الاتصالات والاستعدادات المكثفة لاستئناف المفاوضات، كثفت المنظمة المسلحة السرية من عملياتها الإجرامية بهدف الحيلولة دون عودة المفاوضات من جديد، وصولاً حتى إلى محاولة اغتيال الجنرال ديغول 8 سبتمبر 1961³.

ورغم ذلك لم تتوقف مبادرات الحكومة المؤقتة لإنجاح المفاوضات، وهو ما طرحه بن يوسف بن خدة من تونس وبتاريخ 1961/10/24، جاء مضمونه "التخلي عن فكرة تقرير المصير، إعلان الاستقلال من طرف فرنسا وبالمقابل وقف إطلاق النار فوراً، لتكون مرحلة ثانية تتم من خلالها تسوية المشاكل المرتبطة بالأقلية الأوروبية إلى جانب قضايا الجلاء والتعاون"⁴.

وهو ما يذكره أوليفي لونغ على أن اللقاء القادم قوله: "سيستغل للتدقيق في النصوص ورقة ورقة بغية وضع قائمة الاختلافات... مشكلة الجنسية، الحصول عليها من قبل الأوروبيين تلقائياً أو القيام بالاختيار، المسائل المتعلقة بالنظام الانتقالي، تشكيلة وصلاحيات الهيئة المؤقتة، وضعية الجيش الفرنسي بالجزائر، جدول الانسحاب وأخيراً الصحراء"⁵.

¹ - أوليفي لونغ، مصدر سابق، ص: 107.

² - بن يوسف بن خدة، اتفاقية....، مصدر نفسه، ص: 30.

³ - Redha Malek, op.cit., p : 176.

⁴ - بن يوسف بن خدة، اتفاقية... مصدر سابق، ص: 28.

⁵ - أوليفي لونغ، مصدر سابق، ص.ص: 116 - 117.

ذكر رضا مالك بالضمانات التي طلب الوفد الفرنسي أن تبدي جبهة التحرير موقفها منها وهي ممثلة في:

- آلية حصول الأوروبيين على الجنسية الجزائرية مع حق كل واحد منهم التخلي عنها خلال فترة 10 سنوات،
- مشاركة الجزائريين من أصول أوروبية كقضاة في المحاكم لما يكون واحد منهم طرفا في قضية معروضة عليها،
- تأسيس محكمة ضمانات للقانون الداخلي الجزائري تفصل في المنازعات حول الضمانات التي تم الاعتراف بها للجزائريين من أصول أوروبية،
- حق الانضمام في مؤسسات جمعوية منتخبة وغير مسبقة،
- المشاركة في كل المجالس السياسية على ضوء الأهمية العددية ولهم حق الحصول على تمثيل عادل في المجالس البلدية في المدن الكبرى،
- الاعتراف باللغة الفرنسية لغة رسمية،
- إعفاء الجزائريين من أصول أوروبية من الخدمة العسكرية الإجبارية لمدة 10 سنوات¹.

ويضيف في نفس السياق بن يوسف بن خدة: "قيام هيئة تنفيذية مؤقتة يرأسها مفوض عام فرنسي يشرف على حفظ الأمن العام بواسطة قوة محلية تتشكل من جزائريين وأوروبيين، كله من أجل تهيئة الظروف والشروط لإنجاح الاستفتاء مع بقاء الجزائر تحت السيادة الفرنسية².

¹ - Redha Malek, op.cit., p : 184.

² - بن يوسف بن خدة، اتفاقية، مصدر سابق، ص: 30.

في إطار هذه المرحلة شهدت الجزائر تطورات جعلت الوفد الفرنسي يثير قلق ديغول أمام انتفاضات الجماهير الشعبية التي كانت في 5 جويلية و 17 أكتوبر 1961، إلى اليوم الوطني بمناسبة أول نوفمبر من أجل الاستقلال والوحدة الترابية للجزائر¹.

ومن منطلق ما تضمنته جريدة المجاهد: " التعايش ممكن وضروري ومثمر بين الشعب الجزائري وأوروبيي الجزائر"²، يضيف بن يوسف بن خدة: " أنه ليس معارضة استقلال الجزائر سيحامي فرنسيي الجزائر مستقبلهم، بل بقبولهم أن يكونوا جزءا من الدولة الجزائرية ذات السيادة التي تهتم برفاهية الجميع"³.

أصبح الجنرال ديغول مستعجلا أكثر من أي وقت مضى للوصول إلى حل ووضع حد للقاءات لويس جوكس وسعد دحلب التي تلتها زيارات للقادة المسجونين أحمد بن بلة ورفقائه إلى قلعة أولنوي بلوزان⁴. إذ أنه في نظر محمد الميلي: " المهم هو الوصول إلى اتفاق يتضمن وقف القتال... لا يخرج عن الأعمدة الأربع التي كان يريد الجنرال تحقيقها قبل شهر واحد من التوقيع على اتفاقية وقف إطلاق النار، التي نتلخص في:

- الحضور الأوروبي المكثف عن طريق تأمين المصالح المادية والسياسية للأوروبيين،

- الحضور العسكري الفرنسي - الاستمرار في استغلال البترول والغاز،

- استمرار العلاقات الاقتصادية والثقافية القائمة⁵.

ذلك الذي أكد عليه الجنرال ديغول نفسه ضمن مذكراته: " كان لا بد من تحقيق بعض الشروط، كإقرار تبادل عميق بينها وبين فرنسا في النواحي الإنسانية والاقتصادية والثقافية" ويضيف قائلاً: " أن يحصل المواطنون الفرنسيون على ضمانات شديدة تتعلق

¹ - بن يوسف بن خدة، اتفاقية....، مصدر سابق، ص: 31.

² - El Moudjahid, 1^{er} novembre 1961, n°86, 3 juin 1962, tome 3, p : 599.

³ - بن يوسف بن خدة، اتفاقية....، مصدر سابق، ص: 79؛ سعد دحلب، مصدر سابق، ص: 264.

⁴ - Redha Malek, op.cit., p : 186.

⁵ - محمد الميلي، مرجع سابق، ص: 206.

بأشخاصهم وأموالهم وحقوقهم المدنية وطريقة حياتهم ولغتهم ومدارسهم... لهم حق الخيار بأن يصبحوا جزائريين على أن يظلوا محتفظين بجنسيتهم ويشتركوا إلزاميا بالوظائف الرسمية والإدارية والقضائية، أو أن يقيموا في الجزائر بوصفهم مواطنين فرنسيين، ويتمتعوا حينئذ بأحكام اتفاقية لإقامة تنطوي على امتيازات خاصة"¹. كما أنه ألح على إخضاع الأمر لاستفتاء يقول برنارد ليدويدج كانت نتيجته معروفة سلفا، لكن ما أراده هو أن يبدو الاستقلال وكأنه منح من قبل فرنسا ولم ينتزع انتزاعاً"².

ليلتقي الوفدان مرة أخرى بمدينة بال بتاريخ 9 نوفمبر 1961، كلف محمد الصديق بن يحيى للرد على مجمل ما طرح من مسائل وقضايا وتساؤلات التي طرحها الوفد الفرنسي خلال اللقاء الأخير فكانت كالتالي:

• الأقلية الأوروبية:

- حق الاختيار، رفض ازدواجية الجنسية،
- يخضع حق التجمع للرقابة،
- المشاركة في المجالس باعتبار العدد.

• الهيئة التنفيذية:

- لا يرأسها فرنسي بل يرأسها مسلم جزائري يسير شؤون الجزائر ويحافظ على الأمن ويهيئ الاستفتاء ويجري تعديلات في الإدارة والشرطة، بقبول أن تبقى الجزائر تحت السيادة الفرنسية خلال المرحلة الانتقالية³.

كما التزمت الحكومة المؤقتة بالضمانات الخاصة بالحقوق المكتسبة ضمن جميع المجالات منها:

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 127.

² - برنارد ليدويدج، مرجع سابق، ص: 255.

³ - بن يوسف بن خدة، اتفاقية..... مصدر سابق، ص.ص: 31-32.

- ضمان أملاك الأشخاص الطبيعيين والأشخاص المعنويين (المؤسسات) مثلما حددتها التشريعات السارية المفعول يوم الاستقلال،

- عدم تجريد أصحاب هذه الممتلكات منهم إلا بعد تعويض عادل ومناسب¹.

استأنفت المفاوضات السرية بين الوزيرين جوكس ودحلب يقول أوليفي لونغ تخللتها صعوبات عدة منها اعتقاد "دولوس" أن الحكومة الجزائرية تريد تقليص عدد الأوروبيين الذين سيصبحون جزائريين بشكل يخفض من حضورهم في الهيئات التي ستأسس مستقبلاً².

بتاريخ 9 ديسمبر 1961 التقى الوفدان من جديد الحكومة المؤقتة ممثلة بسعد دحلب ومحمد الصديق بن يحيى والحكومة الفرنسية "لويس جوكس، برونو دولوس" يقول بشأنها بن يوسف بن خدة: "بقي ظل الصحراء مخيما على المحادثات" وضغط فرنسي على سعد دحلب لإجراء استفتاء خاص بالتوارق والرقبية في منطقة تندوف "ليتساءل سعد دحلب هل مجرد ضغط للحصول على تلبية معظم المطالب الخاصة بالأقلية الأوروبية أم هو لجوء جديد للتقسيم"³.

كان لقاء آخر بين سعد دحلب ولويس جوكس بتاريخ 23 ديسمبر 1961، أصبح فيه الوفد الفرنسي أكثر تمسكا بتلك القضايا المختلف حولها، إجراء الاستفتاء لتقرير المصير على أساس قبلي إثني مع تمسك الأقلية الأوروبية بالجنسية المزدوجة"⁴.

وفي ظل تعنت الوفد الفرنسي فيما يتعلق بمسألة الأقلية الأوروبية يتوضح ما صرح به لويس جوكس: "فيما يخص الجنسية الفرنسية فموقفنا صارم شامل ولذا يجب السماح بازدواجية الجنسية بالنسبة للفرنسيين" أما فيما يتعلق بالمسائل الأخرى كالمشاركة في الإدارة وحرية التنقل وضمان المصالح، فتبقى الجزائر سيدة في قرارها، ولا يجب أن

¹ - Redha Malek, op.cit., p : 186.

² - أوليفي لونغ، مصدر سابق، ص: 124.

³ - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان، مصدر سابق، ص: 33.

⁴ - Redha Malek, op.cit., p : 195.

تتعرض أموال الفرنسيين للاغتصاب" ويرجع مرة أخرى لويس جوكس لعبارة الأملاك المكتسبة شرعا من طرف الأوروبيين"¹.

ومع تدهور الأوضاع الأمنية داخل فرنسا، إذ أصبحت المنظمة المسلحة السرية أكثر توغلا في مختلف أجهزة الأمن وبذلك نجحت في نشر جو من الرعب وانعدام الأمن، كما نجحت في جعل غالبية المستوطنين الأوروبيين بالجزائر متواطئين معها واضحين مصيرهم في أيديها². مما جعل سعد دحلب يحذرهم قوله: " فيما يخص المتعصبين الأوروبيين الذين يمارسون في المدن الجزائرية الإعدام التعسفي والسلب والنهب بمساعدة ومجاملة الجيش، فإنهم يعرضون للخطر مستقبلهم في الجزائر المستقلة"³.

وفي ظل العنف الوحشي الذي كانت تشنه المنظمة المسلحة السرية اقتنع الوفدان من أن عليهما استعجال حل القضايا المختلفة حولها من ضمانات وامتيازات متعلقة بالأقلية الأوروبية خاصة وأن المجتمع الدولي هو الآخر يحفزهما حل ذلك⁴.

بعدها محادثات لي روس Les rousse بتاريخ 11-19 فيفري 1962 والتي قبل فيها الفرنسيون يقول بن يوسف بن خدة برأينا لوقف إطلاق النار لا يمكن أن يحصل إلا بعد الإبرام النهائي للاتفاقية السياسية والعسكرية، حيث تمت خلالها مناقشة كل المواضيع وحررت النصوص"⁵، يقول أوليفي لونغ عن هذا الاجتماع: " أنه كان يمثل بالنسبة للجزائريين والفرنسيين المنعطف الحاسم للمفاوضات، فهنا تم الوصول إلى نقطة الالعودة... أي انقطاع كان سيسبب إعادة النظر لمدة طويلة في أي أمل للسلم بالجزائر"⁶. بالجزائر"⁶.

¹ - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان ، مصدر سابق، ص: 33.

² - Lucien Butterlin, Quand j'étais traqué par l'OAS, in la guerre d'Algérie, tome 2, édition librairie Jules Tallandier, paris, 1976, p.p : 2748- 2752.

³ - سعد دحلب، مصدر سابق، ص: 255.

⁴ - Khalfa Mameri, op.cit., p : 210.

⁵ - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان ،مصدر سابق، ص: 36.

⁶ - أوليفي لونغ، مصدر سابق، ص: 129.

لتنفتح المفاوضات من جديد يوم 7 مارس 1962 وبصفة رسمية بمدينة إيفيان للمرة الثانية، إذ كان موعدا للتفاوض حول مجموع نقاط بقيت عالقة وإلى تفاصيل تحتاج للتوضيح، منها ما منح للأقلية الأوروبية في امتيازات استثنائية¹، استلزم ذلك 12 يوما من المناقشة الجادة للوصول إلى التوقيع على اتفاقية وقف إطلاق النار والذي أصبح ساري المفعول على كافة أنحاء التراب الجزائري ابتداء من 19 مارس 1962 على الساعة الثانية عشر².

ما وصلت إليه "سيلفي ثينو" من استنتاج عن هذه المفاوضات والتي اتسمت بصعوبتها وخيبتها المتكررة قبل الوصول إلى اتفاق تقول: "سنتبث رهانات تسوية النزاع، ذلك أن مستقبل مليوني فرنسي مترتب على مستقبل الجزائر وهم يعيشون فيها" تضيف قائلة: "فمن وجهة النظر الإستراتيجية ينبغي على السلطات الفرنسية التعامل مع ضياع سيادة والمحافظة على المصالح الاقتصادية والعسكرية وإذا كانت المناقشات قد نجحت فما ذلك إلا لأن الأمر كان يتعلق بوضع حد لنزاع دام عدة سنوات وبقي دون حل عسكري"³. كما عبر عنها أوليفي لونغ قوله: "أنها آخر فرصة، قبل وقت طويل، لإيجاد حل سلمي للحرب الجزائرية هذا (السرطان) الذي ينخر منذ سبع سنين أكثر فأكثر فرنسا وبدأ في تسميم العالم الغربي وأخيراً تهديدات المنظمة المسلحة السرية"⁴ التي لم تتراجع عن إستراتيجيتها، بل انتقلت إلى ما هو أخطر، سياسة الأرض المحروقة للوقوف كعائق لتطبيق هذه الاتفاقيات، انطلاقاً من مهاجمة المسلمين الجزائريين ولاستدراج جبهة التحرير الوطني من أجل رد انتقامي ضد المدنيين الأوروبيين وبذلك ترجع الأمور إلى بدايتها⁵.

¹ - El Moudjahid, 19 mars 1962, N°91, p : 710.

² - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان ، مصدر سابق، ص: 38.

³ - سيلفي ثينو، مرجع سابق، ص: 257.

⁴ - أوليفي لونغ، مصدر سابق، ص: 131.

⁵ - el Moudjahid, op.cit., p : 710.

لقد عبر محمد حربي ومن خلال كتابه "جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع" عن تاريخ وقف إطلاق النار قوله: "كان السكان في أوج الابتهاج لا أحد ينام لا أحد يحس بالتعب" يضيف قائلاً: "لكن إذا كانت الحياة تعود في داخل البلد إلى طبيعتها شيئاً فشيئاً، ففي المدن الكبرى في الجزائر ووهران وعنابة تقوم القيامة، لقد تجاهلت المنظمة المسلحة السرية الضمانات المقدمة للأوروبيين وضاعفت من عنفها ودمرت التجهيز الإداري، الحرب مستمرة وبصورة أشد"¹.

ذلك الذي وقفت عليه سيلفي ثينو قولها: "إن اتفاقية إيفيان لم تكن إلا نقطة انطلاق لمسعى خروج من الحرب في عدة مراحل... فإن مواجهات أخرى امتدت أو نشأت في مناطق عدة بين توقيف القتال والتصويت... لقد حاولت المنظمة المسلحة السرية استغلال نفس النظام العمومي والسيادة التي تميز هذه الفترة لإفشال المسعى الذي انطلق"². وكرد فعل على إجرامها قام الوزير لويس جوكس بحملة إعلامية مكثفة لدفع المستوطنين التخلي عنها وذلك بشرح الامتيازات التي انتزعتها فرنسا لفائدتهم وعبر أمواج قناة فرانس 2 أكد على تلك التعهدات التي قطعتها الحكومة على نفسها بما في ذلك ضمان الحفاظ على أملاكهم ومصالحهم إلى جانب مساعدة حتى العائدين منهم³.

وبالتوازي فقد دعاهم بن يوسف بن خدة قائلاً: "إذا كنا قد طالبنا بالتضحيات في البداية فلأجل أن تسود الديمقراطية في الجزائر، وأنه من غير المتصور أن نتكلم عن الديمقراطية والسلام والعدالة، إذا كنا نعتزم اضطهاد أقلية لا تتحدر من أصل عربي، إننا نريد من الفرنسيين الذين يرغبون في الاحتفاظ بخصوصياتهم أن يكونوا أحرار تماماً، ونحن نريد إزالة كافة العوامل أو الأسباب التي أدت ذات يوم إلى أن يكون بعضنا في مواجهة البعض الآخر"⁴.

¹ - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، مصدر سابق، ص: 263.

² - سيلفي ثينو، مرجع سابق، ص: 257.

³ - A.N.O.M., Aix en Provence, FM.81F/351, texte de l'allocution télévisée, de Mr Joxe sur les antennes de France 2.

⁴ - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان، مصدر سابق، ص: 79.

وحواره الذي عرض على شاشة التلفزيون (ZDF) والذي كان تأثيره أشد، شرح أن التعايش بين الأقليات الأوروبية والأغلبية المسلمة ممكن جدا وأن حكومة الجزائر المستقلة ستكون ديمقراطية وستركز على العمل الاجتماعي"¹، يضيف سعد دحلب: "نحن في حاجة إلى سلام وحتى نبين للعالم بأن كل ما نقوله اليوم ليس من قبل الدعاية، بل هو قناعة، وأن طموحنا هو أن نبرهن بأن نظام حكم في ظل الاستقلال هو أسمى من نظام استعماري، لقد عايشنا من التمييز العنصري ومن الظلم والاضطهاد... وأن طموحنا هو أن لا يكون هناك مجال لكل هذا بعد اليوم"². كما عبرت جريدة المجاهد: "مرة أخرى نعبر عن واقعيتنا، فنحن نعرف أنه سيكون غداً في الجزائر أوروبيون وأن اليهود سيقفون هنا، إن ما نريده هو أن يكونوا جزائريين بالكامل"³.

حتى موقف كريم بلقاسم الذي تميز بالواقعية إذ عرض عليها ولأول مرة في تاريخ الحركات الوطنية الاختيار في حمل الجنسية، دون تمييز ديني أو عرقي مع احترام تقاليدهم وتراثهم الثقافي ومميزاتهم الحضارية⁴، فالحكومة المؤقتة كانت جد واضحة في مواقفها عبر ما ألقاه وزير الثقافة عبد الحميد مهري من كلمة خلال المؤتمر الرابع للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين المنعقد بتونس سنة 1960 رداً على ما كان يشيعه أنصار الجزائر الفرنسية: "إننا لا نفكر في بناء الجزائر على أسس عنصرية أو دينية متعصبة... بل نبني جمهورية متصلة بماضينا وحاضرنا ومتصلة بقوميتنا وثقافتنا العربية الإسلامية"⁵.

وهي الخطوط العريضة التي نصت عليها الاتفاقية في النقطة الثالثة: "الاعتراف بوحدة الشعب الجزائري، وتخلي فرنسا عن مفهومها القاضي بأن الجزائر خليط من

¹ - جون بول كاهن، يرغن مولر، مرجع سابق، ص: 388.

² - سعد دحلب، مصدر سابق، ص: 264.

³ - المجاهد، 10 ماي 1959.

⁴ - المجاهد، 5 جوان 1961، العدد، 97، ص: 3.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1954-1962، الجزء العاشر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 2007، ص: 96.

الجاليات المختلفة، والاعتراف بالشخصية الوطنية للشعب الجزائري ذا الثقافة العربية الإسلامية التي التحمت في لهيب المعركة من أجل الاستقلال¹. أبعد من ذلك فلقد نصت الاتفاقية على كل ما يبدد مخاوفهم بشأن معتقداتهم وحرية تعليمهم ولغتهم الفرنسية مثل ضمان حرية إقامتهم للشعائر الدينية ممارسة وتعلما مع حرمة أماكن عبادتهم في حين يقول أبو القاسم سعد الله: " رغم أن فرنسا طبقت فصل الدين عن الدولة منذ 1905 على النصرانية واليهودية لكنها لم تطبقه على الإسلام " إلى جانب ما يسن من نصوص رسمية يصدر ويبلغ باللغة الفرنسية كما تستخدم في المعاملات والمرافق العامة إلى جانب الحق في اختيار منشآت التعليم وأنظمتها..."².

لكن ما وصل إليه محمد الميلي من خلال تحليله أن ما خطط له ديغول انتهى إلى الفشل بفعل رفض أوربيبي الجزائر بالتسليم باستقلال الجزائر والذي أدى إلى عمليات إرهابية فظيعة طبعت الفترة الفاصلة ما بين وقف القتال إلى الاستفتاء... هي ما دفعت الأوروبيين للهجرة الجماعية بعد اكتشاف الحقيقة وهو ما جعل الجزء الأساسي في الاتفاقية الذي كان يستغل لتقييد حركة الثورة، أصبح جزء غير ذي موضوع"³. كما يضيف أن الهجرة الجماعية الأوروبية وفرت على الثورة الجزائرية معركة شاقة، كان عليها أن تخوضها من أجل الحيلولة دون أن يتطور القبول التكتيكي باتفاقية إيفيان إلى إستراتيجية قاتلة للثورة"⁴.

1-2- الأقلية الأوروبية ومساهمتها في إجرام المنظمة المسلحة السرية بما في

ذلك فشل المحاولة 1961-1962 :

لقد عبرت جريدة المجاهد بالتحليل عن الأبعاد التي تبنتها الأقلية الأوروبية قائلة: " إن أوروبيبي الجزائر والذين يملكون دائما الوسائل الاقتصادية التي تمكنهم من ممارسة

1 - سعد دحلب، مصدر سابق، ص: 274.

2 - أبو القاسم سعد الله، الجزائر الثقافي، الجزء العاشر، مرجع نفسه، ص: 103.

3 - محمد الميلي، مواقف، مصدر سابق، ص.ص: 215-216.

4 - نفسه، ص: 217.

الضغط والمراقبة على الجيش والإدارة الفرنسية ما زالوا يسيرون وراء من يعارضون كفاح شعبنا واستقلال وطننا، ولم تتغير سياسة المهجرين الأوروبيين في الجزائر، إبادته ومواصلة الحرب اللامتناهية عليه، رغم تغيير الجهاز المسير، ذلك لأن الأهداف والمصالح الاستعمارية التي يدافعون عنها لا زالت قائمة¹، لأجل ذلك لم تقتصر معاداتهم للثورة بعد اندلاعها بالتدريج بل إلى دفع إدارتهم إجراءات تعسفية ضد الشعب الجزائري، كما ساهموا في تعميق حدة الأزمة عبر منابر صحفهم، مشكلين رأيا عاما وفق إيديولوجية مليئة بالحق والكراهية وقاموا بهيكلته وتنظيمه في إطار جمعيات ساهمت في تأجيج الأوضاع².

لقد كانت رغبتهم في أن يحافظوا على الوضع السابق وأن يبقوا إلى الأبد سادة الجزائر والجزائريين³، عارضوا سلطتهم حتى لتلك الإصلاحات الشكلية، إنهم آمنوا بضرورة استئصال الوطنيين من الشعب كما آمنوا بفكرة الحرب الطويلة المدى بل قبلوا أن يلحق الخراب والدمار بفرنسا الأم على أن يفقدوا الجزائر⁴.

وهو ما يؤكد "علي كافي" من خلال مذكراته قوله: "هم من ملاك الأراضي الكبار، جماهير الفرنسيين الجدد، الذين تنكروا لأصولهم (إيطاليا، إسبانيا...) اتخذوا من الجزائر وطنا لهم، والجزائر الفرنسية بالنسبة إليهم قبل كل شيء الحفاظ على امتيازاتهم ولتذهب فرنسا إلى الجحيم، المهم أن يبقوا هم أسياد الجزائر⁵."

وعليه فإن الحديث عن الإجرام الذي إرتكبه الأقلية الأوروبية تعود جذوره وتناميه إلى قدرة وفعالية هذه الأقلية في تسيير ملف الجزائر بما يبقوها مهيمنة انطلاقا من عدة

¹ - المجاهد، 9 أكتوبر 1961، العدد، 106، ص: 4.

² - محمد العربي الزبيري، عمار رخيطة، لزهرة بديدة، سيد علي مسعود، محمد ودوع؛ الثورة الجزائرية 1954-1962، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص: 245.

³ - بوعلام نجادي، مصدر سابق، ص: 238.

⁴ - محمد العربي الزبيري وآخرون، مرجع نفسه، ص: 244.

⁵ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 242.

مشاريع إصلاحية ومن بينها معارضتهم القسم الانتخابي الموحد، لذلك بدأت تظهر التكتلات المتطرفة والتي تحولت إلى منظمات إرهابية أعلنت حربها على المدنيين الجزائريين بما في ذلك تبنيها أسلوب التدمير والتخريب¹.

تمكنوا من تكوين تنظيمات كان أولها بتاريخ 3 مارس 1946 ممثلة في "قدماء موظفي البوليس" ثم منه إلى تنظيم آخر استطاعوا من خلاله وضع يدهم على الجهاز الأمني ممثلا في "جمعية قدماء البوليس الوطني والبوليس البلدي في فرنسا وفي أفكار ما وراء البحار" شهد انضمام ضباط الشرطة العائدين من تونس والمغرب بعد استقلالهما وهذا ما مكنهم من تقوية وجودهم في إطار تشبثهم بفكرة الجزائر الفرنسية².

"إنهم لا يأملوا إلا أن تستمر هذه الوضعية أطول مدة ممكنة وأن يموت الناس وتبذر المليارات ويتكسر الحقد والكراهية، كل هذا لا ينال ولا يؤثر في أنانيتهم الوحشية يقول علي كافي³. تنامي تزمّت هذه الأقلية في ظل أحداث غدت تطرفهم إلى جانب تساهل الإدارة الفرنسية معهم إلى حد بعيد، مما جعل تنظيماتهم تتزايد من سنة لأخرى ومنها:

- الاتحاد الشمال الإفريقي أطلق عليه بالقوة الثالثة، ظهر سنة 1956 تحت إمرة الوزير المقيم "روبير لاكوست"،
- منظمة المقاومة للجزائر الفرنسية الذي تشكل في فيفري 1956، تزعمه "روني كوفاك" والذي انتشرت له عدة خلايا بالجزائر منها فرع تزعمه "جوزيف أورتيز"،

¹ - عمار قليل، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص.ص: 275-276.

² - محمود الواعي، منظمة الجيش السري، المرحلة الانتقالية للجزائر 12 مارس 1962 حتى سبتمبر 1962، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995، ص: 299.

³ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 243.

- منظمة قدماء المحاربين، تشكلت سنة 1956 ترأسها "أركس أرنولد" أدت دورا كبيرا في تكوين لجان الإنقاذ العمومي¹.

إلى جانب:

- الحركة الجزائرية السرية بالأوراس والتي تأسست سنة 1956،

- حركة المقاومين السريين ظهرت بالعاصمة سنة 1956².

بما في ذلك - منظمة اليد الحمراء والتي تأسست سنة 1956، عملت وبتاتصال وثيق مع السلطات الفرنسية، هدفها كان العناصر المتقفة في الشعب الجزائري، فنكت بالكثير منهم بطرق بشعة، إفقار البلد من الرؤوس المفكرة التي تقود النهضة بعد الاستقلال، تقضي على من تتمثل فيهم القوة الفكرية والاقتصادية للجزائر³، هذه المنظمة استطاعت اغتيال فرحات حشاد بتونس محاولة اغتيال أحمد بن بلة في طرابلس، تفجير سيارة طاكسي بشارع عبد الخالق ثروت بالقاهرة حيث يوجد مكتب المغرب العربي، اغتالات بألمانيا الغربية من ضحاياها الشهيد آيت حسن⁴. محاولتها اغتيال ممثل جبهة التحرير الوطني بروما، تعرض فرانز فانون لعدة محاولات آخرها كان على الحدود المغربية جانفي 1960⁵. إجرامها طال حتى العاملين داخل دول أوروبا لصالح جبهة التحرير الوطني وهو ما اعترف به أحد أعضائها "لويس إيسكيركا" بتاريخ 16 أكتوبر أمام محكمة الجنايات بمدينة طليطلة بإسبانيا لاغتياله موظفة بمكتب الجبهة⁶، كما صفت

¹ - عمار قليل، ملحمة الجزائر، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص.ص: 276-277.

² - مجلة الجيش، فرانز فانون الطبيب النائر المنصهر في ثورة التحرير، عدد خاص 376، نوفمبر، 1994، ص: 65.

³ - المجاهد، 1 ماي 1959، العدد، 41، ص: 9.

⁴ - أحمد بشري، الثورة الجزائرية والجامعة العربية، الجزائر، 2005، ص: 44.

⁵ - مجلة الجيش، فرانز فانون...، مرجع سابق، ص: 65.

⁶ - المجاهد، 19 أكتوبر 1959، العدد، 53، ص: 11.

وبدفع منها على "علي بومنجل، العربي التبسي، رضا حوحو وغيرهم من الأساتذة كالربيع بوشامة، عبد الكريم العقون إلى جانب نخبة من العلماء والمفكرين¹.

نشاطها من القتل محترفين في إجرامهم بفعل التدريبات التي كانوا يتلقونها (أساليب التفجير الاغتيال بواسطة الأسلحة البيضاء والنارية، السموم، يوجد بالقرب من مدينة تولوز الفرنسية².

كما أنه لا يمكن أن نخفل عن ما قامت به الجبهة الوطنية الفرنسية التي تأسست بعد انقلاب 13 ماي 1958 وحلت على إثر أحداث جانفي 1960 لتتحول إلى جبهة الجزائر الفرنسية والتي تميزت بنشاط كبير داخل الأقلية الأوروبية، هي الأخرى حلت لمعارضتها سياسة ديغول³. لذلك انتشرت التجمعات والتي منها برزت الحركة الوطنية بالجزائر والصحراء بتاريخ 12-11-1959 المعارضة لسياسة ديغول المدافعة ببقاء الجزائر الفرنسية، إلى جانب لجنة الأربعين والتي كانت لها عدة فروع بالجزائر والتي كثيراً ما وضع نشاطها قنابل البلاستيك في الأحياء العربية من مجرميها "ميشال فيشور، فليب كاستيل، جورج كالي، جوريذا، ماركيريو، جوزيف أورتيث، أشياري..."⁴.

بوادر التغيير في المواقف لدى الأقلية الأوروبية يعود إلى أسبوع المتاريس 24 جانفي 1960، بتأزم الأمور وانقلاب الموازين وترك القيادات النشطة في حرية ومنهم "لاغايارد، أورتيث، سوزيني"، حيث أصبحوا على رأس كل المظاهرات العنيفة والتي استقطبت الناقمين من الأقلية الأوروبية على سياسة الجنرال ديغول⁵.

بما في ذلك المحاولة الانقلابية لجنرالات الجيش الفرنسي أو صناع للرأي العام في الجزائر وفرنسا، بأن على الجيش الوقوف إلى جانب من يحاول الحفاظ على الممتلكات

¹ - الجندي خليفة وآخرون، مرجع سابق، ص: 296.

² - أحمد بشري، مرجع سابق، ص: 44.

³ - Anne Marie Duranton Crebol, Le, op.cit, p.p : 291- 299.

⁴ - عمار قليل، ملحمة الجزائر، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص: 276.

⁵ - Marie Dumont, op.cit, p : 82.

الفرنسية لما وراء البحار في الوقت الذي باتت فيه بؤادر قيام نظام حمل لواءه المتطرفون، يركز على أسس ديكتاتورية¹ خاصة بعد الإخفاق الكبير الذي مني به الغلاة من الأقلية الأوروبية الذين دقوا ناقوس الخطر نتيجة ما عاينوه أمام المظاهرات من تحد وإصرار جماهير من على فكرة التآخي².

حيث أنهم كانوا ينتظرون عكس ما حدث، إلا أن الشعب قلب موازين القوة لصالح الثورة وقيادتها فكانت خسارة كبرى لضباط الجيش الفرنسي ومناصري فكرة الجزائر الفرنسية³، لذلك استعد من العسكريين الإطاحة بنظام الجنرال ديغول والمتطرفون من الأقلية الأوروبية على إقامة تنظيم مسلح يتولى محاربة جبهة التحرير الوطني⁴، تنظيم أشرف على تأسيسه "بيار لاغايارد وجون جاك سوزيني" في الأسابيع الأولى من سنة 1961 ممثلا في المنظمة المسلحة السرية⁵.

يقول فرحات عباس ضمن هذا الشأن: "ورغم تحذيرات الرسميين من دور هذه المنظمة إلا أنها تواجدت بقوة إذ تكاثر حولها المنخرطون بطريقة غريبة، خصوصا بعد عودة الجنرال المتقاعد "راؤول سالان" الذي أحدث تحركا جامعا من حوله شمل الأقلية الأوروبية فحرك الثغور النائمة وأقام حملة شعواء ضد الجنرال ديغول، سيلعب دورا سلبيا جداً بالنسبة للجزائر العاصمة ولكل سكان الجزائر⁶.

فعند تأسيس جبهة الجزائر الفرنسية التي ترأسها الباشاغا بوعلام الذي كان إلى جانبه أعضاء مؤسسون من بينهم التاجر "روبير تابرو" الذي يقطن مدينة وهران⁷ ذلك ما وقف عليه أحمد يوسف قولة: " أن مسؤوليها قبل التأسيس تعود إلى دومينيك زاتارا Dominique Zatara مدير مدرسة وكاميل فينيو Camille Vigneau وأنطوان

¹ - محمد العربي الزبيري وآخرون، الثورة الجزائرية 1954-1962، مرجع سابق، ص: 246.

² - Paul Marie De la Gorce, op.cit, p : 140.

³ - Rémi Kouffer, op.cit, p/p : 105-106.

⁴ - محمد العربي الزبيري، انعكاسات الثورة الجزائرية مرجع سابق ، ص: 85.

⁵ - Pierre Montagnon, L'hydre à deux corps, Histoire, N°76, mars- avril, 2002, p : 16.

⁶ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق ، ص: 386.

⁷ - Anne Marie Durantou Crebol, op.cit., p : 45.

أندروس Antoine Andros صاحب ممتلكات عقارية، الإعلان عن تأسيس المنظمة لأول مرة كان في مسكن بعمارة تقع بحي مصطفى "Champ de manœuvre" سابقاً¹.

والتي يقول عنها الرائد عز الدين من خلال حوار أجرته معه جريدة الخبر على المنظمة المسلحة السرية قوله: "تميزت بالتعنت مع رفض كل الحلول والإصلاحات التي تسمى تقدمية بالنسبة للجزائريين². تجلت ببروز لافتات تعلن عن ميلادها من خلال كتابات حائطية لرموزها بالأحرف الأولى من كلماتها (O.A.S) بما في ذلك بعض الشعارات ومنها "المنظمة المسلحة السرية تضرب أين تريد ومتى تريد ومن تريد"³ وظف فيها الكثير من المرتزقة الذين لم يكتفوا بتحمسهم لفكرة الجزائر الفرنسية لإثارة حميتهم بقدر ما يتحركون لرؤية الأوراق النقدية⁴، وعليه فإن عمليات الاغتيال والتفجير لا تتم إلا بعدما أن يقبض صاحبها ثمن ذلك⁵.

هو ما أكده أوليفي دراد ضمن كتابه في قلب منظمة الجيش السري قوله: " هذا المدعو "سيسود" الذي كان معه 30 رجلا يعيشون كلهم في السرية، مستعد للعمل لحساب منظمة الجيش السري مقابل مليوني فرنك قديم وكان "بيريز" يريد تجنيده من منطلق: "أنا أعطيه مليونين في الشهر وهو يعطيني جثثا، أو أني لا أعطيه المليونين فأضطر حينئذ لرميه برصاصة"⁶.

تقووا بمشاهير من الشخصيات المتطرفة في الجيش الفرنسي أمثال الجنرال "غاردي" والعقلاء "شاتو جوبير قودار، غارديس، أرغود... ورجال السياسة كجورج

¹ - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 71.

² - الخبر اليومي، 17 مارس 2012، العدد، 6657، ص: 21.

³ - Marie Dumont, op.cit., p : 83.

⁴ - المجاهد، 16 فيفري 1962، العدد، 115، ص: 5.

⁵ - المجاهد، 8 فيفري 1962، العدد، 112، ص: 7.

⁶ - أوليفي دراد، مرجع سابق، ص 140.

بيدولت و جاك سوستيل...¹، وكان الانضمام لها من جميع الفئات والشرائح الاجتماعية المؤمنة بفكرة "الجزائر الفرنسية" والتي نشطت ضمن شعار "إن مصالح فرنسا في الجزائر مهددة"² وخاصة بعدما أن اقتنعوا بأن الجزائر ستخرج من أيديهم إلى أيدي من كانوا يحقرونهم ويستغلونهم أبشع استغلال"³.

وبذلك وجد الانتهازيون الكبار أرضا خصبة في أوساطهم خاصة لدى الطبقة الوسطى المشكلة من الموظفين والتجار والفلاحين الصغار، والذين أشيع في أوساطهم أن الجزائريين بعد استرجاع استقلالهم سيبيدونهم أو يلقون بهم في أعماق البحار⁴، فكان منهم من الأساتذة والأطباء والمهندسين والتجار وكلهم منضون تحت القيادة العسكرية المتطرفة الرافضة لسياسة الجنرال ديغول⁵.

انتشرت وبشكل سريع في كبريات المدن ذات الغالبية الأوروبية مثل وهران، مستغانم، قسنطينة، عنابة، ضمت قاعدتها الكثير من الثانويين وطلبة الجامعة وعسكريين خارجين من الخدمة وعمال موظفون من مختلف المصالح الإدارية، شكلت مجموعات كومندو ومنظمة⁶. استخدموا الفارين من الخدمة العسكرية والمتعصبين لا سيما جنود الشغب مستنفرة أو هام معظم الفرنسيين الأصليين وذعرهم الذين ما زالوا ينتظرون قوة إلهية تضمن لهم ما يعتقدون أن فيه خلاصهم⁷، كما انضمت إليها عناصر الوحدات الإقليمية بعد قرار حلها شعارها في ذلك: " بالعنف ستكون لنا الكلمة الأخيرة"⁸.

¹ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 292.

² - كريم مقنوش، جرائم المنظمة المسلحة السرية في الجزائر، مجلة المصادر، العدد، 9، السداسي الأول، الجزائر، 2004، ص: 225.

³ - عبد القادر خليف، سياسة ديغول الجزائرية من خلال مذكراته، مجلة الفكر السياسي، العدد، 250، 2006، ص: 7.

⁴ - محمد العربي الزبيري، انعكاسات الثورة الجزائرية...، مرجع سابق، ص: 94.

⁵ - سعد بزيان، منظمة الجيش السري في الجزائر خلال ثورة التحرير من النشاط إلى السقوط، مجلة الراصد، العدد الثاني، مارس، أبريل، 2002، ص: 18.

⁶ - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري ونهاية الثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 72.

⁷ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 135.

⁸ - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 73.

وعليه فإن تركيبها لم تكن متجانسة ولا متناسقة حسب ما ذكره أوليفي دراد في ندوة أقامها بפורوم الخبر ذكر فيها أن لديها وجهات نظر مختلفة حول قضايا متعددة¹، إلا أنها وجدت تأييد غير مشروط في وسط الأقلية الأوروبية الذين اقتنعوا بالخطابات المتطرفة من "لاغايارد، سوزيني،..." الذين وظفوا كل الوسائل للدفع بهم نحو الوقوف ضد سياسة التخلي². غدوا الفتن مع التصعيد في المواجهة لكسب لمزيد من الأنصار بواسطة توزيع المناشير وإصاقها بالجدران منها ما كتب عليها "الجنرال ديغول يساوي جبهة التحرير الوطني"³.

حتى أصبح حديثهم يدل على مبلغ الانهيار المعنوي الذي وصلوه، حيرتهم لم تبلغ أبداً في وقت من الأوقات ما بلغته هذه المرة، فكل أوروبي بالجزائر أصبح يشعر حيثما توجه أنه في مأزق لا يمكن الخروج منه⁴ على الخصوص بعدما أن فرضت عليهم الاشتراكات، أصحاب المهن الحرة كالأطباء، المحامين، الأجراء، الشركات البترولية والمنجمية، أصحاب المؤسسات الصناعية، رأت في ذلك أنها هي الأولى باعتبار أنها تريد تثبيط الجزائر الفرنسية⁵، وبذلك ألزم الأوروبيون بدفع ضريبة المساندة والدعم⁶.

وبعدها قرر المتطرفون تنظيم عمليات سطو على البنوك والشركات ومصالح الضرائب⁷ الاستيلاء على أرصدة المصارف المالية من مراكز البريد وصناديق الضمان الاجتماعي⁸.

¹ - الخبر اليومي، الاثنين 11-11-2013، العدد، 7250، ص: 2.

² - Cdt Azzedine, Et Alger ne brule pas, édition, ENAL, Alger, 1997, : 197.

³ - المجاهد، 1 جوان 1959، العدد، 43، ص: 4.

⁴ - المجاهد، 19-10-1959، العدد، 53، ص: 11.

⁵ - المجاهد، 11 نوفمبر 1961، العدد، 110، ص: 7.

⁶ - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 74.

⁷ - Anne Marie Duranton Crebol, op.cit., p : 80.

⁸ - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 75.

وذلك بتواطؤ من مدرائها، حيث عندما يتم تغذيتها بحصة مالية معتبرة يبعث إلى أجهزتها السرية لتتم عملية الهجوم وهو ما حدث في الكثير من البنوك منها بنك الجزائر بوهران الذي أخذ منه مبلغ 21,4 مليون فرنك¹.

هذا التواطؤ المفصوح وجدوه حتى لدى الموظف المكلف بالضغط على زر الإنذار، لا يكلف نفسه عناء ذلك²، لذلك أصبحت هذه العصابة بقول بوعلام نجادي من اللصوص والمجرمين، مافيا هدفها زرع الموت والخراب والغموض، فاستطاعت بكل أمان سرقة مكاتب البريد والبنوك وأن تحول إلى إسبانيا كمية هائلة من الذهب والفضة والمجوهرات المستودعة في صناديق بنوك مدينة الجزائر والمدن الكبرى للبلاد³.

جمع الأموال سمي بالضريبة الثورية والتي لطالما زادت اتجاههم بتحديد القيمة المالية التي بلغت 50 خمسين ألف فرنك مقابل وصل يمنح لأوروبيي الجزائر وإلا يصبح في قائمة المهددين من لجانها الخاصة⁴.

إلى جانب استيلائهم على الأسلحة من مراكز الشرطة المركزية بما في ذلك من مخازن الجيش، حتى أنهم لجأوا للتخزين عندما فاقت احتياطاتهم⁵، إذ أنه وبتاريخ 18 مارس 1962 على الساعة السادسة صباحا تسلل فريق منهم وهو يرتدي بزة عسكرية وبوثائق مزورة إلى مرأب للمعدات العسكرية فاستولوا على مائتي وتسعة سلاح مضاد للدبابات وثلاثة وثمانون سلاحا أوتوماتيكيا إلى جانب ألفين وثمانمائة واثنان وسبعون

¹ -Pierre Mantagnon, op.cit., p : 20.

² -Bernard Tricot, op.cit, p.p : 334- 335.

³-بوعلام نجادي، مصدر سابق ، ص: 103.

⁴ -Pierre Montagnon, op.cit., p.p : 18- 19.

ملحق رقم12: الصورة 01

⁵ -Anne Marie Duranton Grebol, op.cit., p : 147.

سلاحاً حربياً"¹. كما لجأوا إلى الهجوم على الحاميات العسكرية قصد الحصول على الذخيرة²،

رغم التحذيرات والأوامر التي منحها الجنرال كاتز لقيادته من أجل أخذ الاحتياطات اللازمة على أماكن تواجد الأسلحة والذخيرة إلى جانب العتاد العسكري لجميع الوحدات الموجودة بالمدينة³. إلى جانب إقامة عناصرها حواجز مزيفة لمراقبة الطرقات وهم يرتدون الزي العسكري الرسمي⁴.

هذا ودون تحريك الإدارة الفرنسية، الذي لم يكن إلا بالتواطؤ مع عصابات الإجرام بل تحركها كان ضد الجزائريين وردود أفعالهم⁵، تعاونها مع هؤلاء الاستعماريين يظهر واضحاً من خلال إطلاق سراح المجرمين منهم بعد القبض عليهم ببضع ساعات أو حتى بضعة أيام، وهو ما يزيد أملهم في الانتصار⁶.

وبذلك استطاع عناصرها بتاريخ 18 مارس 1962 أن يحصلوا على مائتي وتسعة قذيفة مضادة للدبابات وثلاثة وثمانين رشاشاً من عيار 12,7، إضافة إلى ألفي وثمانمائة واثنين وسبعين بندقية مع ذخيرتها⁷، هو التواطؤ المفضوح ذلك ما توضحه إحصائيات الجيش الفرنسي، تشير على أنه في شهر فبراير 1962 قامت عصاباتهم بثمانمائة عملية سطو على مخازن الأسلحة وفي حدود أربعة آلاف وثلثمائة عملية أخرى في شهر مارس 1962⁸، ذلك ما وقف عليه "علي كافي" قوله: "أنهم مسلحون جميعاً... ويخشى أن تدفع

¹ - L'écho d'Oran, 18.19.20-03-1962, N°35359, p : 8.

² - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 75.

³ - Joseph Katz, L'honneur d'un général, Oran 1962, Edition L'Harmattan, paris ; 1993, p : 246.

⁴ - علي هارون، خيبة الانطلاق، فترة صيف الجزائر 1962، ترجمة: الصادق عماري، آمال فلاح، مراجعة: مصطفى ماضي، دار القصة، الجزائر، 2012، ص: 35.

⁵ - المجاهد، 11-08-1961، العدد، 104، ص: 2.

⁶ - المجاهد، 25-09-1961، العدد، 105، ص: 6.

⁷ - Edmond Jouhaud, op.cit, p : 241.

⁸ - Anne Marie Duranton Crebol, op .cit ., p : 80.

تدفع الجماهير ثمن غضب ويأس تلك العناصر، وعلى هذا يجب أن تجابه هذه القوة التي قد تنتج قوة أخرى منظمة تستطيع بإمكانياتها وتصميمها أن تفرض قانونها¹.

فضيحة أخرى تسجلها عناصر الإجرام وبوجود "لويس جوكس" في عاصمة الجزائر، في نفس اللحظة التي يقطع فيها إرهابيو الأقلية الأوروبية إذاعة الجزائر ويخربونها بقنابل البلاستيك، ويلقون على موجتها أصوات الجنرالات والكولونيلات الذين يعيشون في الجزائر دون أن تتمكن الإدارة الفرنسية القبض عليهم². حتى أن مزارعهم في ضواحي المدن الكبرى مثل الجزائر وهران إلى جانب عنابة، فتحت أبوابها لاستقبال مجرميها، وأصبحت مراكز وملاجئ الإيواء، واعتبرت نقاط لجمع الأسلحة والتدريب والانطلاق³.

هي المقاطعات التي توجد بها كثافة سكانية للمجموعة الأوروبية حيث يسهل العمل المتواطئ مع النشطاء والعسكريين وغيرهم من المؤيدين لها⁴، وهذا ما جعل مستطوني وهران والمناطق المجاورة لها يتفاعلون مع كل المتغيرات التي حدثت انطلاقا من مساندتهم القوية لحركة 13 ماي 1958 إلى مشاركتهم الكبيرة خلال أسبوع لمتاريس بالتظاهر في المساحات العامة لإبقاء الجزائر الفرنسية ودعوة غالبيتهم رجوع الجنرال "جاك ماسو" مرددين بشعارات مناوئة للجنرال شارل ديغول⁵.

بما في ذلك وقوفهم بمختلف دوائر وهران خاصة تلمسان، سيدي بلعباس، تيارت، تضامنا مع ما شهدته العاصمة بعد فشل أسبوع المتاريس تثبيتا ودعما لشعار "الجزائر الفرنسية"⁶ خاصة وأن التركيبة الإثنية لمنطقة وهران هي عبارة عن خليط من الفرنسيين

¹ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 243.

² - المجاهد، 25-09-1961، العدد، 105، ص: 6.

³ - الجندي خليفة وآخرون، مرجع سابق، ص: 306.

⁴ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، الجزء الثاني، ص: 251.

⁵ - L'écho d'Oran, dimanche-lundi 15-15/01/1960, N°31692, p : 1.

⁶ - L'écho d'Oran, Mardi 26-01-1961, N°31693, p : 2.

واليهود مع تواجد العنصر الإسباني وبشكل قوي وهو ما توضحه الأرقام حسب الجدول التالي¹:

الدائرة	العدد	الدائرة	العدد
وهران	45420	مستغانم	3790
بلعباس	4331	تلمسان	3712
معسكر	3770		

لذلك من البديهي أن تشهد المدينة بروز لها بقوة، إذ اكتشفت لها لافتات مكتوب عليها وبأحرفها الأولى بمفترق الطرق منها مدينة بلعباس ومعسكر²، فأصبحت تسيطر على منطقة وهران كاملة أنها أقل تأثيرا بالعمل الفدائي لجبهة التحرير الوطني مقارنة بالعاصمة، إلى جانب أن أعضاء نشطائها كانت لهم حرية كبيرة في التحرك والعمل خاصة وأن الجبهة الغربية قريبة من السواحل الإسبانية³، إلا أنها لم تواجه جنود جيش التحرير الوطني، حصروا أعمالهم على المدنيين وفي المراكز الكثافة السكانية الأوروبية⁴، ففرضوا أنفسهم وعبر نشرة الثامنة بتحويلهم الترددات الصوتية لتلفزة الجزائر، من خلال حصص مقرصنة وبواسطة المجموعة الأوروبية المتواطئة والمتواجدة عبر جميع الإدارات⁵، ركزوا على وسيلة الإعلام بتسللهم الراديو السري عن طريق بث حصص سرية كثيرا ما التف حولها الكولون سواء تلفزيون أو راديو يسمعون لصوت الجزائر الفرنسية، نشطوا بواسطة توزيع المناشير في الشوارع وبتفجيراتهم اليومية⁶، وبتصاريح بعض قادتهم المغرضة التي أحدثت هلع وسط الأوروبيين فكان تصريح

¹ - إبراهيم مهديد، الجزائريون في القطاع الوهراني بين 1900-1962، الجذور الثابتة، الهوية الوطنية للنشاط السياسي، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 1999، 2000، ص: 35.

² - L'écho d'Oran, Jeudi, 07-09-1960, N°35197, p : 8.

³ - مسعود ديلملي، الثورة الجزائرية والمرحلة الانتقالية من وقف القتال إلى إنشاء المجلس التأسيسي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1998، 1999، ص: 53.

⁴ - بوعلام نجادي، مصدر سابق، ص: 98.

⁵ - علي هارون، خيبة الانطلاق، فترة صيف 1962، مصدر سابق، ص: 35.

⁶ - Paul Marie de la Gorce, op.cit., p : 74.

"غاردي" الناري يصب في هذا المنحى: "أيها الفرنسيون والمسلمون الراغبون في العيش على هذه الأرض الفرنسية... قفوا جميعاً، ما من داع لحقبة ولا لنعش"¹. مواصلاً استقزائاته والتي منها دفعه بفكرة التجزئة لخلق مناطق محررة عن الحكومة الحالية لفرنسا ولقوات جيش التحرير الوطني تضم الأوروبيين والمسلمين الذين لا يرغبون في العيش لا تحت سيطرة جبهة التحرير ولا سيطرة الشيوعيين².

دعواتهم امتزجت بالعنف وخطابات حماسية، هجموا فيها حتى على قادة الجيش ووصفوه بالخونة حثوا على المقاومة في نداء مؤرخ في 5 ماي 1961 أدرجه "أوليفي دراد" جاء فيه: "لا تسلموا أسلحتكم، نظموا أنفسكم في فصائل صغيرة اقتتلوا من يريد أن يوقفكم، وأحرقوا كل قصور الإدارة، اقتتلوا جميع الخونة، كبارهم صغارهم... التحقوا بمعاقلنا"³، كما ساعدتهم الكثير من الجرائد في دعايتهم المغرضة مثل:

La dépêche Constantine- L'écho d'Oran- L'écho d'Alger- Aspect de la France- La nation française- Carrefour- Aux écoutes- La courrier⁴.

صحافة الإقطاعيين تخشى الثورة وانتصاراتها، لذلك بادرت بتحريك نوازع الخوف لدى الأقلية الأوروبية، فركبت حرب إعلامية ضد السلطة القائمة وخاصة الجنرال ديغول والتي مرة تصفه بالشيطان كما تصوره قائد الرايخ الثالث و تصف الدرك الفرنسي بغستابو ديغول⁵. وبالمقابل خصوا أنفسهم بالوطنية والوفاء واعتبروا أنفسهم حملة مشعل المقاومة⁶.

إن مجموعة الصحافة الفرنسية ضخمت كثيراً من قيمة المنظمة العسكرية السرية، لم تتردد في وضعها ضمن مستوى جبهة التحرير الوطني، ثم تقديمها على أنها منظمة

¹ - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 74.

² - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 39.

³ - أوليفي دراد، في قلب منظمة الجيش السري، مرجع سابق، ص: 97.

⁴ - Anne Marie Duranton Crabol, op.cit., p : 89.

⁵ - Ibid., p.p :117- 120.

⁶ - دحمان تواتي، مرجع سابق 2000، ص: 157.

ثورية لها ممثليها في الخارج¹، وهددوا الصحافة النزيهة التي فضحتهم بنشر جرائمهم وبتواطؤ السلطات الاستعمارية فطرد احد عشر صحافيا إيطاليا والذين أرغموا على الخروج من العاصمة². دعايتهم المغرضة تواصلت عبر توزيع ونشر البيانات بشكل سري عبر علب البريد واللافتات والكتابات الحائطية حيث كان يقرأ "ستنتصر منظمة الجيش السري، فرنسا تبقى في الجزائر..."³، كما أضافت وعبر حصصها المقرصنة بتحليلها المثيرة: "الأمل الوحيد المتبقي للمجموعة الأوروبية، يكمن في تصميمها على مواصلة سياسة الأرض المحروقة"⁴.

هدفهم إثارة الاضطرابات حتى تصطدم فيها المجموعة الأوروبية بالجزائريين، لتتخذ حجة على أنه لا يمكن التعايش بين الجزائريين والأوروبيين وأنه لا بد من أحد الأمرين استمرار الحرب أو التقسيم، لذلك سلك المتطرفون طرقا متعددة لتحقيق هذه الفكرة وتغذيتها⁵، فنجحوا في إقناع الأقلية الأوروبية أن جميع الجزائريين المسلمين أعداءهم ونجحت في إقناعهم بأن الحل الوحيد لمشكلتهم والطريق الصحيح لتجنيبهم "الذبح" على يد الجزائريين هو الاحتفاظ بالسيطرة على كامل الجزائر أو على الأقل تحقيق التقسيم الذي يضمن للأوروبيين عدم السقوط تحت "الحكم العربي" وهو الأمل الذي ازداد بعدا من يوم لآخر⁶، مما جعلهم يشيعون الرعب لدى الرأي العام والسلطات العامة عن طريق ارتكاب الجرائم بشكل مستمر لإرغام الطرفين على السير نحو الاتجاه المفروض عليهم⁷.

1 - بوعلام نجادي، مصدر سابق، ص: 98.

2 - المجاهد، 9 مارس 1961، العدد، 116، ص: 2.

3 - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 73.

4 - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 39.

5 - المجاهد، 27 مارس 1961، العدد، 92، ص: 5.

6 - المجاهد، 9 مارس 1962، العدد، 116، ص: 3.

7 - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 135.

وحتى بفرنسا اكتسبوا اليمين المتطرف بقياداته العسكرية العليا وسياسيين كانت لهم هيبة كبيرة¹، أهدافهم أن تبقى الجزائر الفرنسية وأن يتجند الجميع للدفاع عنها متخذاً كل الوسائل لتحقيق ذلك أساسه الضغط على الجنرال ديغول لتغيير مسار سياسته التي في نظرهم أصبحت تهدد كيانهم حتى اللجوء إلى العنف ضد شخص الجنرال إما القتل أو السعي للانقلاب عليه لإقامة دولة أوروبية بالجزائر².

وانطلاقاً من نوايا مسؤوليهم الذين حرصوا على خلق وضعية منها حوادث الشغب والتعفن مرتبة زمنياً ومحددة واقعياً من أجل التحكم في الوضعية القائمة، تكوين مناطق يتمركز فيها التمرد والعصيان مع فتح إطلاق النار دون تحفظ على قوات الدرك والشرطة، محاولة زرع الفتن والتشويش داخل الأحياء الجزائرية لدفع وحدات الجيش لقمع المظاهرات التي يقوم بها الجزائريون، القيام باغتيال الشخصيات الجزائرية المثقفة وذوي المهن الحرة وغيرهم من الأوروبيين الذين يحملون أفكار حرة، مع تجسيد كل هذا التنظيم حتى في الوطن الأم³.

وهو ما أفصح عنه بنفسه من خلال مذكراته قوله: " يريدون جميعهم إسقاط الجمهورية وأحياناً إشباع أحقاد متراكمة ضد ديغول منذ عام 1940"⁴. وفعلاً لقد نجا بأعجوبة من إجرامهم مرتين بفرنسا أولاً في 9-9-1961 يقول: " بينما كنت عائداً ليلاً مع زوجتي والمرافق العسكري العقيد تيسير والحارس فرنسيس مارو... فوجئنا بأن سيارتنا أحاطت بها ألسنة اللهب... والغريب أن العشرة كيلو غرامات من المتفجرات لم تنفجر" وثانيها في 22 أوت 1962 قوله: " كنت مارا بسيارتي بمنطقة كلامار الصغيرة متوجها مع زوجتي وصهري آلان دوبوا سيرو والسائق "فرانسيس مارو" إلى الطائرة التي كانت تنتظرني، وقعنا في كمين كان مهياً بعناية فائقة، فصوبت نحونا طلقات نارية

¹ - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 35.

² - محمود الواعي، مرجع سابق، ص: 276.

³ - محمد الواعي، مرجع سابق، ص: 316.

⁴ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 146.

من رشاشات صادرة عن أشخاص يمتلكون سيارة ومن أصل 150 طلقة وجهت نحونا لم تصب سيارتنا سوى بأربعة عشر طلقة شاعت المصادفة الغريبة أن أحدا منا لم يصب بأذى"¹.

اختارت رموز الدولة الفرنسية فاغتالت محافظ الشرطة بالجزائر العاصمة "روجي غافوري" يوم 31 ماي 1961، هو ما وقف عليه أوليفي دراد في حوار مع الخبر اليومي قوله: " كان صدامها واضحا مع رموز الجمهورية الخامسة، كما اندرج عملها العسكري في الدعاية اتجاه بعض المؤسسات بغية استمالتها وبالأخص مؤسسة الجيش التي لم تلتحق بأطروحاتها إلا عدد قليل جداً، واتجهت عبر صحيفة لوموند إلى النواب ومؤسسات أخرى، لكن النتائج لم تكن في مستوى الأهداف المرجوة"².

لم يكن عنفهم مجرد هروب يائس فقط إلى الأمام تقول سيليني ثينو: " فإنه في الواقع نابع عن خطة، عرقلة الخروج من الحرب بمحاولة الاغتيالات، دفع الجزائريين على رد فعل لإشعال الفتيل من جديد باندفاعات انتقامية"³. وقف عليها الجنرال ديغول قوله: " أثارت حربا عنيفة... لم يكن مجرد انفجار فوري للغضب وخيبة الأمل بل كان مشروعا واسع النطاق يهدف عن طريق ارتكاب الجرائم إلى فرض سياسة سميت بسخرية سياسة "الجزائر الفرنسية"⁴.

خاصة بعد تيقنهم من أن النهج السياسي السري أصبح مسدودا أمامهم، وبعدما فقدوا الأمل من دعم الأغلبية لهم في الجيش، لم يبق لهم من حل سوى اللجوء إلى العنف لاستمالة المترددين وإرغام الدولة، وهو ما يفسر انتشار المناشير التي تحمل التهديدات واستئناف العمليات التفجيرية⁵، فأطلقوا سراح المتطرفين من السجون ودفعوا بهم للمساهمة في العمليات الإجرامية، قتلوا المحامي "بوني" لأنهم اعتبروه خائن لقضية

¹ - نفسه، ص.ص: 137-146.

² - الخبر اليومي، 10 نوفمبر 2013، 7249، ص: 29.

³ - سيليني ثينو، مرجع سابق، ص: 266.

⁴ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 135.

⁵ - أوليفي دارد، في قلب منظمة الجيش السري، مرجع سابق، ص: 97.

"الجزائر الفرنسية" ولإبعاده حتى لا يدلي بشهادته في قضية الحواجز خوفا على سمعة لاغايارد وزملائه "الوطنيين" وسمعة فرنسا بأكملها¹.

فأصبح دعاة الاضطراب وأنصار العنف يستعدون للعمل من جديد إنهم يزرعون الشكوك ويثيرون المخاوف ويعملون على إثارة الاضطرابات معارضين كل حل للمشاكل الجزائري ويهدفون إلى إيجاد وضعية خطيرة لا يمكن ترقيعها². ذلك ما شهدته مدينة وهران في مجزرة رهيبة نظمها غلاة الفاشيست بتفجير سيارتين في الحي العربي أسفرت عن استشهاد سبعة وثلاثين شخصا وإصابة ما يزيد عن الخمسين بجروح متفاوتة الخطورة³. جمعية المقاومين وذوي الحقوق تذكر أن من بين عدد شهداء المجزرة 12 امرأة و11 طفلا وأزيد من مائة مصاب، السيارة من نوع بيجو 403 التي فجرت بالقرب من مقهى بن شراب المعروف بحي المدينة الجديدة شهر رمضان حدود الساعة الثالثة والنصف من يوم 28 فيفري 1962⁴.

ومن الأطفال، طفل الأم نواره* التي لم يسعفها الحظ أن تضم جثة ابنها الذي خرج لشراء قطعة حلوى الشامية، حيث روت أمه وبنبرة ألم لجريدة الخبرة: توفى وهو صائم، لم أجد له أثرا إلا بحذائه الذي وجدته قرييته معلقا في غصن شجرة"⁵. وكثيراً ما موهت في جرائمها حتى على المؤسسات الرسمية، وهو ما حدث مع مجموعة ارتدت ألبسة الدرك ليتم اختطاف أربع موقوفين من نشطي جبهة التحرير الوطني على مستوى سجن وهران كما نفذت جريمتها ضد مدير البريد والمواصلات الذي رفض ترك منصبه بتاريخ

1 - المجاهد، 27 فيفري 1961، العدد، 90، ص: 11.

2 - المجاهد، 27 مارس 1961، العدد، 92، ص: 5.

3 - المجاهد، 9 مارس 1962، العدد، 116، ص: 2.

4 - الخبر اليومي، 27 فيفري 2008، العدد، 5255.

* - الطفل علاوة حموش بن صالح عمره 14 سنة ينحدر من قرية ويزران ببجاية، لجأت عائلته إلى وهران هرباً من المحتشدات.

5 - الخبر اليومي، الخميس 1 مارس 2007، العدد، 4950، ص: 6.

15 جانفي 1962، وصل عدد ضحاياها على مستوى الجزائر كلها وخلال الأسبوعين الأولين من شهر جانفي 1962، 228 ضحية و 485 جريح¹.

بنفس التوقيع شهدت مدينة عين تموشنت وعلى لسان الحاج هواري بوعكة الأمين الولائي للمنظمة الوطنية للمجاهدين، أن المدينة شهدت أعمال إجرامية مها مفاجأة سيارة من نوع "جيب" والتي كان عليها بعض المسلحين الذين أمطروا الجالسين من الجزائريين والذين كانوا خارج المقهى للمدعو مجدوب كما أبطل مواطني بلدية حمام بوحجر عملية تنفيذ مجزرة من قبل عناصر منتمية للفياف الأجنبي التي انتقلت للبلدية من أجل القضاء على المساجين الذين كانوا في حدود ستمائة وثمانين شخص².

يقول شارل ديغول عن هذه المرحلة: " خلال عام واحد قتل ما يقارب اثني عشر ألف رجل وامرأة وطفل برصاصهم وجرحوا عدة مئات حتى من أعضاء قوى الأمن ورجال الدرك"³.

وعليه فإن كل المظاهر التي تدل على أن أوروبيي الجزائر ملتحمون مع ما تقوم به المنظمة المسلحة السرية باستمرارها في الاغتيالات والعمليات الإرهابية بل وتضاعفها، حتى أنه تكون جدار الكراهية فصل بين قوات الأمن الفرنسية والأوروبيين، مساهمة المدنيين الأوروبيين على نطاق واسع في عمليات الاغتيالات الفظيعة، كل هذا يؤكد الفكرة الشائعة عن وجود التحام حقيقي بين المنظمة المسلحة السرية وأوروبيي الجزائر، وعن القوة التي تستمدّها من الجماهير الأوروبية⁴.

ذلك ما يؤكده الجنرال ديغول قوله: " استمرار جو الحرب، كان يحييها من فوق الشرفات المزينة بعلم "منظمة الجيش السري" ضجيج القذور المعدنية المصحوبة

¹ - عبد الله شريط، الثورة مرجع سابق، ص: 107.

² - الخير اليومي، 17 مارس 2012، العدد، 6657، ص: 21.

³ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 136.

⁴ - المجاهد، 9 مارس 1962، العدد، 166، ص: 3.

بالصراخ والصخب"¹، فقام المعمرون ليلة 5 مارس لوحدها فقط بتفجير مائة وخمسة وعشرون شحنة من مادة البلاستيك المتفجرة من "سانت أوجان Saint Eugène" إلى حسين داي، واعين ربما أيضا بالحقد الذي ولدته هذه الجرائم الأمر الذي جعلهم غير قادرين على التفكير بموضوعية ليصبحوا أو ليضحوا كما كانوا، لا نترك لأحد منهم قبل إتيان الساعة المقدرة للاستقلال سوى الهروب للنجاة بنفسه"². أطلق عليها بـ"الليلة الزرقاء" سمع دوي تفجيراتها بالعاصمة وضواحيها، تجسيدا لأوامر الجنرال "راؤول سالان" لإعاقة تحقيق اتفاقية إيفيان ومنع تطبيقها الفعلي بكل وسيلة، مع وضع العراقيل والوسائل اللازمة لعدم بلوغ الهدف المبرم بين الجنرال ديغول وجبهة التحرير الوطني"³.

بين 18 إلى 30 سبتمبر 1961 سجل أربعة وثلاثون اعتداء في المدن ومائة وثمانون على الأقل في الجزائر ومع نهاية الشهر أربعة عشر نائبا وسبع برلمانيين واثنى عشر صحفي ضحايا هذه الاعتداءات⁴. كما سجلت إحصائية لعدد القنابل التي فجرها المتطرفون الاستعماريون إلى 1420 قنبلة من 23 أبريل إلى 15 أوت وكلها من نوع البلاستيك، فجرت هذه الشحنات في كل من العاصمة ووهران وسيدي بلعباس وعنابة⁵.

أصبحت مدن الجزائر على الأخص الجزائر ووهران تعيش جحيم مزدوج، جحيم الإرهاب العسكري المنظم الذي عرفته الجزائر منذ سنوات وجحيم الاغتيال الذي يعمد إليه المدنيون الأوروبيون، اعتراض الشباب الجزائريين، إيقاف لحافلة والاعتداء على من فيها من الجزائريين، عمليات نهب على الديار، حرق المنازل، المتاجر⁶، سياسة الأرض المحروقة تخلف الخراب، وكأن لسان حالهم كان يقول: "لن نرحل ونترك لهم ما بنيانه"

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 136.

² - هنري علاق، مذكرات جزائرية، مرجع سابق، ص: 373.

³ - محمود الواعي، مرجع سابق، ص: 316.

⁴ - Rémi Kauffer, L'OAS, op.cit, p : 175.

⁵ - المجاهد، 25-9-1961، العدد، 105، ص: 6.

⁶ - المجاهد، 11-9-1961، العدد، 104، ص: 2.

أضربت النيران في كل الهياكل، المكتبة الجامعية بالعاصمة*، مقر بلدية الأبيار، استهدفت أحياء المسلمين بقذائف مدافع الهاون والباذوكا¹، لم تقلت منهم لا عيادة، مستشفى، مدرسة، إدارة، السرقات، الهجمات المسلحة...² أقفلوا المحلات والمساكن والمباني الإدارية، استهدفوا كل من يعترض مشروع إبقاء الجزائر الفرنسية³.

تبنت كل الاعتداءات من خلال القناة الصوتية للتلفزة الجزائرية مجددة تهديداتها مؤكدة: "لن نرحل ونترك ما بنينا" مصيفة موجهة كلامها للأوروبيين: "اخرجوا أموالكم من البنوك وأعيدوها للوطن الأم"⁴، وما يثبت تورطهم المباشر هو أنه بعد كل عملية قتل وتفجير لم يجد المحققون رسوما للصليب المعكوف على جدران الفيلات والقصور التابعة لهؤلاء فقط بل عثروا أيضا على دلائل تبرهن جرائمهم⁵، بما في ذلك سياسة الغموض والتلاعب التي تسلكها الحكومة الفرنسية... تتحدث بلغة تصفية الاستعمار مع النائب التقدمي، لتستعمل بعد ذلك لغة الحضور العسكري الفرنسي مع النائب المتطرف على أمل أن تحصل على تأييد الجانبين في آن واحد لتنفيذ سياسة عرجاء ولا يرضى عنها أحد الجانبين⁶.

شرعت في تنفيذ عمليات تصفية جسدية، ذهب ضحيتها العديد من الجزائريين في المحلات والإدارات كلهم ضحايا إطلاق نار أمام أنظار الجيش دون أن يحرك ساكنا⁷، لذلك فإن مسؤولية ما وصلت إليه الأوضاع ترجعها جريدة المجاهد بتحليلها إلى "الأحزاب التي ضخمت من أخطار ما وصلت إليه فرنسا وأنه لا سبيل لإقدام عليها إلا بإعطاء مقاليد الحكم للجنرال ديغول... كما ترجعها إلى هذا الأخير والذي كان بإمكانه أن يترك للشعب

* - الملحق رقم 12: الصورة رقم 02.

1 - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 292.

2 - بوعلام نجادي، مصدر سابق، ص: 92.

3 - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 73.

4 - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 38.

5 - أحمد رضوان شرف الدين، التعذيب قراءة في جريدة المجاهد 1962-1975، مجلة المصادر، العدد، الثامن،

ماي، 2008، ص: 30.

6 - المجاهد، 9 أكتوبر 1961، العدد، 106، ص: 8.

7 - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري، ص: 74.

مهمة الرد على المتمردين بل تركهم يكتشفون نفسه وقوته وأوهموه أن الفضل يعود إليه في حل الكثير من القضايا"، مضيئة " أن قوتها الوحيدة تتمثل في ضعف وأخطاء الطرف المكلف بالقضاء عليها، أي أن مصدر قوتها النظام الديغولي"¹، وما تأكد أن قواعدها الخلفية اشتملت على جماعة من أكبر الإقطاعيين والرأسماليين الأوروبيين في الجزائر، إذ وبعد اغتيال السيد غافوري محافظ الشرطة بالجزائر ألقى القبض على مدنيين أوروبيين من عائلات غوتي، ساليانج، لونج، ديمازور... المسيطرة على قطاعات هامة من الاقتصاد الجزائري². هذا النظام لم يتحرك إلا بعدما أن انتقل إجرامها وتفجيراتها بفرنسا ذاتها إذ تمكن المجرمون من تفجير ثلاثمائة وخمسون قنبلة بلاستيك من أوت حتى نوفمبر 1961³. لذلك فإن محاولة إلقاء القبض على الإرهابيين وتحرك الجهاز الرسمي، إلا بعد أن أصبحوا يهددونه في باريس، والدليل على أن المتمردين الذين استعملوا جهاز إذاعة سرية لم يلق عليه القبض في الجزائر إلا بعد شهر أي بعد أن فجر زملائهم قنابل بلاستيك في باريس ضد المباني الرسمية"⁴. كما شكلت عملية اغتيال خمسة عشر عاملة نظافة جزائرية في 11 ماي 1962 ذروة وحشية منظمة الجيش السري في إطار سياسة الأرض المحروقة وذلك لفرض منطق الجزائر الفرنسية⁵.

مستغلة المعلومات التي كان يوفرها الأوروبيون عن الأشخاص المشبوهين، لأنهم كانوا يتوزعون في أماكن حساسة مثل مصالح الإبراق والأوساط الصحفية⁶.

وهو ما أكده أحد أخطر عناصرها "جون جاك سوزيني" في التحريض وعبر تصريح مثير له من خلال ما جاء في الكتاب الذي أعده الصحفي الفرنسي "بوتران لوجوندر" والذي نشرته جريدة الخبر اليومي قوله: "وصلتنا معلومات عن أعدائنا وهم

1 - المجاهد، 9 أكتوبر 1961، العدد، 106، ص: 8.

2 - أحمد رضوان شرف الدين، مرجع سابق، ص: 30-31.

3 - المجاهد، 22 جانفي 1962، العدد، 113، ص: 6.

4 - المجاهد، 28 أوت 1961، العدد، 103، ص: 10.

5 - الخبر اليومي، السبت 17 مارس 2012، العدد، 6657، ص: 20.

6 - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 74.

المتعاطفين مع جبهة التحرير الوطني سواء كانوا مسلمين أو أوروبيين من قبل مصالح الشرطة الفرنسية في الجزائر"¹.

تحليل وصلت إليه جريدة المجاهد قولها: "إن الاضطهاد الأعمى الذي قام به الأوروبيون في المدن الجزائرية، ليس إلا انعكاس لمصالح مادية وضعية تصر على إبقائها جماعة من المغامرين بتواطؤ سافر من الجهاز العسكري والمدني الفرنسي القائم في كل من الجزائر وفرنسا"². يتأكد الأمر أكثر مع الرائد عز الدين قوله: "حتى الشرطة الفرنسية أصبحت تقوم بدور الصحافة، إنها تصل عقب الاغتيالات والتفجير لتنتقل الحصيلة اليومية من جرائم المنظمة المسلحة السرية، لأنها في الواقع كانت دائما آخر من يصل لها" يضيف عنها: "أنها تشرع ببطء لتقبض على القتلة، وأن الجميع كان يعلم بأنه إن لم تكن الشرطة هي التي تقوم بالعمليات فإن المدنيين الذين يفضلون ذلك إنما يأخذون معلوماتهم وأسلحتهم من عندها"³.

وهو الاعتراف الذي جاء من الضباط الفرنسيين الذين أقروا بأعمال المتطرفين الأوروبيين حيث يقولون: "بلغت بالفعل درجة مزعجة لكن يجب على الحكومة أن تفهم أنه يصعب علينا أن نعامل على قدم المساواة لجماعة البلاستيك والسفاكين التابعين لجبهة التحرير الوطني، أي أنه يصعب عليهم أن يتقاتلوا مع زملائهم"⁴. أكثر من ذلك أن ما ميز ميز صانعي القرار داخل المنظمة العسكرية السرية كان ضيق الأفق الفكري وغاب عنه الخيال السياسي المبدع كما عبرت جريدة المجاهد، لذلك جاءت أعمالهم مقلدة وبليدة، معتقدين أن مجرد تقليد ما سمي "بالنموذج الإسرائيلي" سيتوصلون إلى نفس النتائج والواقع أن عصابات الصهيونية "كالأرغون، والهاجانا" قد أصبحت كتجربة لهم بما حققته

¹ - الخبر اليومي، 17 مارس 2012، العدد، 6657، ص: 20.

² - المجاهد، 25-9-1961، ص: 3.

³ - Cdt Azzedine, op.cit., p.p : 23- 24.

⁴ - المجاهد، 11-12-1961، العدد، 110، ص: 7.

في "دير ياسين وحيفا ويافا" شهر أبريل 1948 بفلسطين أمام مرأى ومسمع من الجيش البريطاني المنسحب¹.

وإذا كانت رغبة الصهاينة خلق جو من الرعب والفرع من أجل دفع الفلسطينيين نحو الهجرة فإن ما خططت له المنظمة المسلحة السرية بالجزائر قائم على دفع الجزائريين نحو القيام بردود أفعال عشوائية تجعل الجيش الفرنسي يتدخل، إلا أنها عجزت ولم تغلح أمام سياسة ضبط النفس والتي أمرت بها الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية². تأكد من خلال ما جاء ضمن الندوة التي عقدها أحمد يزيد بتاريخ 30 نوفمبر 1961* يبين فيها تواطؤ الإدارة الاستعمارية في ذلك قوله: " إن هؤلاء القتالين الذين يرتكبون أعمالهم الوحشية في الجزائر ووهران، ما كانوا ليقوموا بذلك لولا اعتقادهم أن السلطات الفرنسية إن لم تتخذ الإجراءات الضرورية والحازمة... لأن استمرارها سيؤدي إلى ارتفاع موجة الغضب عند جماهيرنا الشعبية ولا ندري كيف ستكون عاقبة ذلك"³.

وإدراكا لهذه الخطورة أصدرت الثورة تعليماتها إلى فرق الكومندو والفدائيين أن يتحركوا لتنفيذ برنامج الدفاع الذاتي لأنه لم يعد هناك مجال اليوم للقول أن قضية المنظمة العسكرية السرية هي قضية فرنسية داخلية لا تهمنا⁴، الأمر الذي دفع بالحكومة الجزائرية للجمهورية المؤقتة أن توجه نداء* للجزائريين تحذرهم فيه من خطورة الوضع موضحة تخلي الحكومة الفرنسية عن مسؤوليتها. وإدراكا لكل هذا فإن الحكومة الجزائرية... ليست

¹ - المجاهد، 11-12-1961، العدد، 110، ص: 5.

² - Paul Marie De la Gorce, op.cit., p : 157.

* - ملحق رقم 08: ندوة محمد أيزيد بتاريخ 1961/11/20.

³ - المجاهد، 11-12-1961، العدد، 110، ص: 2.

⁴ - المجاهد، 22-01-1962، العدد، 113، ص: 5.

* - ملحق رقم 07: نداء الحكومة المؤقتة 1960/01/20.

إلا انعكاس لمصالح مادية وضعية تصر على إبقائها جماعة من المغامرين بتواطؤ من الجهاز العسكري والمدني الفرنسي القائم في كل من الجزائر وفرنسا¹.

كما أصدرت تصريحاً بتاريخ 10-01-1962 جاء فيه: "إن الحكومة المؤقتة في إطار تدعيم وسائل الكفاح للشعب الجزائري وجيش التحرير اتخذت قرارات وجمدت إجراءات بهدف كسر عمل المجموعات الكولونيالية والفاشية التي تحاول جر الأوروبيين في الجزائر إلى طريق المغامرة التي قد تضع مستقبلهم في الجزائر ومصالحهم في خطر"².

شرعت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في التنفيذ وأسندت المهمة خاصة منطقة الجزائر للرائد رابح زراري المدعو عز الدين والنقيب سي موسى أحد قداماء كومندو علي خوجة وعززتهما بعمر وبوعلام أوصديق وعلي لونيبي³. أتبعتها بنداات متتالية متمنية بقاء الأقلية الأوروبية متخذة الجزائر بلدا لها، إلا أن الظروف تتالت عليهم وأصبحوا تحت ضغط وقف عليه هنري علاق قوله: "كانوا مجبرين أمام نهاية الحرب والتي تتضاف إلى أسوأ كوابيسهم، مذعورين، مرعوبين، إزاء التصعيد في العمليات الإرهابية للمنظمة العسكرية السرية"⁴.

ومع مواصلة وتكثيف نشاطها الإجرامي من أجل إبطال أي نجاح لأي اتفاق وجهه الرائد عز الدين نداء إلى الأوروبيين جاء فيه: "عليكم الاختيار، فإما المغامرة الفاشية، وإما البحث الجدي عن تعايش أخوي يضمن حقوقكم المشروعة، وأن الحكومة المؤقتة مستعدة لضمان هذه الحقوق والمصالح"⁵. وبالمقابل تم الإعداد للقيام بعمليات ردع من قبل المنطقة المستقلة حيث وفي مساء يوم 14 ماي 1962 امتطى كل سيارة من سيارات

¹ - المجاهد، 8-2-1960، العدد، 61، ص: 9.

² - Le journal d'Alger, jeudi 15-01-1962, N°3748, p : 3.

³ - Cdt Azzedine, op.cit., p.p : 30- 33.

⁴ - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 377- 378.

⁵ - Cdt Azzedine, op.cit., p : 53.

المنطقة المستقلة ثلاثة فدائيين لضرب سبعة وثلاثين هدفا وأدت عملياتهم إلى القضاء على سبعة عشر عنصر من المنظمة العسكرية السرية¹.

والواقع أن العملية التي قامت بها المنطقة المستقلة كانت عملا سياسيا أكثر مما هو عمل عسكري، ودليل ذلك أن المنظمة العسكرية السرية اغتالت في اليوم الموالي ستة وخمسين جزائريا وجرحت خمسة وثلاثين آخرين²، وأنه ليس من السهل أن تتوقف العمليات من شريحة أمضت قرنا وربع قرن من الزمن، فكيف يقتنعون بين يوم وليلة بأن الجزائر ستخرج من أيديهم إلى أيدي من كانوا يحتقرونهم ويستغلونهم أبشع استغلال³، معظمهم كانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب الحق الإلهي والسكان الأصليون هم دون البشر، إنها صميم النزعة العنصرية وشرها المرير⁴.

2- الأقلية الأوروبية والمرحلة الانتقالية 19 مارس 1962 - 5 جويلية 1962 ومواقف هيئات الثورة الجزائرية:

2-1 الأقلية الأوروبية والمرحلة الانتقالية 19 مارس 1962 - 5 جويلية 1962:

استقبل الجزائريون حدث نهاية المفاوضات الفرنسية الجزائرية بفرح، منتظرين الإعلان عنه وبشكل رسمي وعلني، بالمقابل الجالية الأوروبية تجاهلت الجديد فيها، كما أنها لم تؤمن بنجاح وقف إطلاق النار الذي حسب نظرها سيكون لفترة جد قصيرة⁵. شكل وقف إطلاق النار صدمة عنيفة لهم، إذ لم يهضم الأوروبيون فكرة استقلال الجزائر بالرغم من أن الثورة الجزائرية ومن بدايتها وعدتهم بالاحترام وصون أملاكهم، فجاء في بيان أول نوفمبر *: " أن المصالح الفرنسية ثقافية كانت أم اقتصادية، والمتحصل عليها

¹ - Ibid., p : 53.

² - Mohamed Tegua, op.cit, p : 404.

³ - عبد الله خليفي، مرجع سابق ، ص: 7.

⁴ - عبد المجيد عمراني، مرجع سابق ، ص: 217.

⁵ - le Monde, 21-03-1962, N°5317, p : 3.

* - ملحق رقم 04: بيان 01 نوفمبر 1954.

بنزاهة ستحترم وكذلك بالنسبة للأشخاص والعائلات"¹. وبمجرد التوقيع على نص اتفاقية إيفيان لم يتحمل أوروبيو الجزائر ولم يصدقوا أن الحرب قد انتهت، ولما أصابهم اليأس راحوا يعلنون حربا دموية، كما قررت منظمة الجيش السري تنفيذ عمليات إجرامية في مختلف مناطق الجزائر². في حين أصدرت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تعليمات دقيقة عبر مناشير وزعت على الشعب تدعوه فيها إلى عدم التجمهر مع تجنب كل التجمعات، وهو ما امتثل له الشعب الجزائري، فالتزم الهدوء الذين بين من خلاله نضج ووعي رغم الاستفزازات والاعتداءات الفظيعة التي ارتكبها متعطشو الإجرام³.

الذين أدركوا أن كل شيء أفلت من أيديهم، لم ييأسوا من محاولاتهم الفاشلة بل زاد جنونهم وإجرامهم، فلذلك حاولوا وبكل الوسائل نفس وقف إطلاق النار بالقتل والتدمير والإرهاب⁴. وبعد دخول وقف القتال حيز التنفيذ توجهت هذه الأخيرة بتحذير السلطات الفرنسية للتراجع عن توقيع الاتفاقية، ليبدأ المتطرفون الأوروبيون بعدها بالتقتيل والتدمير إنها سياسة الأرض المحروقة⁵، إنه الإرهاب الذي أضعف السلطة المركزية بهدف منع كل ما لا يتوافق مع مساعيها وأهدافها، إستراتيجيتها الهجوم وبأي ثمن لتجنب التوصل إلى وقف إطلاق النار⁶. فانطلقت الإضرابات والتي كان منها إضراب يوم الاثنين 19 مارس 1962 الذي شهدته مدينة وهران بالأحياء الأوروبية، علامات الحزن، لا وجود للكهرباء والغاز، المكالمات الهاتفية بين المدن مشوشة، سيارات عدة تحمل الأعلام الفرنسية بشوارعها محدثة ضجيجا بمنبهاتها على نغم "الجزائر-فرنسية"، تحرك واسع للمستوطنين، حتى النساء الأوروبيات على شرفات المنازل تضربن على الأواني وفق نغمتهن المفضلة، شوارع المدينة خالية، فرق من المنظمة المسلحة السرية في عملية

¹ - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان، مصدر سابق، ص: 120.

² - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 93.

³ - المجاهد، 2 أبريل 1962، العدد، 120، ص: 4.

⁴ - عمار قليل، ملحمة الجزائر، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص: 294.

⁵ - جمال خرشي، مرجع سابق، ص: 513.

⁶ - جون بول كاهن، كلاوس يرغن مولر، مرجع سابق، ص.ص: 390-392.

مراقبة، توزيع وإصاق للمناشير لتشهد المدينة ما بعد الظهيرة طائرة تحوم ترمي ببيانات تعلن وقف إطلاق النار¹.

فأصبحت الوضعية بالمدينة أشد عنفا وخطورة، خاصة بعد أن تولى تسييرها "غاردي" الذي أراد الدفع بالمستوطنين إلى الأحياء العربية ليدافعوا عن وجودهم بسلاحهم في اليد². وهو ما يبين أن البعض من قادة الجيش وحتى الجنود بما فيهم الفرق الإدارية المتخصصة والتي يروي أحد العاملين بها "لتاف، دوفيفي" قوله: " اضطرت في شهر أفريل أو ماي إلى نزع السلاح من جنود مجموعة الدفاع الذاتي، والمخازن، كان المشهد مؤلما جداً... سجنّت مدة خمسة وأربعون يوماً لأنني عارضت الأحداث، فقد كنت مع الذين عملوا في سبيل الجزائر الفرنسية"³. وهو ما جعل الأوروبيين يندفعون، بالأحداث نحو الانزلاق أكثر لتوقيف المسار عبر خروجهم في مظاهرات بحي باب الوادي بالجزائر العاصمة بتاريخ 26 مارس 1962، فاضطر الجيش الفرنسي إلى إطلاق النار على المتظاهرين الأوروبيين في شارع إيزلي (العربي بن مهيدي حالياً) أدى إلى مقتل ستة وأربعين فرداً مع تسجيل مائتي جريح⁴.

على الرغم من النداءات العديدة ومنها ما جاء على لسان "شوقي مصطفى" ناشدهم فيه قلب صفحة التاريخ وبالتالي التوقف على ممارسة سياسة الأرض المحروقة⁵. حتى مدير جريدة لوموند "بوف ميري" وبتاريخ 31 ماي 1962 وبعد الإعلان الذي وجهه سالان للجالية الأوروبية التي دعاها لمواصلة إجرامها، عبر قائلاً: "... الجزائر الفرنسية أتعلمون أنها خرافة ماتت وانتهى أمدّها وأن الجرائم التي تقترب في الجزائر ووهران لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تعيد إلى الوجود هذه الخرافة بل إنها تجعل

¹ - L'écho d'Oran, 19-19/03/1962, N°35359, p : 8.

² - Rémi Kauffer, L'OAS, op.cit ,p :

³ - فريغور ماتيس، مرجع سابق، ص: 232.

⁴ - شارل روبيير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، مصدر سابق، ص: 984.

⁵ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 302.

هذه الأرض أكثر فأكثر بعيدة عن فرنسا أو مناهضة لها... وأما هذا المستقل المظلم، لنا أن نتوجه لكم يا سالان بطلب واحد وهو أوقفوا هذه الدماء"¹.

كما قرر المحافظ المفتش العام لناحية وهران الجنرال الذي يقود الهيئة العسكرية، إلى جانب الجنرال قائد الناحية أن يطلبوا من الفرنسيين القاطنين بوهران أن يكفوا عن التضامن مع المحرضين على التخريب والذين سيؤدون بكم إلى اليأس والتهلكة"².

دعوات التعقل لم تجد صداها لدى الجماعات المتطرفة التي أذاعت وعيدها وتهديداتها... سوف تحرق كل آبار البترول، سوف نلغم السدود وندمر مصانع الكهرباء والغاز... "حتى رجال ساستها ممن كانت لهم بصمات سلبية في مواقفهم اتجاه الجزائريين أمثال "مارسيل إدموند ناجيلان" حاكم عام سابق للجزائر ووزير، تكهن بأن استفتاء تقرير المصير سيكون خديعة حقيقية، واحتج مسبقا عليها، كما أنه يرى مصير فرنسا والجزائر واحد، ومحاولة الفصل بينهما جريمة"³. إجرامهم بدأ بأربعة أيام قبل وقف إطلاق النار بعملية أقل ما يقال عنها أنها تبين قتل الأمل، الذي تحيا عليه الجزائر من خلال مثقفها، إذ اغتالت مجموعة من مجرميهم بالمركز الاجتماعي في الأبيار مثقفين جزائريين من بينهم الأديب والكاتب الجزائري مولود فرعون⁴، وخمسة من رفاقه منهم ثلاثة فرنسيين كانوا يمثلون في نظرها رمزا للتعايش بين الطائفتين في جزائر الاستقلال الوشيك... فكان الغلاة منهم يرفضون هذا الاحتمال رفضا مطلقا⁵. تحرك يعبر عنه علي هارون قوله: "أنهم تصرفوا لا إراديا لم يستمعوا إلى نداءات التعقل وافتقدوا القدرة على التحكم في الأمور"⁶.

¹ - عبد الله شريط، مرجع سابق، ص. 205-206.

² - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 67.

³ - مصدر سابق، ص: 43.

⁴ - Le Figaro, 16-05-1962, N°4804, p : 3.

⁵ - الخبر اليومي، 10-07-2008، ص: 20.

⁶ - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 67.

وهو ما جعلهم يساهمون في إشعال فتيل فتنة لا تبقي ولا تذر، ذلك ما وقف عليه شارل روبير أجيرون من خلال كتابه " تاريخ الجزائر المعاصرة": " أن مدبري الإرهاب لم يطلعوا حتى على نص الاتفاق وأعلنوها حربا أخيرة مفاجئة بارتكاب مذابح منظمة ضد الجزائريين¹. ذلك الذي أكدته أندري ماندوز في تحليله من خلال كتابه "النصوص الأساسية لثورة أول نوفمبر 1954" قوله: " اعتبرت الأوساط الاستعمارية التقليدية والعسكرية الفاشية اتفاقية إيفيان كهزيمة ساحقة وإهانة لم يسبق لها مثيل"، يضيف: " وإن كانوا يقولون بأن الجزائر قد أفلتت منهم فإنهم لا يقولون بأنهم هزموا، فمنظمة الجيش السري ترمي لإقامة نظام فاشي بفرنسا وإشعال نار الحرب من جديد بالجزائر، وأن تكالب المستعمرين على الإرهاب بالجزائر يرمي لإثارة الشعب الجزائري وإبطال إيقاف القتال"².

وهو ما أكدته وزيرة ألمانيا الفيدرالية الذي أدرج تصريحه "جون بول كاهن وكلاوس يرغن مولر" في كتابهما قوله: " بأن مناخ الحرب الأهلية التي كانت بالمدن والتي تسببت في موت المئات من الأشخاص، غطت أمل الإنهاء السريع لهذا الصراع"، ويضيف: " نشك أن المنظمة العسكرية السرية تحاول إثارة تدخل الجيش كي يثبت استحالة تحقيق الاتفاقية بين الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير الوطني"³.

إنه زلزال عنيف تشهده الجزائر عامة لهيجان مجرميها وتصرفاتهم الطائشة، حيث عاش ميناء الجزائر العاصمة وبتاريخ 2 ماي 1962 على وقع انفجار عنيف نتيجة وضع سيارة ملغمة به نتج عنها مقتل ثلاثة وستين قتيلا ومائة وعشرة جريحا كاهن من الجزائريين الذين يعملون كحمالين بمرسى الميناء⁴. تحطيم للبيئة التحتية داخل المدن ومنها ما شهدته مدينة وهران، تفجيرات، حرائق تتضاعف كل يوم على المراكز الإدارية،

¹ - شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة 1871-1954، مصدر سابق، ص: 984.

² - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 57.

³ - جون بول كاهن، كلاوس يرغن مولر، مرجع سابق، ص: 393.

⁴ - Anne Marie Duranton Crebol, op.cit., p : 291- 292.

المدارس، المراكز الاستشفائية، مكتبة البلدية¹، تفجير لخزانات البترول * لشركة بريتيش بتروليوم بتاريخ 25 جوان 1962، أحدثت غمامة كبيرة على ساحل المدينة بقي لساعات طويلة². جو وقف عليه الجنرال كاتز ساعتها واصفا إياه: " دخان أسود كثيف انتشر فوق الميناء، حالة فزع وذعر سادت الأرصفة والمستودعات وفي الأحياء المجاورة والبواخر مهددة بالحريق، رفعت مرساتها وابتعدت عن الرصيف³. زاد الأمر تعفنا بالمدينة، عمليات سطو بدأت تقتربها جهات مختلفة بعدما أن فقدت مراقبة مجموعاتها، مست المحلات التجارية، مراكز التخزين، سرقات للسلع وحتى المال من البنوك⁴.

لقد بلغت أوج هيجانها منتصف شهر جوان، إذ يقول علي هارون: " طغى العنف بكل فظايعه في كل أنحاء العاصمة، رشق بالرصاص، انفجارات، حرائق، دمار، نفس الشيء تعيشه مدينة وهران حيث تجلى الرعب في أبشع صورته"⁵.

لم يقبلوا بحركة التاريخ مثل ما سجله بعض ملوك وعساكر بعض الدول، من خلال ما أدرجه علي هارون في كتابه يوضح حقدهم وضغينتهم اتجاه الجزائريين قوله: " لما غادر أبو عبد الله آخر ملوك العرب بغرناطة والذي حكم ما بين 1482-1492 على إثر حصار فرديناند الثاني له، تنهد ومسح دمعة على خده، لكنه لم يحرقها، وحتى مع مغادر الجنرال الألماني "فون شولتز" باريس لم يكثرث لأوامر هتلر بحرقها"⁶.

لقد وقف هنري علاق في كتابه "مذكرات جزائري" على مدى التدمير الذي مارسوه واصفا الوضع قوله: " أربعون مدرسة تم حرقها بالجزائر كنت أرى في جهات مختلفة وأنا أجوب المدينة بنايات عمومية متضررة جزئيا بسبب الحرائق والانفجارات،

¹ - Joseph Kartz, op.cit., p : 309.

* - ملحق رقم 12: الصورة 04.

² - Anne Marie Duranton Crebol, op.cit., p :218.

³ - Joseph Kartz, op.cit., p :308.

⁴ - L'écho d'Oran, 22-03-1962, N°35360, p : 8.

⁵ - علي هارون، خيبة الأمل، مصدر سابق، ص: 61.

⁶ - علي هارون، خيبة الأمل، مصدر سابق، ص: 67.

مكتبة الجامعة في وسط المدينة، صندوق الضمان الاجتماعي، مكتب تحصيل الضرائب قرب قصر العدالة، كما دفع البعض التهور والذعر الانضمام إلى أقاربهم وإلى جيرانهم بغرض استئجار شاحنة وحشوها بما لا يمكنهم حمله... ثم يسرعون ليلقوا بالكل في البحر من على المرفأ أو في مكان غير مناسب.. هكذا غادر هؤلاء البلد دون أن يتركوا شيئاً للعرب¹، جنون إجرامي، في يوم واحد تهاوت عشر مؤسسات تعليمية بالعاصمة، مدرسة الفنون الجميلة، مقرات الكهرباء والغاز، المركز الثقافي الأمريكي، محلات مقرات آهلة، ديار السعادة أشعل بعض الأوروبيين النار في شققهم قبل مغادرتها، حكمت المتفجرات المفثشية الأكاديمية، إدارة المياه، مصلحة الضرائب، كما اكتشفت جثث بـ "فوردولو" برج الكيفان حالياً، سطور مسلح مارسه الشباب الأوروبي، شكلت بالنسبة إليهم نشاطاً متمر، وهران اغتياالات بالجملة، بلعباس اعتداء أوروبيين مدنيين على عسكريين فرنسيين، استيلاء على أسلحتهم، طلقات رشاش على المارين، عنابة تدمير مقرات دار الزراعة، حتى الجنوب تصاعد لهب آبار الغاز الطبيعي التي تم تخريبها². وبأمر من الجنرال "جوهو" قام الطيران بقصف إجرامي لمعسكر تابع لجيش التحرير الوطني، انطلاقاً من القاعدة العسكرية الجوية بالسانية وهران، تبعثها غارات كثيرة خلفت حصيلة ثقيلة من الضحايا، وبالعاصمة خرج مجرموها بوجه مكشوف يجرحهم الحقد الدفين يشاركونهم حتى شباب الثانويات في عملية مطاردة لكل ما هو عربي³.

على الرغم من التزام الطرفين بمقتضيات وقف إطلاق النار التي تم الاتفاق عليها، إلا أن ذلك لم يحل دون حدوث اختراقات محدودة وهو أمر متوقع في ظل وضع كان ينتابه شيء من الغموض وكثير من التوتر، نتيجة العمليات الوحشية التي كانت تشنها منظمة الجيش السري والتي تحولت إلى تنفيذ سياسة الأرض المحروقة بالجزائر، بعد فشلها في وقف تنفيذ اتفاقية إيفيان، بل امتدت حتى لفرنسا نفسها، أعنفها استهداف شارل

1 - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 378.

2 - علي هارون، خيبة انطلاق، مصدر سابق، ص: 40-41.

3 - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 93-94.

ديغول نفسه في "بوتي كلامار" Petit Calamar يوم 22 أوت 1962¹. اعتبر شهر مارس 1962 مأساة أليمة وخوفا حالكا للجماهير الجزائرية بعد التوقيع على الاتفاقية، الشعب يتحمل غضب الأقلية الأوروبية². حيث عادت منظمة الجيش السري تكثيف نشاطها الإجرامي، فشرع عناصرها في التدمير الأعمى للبنائيات الإدارية والمنشآت الصناعية والمعاهد والمدارس، مع إرباك أوروبيي الجزائر ودفعهم على الفرار³. رغم ما كان يقابله من فرحة وابتهاج لدى الجزائريين ضمن انهيار جانب الأوروبيين، تدفق واندفاع نحو الموانئ والمطارات خاصة في النصف الأخير من شهر جوان 1962 التي كانت تشهد ما بين العشر إلى اثني عشرة سفيرة يوميا⁴. يقول علي هارون بمعدل خمسة آلاف عبر الطائرة كل يوم و 2300 عبر الباخرة، حيث افتتحت مراكز لاستقبالهم عبر أرجاء فرنسا⁵، تحت ضغط ودعوات قياداتهم منهم الكولونيل "غاردي" Gardes الناطق الرسمي للمنظمة المسلحة السرية وعبر حصة بثتها هذه الأخيرة عن طريق القرصنة قوله: " ارحلوا غادروا هذا البلد بأسرع ما يمكن"⁶.

عدد كبير منهم يريد المغادرة، لذلك وضعت عمارات ومتاجر للبيع بأسعار زهيدة⁷، البعض منهم حمل ما خف حملة والبعض الآخر باع أملاكه بصيغة أو بأخرى والكثير من أشياءهم أحرقوها ورموها في البحر لكي لا يأخذها الجزائريون والبعض كانوا يظنون أن رحيلهم مؤقت⁸. قابلتها المنظمة المسلحة السرية بتفجير سكنات الأوروبيين الذين ينوون المغادرة والتهديد يعني جميع الرافضين⁹، رعب تلاح ذعر رهيب استولى على الأوروبيين وجعلهم يكتسحون شركات الطيران والشركات البحرية، محتلين

¹ - Marie Dumont, op.cit, p.p : 82- 85.

² - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري ، مصدر سابق، ص: 95.

³ - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 37.

⁴ - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 377.

⁵ - علي هارون، خيبة الانطلاق ، مصدر سابق، ص: 36.

⁶ - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 378.

⁷ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 243.

⁸ - Gérard Israël, Le dernier jour de l'Algérie française, édition, plan, paris, 1962, p : 150.

⁹ - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري ، مصدر سابق، ص: 75.

المطارات، أرصفة الموانئ، على أمل مغادرة هذا البلد، قبل اقتراب يوم الاستقلال الموعود والذي هددت المنظمة المسلحة السرية أن تجتاح فيه كل شيء بالتدمير والحرق¹.
والحرق¹.

يأس وصلت إليه الأقلية الأوروبية، جعلهم يدركون حقيقة وضعهم، تقول جريدة المجاهد "البحر أمامهم والعدو وراءهم" لهذا فكروا في الرحيل، رغم معارضة المنظمة المسلحة السرية، خاصة وأن شركات النقل لا تقبل بنقلهم إلا إذا استظهر الأوروبيون برخص منها، تمنحها لمن يتعهد أن يعمل في صفوفها داخل فرنسا². فزادت في ممارستها ضغوط كبيرة عليهم، نفذت وعودها برمي المنتظرين بالرصاص أمام محافظة الشرطة للذين يريدون الحصول على تسريح للدخول إلى فرنسا حتى أن وصل بها الأمر إلى دخول مجموعاتها للمحافظات فأتلقت جميع الاستثمارات المتعلقة بالتسريح للسفر³.

وعلى الرغم من ذلك وقبل خمسة أيام غادر الكثير منهم الجزائر يقول علي هارون: "من على متن باخرتين، سيدي مبروك، جان لابورد" ومن ميناء وهران تاركين وراءهم نظرة نهاية العالم، دخان كثيف والسنة نيران تنبعث من التفجيرات التي يشهدها خزانات الوقود بالميناء"⁴. فالمجازر المرتكبة كانت تزيد من مخاوفهم، إذ يقول هنري علاق: "ولو أنه حقيقة أصبحت الجزائر حرة لكنها لم تتحرر بعد من الخوف... وبحزن وأسى شديدين يختارون الرحيل"⁵. تهديدات المنظمة المسلحة السرية زادت من توترات الأوروبيين وهو ما نقل الدبلوماسيين على اختلاف جنسياتهم ومنهم الألمان الذين أحصوا تسع مائة ألماني من بينهم مائة وخمسون بالجزائر العاصمة وثمانية عشر بالجزائر الوسطى على غرار قسنطينة وضواحيها والجهات الغربية بوهران مائة وعشرون، كما في الصحراء. تم إنشاء مشروع استعجالي بخلية أزمة مكونة من ستة أعضاء بدأت

¹ - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 61.

² - المجاهد، 9 مارس 1962، العدد، 116، ص.ص: 3-4.

³ - Joseph Kartz, op.cit., p. 248- 249.

⁴ - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 59.

⁵ - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 380.

نشاطها في الإجلاء¹، ولهذا فإن ابتزازات المنظمة المسلحة السرية أدت إلى عكس النتائج التي كانت تتوقعها خاصة قادتها لذلك فمناخ الذعر العام كان وراء رحيل فرنسيي الجزائر دون أمل العودة، متخليين عن أملاكهم لمعارفهم الجزائريين بأسعار بخسة².

كما أنه لا يمكن أن تغفل عن أسباب لا تقل أهمية عن هذا النزوح وبقوة فزيادة على إجرام المنظمة المسلحة السرية، ضغط نفسي عاشته هذه الأقلية الأوروبية لعدم هضمها فكرة استقلال الجزائر بفعل تخوفهم من الانتقام لمشاركة غالبيتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في الجرائم المرتكبة أثناء الثورة، ومساعدتهم للمنظمات الإجرامية ومنها اليد الحمراء في الاختطاف والتعذيب والقتل، نهب أملاك الجزائريين أثناء إضراب الثمانية أيام، تحطيم وتخريب أملاك ودكاكين الجزائريين أثناء المظاهرات والتجمعات المختلفة والنظرة العنصرية والاحتقار الدائم للجزائريين³. لذلك تهافت سيل من طلبات جوازات السفر على الإدارة، عدد كبير من الموظفين قرروا بمناسبة العطل الطويلة ألا يعودوا ثانية⁴.

هنري علاق يشهد بذلك قوله: " ونحن نبحت في شوارع الأبيار نلتقي بالصدفة مع زوجين أوروبيين كانا يتهيآن للرحيل فيقبلان كراءنا بيتهما الصغير، كان يحتوي على أربع غرف مقارنة بمنزلنا السابق بدا لنا واسعا" يضيف قوله: " أثار وصولنا بعد الاضطراب في الشارع فمعظم السكان السابقين في مجملهم أوروبيون كانوا قد حزموا أمتعتهم ورحلوا والباقون يحضرون للقيام بذلك تاركين المكان للجزائريين"⁵.

1 - جون بول كوهن، كلاوس يرغن مولر، مرجع سابق، ص.ص: 422 - 423.

2 - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، الأسطورة والواقع 1954 - 1962، مصدر سابق، ص: 264.

3 - محمد الواعي، مرجع سابق، ص: 199.

4 - علي كافي، مصدر سابق، ص: 243.

5 - هنري علاق، مصدر سابق، ص.ص: 402 - 403.

وعلى شارع جبهة البحر المطل على الميناء بوهران وقف الأوروبيون يتأملون المشهد، فلم يبد عليهم أي استياء وغالبا ما انبعثت الضغينة والحقد من تعليقاتهم "بما أنه علينا أن نرحل عن هذه الأراضي فالأولى أن لا ندع شيئا للعرب"¹.

نهاية جوان كان ستة مائة وخمسون ألفا من بينهم مائة ألف يهودي جزائري يرحلون إلى فرنسا، وبما أنهم كانوا يشرفون على المراكز القيادية فقد شل رحيلهم البلد². هذه الفئة التي اتسم موقفها بالازدواجية أي أنهم يتظاهرون بالولاء وبالميناء يكيّدون³، بقوا على هذا النحو حتى مع اندلاع الثورة التحريرية، انتظروا النتائج التي سيفرزها الصراع لكن مع آخر سنوات الثورة أبدوا تعاطفهم وشاركوا إلى جانب المحتلين المتطرفين في العمل المسلح⁴.

رغم رسالة* جبهة التحرير الوطني المبكرة لهم والتي ذكرتهم: " أنه قد حان الوقت على كل جزائري إسرائيلي ليفرض على نفسه، وبناء على ضوء تجربته الخاصة، تحديد موقفه دون غموض أو إبهام في هذه المعركة التاريخية العظيمة" داعية إياهم التصريح علانية بانتمائهم للأمة الجزائرية" مبدية تأسفها على موقف المنوبيين الجزائريين في المؤتمر اليهودي العالمي، مبرزة لهم مصلحتهم التي يجب أن تكون في اعتناقهم الجنسية الفرنسية⁵.

والواقع أن الجالية اليهودية جلها كان منظم لمجموعات الدفاع الذاتي التي كانت مدربة على حرب الشوارع، فانضمت كلها للمنظمة المسلحة السرية⁶، كما استغل المتطرفون حساسية ما هو موجود بين المسلمين واليهود من خلافات ومواقف مضادة

1 - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 67.

2 - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني، الأسطورة والواقع 1954-1962، مصدر سابق، ص: 264.

3 - الجندي خليفة وآخرون، مرجع سابق، ص: 278.

4 - فوزي سعد الله، يهود الجزائر موعد الرحيل، الجزء الثاني، دار قرطبة، الطبعة الأولى، الجزائر، 2005، ص: 219.

* - ملحق رقم 10: نداء جبهة التحرير الوطني ليهود الجزائر.

5 - بسام العسلي، أيام جزائرية خالدة، دار الرائد، الجزائر، 2010، ص.ص: 54-57.

6 - دحمان تواتي، مرجع سابق، ص: 176.

لهم، فاستقروهم ودفعوهم عن طريق القيام بأعمال إجرامية نسبت للجزائريين كالذي حدث مع اليهودي وابنه الذي طعن بخنجر وهو في طريقه للمعبد، فنجحت في الإيقاع بينهم، وبذلك وظفوا بشكل مباشر في الهجوم على محلات ومتاجر الجزائريين بالتخريب، ذلك ما جعلهم يتجندون وراءها¹ أدى ذلك إلى تطوير عمليات اليهود الصهاينة ضد الجزائريين، معلنين تأييدهم الكامل لها من خلال مظاهرات جانفي 1962 التي جعلت الكيان الصهيوني يرد ببيان تكذيب نافيا أن تكون له يد فيها وأن هدفها هو الإساءة للعلاقة الفرنسية الإسرائيلية².

وما زاد طيش وجنون هذه الطائفة، بتعرض مقبرتها بمدينة وهران للتخريب، وجهت فيها الاتهامات لجبهة التحرير الوطني، وذلك كله على مقربة من الإعلان عن الاستقلال فظهر الشباب اليهودي خاصة بالمدن الكبرى وهران والجزائر أنهم فرنسيون أكثر من فرنسا³. وما جعلهم أكثر اندفاعا، ما أثارته المنظمة المسلحة السرية من خلال دعاية مغرضة ما كتبه نشرية صدرت بوهران بتاريخ 17 إلى 21 ماي 1962، ارتكز عليها "روبير غوتالي" في كتابه العلاقات بين اليهود والمسلمين، ارتكز عليها فوزي سعد الله من خلال كتابه يهود الجزائر وموعد الرحيل ما يلي: "في الجزائر تعد جبهة التحرير الوطني خطراً مميتاً على إسرائيل، ألم يتحدث "بن بلة" عن جيش من مائة ألف جزائري قادم لتدمير إسرائيل وأن تدميرها هو الهدف الأول لكل سياسة عربية"⁴.

رغم نفي الرئيس أحمد بن بلة في تصريح لوكالة الأنباء الأمريكية "يونايتد برس" حيث بدد مخاوفهم ما بعد الاستقلال⁵. تخوفهم وقلقهم وتأثرهم بالحرب مع المقاطعة التجارية لمحلاتهم استغلها المتطرفون لتعفين الجو ودفعهم لمساندة فرنسا وحتى إلى الهجرة نحو فلسطين، لذلك 90% منهم ساندوا فرنسا والتحق عدد كبير منهم بالمنظمة

¹ - فوزي سعد الله، مرجع سابق، ص.ص: 255 - 256.

² - Journal d'Alger, 11-01-1962, N°3748, p : 2.

³ - فوزي سعد الله، مرجع سابق، ص: 256.

⁴ - نفسه، ص.ص: 256 - 257.

⁵ - المجاهد، 30 أفريل 1962، العدد، 120، ص: 3.

المسلحة السرية¹. بقوا على تعنتهم وإصرارهم، سعيا لإفشال المفاوضات وطرح بديل تقسيم الجزائر متشبهين بهذا الحل الذي جعل زعيم الصهاينة "دافيد بن غريون" يتدخل لدى الجنرال ديغول معربا عن تخوفه من الصعوبات التي ستواجه اليهود إذا ما غادرت فرنسا الجزائر².

وعلى نفس الرؤية طالبت المنظمة المسلحة السرية من وهران "بتجميع الأوروبيين على محيط مائة كيلومتر، تحتوي على مراكز تتدرج في إطار مدينة وهران، مستغانم، بيرغيو (المحمدية حاليا)، أرزيو، سيدي بلعباس، إضافة إلى نقاط إستراتيجية كالقاعدة البحرية لمرسى الكبير، القاعد الجوية العسكرية بالسانية، مركز العمليات البرمائية للحلف الأطلسي بآرزيو... وهو ما كان يسمح لها بالاستحواذ على أفضل منطقة بالجزائر³.

إلا أن نداء بن يوسف بن خدة رئيس الحكومة المؤقتة فند للأقلية الأوروبية ورفض مزاعمهم ومطالبهم قوله: "... فيما يتعلق بالأوروبيين فإننا سوين هذا المشكل في نطاق سيادة الدولة الجزائرية وبمقتضى وضعيتهم الخاصة في بلادنا، إننا رفضنا نظام المجموعة الأوروبية في الجزائر كما رفضنا مبدأ الجنسية المزدوجة التي تمس بوحدة الدولة الجزائرية وتعرقل تطورها"⁴. وأمام هذا الوضع القائم جثمت على الأقلية الأوروبية حالة من اليأس والإحساس بالضيق وراحوا يجهزون أغراضهم استعدادا لمغادرة الجزائر، وفي حيرة تامة من أنفسهم حيال المصير الذي ينتظرهم⁵، بعضهم يقول هنري علاق: " لا يزال يحتفظ في رأسه حلمه في العودة إلى الجزائر ثانية، إلصاق على أبواب منازلهم أوراقا عليها كتابة تحمل طابعا رسميا لمحافظة الشرطة المحلية تشهد أن للمنزل سكانا سيعودون قريبا من "عطلتهم"⁶.

1 - فوزي سعد الله، مرجع سابق، ص: 251.

2 - نفسه، ص: 257.

3 - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 60.

4 المجاهد، 20 مارس 1962، عدد خاص 117، ص: 3. بن يوسف بن خدة، شهادات ومواقف، مصدر سابق، ص: 35.

5 - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 100.

6 - هنري علاق، مدر سابق، ص: 379.

لقد أصر الجنرال ديغول وبشكل قوي خلال المفاوضات على انتزاع أكبر قدر ممكن من الامتيازات والضمانات لفائدة الأقلية الأوروبية، إلا أنه وفي قرارة نفسه متأكد من عدم مكوثهم وهو ما يوضحه في مذكراته قوله: "... إن بقاء الأوروبيين في جزائر مستقلة أمراً مستبعداً وأنهم على الرغم من عدائهم لسياستي وتشبثهم كما يبدو للعيان بالبقاء في الجزائر، إلا أنهم سيختارون في نهاية الأمر العودة إلى فرنسا" ¹. بالرغم من التأكيد على الضمانات التي أقرها المسؤولون الجزائريون غير أنهم فضلوا التخلي عن أملاكهم والرحيل إلى فرنسا ². يعطي علي كافي عينة منهم عن الإسرائيليين الذين وفي حدود شهرين تقدموا بخمسين طلباً لجوازات سفر للتوجه إلى الكيان الصهيوني ومنهم ثمانية وسبعون تنازلوا عن حقهم في البنايات ذات الملكية المشتركة وكذلك حال القوى الغربية من "الكولون اليهود" وأغليبيتهم ترغب في سحب دفعاتهم ليسددوا بها ثمن سفرهم إلى الكيان الصهيوني ³. وفي هذا السياق يذكر رضا مالك من خلال كتابه "الجزائر في إيفيان" أن الصهاينة استغلوا الظرف وأرسل "بن غريبون" عناصر إسرائيلية لتدريب أفراد من غلاة الأقلية الأوروبية، ذلك الذي دفع الجنرال ديغول يوجه تحذير للحكومة الإسرائيلية من أجل سحبهم وإلا ستفسد العلاقات الفرنسية الإسرائيلية ⁴.

شهدوا نزوحاً مكثفاً خلال شهر ماي وجوان 1962، كتبت مجلة "نيوزويك" التي ارتكز عليها محمد حسين في كتابه "الاستعمار الفرنسي" وتحت عنوان وداعاً للجزائر: "أن الأقدام السوداء أخذوا يفرون بالألوف من الأرض التي أقسموا يوماً أن لا يغادرونها أبداً، ففي الأسبوع الأول من شهر جوان اثنان وتسعون ألفاً أي بمعدل عشرة آلاف شخص يومياً" ⁵.

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 143.

² - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 122.

³ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 243.

⁴ - رضا مالك، مصدر سابق، ص: 248.

⁵ - محمد حسين، مرجع سابق، ص: 551.

تسارعت وتيرة الرحيل لهم، بفعل ما أحدثته الأوامر والأوامر المضادة للمنظمة المسلحة السرية من هلع كبير تلاه نزوح لا يوصف، ولم تتجح في التحكم فيه، شهد الميناء السياحي الصغير "بسناري" على بعد اثني عشر كيلومتر من غرب طولون، توافد نساء وأطفال وشيوخ بأمعتهم القليلة من وهران الجزائر على متن قوارب الصيد¹.

نزوح دون مبرر إذ يؤكد رضا مالك على اتهامات الفرنسيين من خلال جريدة الشروق اليومي جازما أن يكون الجزائريين ارتكبوا أية تجاوزات جنائية أو حتى سياسية بحق الجزائريين الذين كانوا يقيمون بالجزائر بعد وقف إطلاق النار بل يقول: "كفلت لهم الاتفاقية حقوقهم وواجباتهم في مقدمتها حق المواطنة لمدة ثلاث سنوات وبعدها يختارون إما الجنسية الجزائرية أو الفرنسية"². وهو ما يؤكد فرحات عباس من خلال ندائه الذي وجهه للشعب الجزائري موضحا مدى ما وصل إليه الاتفاق حول الأقلية الأوروبية قوله: "... توصلنا إلى ما يسمح للأوروبيين بممارسة الحقوق المدنية الجزائرية لمدة معينة ابتداء من تقرير المصير، وبعد هذه الفترة من الوقت يمنح الأوروبيين في الجزائر حق الاختيار في الجنسية الجزائرية التي يطلبونها بصفة فردية وبين بقاء على جنسيتهم وعندئذ يعاملون بمقتضى الاتفاقية الخاصة بالرعايا الفرنسيين، أما الذين يختارون منهم الجنسية الجزائرية فستحفظ لهم ثقافتهم ولغتهم ودينهم، وسيكون لهم تمثيل متبادل في الشؤون العامة وخاصة المؤسسات"³.

كما كذب عبد الغني عقبي رئيس لجنة وقف إطلاق النار بوهران على هامش حفل خمسينية الاستقلال وعن طريق جريدة الخبر ما اصطلح على تسميته بالمؤامرة ضد المعمرين حيث دحض إطلاق وصف المجزرة على بعض التجاوزات المتفرقة باتهام الفرنسيين لجهة التحرير الوطني ارتكاب مجازر ضد المعمرين⁴. تخوف ورفض قاطع للتعاون من جانب أوروبيي الجزائر هو أمر مألوف يقول عنه أمحمد يوسف مع كل

¹ - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 41.

² - الشروق اليومي، 19-01-2013، العدد، 3599، ص: 3.

³ - المجاهد، 20 مارس 1962، عدد خاص 117، ص: 6.

⁴ - الخبر اليومي، 8 جويلية 2012، ص: 20.

مراحل الاستعمار، وقوفهم متعنتين رافضين لأي إصلاح اتجاه الجزائريين "يضيف قائلاً: "أسلوبهم العنصري، وفكرة مطالبته بضممانات أكبر على ما نصت عليه اتفاقية إيفيان، برهنت مرة أخرى على غياب الحكمة وصدق النوايا النضج السياسي لأوروبيي الجزائر"¹، لأن تشبثهم بالجنسية الفرنسية يعني أنهم يتشبثون بالأوهام، أو هام التفوق والتحكم في مصيرنا، يعني أنهم لم يستطيعوا التخلص من السموم التي استقرت في أذهانهم، عجزوا عن مواجهة أكبر واشرف معركة في حياة الإنسان (معركة انتصار الإنسان على نفسه)².

قرارهم جاء نتيجة لسلسلة أعمال العنف المضاد، التي قاموا بها، يقول فرحات عباس: "تعاون فيها فاشيون وجنود ضائعون وعنصريون بالإرث وأكلة لحوم العرب، على هدر آخر الفرص لأوروبيي الجزائر للعيش في جزائر جديدة"³. لذلك كان رحيلهم الجماعي المكثف سببه الخوف وخشية الأعمال الانتقامية إلى جانب تعبيرهم ورفضهم القاطع التعايش مع الجزائريين المسلمين الذين ظلوا في عيونهم كما يقول أمحمد يوسف "جنسا من الدرجة الثانية"⁴. لكن تساؤلات فرحات عباس أجابت عن عدم وقفهم للتطور الطبيعي للقضية الجزائرية والتي تمثلت في "هل بإمكان "هنري بورجو" على أن يتعهد له لوبي في باريس يستطيع أن يطيح بحكومة أو أن يطرد حاكما عاما. منظوره كان فقط ربح المال واستثماره وإنفاقه، نفس الأمر ينطبق على "دوسيزيني" الذي كان يسهل كل صباح بسلسلة من احقد الألفاظ اليومي دون أن يدرك ما كان عليه من غرور كبير، نفسه مع الإخوة "موريل" الذين يمتلكون صحيفة "لاديبش قسطنطين" والتي كثيراً ما صبت الزيت على النار ظانين أن النار لا تلتق إلا بالجماهير المسلمة"⁵. وبالمقابل هناك عدد آخر وبسبب عدم توفرهم على الإمكانيات، ممزق وحائر بين الحلين الآتين الذهاب بدون

¹ - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص.ص: 122-123.

² - المجاهد، 11-12-1961، العدد، 110، ص: 7.

³ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 223.

⁴ - أمحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 123.

⁵ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص.ص: 223-224.

أي فلس ولأي مكان أو البقاء في الجزائر وتحمل جميع أنواع الإهانة، في حين هناك عدد قليل قد اتخذ قراره النهائي وهو البقاء في الجزائر مستقلة كانت أم لا¹. وهو ما يصرح به أحد فرنسيي الجزائر وبكل حرية لجريدة "ليكسبريس الفرنسية" التي أخذت عنه جريدة المجاهد قوله: "الإقامة في بلد آخر ما عدا الجزائر، يعد بالنسبة لهم هجرة وابتعادا عن الوطن حتى ولو كانت باريس..." وهو لا ينفى عن البعض منهم تعلقهم بالجزائر إذ يضيف قائلا: "... هل نستطيع أن نكون جزائريين كاملي الحقوق؟ لقد سرنا حتى الآن في ركاب أصحاب المليارات الذين لهم أملاكهم في أوروبا أو في غيرها" يتساءل ويجيب: "بالنسبة لنا ما هو المصير الذي يمكن أن نلقاه بعد هذه الحرب؟ إنني أؤكد لهم أنه فيما إذا تخلت عنا فرنسا، فإنني سأتوجه أنا إلى فرحات عباس"². وهو التحليل الذي وقف عليه هذا الأخير من خلال كتابه "تشریح حرب" قوله: "لقد رهن الفرنسيون الذين كانوا يحيون حياة بسيطة بيننا مصيرهم حين ربطوه بمصير أصحاب الملايير وارتكبوا الخطأ الذي ما كان ينبغي لهم أن يرتكبوه، لقد لعبوا من بين الأوراق التي كانت في أيديهم أسوأها ألا وهي ورقة الرفض وورقة الحقد لماذا؟ لأنه كان بيننا وبين التطور الحتمي للتاريخ سحابة كثيفة من الكذب صنعها أولئك الذين كانوا يتسلطون على بلدنا، ويتخيلون أنهم قادرون على الاحتفاظ بهيمنتهم عليها هذه السحابة أخفت عنهم السبل الجديدة تلك التي تقود إلى المساواة بين البشر وإلى الأخوة الحقيقية"³. وعليه عجل فرحات عباس ببناء ناصحا الأقلية الأوروبية قوله: "انتبهوا لما تفعلون... لا تصبوا الزيت على النار... إن الحياة المشتركة ممكنة فلنبحث معا لإعطائها إطارا جديدا وأن فكرة رميكم في البحر غير واردة لأن شعار الحقيقة أو النعش هو شعار بلا معنى وهو من وضع دهاليز البوليس، لنبدل معا بعض الجهد من أجل أن نكتشف سبلا جديدة، إن العيش معا في ظل قوانين جديدة هو شيء ممكن التحقيق وذلك الشيء المأمول"⁴.

¹ - علي كافي، مصدر سابق، ص: 123.

² - المجاهد، 05-10-1959، العدد، 52، ص: 11.

³ - فرحات عباس، تشریح حرب ، مصدر سابق ، ص: 212.

⁴ - مصدر سابق، ص: 299.

لكنهم أدركوا ما كانوا يتمتعون به من امتيازات معنوية ومادية قد قضي عليها إلى الأبد، مهما كانت النهاية التي يتصورونها للمشكلة، هذا ما وصلت إليه جريدة المجاهد من تحليل قولها: "... عاجزون عقلا، لأن كل ما عرفوه من أنظمة الحكم في بلادنا هو أن يتحكموا فينا، وعقلهم لا يستطيع أن يتصور حكمنا نحن للجزائر... وخيالهم عندما تصله حرارة الشعور بالخوف تجعله لا يتصور إلا الانتقام... لذلك نجد معارضتهم في إنهاء الحرب تزداد حدة وجنونا بقدر ما يزداد شعورهم عمقا بأنهم على أبواب الخروج"¹.

شعورهم دفعهم إليه كبار الملاك حيث يقول فرحات عباس: "لم يكن لديهم ما يخسرونه لأنهم رحلوا ثوراتهم منذ البداية، فزرعوا الرعب في قلوبهم ووشحوا اللوحة السوداء وهدموا شروط الحياة المشتركة، والمتصلبون فقد أوهموا غيرهم عندما نفوا طابع التعدد العرقي لبلدنا بصحة الشعار الذي خرج من المخابر البوليسية القائل "الحقيية أو النعش"². لذلك اجتهدت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وحاولت الحد من الكوارث وعن طريق كريم بلقاسم الذي وجه لهم نداء جاء فيه: "لقد مات الماضي، وها نحن نعلن بأن الأمن والحقوق كلها مكفولة في الجزائر الجديدة، إن الشعب الجزائري ليس حقوقا ولا عدائيا يشرفه أن يثبت ذلك"³. بالرغم من ذلك تميزت الأحياء الأوروبية في العاصمة وهران بالشلل، حيث طبق نظام أمني معتبر تحت اسم مخطط « Super Valentine » لعزل أحياء الأوروبيين على أحياء المسلمين تجنباً لأي انزلاق⁴.

26 مارس 1962 الأقلية الأوروبية أقامت تظاهرات ضد مشيئة وتحذيرات القوات العمومية⁵، فالمنظمة المسلحة السرية استشاطت حقداً فارتكبت مزيدا من الاغتيالات،

¹ - المجاهد، 5-9-1960، العدد، 76، ص: 2.

² - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر سابق، ص: 225.

³ - فرحات عباس، تشريح حرب، مصدر نفسه، ص: 429.

⁴ - Le Monde, Mardi, 20 mars 1962, N°5340, p : 1.

⁵ - فرحات عباس، تشريح حرب، المصدر السابق، ص: 430.

تبعتها بسلسلة تفجيرات لسيارات مفخخة¹، ظهرت لها تعليمات تعلن بغباء وإجرام تحت شعار "اتركوا الجزائر كما وجدها الجيش الفرنسي سنة 1830"² وهو ما وصفه الجنرال شارل ديغول بنفسه قوله: "كانت الحرائق المنظمة ترسل لهيبها في كل مكان في المدارس، البلديات، المخازن، المكاتب والمعامل، وهكذا اندلعت النيران في مدينة الجزائر بدار الحكومة والمكتبة الجامعية ومستودعات البترول ومنشآت المرافئ"³.

فضاعفت هجماتها واعتداءاتها على السكان حيث أطلقت ضربات مدفعية استهدفت ساحة الشهداء (ساحة الحكومة سابقا) خلفت أربعة وعشرون قتيلا من الجزائريين⁴. قابلتها تعليمات الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تحت الشعب على التزام الهدوء وعدم الرد على استفزازاتهم تقاديا لأي مواجهة دامية في حين الميليشيات التابعة لها تلقت تعليمات بإطلاق النار على كل ما هو جزائري ودون تمييز بين الرجال والنساء والأطفال⁵، حتى الأوروبيين لم يسلموا منها حسب الروائي الفرنسي "موريس عطية" الذي أجرت جريدة الخبر حواراً معه انطلاقاً من كتابه "حرب الجزائر" جاء فيه: "أن صديق والده "موريس شكرون" الذي اغتالته منظمة الجيش السري"⁶. وزير الجيوش "بيار مسمير Pierre Massmer" قدم حصيلة الأضرار والدمار الذي أحدثته في صفوف القوات الفرنسية منذ سنة 1961 والذي أدرجه علي هارون بقتل ستة وسبعون عنصراً فرنسياً من قوات الأمن منهم أربعة عشر ضابطاً، وجرح ثلاثمائة منهم عدد كبير في حالة خطيرة⁷. أقدمت حتى على اغتيال من الأوروبيين الذين فضلوا الرحيل وعدم البقاء في الجزائر لمسايرة

1 - عبد الرحمن فارس، الحقيقة المرة، مذكرات سياسية 1945-1965، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار القصة، الجزائر، 2007، ص: 157.

2 - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 378.

3 - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 142.

4 - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 97.

5 - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص: 158.

6 - الخبر اليومي، 7 مارس 2012، العدد، 6647، ص: 23.

7 - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 58.

توجهاتها¹. وعليه تملك الرعب هذه الأقلية وهو ما يصفه هنري علاق من خلال ما عايشه لتلك الفترة قوله: " كان يبدو المنزل وأنه تم إفراغه عن آخره تقريبا من قبل سكان الأوروبيين السابقين، إلا أنهم تركوا آثارا تشهد على الرعب الذي عاشوه أيام المنظمة المسلحة السرية ولم يتحرروا منه حتى عند رحيلهم، كان يشهد على ذلك قضيب من الخشب كبير مثبت في جانبيه إلى محاجن يستخدمونه عند أول الليل كدعامة ينصبونها إلى عرض الباب ترد عليهم أي اقتحام محتمل².

رعب زرعت المنظمة المسلحة السرية حتى في الواقع الاقتصادي داخل الوسط الأوروبي، حيث استقبل عبد الرحمن فارس، رئيس الهيئة التنفيذية المؤقتة وفد عن مستخدمي قطاع البترول (إطارات، تقنيين وعمال) شرحوا له ما يسمونه من إشاعات مرعبة سببت لهم تثبيط لمهامه وقلق وسط المستخدمين أجابهم: " لا غرابة فيما تقولون، إنها ريح الرعب والهلع زرعت عن قصد في الأوساط الأوروبية، رغم أن لا شيء يهددهم، إليكم نسخة من الاتفاقية، اقرؤوها على مستخدميك وبعد ذلك ستلاحظون أن ما يروج من إشاعات إنما هو تلفيق وكذب. لقد نصت على منح كل الضمانات للأشخاص والأموال وأن الهيئة التنفيذية ملتزمة باحترام هذه الاتفاقية بكل أمانة، وإذا اقتضى الأمر سأحضر إلى حاسي مسعود إن كنتم ترون في ذلك نفعاً"³.

وهي من النوايا الحسنة لقادة الثورة الجزائرية في تحقيق السلم والتسامح بين سكان الجزائر من فرنسيين وغيرهم جسدتها اتفاقية إيفيان التي كرسست حقوقا لا حصر لها للأوروبيين المقيمين بالجزائر⁴. وهو ما جاء به في خطاب رئيس الحكومة المؤقتة "بن يوسف بن خدة" عند الإعلان عن وقف إطلاق النار قوله: " منذ أول نوفمبر 1954 ونحن نكرر بأننا لا نحقد على الأوروبيين في الجزائر بالرغم من أعمال العنف... فإن شعورنا

¹ - الخبر اليومي، 7 مارس 2012، العدد السابق والصفحة السابقة.

² - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 401.

³ - عبد الحمران فارس، المصدر السابق، ص: 163.

⁴ - أحمد عصماني، شباب ثورة التحرير الجزائرية من الاحتلال والعبودية إلى الاستقلال والحرية 1956-1962، مطبعة بلحاج، الجزائر، 2002، ص: 146.

نحوهم لم يتغير، إننا نفرق بين العصابات الفاشية من المغامرين وبين بقية الأوروبيين وإني أدعو الأوروبيين الذين يدركون واقع عصرنا والذين يفكرون في مستقبلهم إنني أدعوهم أن يبتعدوا عن العنصريين وعن غلاة المستعمرين الرجعيين. إن الأوروبيين الذين يريدون أن يعيشوا في الجزائر المستقلة ويعملوا في أمن وسلام في إطار التعاون المثمر، إن هؤلاء قد أعطيناهم الضمانات الضرورية العادلة"¹. فكثرت النداءات والخطابات التي منها ما جاء على لسان رئيس الهيئة التنفيذية "عبد الرحمن فارس" في خطابه الذي بث عبر الإذاعة والتلفزة بتاريخ 20 مارس 1962 جاء ناصحا دالا قوله: "إن لحظة تحقيق آمالنا المشتركة أخذت تدق بالنسبة لكل واحد منا ساعة الحرية" محذرا إياهم من مناورات الاستعماريين والتي تهدف لنسف السلم. مبينا لهم أنهم ضحايا الحسابات والمناورات السياسية التي تحاك في الظلام². وكان أكثر وضوحا معهم قوله لهم: "إن الصفحة الجديدة من تاريخ بلدنا الجميل قد فتحت ولن تغلق، إن اليد التي أقدمها لكم ويقدموها معي جميع الجزائريين، يد واثقة صادقة، فإذا كنتم لا تريدون تصميم المستقبل فعلينا أن نشيد رغم الداء والأعداء صرح الجزائر الغد بفضل اتفاقية إيفيان"³.

واستمتت التعبئة حتى من قبل الحكومة المؤقتة على حث المستوطنين المساهمة في بناء جزائر جديدة مع تذكيرهم بالضمانات التي احتوتها الاتفاقية والتي تكفل لهم مستقبل زاهر، بما في ذلك حثهم لأن لا يستمعوا للأقوال المحرصة من المنظمة المسلحة السرية⁴.

خاصة وأن السلطة التنفيذية المؤقتة، لن تكون مهمتها سهلة لتحقيق التعايش السلمي طالما أن خطر جرائم التطرف اليميني ما زال متواجدا⁵. ذلك الذي يعترف به عبد الرحمن فارس قوله: "...لئن كنتم حريصين على عدم التكرار للمستقبل فهيا بنا جميعا إلى تجسيد اتفاقية إيفيان وتطبيقها تطبيقا فعليا وبكل أمانة، وليكن دأبنا هو تشييد أسس الدولة

¹ - بن يوسف بن خدة، شهادات ومواقف، مصدر سابق، ص: 35.

² - المجاهد، 20 أبريل 1962، العدد، 118، ص: 3.

³ - المجاهد، 20 أبريل 1962، العدد، 118، ص: 3.

⁴ - الجندي خليفة وآخرون، مرجع سابق، ص: 319.

⁵ - جون بول كاهن، كلاوس يرغن مولر، مرجع سابق، ص: 400.

الجزائرية العصرية رغم كل العقبات" ¹. وبما أن جبهة التحرير الوطني هي التي تقود الكفاح التحرري وتنظمه وتشرف عليه في المدن وفي البوادي الجزائرية قد بذلت كل ما في وسعها لتحافظ على جميع الحظوظ والإمكانات التي تسمح بالتعايش المثمر بين الجزائريين والأوروبيين تحت ظل السيادة الوطنية والاستقلال الحقيقي ².

وهو ما يؤكد عليه بن يوسف بن خدة بالتنبية والتحذير أنه كل ما يقع من اعتداء على الأوروبيين سيلحق أضرار بالغة على المستوى المعنوي والاقتصادي ويحط من سمعة الثورة الجزائرية بالخارج التي أصبحت مضرب الأمثال، داعيا المسؤولين المحليين أن يكرسوا أنفسهم لاستتباب النظام العام وتطبيق قواعد احترام الأشخاص والممتلكات، مبينا " أن الأزمة لا تعفي البلد من واجباته الدولية ولا من احترام حقوق الغير الذي يعتبر أساسا ممن أسس المجتمع الإسلامي، كما أنها لا يمكن أن تكون مبررا لتصرفات طائشة يرفضها الشعب الجزائري اشد الرفض ³.

ويكون الأمر أكثر وضوحاً من خلال نداء فرحات عباس للشعب الجزائري قوله: "... إن الدولة ستكون ديمقراطية، إنها ستوقع بدون أي تحفظ على ميثاق حقوق الإنسان، وأنها ستقيم مؤسساتها على المبادئ الديمقراطية والمساواة في الحقوق السياسية بين جميع المواطنين دون تمييز في الجنس والدين" ⁴. كما توجه لهم عبد الرحمن فارس مبددا مخاوف بسطاء الأقلية الأوروبية قوله: "إنني أنفهم مأساة البعض منكم، ولا أقصد أولئك الذين أمنوا مستقبلهم أو الذين أخفوا أموالهم في أماكن آمنة بل أتوجه إلى جموع العاملين أي إلى الشعب البسيط من سكان المدن والبوادي الذين يعتقدون أو اجبروا على الاعتقاد بأنهم مغلوبين على أمرهم" ⁵. ذلك ما جعل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تدعوهم تدعوهم لعدم مغادرة بلد هو بلدهم، وذلك للمساهمة مع الجميع مهما كانت أصولهم في

¹ - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص: 134.

² - المجاهد، 25-09-1962، العدد، 105، ص: 3.

³ - بن يوسف بن خدة، شهادات ومواقف، مصدر سابق، ص: 47.

⁴ - المجاهد، 20 مارس 1962، عدد خاص، 117، ص: 6.

⁵ - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص: 147.

بناء جزائر جديدة مخلصة من الوصاية الكولونيالية، وبكل روح أخوية، وفي إطار الاحترام المتبادل ومصلحة الشعبين إلى إقامة علاقات جديدة مع فرنسا¹.

هذه الدعوات والخطابات يقول عنها عبد الرحمن فارس: " تلقيت مكالمات هاتفية من طرف بعض الأصدقاء الأوروبيين الذين سألوني بصوت في غاية التأثر قائلين: أصحيح يا عبد الرحمن، أنه بإمكاننا البقاء في بلادنا؟ أجبتهم: طبعاً وبكل تأكيد، لا تتركوا الخوف يستولي على قلوبكم بل تحلوا بالشجاعة"². وعليه سارعت جبهة التحرير الوطني على توزيع منشور على الأوروبيين والإسرائيليين جاء في البعض منها: " إن الشعب الجزائري مناهض للعنصرية ومسامح كريم، والمنظمة المسلحة السرية تدفعكم إلى القيام بأعمال جنونية لا مخرج منها، فلا تلقوا بأنفسكم طعمة لطموح رؤسائنا، التحقوا بنا لنبني معا جزائر ثرية، أخوية، حرة"³.

وعلى نفس المنحى يقول هنري علاق: " كان البعض لا يزال يتساءل متردداً في قطع علاقاته مع الماضي، مع هذا البلد المشرق حيث كل شيء يربطه به، مع بعض الأصدقاء الجزائريين، القريبين من الذين كانوا يصرون على بقائهم معهم: "لماذا أنتم ترحلون؟ فالكل يعرفكم هنا... أنتم لم تلتحقوا أي أذى بأحد إلى أين تهربون؟ ابقوا فأنتم بدياركم"⁴.

زاد الموقف تأكيداً من خلال كلمة ألقاها عبد الرحمن فارس عند تعيين الهيئة التنفيذية المؤقتة قوله: " ينبغي على الأوروبيين أن يعلموا أن الجزائريين لن يرتكبوا ضدهم مجزرة "سانت بارتيلامي" * Saint Barthelamy جديدة، ولا مصير يشبه مصير الكونغو، مثلما حلمت بعض قوى الشر والعدوان، أما أعضاء اللجنة التنفيذية المؤقتة فإنهم

1 - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 335.

2 - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص: 135.

3 - المجاهد، 25-09-1962، العدد، 105، ص: 3.

4 - هنري علاق، مصدر سابق، ص.ص: 379-380.

* - سانت بارتيلامي، مجزرة وقعت يوم 24 أوت 1572 في باريس ثم عمت بقية أنحاء فرنسا، وتعتبر تلك الواقعة من أهلك أيام "الحروب الدينية" التي اندلعت بين الكاثوليك والبروتستانت، أغرقت فرنسا في الدماء طيلة جيل كامل، فأصبح ذلك اليوم الرهيب رمزا عالميا للتعصب الديني. عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص: 138.

عازمون على البرهنة بحزم ملموس لجميع الجزائريين دون استثناء، وبصفة خاصة لمواطنينا الأوروبيين واليهود بأنه محكوم عليهم شاءوا أم أبوا أن يعيشوا معنا، فالأرض الجزائرية موطننا المشترك لأنها أرض معطاة ولأنها تضم رفات أسلافنا وسوف تكون بمثابة عيش لمجتمعنا"¹.

ويؤكد مصطفى الأشرف قوله: "إننا نقول بناء على المبادئ المعمول بها في معظم البلدان، وطبقا لما حكم به التاريخ نقول أن هؤلاء الأجانب من ذوي الأصل الأوروبي ومن الجنسية الفرنسية، سوف يتمتعون بالجنسية الجزائرية، إذا ما اندمجوا في المجتمع القومي وانصاعوا لقوانين الدولة الجزائرية وساهموا في إعدادها وعملوا من أجل تشييد صرح الأمة الجزائرية وازدهارها وبذلوا كل ما في وسعهم لبلوغ هذه الغاية"².

ليضيف على نفس المنحى فرحات عباس دعوته للأقلية الأوروبية بالتعقل وقبول حركة التاريخ قوله: "على فرنسيي الجزائر من جهة أخرى، أن يضربوا صفحا عن نظرياتهم العنصرية التي أدت بهم إلى هذه الكارثة، وأن يعترفوا بنزاهة وإخلاص بأنهم حادوا عن جادة الصواب وأن يقبلوا حكم التاريخ، هل نحن في حاجة إلى القول بأن الجزائر ليست فرنسا، وأن الجرائم الفظيعة التي تقتربها المنظمة المسلحة السرية ليس من شأنها أن تغير قيد أنملة طبيعة الأشياء، لا يمكن لكمشة من قتلة مغامرين أن ينجحوا حيث أخفقت أيام إخفاق 130 سنة من الاحتلال"³.

لذلك دعاهم الأسقف دوفال رئيس أساقفة الجزائر أن يؤدوا واجبهم المدني بكل حرية وكل همه المصلحة المشتركة للجزائر داعيا الله أن يكون الاستفتاء تعبيرا عن المصلحة المخلصة والأخوة الصادقة"⁴. كما سعت الهيئة التنفيذية المؤقتة، تخفيض التوتر والاندفاع الذي شهدته الفترة وذلك بلقاءات سرية مع مسيريهما فكان اللقاء الأول مع "جون

¹ - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص.ص: 138-139.

² - مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، مصدر سابق، ص: 370.

³ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 37.

⁴ - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 68.

جاك سوزني "بمزرعة يقول عنه عبد الرحمن فارس "أن الحوار كان صريحا" وكل ما جاء فيه من تخوفات حول الضمانات أجبته " على ما يبدو أنك لم تطلع على اتفاقية إيفيان... وأن كل الانشغالات وافقت عليها جبهة التحرير الوطني"¹. تبعه لقاء ثاني بمنزل "جاك شوفاليي" بتاريخ 1 جوان 1962 دام اللقاء ساعتين طرحت فيه نفس المسائل، انتهى بقبول الاقتراحات والحلول، 7 جوان 1962 تقرر وضع المؤتمرين بطرابلس على الاتفاق الذي يقول عنه عبد الرحمن فارس: "تفاجؤوا لوجودنا (مصطفاي، بن تفتية، عبد الرحمن فارس) كل من أحمد بن بلة ومحمدي السعيد، ومنها إلى تونس من أجل لقاء الحكومة المؤقتة والتي وافقت على خطواتنا مجيبين أنهم يحضون بكامل ثقتنا"². انتهى بلقاء أخير مع "جون جاك سوزيني" وبعد أخذ ورد اتفق الطرفان على محتوى الكلمة التي يزمع الدكتور مصطفى توجيهها للأوروبيين عبر الراديو يوم الأحد 17 جوان 1962 على الساعة الواحدة مصرحا تفهمه لاضطرابات وهلع الأوروبيين³. جاء في كلمته قوله: "إني مدرك تمام الإدراك حالة الاضطراب الذي استبد بكم، إنكم تتساءلون عن مستقبلكم في هذا البلد وعن سلامتكم وكل ما يتعلق باحترام شخصيتكم وكرامتكم كثير، ولقد سبق التعبير عن هذه المشاعر من طرف قادة المنظمات النقابية والمهنية وعلى الخصوص من طرف مسيري منظمة الجيش السري التي تحاورنا معهم، فلئن وافقت على المشاركة في تلك المحادثات فلأن القادة الجزائريين قد لمسوا فائدتها، وهم الذين ينتظرون أن يمنحوكم كل الضمانات المطلوبة⁴، مضيفا: " ولكي يتسنى لكم أنتم الجزائريين من أصول أوروبية المشاركة في إحلال الأمن بالجزائر... حتى يتوقف العنف الذي استشرى في الآونة الأخيرة، ويعم السلام والأمن على الجميع... حينذاك يحل العفو ويطرح الماضي جانبا"⁵.

1 - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص.ص: 168-169.

2 - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص: 168.

3 - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 62.

4 - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص: 183.

5 - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 62.

على الساعة الثامنة من نفس يوم 17 جوان 1962 وعبر الأمواج الصوتية أعلنت القيادة العليا للمنظمة المسلحة السرية "باسم السكان الأوروبيين قبولها بهذه الاقتراحات باعتبارها ستجلب السلام إلى الجزائر عبر المصالحة في إطار الشرف والكرامة" فصدرت الأوامر بإيقاف نزييف الاعتداءات والتخريب¹.

19 جوان 1962 الجنرال "راؤول صالان" ومن سجنه حرر رسالة خاطب فيها فرنسيي الجزائر قوله: "هكذا تعالى يوم 17 جوان صوت، طابعه الإنساني يشرف أمن مصير الأوروبيين في جزائر الغد، علينا الآن التكيف مع الوضع الجديد خدمة لمصلحة الوطن، وليعلم أصدقائي الذين كانوا بجانبني قبل شهر أنه بمقدورهم الاطمئنان، أوافقكم الرأي على قرار إنهاء المعارك والمواجهات"².

20 جوان 1962 كلمة ألقاها "جاك شوفاليي" عبر فيها وبانفعال عن الحالة النفسية للأوروبيين والتي ذكرها على هارون قوله: "لقد دفعها الهلع وما يشبه العدوى الخارقة للعادة إلى حافة اليأس يأس يتلاشى أمامه العقل، وما كان يبدو بالنسبة للكثيرين مستحيل الحدوث، حدث بالفعل لأنهم كانوا يخالون أن نهايتهم قد أقبلت"³.

وذلك ما أكدته الجنرال ديغول من خلال مذكراته قوله: "لجأ "جان جاك سوزيني" إلى وساطة شخصيات فرنسية من فئة الأحرار لا سيما "جاك شوفاليي" رئيس بلدية الجزائر سابقا، للاتصال باللجنة التنفيذية المؤقتة وتذرع بحجة تقديم يد المساعدة للتوفيق بين الطائفتين ليعرض عليها إيقاف القتال... وهذا ما أوصى به من سجنها، كل من "جوهو" أولا ثم تبعه في ذلك "صالان" وقد قبل "فارس" هذا الاقتراح، وعقد الطرفان اتفاقا بشأنه⁴. لذلك دعاهم "صالان" ومن خلال رسالته إلى بقائهم متحدين من عنابة إلى وهران قوله: "لا لأرضيات إقليمية بل جزائر واحدة تسودها الأخوة، أين تجدون المكان الذي

1 - نفسه، ص: 62.

2 - امحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 114.

3 - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 65.

4 - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 145.

تستحقونه... لقد سفكت الدماء من الجانبين فلنتكاتف معا لبناء مستقبل واحد يجمعنا به السلم والمصالحة، حافظوا على وطنكم الجميل في ظل تعاون وثيق مع فرنسا¹. وهو ما تأكد على لسان "عبد الرحمن فارس" من خلال خطابه لهم: "إن الهيئة التنفيذية المؤقتة للدولة الجزائرية التي أتشرف وأعتز برئاستها مصممة على التغلب عن آخر الهزات لكي نضمن مستقبلا يسوده السلم والأمان والطمأنينة والانشراح وكذا تحقيق المصلحة بين جميع الجزائريين"². كما واصل جاك شوفاليي وعلى نفس الخط دعوته للأوروبيين الذين أحبوا هذا البلد عليهم بوضع حد للسير الأعمى الذي سيقودهم حتما إلى الخراب المادي والمعنوي قوله: "قد آن الأوان لكي يتأزر كل الجزائريين لبناء هذا الوطن أعني سويا، عن طريق التصويت من أجل الاستقلال بمساعدة هذا البلد الذي سوف يبقى في قلوبنا بلدنا العزيز القديم..."³.

تقاؤل لم يدم طويلا نتيجة تصريحات بعض قادة المنظمة المسلحة السرية لرفض المفاوضات⁴ من وهران مسئولوها رفضوا الالتزام واعتبروا المسؤولين العاصمين التابعين لها لا يحق لهم أن يلزموا إلا أنفسهم والمنطقة التي يتواجدون بها، وارتأت مواصلة الكفاح للحصول على منطقة حرة مسيرة محمية من طرف الأوروبيين أنفسهم⁵، رغم أن النقيب "بختي" رئيس منطقة وهران تحدث للأوروبيين وباللغة الفرنسية حيث قال لهم: "يمكنكم الاستمرار في العيش معنا إن شئتم، ولكن حسب الضمانات التي تعطىكم إياها الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية"⁶.

الضمانات التي نصت عليها الاتفاقية أقر بن يوسف بن خدة أن ما جاء في البند العاشر: "...الجزائر تضمن الحرية الفكرية وحرية التدين الكاثوليكي، البروتستنتي

1 - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 114.

2 - عبد الرحمن فارس، مصدر سابق، ص: 135.

3 - علي هارون، مصدر سابق، ص: 65.

4 - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 115.

5 - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 63.

6 - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص: 320.

والإسرائيلي، تضمن لهم هذه الديانات، حرية التنظيم والممارسة وتعليمها، وكذلك حرمة أماكن العبادة وقديسيته¹. إن انتقام العسكريين التابعين لها، العقيد "غاردي" يدعو للانضمام إلى اتفاقية 17 جوان، مخاطبا العسكريين أيها الضباط الفرنسيون لقد دقت ساعة المصالحة" لينتهي بنقضه من قبل الجنرال "غاردي" الذي دعا لمواصلة الكفاح، وإنشاء أراضيات إقليمية كما دعاهم ونصحهم بالرحيل².

تصريحات جعلت منهم لا يتقنون... لذلك انشغلوا بالرحيل³. وأصبحت الهجرة أمرا لا رجعة فيه بحيث شهدت الأسابيع التي سبقت الاستفتاء هجرة يومية يقول عنها علي هارون: " فضلوا الرحيل في ظروف مأساوية، وسيكون الفقراء منهم أكثر من سيدفع أقدح ثمن"⁴. حتى شعار "الحقيقية أو التابوت" الذي رفعته حسب ما جاء في دراسة الصحفي "بيار دوم" عبر أكاذيبهم قوله: "سمحت لهم بتقديم أنفسهم كضحية بريئة وتجنبهم الإجابة عن السؤال المخرج "لم تركتم الجزائر" وهو ما أجاب عنه من خلال تلك الفئة التي تراوحت في حدود 300 ألف والتي فضلت البقاء ما بعد الاستقلال أغلب شهادتها والتي استقاها منهم تؤكد على أنهم لم يتعرضوا لأي عنف كان، كما فند ما يركز عليه الكولون لأعمال العنف التي حدثت بمدينة وهران 5-7-1962 وتبادل لإطلاق النار في شارع "إيزلي" (العربي بن مهيدي حاليا) بالعاصمة، واقعتان يقول "بيار دوم" نجدها كثيرا في خطاباتهم"، لكن الشهادات المستقاة ممن بقوا تؤكد أنه لم يكن ذنب الجزائريين بوهران بل كانوا ضحية العنف الذي مارسه المنظمة المسلحة السرية لأن الجزائريين كانوا في نشوة الاحتفال بالاستقلال، حتى الذين بقوا فإن الكثير من كتاباتهم تذكر أنما بقي إلا كبار السن أو المتضامنين مع الأفلان، هذا خطابهم، لكن الصحفي "بيار دوم" يكشف

1 - بن يوسف بن خدة، اتفاقية إيفيان، مصدر سابق، ص: 120.

2 - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 65.

3 - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 115.

4 - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 65.

أنهم متعددي المشارب والأعمار وتوجهات الفرنسيين والأوروبيين الذين بقوا في الجزائر¹.

وبعد الإعلان الرسمي 5 جويلية 1962 عن استقلال الجزائر وسط جو بهيج تسوده الفرحة والغبطة كما تخللته استعراضات عسكرية من الجانب الجزائري، يومها اشتد عشرات الآلاف من الأوروبيين الرحيل نحو فرنسا². وأصبحت الهجرة أمرا لا رجعة فيه يقول علي هارون خاصة بعدما أن اجتاز قادة المنظمة المسلحة السرية الخط الأحمر وقضوا نهائيا على أسطورة التآخي بجرائمهم التي ارتكبوها وتفجيراتهم للمنشآت، تدمير بحقد متأجج وبتواطؤ السكان الأوروبيين مع هذه الممارسات وسلبية جيش غير ملزم بالتدخل³.

ودون أن يحتسبوا الاستقلال الذي سيقرب حلمهم فيه إلى كابوس يقول أحمد يوسف: " ودون أن يفكروا أنهم حين سیرتحلون إلى فرنسا وهم لم يعدوا الاغتراب شيئا ستنقلب حياتهم جحيما... عودتهم إلى وطنهم كانت سيئة إذ كانوا غير مكيفين للحياة الجديدة⁴، في حين أنهم تمتعوا بجمال الحياة المشمسة قبل أن يذوقوا مرارة مغادرة ذلك الوطن الجميل والغني⁵.

وسرعان ما أقر الجنرال ديغول بما كان يمارسه من ضغوطات أثناء المفاوضات بورقة الأقلية الأوروبية قوله: " كان من عوامل الصواب ومن الأمور المرجوة أن يظل معظمهم في الجزائر لمصلحتهم ومصلحة بلادنا، إذ كانوا يؤلفون عناصر أهم

¹ - الخبر اليومي، 01-02-2012، العدد، 6612، ص: 21.

² - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص: 320.

³ - علي هارون، خيبة الانطلاق، مصدر سابق، ص: 66.

⁴ - أحمد يوسف، منظمة الجيش السري، مصدر سابق، ص: 77.

⁵ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، مرجع سابق، ص: 22.

النشاطات... لكن منظمة الجيش السري حملتهم على الاستعجال فرحلت الأكثرية الساحقة في حالة خوف وذعر¹.

2-2- رؤى ومواقف جبهة وجيش التحرير والحكومة المؤقتة من الأقلية

الأوروبية:

تضمن نشاط الحركة الوطنية وأدبياتها موضوع الأقلية الأوروبية حتى ما قبل إثارته، ليصبح بذلك حصان طروادة الذي ركبه الاستعمار الكولونيالي لتحقيق مآربه، ورغم جرح الجزائريين لم يندمل بعد من مجازر ارتكبت في حقه، لذلك انتشر الذعر، واحتلت المخاوف قلوبهم من احتمال مصير ما حدث، وعليه فإن أحباب البيان والحرية، وأكثر منه الاتحاد من أجل الدفاع عن البيان والديمقراطية، بذلا ما في وسعهما لطمأنتهم على أنه مهما كانت الأصول التي ينتمون إليها، وعلى كل من يرغب أن يكون جزائريا سيجد مكانه ضمن الأمة الجزائرية من غير تمييز ولا امتياز².

تأكد ذلك مع نداء للشبيبة الجزائرية الفرنسية والمسلمة ماي 1946: "إنه ينبغي أن يكون الجزائري المسيحي أو اليهودي أخا للجزائري المسلم، دون أن يبحث هذا الأخير عن طرد الآخر وأن يعتقد الآخر بأنه مرغم على إدماجه أو الحكم عليه بالعبودية³.

لذلك فإن رؤية معالجة مشكلها بدأت مناقشته مبكراً من قبل حتى قادة حركة انتصار الحريات الديمقراطية في الجزائر، وذلك من خلال المؤتمر الثاني لها سنة 1953 حيث جاء تقرير اللجنة المركزية ضمن القسم الثاني محلاً وضعيتها بما يلي: "إن مشكلة الأقلية الفرنسية لم يولها الحزب عناية كافية ولم يتوجه إليها في غالب الأحيان، وإن قام بذلك، فإنما للتصريح فقط، وأنه لم يكن أبداً في نشيد "قذف الفرنسيين في البحر" أو "نبحهم" وذلك لمواجهة الحملة الاستعمارية التي تصفنا كحزب ذي وطنية متعصبة

¹ - شارل ديغول، مصدر سابق، ص: 143.

² - غي برفيلي مرجع سابق، ص: 560.

³ - شارل روبيير أجبيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، مصدر سابق، ص: 981.

ومتطرفة، يمكننا القول أولاً بأن الحزب غير معروف على حقيقته في هذا الوسط، ثم يمكننا التأكيد ثانياً بأن الأقلية الفرنسية تتخوف منا"¹.

ليواصل التقرير تحليله للوضع عن ماذا يجب عمله إزاء هذه الوضعية بحيث تطرق: "من وجهة النظر السياسية يجب على الحزب أن يحدد نهائياً موقفه من هذه الأقلية، إذا كانت في الوقت الحالي توجد غالبيتها في الجهة الأخرى، بمعنى أنها تمثل قوة مناوئة، فهذا لا يمنعنا من القول أنه في جزائر مستقلة:

1 - للأقلية الأوروبية حق المواطنة،

2 - سيعتبر فرنسيو الجزائر كجزائريين، يمكنهم الاستفادة من جميع الحقوق، ويخضعون لجميع الواجبات"².

فكيف لا وهم تخلوا بالأمس عن جنسيتهم الأصلية لصالح الجنسية الفرنسية كي يصنعوا لأنفسهم مكاناً مرموقاً في الجزائر المستعمرة، فكيف لهم إذاً أن لا يقبلوا اليوم المواطنة الجزائرية ليستحقوا أماكنهم في جزائر حرة، وجبهة التحرير الوطني لا تحرض عليهم تنكراً مذلاً لأصولهم، فقط إذا ما أرادوا لأن تمثل لهم تصديق وشرعنه نهائية لوجودهم كأبناء للجزائر"³.

وعليه في نظر جبهة التحرير الوطني ليس ثمة أناس من غير الجزائريين في إطار المدينة التي يجري بناؤها، فعند الانطلاق إذن يكون كل فرد يسكن الجزائر جزائرياً، وفي جزائر الغد المستقلة سيكون من شأن كل جزائري أن يضطلع بأعباء المواطنة الجزائرية وأن يرفضها لصالح مواطنة أخرى"⁴.

¹ - المصادر الأولية لثورة أول نوفمبر 1954، ثلاث نصوص أساسية "حزب الشعب الجزائري، انتصار الحريات الديمقراطية"، تقيم: عبد الرحمن كيوان، ترجمة: أحمد شقرون، منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص: 56.

² - المصادر الأولية لثورة أول نوفمبر 1954، مصدر سابق، ص: 57.

³ - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص.ص: 204-208.

⁴ - فرانز قانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 159.

هذه المواطنة التي اشترط فيها وحسب ما جاء في النداء الموجه للجمهور الفرنسي الذي نشرته جريدة المقاومة ما يلي: " تراجع عن موقفهم السابق لصالح إدانة ما فيه من عنصرية وأبوية وبعد الاحتكاك مع الشعب في نضال يساهموا فيه في حدود إمكانياته وفي مرحلة أخيرة التضامن لتشكيل تجمع حقيقي داعم للثورة¹.

وحتى تتجح الحركة في مهمتها انبعث إزاءهم وبمنظرة إستراتيجية تمثلت في: "أنهم وبحكم وجود هؤلاء الفرنسيين في الفئة المناوئة، يتعين علينا أن نعرفها بنا بواسطة عمل شرح معمق كما نعرفهم بالقمع المسلط على الشعب الجزائري باسمهم"²، وكان علينا منذ البداية نشر الشعب الفرنسي بأبعاد مطالبنا تقول جريدة المجاهد"³.

وهي الحقيقة التي وقف عليها "جاك شوفالييه" قوله: "لعل عجزنا عن إدراك ضرورة حصول تطور في الأفكار هو سبب تباعدنا عن بعضنا وسبب برودة العلاقات بين الطائفتين الجزائريتين... علينا بالعمل على تصحيح الوضع قبل فوات الأوان، وإذا رفضنا هذا نكون قد حكمنا على أنفسنا بأنفسنا"⁴. ذلك ما يذكره فرانز فانون من خلال كتابه العام الخامس للثورة الجزائرية أنه تقرر إجراء اتصال مع المستوطنين الأوروبيين والعمل على تبادل وجهات النظر من أهم الجماعات والمصالح التأسيسية للأقلية الأوروبية⁵.

كما دعت اليسار الفرنسي تعزيز نشاطه الإعلامي لشرح ميزات نضال الشعب الجزائري والمبادئ التي تحركه، وأهداف الثورة أمام الجماهير الفرنسية⁶، ولكي يتم

1 - المقاومة الجزائرية، ديسمبر 1956، العدد، 14.

2 - المصادر الأولية لثورة أول نوفمبر 1954، مصدر سابق، ص: 57.

3 - المجاهد، أبريل 1958، الثورة الجزائرية وتحرير إفريقيا، ص: 14.

4 - أحمد مهساس، مصدر سابق، ص: 355.

5 - فرانز فانون، العام الخامس للثورة...مصدر سابق، ص: 158.

6 - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 104.

تميزهم عن الاستعماريين أو كسبهم إلى جانب فكرة الاستقلال وذلك عن طريق إقناعهم أنه الوسيلة الوحيدة لضمان مستقبل ذويهم في الجزائر¹.

وعلى الرغم من سيطرة الروح العنصرية التي يستمدّها من ارتباطه بالنظام الاستعماري، والتي لا تخلو من تعلقه الحقيقي بالجزائر والمصطبغ بالتصور الإنساني، من الممكن أن يتطور في المستقبل داخل نطاق جديد إلى شعور وطني أصيل لا يختلف في شيء عن شعور الشعب الجزائري².

وهو ما عجلت به الأحزاب مبكراً ومنها الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، والذي كثيراً ما ذكر مناضليه باستمرار في نصوصه العقائدية بما تقتضيه الضرورة الإستراتيجية والسياسة من عدم الدفع بالأوروبيين جميعهم للانحياز للصف الاستعماري، خاصة وأن البعض منهم كانوا أعضاء نشطاء فيه³. كما جاء مشروع برنامج العمل المقترح من طرف حركة انتصار الحريات الديمقراطية ضمن هذا المنحى بإحاطة الرأي العام الفرنسي بالكفاح الوطني للشعب الجزائري والبحث عن قوة الدعم بين الأوساط الديمقراطية الفرنسية المنتمية لجميع الشرائح الاجتماعية⁴.

موضحة أنه لا أحد يفكر في إنكار حقها لكي تعيش وتعمل في جو من الأمن والطمأنينة في الجزائر من غير أن يؤدي هذا الأمر إلى الاعتراف لها بالتفوق أو ببعض الامتيازات الموروثة من عهد الاستعمار⁵. وفي حلقة متواصلة وضمن هذا النشاط فإن قادة الثورة داخل هيئات جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير وحتى ما قبل بداية الضغط كورقة في يد المفاوض الفرنسي وانطلاقاً من بيان أول نوفمبر الذي عالج مشكلهم وبشكل أساسي، فجاءت النصوص الثورية دقيقة وواضحة وهو ما جاء ضمن كتاب فاروق بن

1 - غي برفيلي، النخبة...مرجع سابق، ص: 560.

2 - المجاهد، 30 جانفي 1961، العدد، 88، ص: 5.

3 - فرانز قانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 159.

4 - المصادر الأولية لثورة أول نوفمبر 1954، مصدر سابق، ص: 144.

5 - مصطفى الأشرف، مصدر سابق، ص: 370.

عطية "الأعمال الإنسانية أثناء حرب التحرير" قوله: "إنها تبرهن على تفتح كبير للذهن، واحترام عميق للآخر وعلى تسامح اتجاه الأقلية الأوروبية"¹.

رغم أن مشكلها تبقى تواجهه تحديات كبرى تتمثل في أهمية العدد ثمانمئة ألف وأن هذه الأقلية لا تشكل كتلة متناسقة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، فهناك الإقطاعيون والعمال بما في ذلك الموظفون، وأن مطلبها الجزائري وطننا تعيش فيه كما تريد².

لم تغفل حتى الطائفة اليهودية في الجزائر حيث وجهت نداء لهم بتاريخ 01-01-1956 لاتخاذ موقف حاسم باعتبارهم جزء من المجتمع الجزائري، لكن الأقلية اليهودية أصدرت بيانا ذكرت فيه أنها تعيش في الجزائر منذ ألفي سنة، وأنها تعترف بالجميل لفرنسا³، ورغم ذلك فإن جبهة التحرير الوطني واصلت نداءاتها للجزائريين من ذوي الأصول اليهودية قولها: "نأمل أن يتبع أكبر عدد منهم طريق أولئك الذين استجابوا لنداء الوطن الحليم فمناحوا الثورة صداقتهم وأعلنوا بفخر جنسيتهم الجزائرية"⁴.

وفي رسالة* منها لهم أدرجها بسام العسلي في كتابه أيام جزائرية خالدة جاءت دعوتها إلى قادة الجماعات اليهودية أن تؤدي بهم الحكمة إلى المشاركة في بناء الجزائر الحرة ذات الإخاء الحقيقي"⁵. وهي بذلك سارعت لعزل المتطرفين الاستعماريين وللحصول على المزيد من تأييد الأحرار الأوروبيين واليهود ولو كان عملهم ما يزال

¹ - فاروق بن عطية، الأعمال الإنسانية أثناء حرب التحرير 1954-1962، ترجمة: كابوية عبد الرحمن، سالم محمد، منشورات دحلب، الجزائر، 2010، ص: 155.

² - المجاهد، 30 جانفي 1961، العدد، 88 ص: 5.

³ - Mohamed Harbi, Benjamin Stora, La guerre d'Algérie 1954- 1962, La fin de l'amnésie, Edition Robert Leffont, sans date, paris, 2004, p : 300.

⁴ - فرانس فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص: 169.

* - ملحق رقم 10: نداء جبهة التحرير الوطني لليهود الجزائريين.

⁵ - بسام العسلي، جهاد شعب الجزائر، أيام جزائرية خالدة، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت، 1986، ص: 57.

فاتراً متردداً، وحتى لا تدع العدو الاستعماري يستند إلى عامة الأقلية الأوروبية بالجزائر، ليؤلب الرأي العام الفرنسي ويحرم القضية الجزائرية التضامن الدولي¹.

إن جبهة التحرير الوطني التي تقود الكفاح التحرري وتنظمه وتشرف عليه في المدن في البوادي الجزائرية قد بذلت كل ما في وسعها لتحافظ على جميع الحظوظ والإمكانات التي تسمح بالتعايش المثمر بين الجزائريين والأوروبيين تحت ظل السيادة الوطنية والاستقلال الحقيقي². تحليل وقفت عليه جريدة المجاهد بالقول: "إن الاستقلال الوطني لن يكون لصالح فئة من الشعب فكما أن النضال التحرري هو مشروع الجميع، فإن هذا الاستقلال سيكون مساهمة للجميع في مسيرة التقدم والازدهار، كما أن الانخراط الواعي للجماهير في مسيرة النضال الوطني يجعل كل مساومة مع الاستعمار مستحيلة في الجزائر³.

مضيفة في رسالة منها بتاريخ 30 ماي 1956 ارتكز عليها شارل أندري فافرود في كتابه الثورة الجزائرية مضمونها: "إن الجزائر وهي الأمة الفتية والمسالمة... واجباتها اتجاه الفرنسيين الذين سيختارون الجنسية الجزائرية ويتخلون عن وضع الأجنبي الذي سيكون على كل حال متمتعاً بنفس الوضع الذي تضمنته كل الديمقراطيات لضيوفها، والجزائر الواعية لوجهتها الاقتصادية والثقافية والسياسية ستكون دولة ديمقراطية تقبل ضمنها وفي صفوفها تنوع الأجناس والأديان⁴.

مؤكد على أن الجمهورية الجزائرية ستكون دولة عصرية ذلك ما جاء به يحي بوعزيز في كتابه من وثائق جبهة التحرير الوطني لجواب لها عن تصريح غي مولي بتاريخ 9 جانفي 1957 مستشهد بما جاء على لسان "جوزيف دي ماستر" أن الوطن عبارة عن تشارك الأحياء والأموات والذي سوف يولدون في أراضي واحدة، هذا هو

¹ - البخاري حمادة، مرجع سابق، ص.ص: 277 - 279.

² - المجاهد، 25-09-1961، العدد، 105، ص: 3.

³ - المجاهد، 18-12-1957، العدد، 14..

⁴ - شارل أندري فافرود، الثورة الجزائرية، ترجمة: كابوية عبد الرحمن، سالم محمد، دحلب، الجزائر، 2010، ص.ص: 357 - 358.

الوطن الذي نريد تشييده مع جميع الجزائريين ذوي النية الحسنة والإرادة النزيهة عن كل تفوق عنصري أو ديني¹. وهو ما يقف عليه فرحات عباس من خلال مؤلفه "الشباب الجزائري" قوله: "إن صداقتنا لرفاقنا ذوي الأصل الفرنسي والإسباني والمالطي والإيطالي والإسرائيلي هي الحلف المعنوي الذي يربط مصائرنا"².

وكل ما في الأمر أن الجزائري أراد استرجاع كرامته وقيّمته، لذلك يجب أن يزول الاستعمار والسيطرة والقانون المفروض، لكي نترك المكان لاحترام حق الجار وكرامة الإنسان³. ذلك الذي عبرت عنه جريدة المقاومة في تحليلها: "إن وجود الجزائري في الجبال، إنما هو لمبدأ المساواة بين الرجال... إعادة الاعتبار لذاته، أما الاستعمار والأبوية وقانون الامتياز عليهم جميعا الاختفاء ليتركوا المكان لاحترام الحقوق والكرامة الإنسانية"⁴.

لذلك كان تشخيص جبهة التحرير الوطني لمبدأ احترام الحقوق والكرامة الإنسانية منطلقه الإشكال الجوهرى الذي طرحته والذي جاء تساؤله في ما هي الأرض التي يمكن أن تكون وطني؟ جاءت الإجابة دقيقة وهادفة: "هي التي أستطيع أن أعيش فيها من غير أن أتعرض لإهانة ولا أن تسلط إهانة علي غيري" والتي هي ممثلة في الأقلية الأوروبية⁵.

وعليه فإنها دعت للكفاح المسلح لا لجعله هدفا في حد ذاته بل وسيلة وحيدة لمواجهة الاستعمار، إذ بين عمار رخيطة قوله: "أن لا يعدو كونه وسيلة لطرح القضية الجزائرية من جديد كقضية تحرير واستعادة السيادة، وتمكين الشعب الجزائري من استرجاع مكانته الطبيعية في العالم واستئناف إسهامه في مسار الحضارة الإنسانية"⁶. لم

1 - يحي بوعزيز، من وثائق جبهة التحرير الوطني، مرجع سابق، ص: 99.

2 - فرحات عباس، الشباب الجزائري، مصدر سابق، ص: 175.

3 - يحي بوعزيز، من وثائق جبهة التحرير الوطني، مرجع سابق، ص: 36.

4 - المقاومة الجزائرية، 20 إلى 31 جويلية 1957، ص.ص: 46-47.

5 - المجاهد، 30 جانفي 1961، مصدر سابق، ص: 5.

6 - عمار رخيطة، البعد الإنساني في الثورة الجزائرية، مجلة المصادر، العدد، 7، نوفمبر، 2002، ص: 45.

تكن تهدف الثورة الجزائرية طرد أوروبيي الجزائر من الجزائر ولكن تحطيم النير الاستعماري الإنساني كما أنها ليست حرباً أهلية ولا حرباً دينية¹.

وهو ما يؤكدّه سعد دحلب الأمين العام لوزارة الشؤون الخارجية في حوار أجراه مع الصحفي "بيار ستيب" المحرر لجريدة "فرانس اوبسرفاتور" من خلال سؤال حول حقوقهم وتمتعهم بقانون الأحوال الشخصية وحق التحاكم ومحافظة أبنائهم على ثقافتهم؟ رد قائلاً: " نفهم جيداً أن الجزائريين الكاثوليك أو الإسرائيليين وغير المؤمنين لا يرضون بعرض نزاعاتهم على القضاء الشرعي، ولكننا لم نفكر أبداً أن تفرض عليهم ذلك، إن ثورتنا ثورة وطنية وليس ثورة دينية². فالاختلافات والتميزات المشروعة ستبقى موضع اعتراف واحترام، خاصة الخصوصية الثقافية وحرية التعبير وممارسة الشعائر، كما كل الحريات الفردية كحرية الحركة والتجمع، العمل، دخول الوظيفة العمومي... ولسوف يتم احترام كل الخصائص التي تكون الإرث الروحي الخاص بالجزائريين من أصل أوروبي وذلك في إطار الدولة الديمقراطية، استجابة لمقتضيات الواقع الوطني، هي نقاط مرجعية تسمح بإثارة الرأي العام بشأن آفاق جبهة التحرير الوطني حول مسألة الأقلية الأوروبية"³. لذلك ادعت فرنسا الاستعمارية عندما أضاعت رباطة جأشها فقد ساهمت في جعل هذه الحرب مقدسة، ذلك ما أجاب به فرحات عباس لحوار أجري معد حول مشكل الأقلية الأوروبية أدرجه شارل أندري فافروود في كتابه الثورة الجزائرية قوله: " كانت الفكرة السائدة، إذا لم تكن لفرنسا الغلبة فإنها سوف تزول، وفيما يخصنا إنهم يتهمونا بأننا نقوم بحرب جهادية باسم حركة العروبة والنزعة الإسلامية، مثل ما قالوا إن الجنرال ديغول يعمل لصالح لندن فإنهم جعلوا كلنا عاملين لصالح القاهرة"⁴.

ورغم الاتهامات التي لا أساس لها من الصحة، لم يصدر عن جبهة التحرير الوطني أي تصريح أو نص يتحدث عن الحرب الدينية سواء تعلق الأمر ببيان أول

¹ - فاروق بن عطية، مرجع سابق، ص: 155.

² - المجاهد، 13-03-1961، العدد، 91، ص: 3.

³ - المجاهد، 29-01-1961، العدد، 77 وأندري ماندوز، مصدر سابق، ص.ص: 206-207.

⁴ - شارل أندري فافروود، مصدر سابق، ص: 400.

نوفمبر وميثاق الصومام الذي وضع الرأي العام الدولي والفرنسي وخصوصا الأقلية الأوروبية أن لهم مكانتهم في الجزائر¹.

وهو ما شدد عليه فرحات عباس ففصحت ليلي بن عمار بن منصور أنه تجرأ لقوله لجميع المسلمين الجزائريين بأن "المنظمة الدينية مغالطة تاريخية، أو زمن التبشير الديني قد ولى وعليهم ألا يعتبروا المسيحيين أو الإسرائيليين كأجانب يجب استبعادهم"².

وعلى نفس الخط يضيف فرحات عباس قوله: " في جمهورية جزائرية التي سنبنيتها معا، هناك مكان للجميع وعمل للجميع أيضا، فالجزائر الجديدة لن تعرف لا حواجز عرقية ولا كراهية دينية وهي ستحترم كل القيم وجميع المصالح المشروعة"³.

حتى أن بيان أول نوفمبر لم يكن عسكري بحث بل جاء ببرنامج متكامل مضمونه وثيقة تأسيسية لانبعاث جديد للجزائر يقول عمار رخيطة: " ما جاء دعوة للعنف أو الحرب، حتى أنه لم يستخلص منه التحريض على الأخذ بالثأر والانتقام من المجموعات السكانية الأوروبية، المستغلة لكل خيرات الجزائر، بل جاء دعوة للسلم وحفظ وحماية حقوق الإنسان بصرف النظر عن جنسه أو عقيدته⁴. تأكيداً لما جاء في ديباجته وصولاً إلى الهدف: " احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني"⁵. هدف مستمد من نشاط ما وصلت إليه الحركة الوطنية خلال تشكيل الجبهة الجزائرية للدفاع واحترام الحريات أوت 1951 من خلال خطاب توجه به الشيخ العربي التبسي في تجمع الأحزاب المناهضة للاستعمار في كلماته الأخيرة للأوروبيين، ارتكز عليها هنري علاق في كتابه

¹ – El Moudjahid, numéro spécial 04, sans date, extrait de procès verbal du congrès du 20-08-1956, tome 1, p : 709.

زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 229.

² – ليلي بن عمار بن منصور، فرحات عباس ذلك الرجل المظلوم، ترجمة: حسين لبراش، تقديم: شارل روبير

أجيرون، الجزائر، 2014، ص: 366.

³ – المجاهد، 22-02-1960.

⁴ – عمار رخيطة، أبعاد ومفاهيم في بيان أول نوفمبر 1954، مجلة المصادر، العدد، الرابع، 2001، ص: 67.

⁵ – النصوص الأساسية لثورة أول نوفمبر 1954، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2008، ص: 11.

الملحق رقم 04: نص بيان أول نوفمبر 1954.

مذكرات جزائرية، خاصة وأنها كانت بمثابة الحدث الجديد قوله: " إن هذه الجبهة لا تسأل أحداً عما إذا كان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً، إنها لا تطلب غير هذا، هل قررت أن تتنازل من أجل لحق وأن تحارب من أجل الحرية"¹.

وأبعد من ذلك نجد في النداء الذي أطلقه فرحات عباس اتجاه الفرنسيين والجزائريين عندما سجن أثناء أحداث 8 ماي 1945 ما عبرت عنه نخبة هذا المجتمع وبصدق وحتى في الظروف العصيبة التي تمر بها الأمة قوله: " لا كراهية عرقية ولا كراهية دينية... كفى عنصرية وكفى طائفية ! إن الجزائري المسيحي أو الإسرائيلي يجب أن يكون أخاً للجزائري المسلم"².

وفي هذا الشأن يقول الشيخ العربي التبسي الذي أورد هنري علاق في كتابه قوله: " نأمل نفهم وضعية الجزائر، اعملوا على انتصار الديمقراطية وتعاليم الرسل وليس تعاليم الاستعمار، إن فاشية وعنصرية وأنانية السياسيين مسائل زائلة ولن تبقى غير الشعوب وحدها"³.

وضمن نفس المنحى يضيف فرحات عباس في كتابه ليل الاستعمار قوله: " إن أردنا أن نكون في مأمن من الهلاك فعلينا أن نتمسك بالعلم وبالفهم وبالارتقاء إلى العمل، متمسكين بمبادئ الهيئات الاجتماعية العصرية"⁴.

إلا أن الأوروبي يقول هنري علاق: " لم يسمع لما كان يوجه من نداءات، لقد كانوا مرعوبين بتزايد حدة الكفاح... سرعان من اقتنع أغليبتهم أن الإبقاء على الاستعمار يشكل حبل النجاة الوحيد لهم"⁵، وزاد فرحات عباس وضوحاً من خلال ندائه لأوروبيي

¹ - هنري علاق، مصدر سابق ، ص: 190.

² - ليلي بن عمار بن منصور، مرجع سابق، ص: 366.

³ - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 190.

⁴ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، مصدر سابق، ص: 200.

⁵ - هنري علاق، مصدر سابق ، ص: 190.

الجزائر بتاريخ 17 فيفري 1960* قوله: "إن حرب الجزائر ليست هي حرب العرب ضد الأوروبيين أو حرب المسلمين ضد المسيحيين، وليست هي أيضا حرب الشعب الجزائري ضد الشعب الفرنسي، إنها الحرب المفروضة على شعب عاش طويلا في الوهم، مصدر مأساه، حرب شعب تعرض طويلا للسخرية وكثيرا للخداع، ولقد حان الوقت لاستيعاب السيمة الحقيقية لنضالنا ولشرعية معركتنا"¹. وهو ما كان ضمن تصريحات حتى مع من كانوا يعدون على التيار الإسلامي ممثلا في شخصية العربي التبسي قوله: "إننا لا نفرق بين الجزائريين من حيث المولد والأصل ولا نفرق بين فاطمة وماري... أنتم جميعا جزائريو المولد وبالتبني، سواء من الجيل القديم أو الجديد أنتم موحدون وهذا أمر جيد... إن الاتحاد هو القارب المؤدي إلى النجاح"².

بما في ذلك حتى الشيخ البيضاوي الذي ارتكز عليه الطاهر الزبيري في مذكراته يقول أن: "في خطاباته كان يدعو إلى تقرير المصير وبناء دولة مستقلة كاملة السيادة مع السماح ببقاء الأوروبيين في الجزائر ومشاركتهم في الحياة السياسية للبلاد"³.

وما جاء في منهاج الصومام ضمن الباب الثالث يؤكد بأن الثورة الجزائرية لا تهدف إلى إلقاء الأوروبيين من أجل الجزائر في البحر، مبدؤها وغايتها تصفية الاستعمار الكولونيالي اللإنساني... فهي تريد استعادة الاستقلال الوطني لتنهض بجمهورية ديمقراطية واجتماعية تضمن مساواة حقيقية بين جميع المواطنين في وطن واحد دون تمييز"⁴.

وهو ما جعل فرحات عباس الذي ارتكز عليه زدرافويكار من خلال رده عن سؤال تعلق بالوضع القانوني للجزائر في المستقبل والذي نشرته صحيفة لوموند بتاريخ

* - الملحق رقم 09: نداء الرئيس عباس إلى أوروبي الجزائر.

¹ - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 98. المجاهد، 22-02-1960.

² - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 190.

³ - الطاهر الزبيري، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين 1929-1962، الشركة الوطنية للنشر والإشهار،

الجزائر، 2007، ص: 31.

⁴ - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 31.

14 جوان 1956 نقلا عن صحيفة إكسبريس Expressه السويدية قوله: " من الضروري أن نبني المجموعتان الفرنسية والمسلمة على كتلة موحدة وعلى فكرة الوطن الواحد ويجب القضاء على ما هو مستوحى من روح الحروب الصليبية"¹. حتى ولو أن جبهة التحرير الوطني أعلنت في بيان ميلادها تمسكها بالعقيدة الإسلامية يقول عمار رخيطة: " وجدت الدعاية الاستعمارية هدفها للزعم بأن الإطار الإسلامي الذي تتبناه الجبهة يركد طبيعة العمل الذي تقوم به يعد حرب للهلال ضد الصليب، وبذلك فهو نشاط موجه ضد الفرنسيين لأنهم مسيحيون"².

خاصة وأن الفرنسي تعود على سماع تسمية المسلمين في الجزائر أكثر مما هم جزائريون، وإنه ليستغرب عندما يلحظ أن الإسلام يشغل باب ضيق في حين أن الثورة الجزائرية تختلط في أذهان الأوروبيين بحرب مقدسة موضوعة في حساب التعصب الديني"³.

إلا أن ما بينه عمار رخيطة من خلال تحليله تعلق الأقلية الأوروبية بهذا الفهم: "أنها تناست ثلاث حقائق تبناها أول نوفمبر تفند ذلك، أولاها الضمانات الصريحة التي قدمها البيان: "جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر، ثانيا أن الثورة الجزائرية غايتها استرداد مواطنة الجزائري بصرف النظر عن عقيدته الدينية... تستهدف القضاء على مخلفات الاستعمار في مجال التمييز بين المجموعات السكانية المكونة للمجتمع الجزائري، وثالثها أن تعبير الإطار الإسلامي ليس بالتعبير الجديد في أدبيات الحركة الوطنية، هو تعبير خالٍ من كل نزعة عنصرية، حتى أن برنامجها لم يكن في مرحلة من المراحل يدعو لقيام دولة دينية"⁴. مبينة وعلى لسان ناطقها جريدة المجاهد: " ليس الجزائريون هم الذين يمنعون الأوروبيين من البقاء في الجزائر والعيش في إطار الدولة الجزائرية المستقلة، ولكن الذين يفكرون في التقسيم يريدون أن يلجؤوا إلى هذه الجرائم

¹ - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 243.

² - عمار رخيطة، أبعاد ومفاهيم في بيان أول نوفمبر 1954، مرجع سابق، ص: 49.

³ - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 15.

⁴ - عمار رخيطة، أبعاد ومفاهيم في بيان أول نوفمبر 1954، مرجع سابق، ص: 50.

الجديدة من أشباه الجزائر التي ارتكبوها ضد الشعب الجزائري¹، معترفة أنه يبقى المشكل الصعب تحليلها: " في الواقع أسأنا تقدير العقبة التي يمثلها التقافهم وراء المعمرين أمام حل مطابق لآمال شعبنا، فالموقف الذي يقدم مقابل شعارات المعمرين الاختيار بين الجنسية الفرنسية والجنسية الجزائرية، لا يسمح لوحده بتمييز الاختلافات في وسط الجالية الأوروبية².

وعليه تتبعت جبهة التحرير الوطني بما استخدمته فرنسا الاستعمارية في القرن الماضي من خلال دعاية مغرضة استعملت الأقلية الأوروبية كأداة إمبرياليته... واستخدامها كغطاء لإدامة هيمنتها القديمة، وبذلك دعت جبهة التحرير الوطني: " أن الأقلية الأوروبية لن تجد لها حلا مناسباً إلا خارج التصورات الاستعمارية³، التي كانت مبنية على خلفيات أراد الاستعمار الفرنسي أن يجعل من هذا البلد فرنسا بواسطتهم على أمل أن يصبحوا في وقت ما أكثر عدداً من الجزائريين وعلى أمل القضاء على روح وطنية وهو ما جعلهم يعتبرون أنفسهم هم أصحاب هذا الوطن⁴.

وهو ما تقف عليه جريدة المجاهد من خلال ما رواه قس وجد زوجة محامي فرنسي انتقدت له فرنسيين الجزائر وفي لهجة شديدة قولها: " إن الفرنسيين هنا مجانيين، لا يخضعون إلا لعواطف جامحة وأهواء عمياء" لتسرد ما عانتها منهم قولها: " حاولت وزوجي عدة مرات أن نحدثهم بلغة المعقول والمنطق والواقعية، فهل تعرف النتيجة التي وصلنا إليها؟ كان لنا أصدقاء عديدين فأصبحنا اليوم بدونهم بل أصبحوا يعتبروننا بمثابة الخونة لأننا لا نهتم بالجزائر الفرنسية، وحتى النساء اللاتي أجلس إلى جنبهن في الكنيسة لا يحبونني عندما أصادفهن في الطريق أو السوق"⁵. حتى أن "غي برفي" وفي ظل

¹ - المجاهد، 9-10-1961، العدد، 106، ص: 05.

² - محمد حربي، حياة تحد وصمود، مصدر سابق، ص: 282.

³ - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 196.

⁴ - المجاهد، 30-01-1961، العدد، 88، ص: 5.

⁵ - المجاهد، 22-08-1960، العدد، 75، ص: 7.

ترمتهم يحلل قوله: " فالأمر بالنسبة إليهم القطيعة مع الذهنية التي جعلتهم يعتقدون أنهم كانوا يعيشون في فرنسا"¹.

وعليه أصبحت جبهة التحرير الوطني تفرق بينهم كما وقفت على حقيقة أنه من الخطأ التوهم بإمكانية كسبهم لصالح القضية الوطنية باعتبار أنهم ينقسمون إلى ثلاث فئات تختلف ميولاتها وهو ما وصلت إليه في برنامجها القاعدي لمؤتمر الصومام 20 أوت 1956 الذي ارتكز عليه شارل أندري فافرود في التصنيف الذي وضعه المؤتمر قوله: "فئة أولى، أخذت بفكرة الحياد تأمل في أن يترك غلاة الاستعمار يدافعون عن امتيازاتهم التي يهددها "الوطنيون المتطرفون" والفئة الثانية هي جماعة أنصار الحل الوسط أي التفاوض لإنشاء جماعة جزائرية تكون وسطا بين الاستعمار الفرنسي والاستعمار العربي بإحداث جنسية مزدوجة والفئة الثالثة هي التي قبلت بجرأة استقلال الجزائر والجنسية الجزائرية"².

لذلك ارتأت وجوب عزل العدو الاستعماري والعمل على تعزيز تطور القضية الجزائرية بالقضاء على نشاط جزء كبير من غلاة الأوروبيين³، وبتجنيد جزء هام منهم⁴. هي تجربة مبكرة أشرف عليها الشهيد محمد درارياه إلى جانب مناضلين أمثال صالح الوانشي، عبد الحميد مهري، دماغ العتروس، درويش، قداش، وفي حوار مبكر مع شباب أوروبيين في حركة الكشفية وجامعة الجزائر والذين كانوا يرغبون في مد جسور التعارف والتفاهم بين مجتمعين يعيشان جنبا إلى جنب، ولقد تجسدت في "جمعية الشبيبة الجزائرية للعمل الاجتماعي" بفعل النوايا الحسنة لأساتذة أوروبيين يتقدمهم الأستاذ أندري ماندوز وطلبة وطالبات مثل "شولي، ربوجي، وروش وإفلين لافاليت..."⁵.

¹ - غي برفيلي، النخبة...، مرجع سابق، ص: 561.

² - شارل أندري فافرود، مصدر سابق، ص: 365.

³ - البخاري حمادة، مرجع سابق، ص: 280.

⁴ - شارل أندري فافرود، مصدر سابق، ص: 366.

⁵ - الخبر اليومي، 3 ماي 2007، ص: 7.

كل هذا لا يعني أن المجموعتين متقاربتين بل إلى التحليل الذي ذهب إليه أحد القساوسة قوله: " يجب أن ترغب المجموعتان رغبة صادقة في التعايش، لكن فرنسيي الجزائر يعارضون هذه الفكرة، حتى ولو أن لبعضهم علاقة خاصة مع بعض الجزائريين، لكنهم لا يريدون أن يفكروا في القضية على المستوى الجماعي، حتى المتحررون ينظرون للجزائريين نظرة متعالية"¹.

لأن كثير منهم عاجز عن التخلص من عقدهم يعتبرون أن عرض المواطنة الجزائرية شتيمة، فأن يصبح أحدهم مواطنا جزائريا يشكل نكوصا وانحطاطا، علما بأن 60% منهم ليسوا من أصل فرنسي فـ 250000 منهم حضروا من الأندلس وكاتالانیا، وبالبيير، الآخرون هم من مالطا أو مهاجرون من جنوب إيطاليا وصقلية وسردينيا². وعليه فإن عرضها كان أكثر وضوحا ومن على لسان صحيفتها المجاهد تصورها: " في الواقع أنه ليس هناك أحد ينكر على الأوروبيين أن يبقوا في الجزائر وقد كانت الثورة الجزائرية عميقة في نظرتها الإنسانية عندما منحت، منذ اليوم الأول إمكانية الحصول على الجنسية الجزائرية لكل أبناء الجزائر دون تمييز³. والذين اكتسبوها فإن وضعيتهم أنهم سيكونون متساوين في الحقوق والواجبات مع الجزائريين، لهم حق العمل وحق الانتخاب وفي الوظيف العمومي مع احترام كل الحريات الفردية (التنقل، تكوين الجمعيات...) مع احترام مميزاتهم الأدبية والثقافية والروحية"⁴.

لذلك فإن عرض جبهة التحرير الوطني للمواطنة الجزائرية على أوروبيي الجزائر، يكسب سمة جديدة ثورية، عرض يمثل واحدة من السمات الأكثر أصالة للوطنية الجزائرية، عرض يوضح قوة الثورة الجزائرية ونضجها وقابليتها لحل إيجابي لمسألتهم

1 - المجاهد، 22-08-1960، العدد، 75، ص: 7.

2 - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 204.

3 - المجاهد، 9-10-1961، العدد، 106، ص: 5.

4 - المجاهد، 30-01-1961، العدد، 89، ص: 5.

بصيغة عملية وليست نظرية¹. وأضافت فوق ذلك بأنها لا تفرض هذه الجنسية فرضاً على الأوروبيين، بل تترك لهم الخيار بينها وبين جنسيتهم الأصلية².

تضيف جبهة التحرير الوطني "أن عرض المواطنة الجزائرية يستجيب لأمنيات فئة من هذه الأقلية الأوروبية التي لا تريد أن تعيش بصفة أجنبية في بلد شهد ولادتها بل نطالب أن يكون وطنها... هذا الوضع خاص بالمزارعين الصغار ومأجوري بعض القطاعات وكل ذلك الجمهور الكادح"³.

حتى وإن أرادوا الاحتفاظ بجنسيتهم فإن جبهة التحرير الوطني مستعدة لتحديد مستقبلهم على أساس واقعي عادل... مهما كان عددهم وكفاءتهم للجزائر ستكون في حاجة إليهم وإلى خبرتهم الفنية، والضمانات يمكن أن تكون موضوع مفاوضات⁴.

لقد تجسد هذا الفهم حتى عند القادة العسكريين ذلك ما نستنتجه من خلال الحوار الذي أجراه الصحفي الفرنسي "روبير بار" مع عمر أو عمران بتاريخ 15-09-1955 حول افتراض أنه إذا ما اتجهت فرنسا نحو النمط الفيدرالي، أما يصبح الفرنسيون منبذون في ظل جمهورية جزائرية ذات أغلبية مسلمة، فأجاب قائلاً: "... نحن لا نلوم على نظام لا يريدنا أن نعيش أحرار، إذا قبل الجزائريون الأوروبيون الالتزام المخلص بلعبة الديمقراطية والمساواة، فلماذا إذاً سنتجه نحن إلى جهات أخرى للبحث عن تقنيين ومهندسين وإطارات، بلادنا في أمس الحاجة إليهم"⁵.

ذلك ما يؤكد أنه سعد دحلب من خلال الحوار الذي أجري معه من طرف صحفي محرر بجريدة "فرانس أوبسرفاتور" بسؤال حتى عن من يفضلون البقاء أجنبياً سيمنعون من العمل وإلى الطرد، أجنبياً قائلاً: "إننا نعتقد أن الاقتصاد الفرنسي في حاجة إليهم كما

¹ - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 202.

² - المجاهد، 9-10-1961، مصدر سابق.

³ - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 203.

⁴ - المجاهد، 30 جانفي 1961، عدد سابق.

⁵ - محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 42.

أن الاقتصاد الجزائري في حاجة إلى المساعدة الفنية الفرنسية، ونعتقد بالأخص أن ضمان أمنهم وحرية استقرارهم وحقوقهم في العمل بفرنسا ستكون المقابل لاحترام حقوق الأوروبيين في الجزائر سواء اعتنقوا الجنسية الجزائرية أم لا¹.

وهي بذلك قد أفشلت وبالنضج السياسي للشعب الجزائري، خانقة في المهد بالقيادة الحكيمة والواضحة كل التحرشات التقليدية والمتكررة للاستعمار، عمليات ذبح اليهود والاضطرابات المفتعلة ضد المسيحيين وكره الأجانب².

مشبهة الأقلية الأوروبية ممن يدعي خوفهم عليها من الثأر والانتقام الذي قد يصبه الشعب الجزائري عليهم، وصفهم على أنهم: "فقدوا القدرة على التفكير السليم لشعورهم بأن نهاية النظام الاستعماري الذي بنوا عليه آملاهم وربطوا حياتهم قد دقت ساعتها المحتومة"³. ذلك ما وقف عليه زدرافوبيكار في تحليله: "أن 15% من ثمانمائة ألف فرنسي جزائري يجب أن يفهموا بأن الهجرة هي الحل الوحيد بالنسبة إليهم، لكن الأغلبية الكبيرة لن تجد صعوبة في التعود وتستطيع العيش معنا كأبناء أرض واحدة"⁴.

حتى أن الاتحاد العام للتجار الجزائريين في اختتام مؤتمره التأسيسي المنعقد بتاريخ 13-14 ديسمبر 1956 بالجزائر وعبر خطاب سعيد أوزغان الذي أورده أندري ماندوز كما نشرته جريدة المقاومة الجزائرية بتاريخ 30 نوفمبر 1956 جاء فيه: "إن كل التجار والحرفيين والصناعيين الجزائريين دون تمييز في العرق أو اللغة أو المذهب، توجه نداء قوي إلى مواطنينا من أصل يهودي الذين لم يختاروا بعد بين الاستعمار والشعب الجزائري أن ينضموا إلينا لنحضر معا منذ اليوم أفضل الشروط - نحو اقتصاد وطني حر ومزدهر... اتحادنا ديمقراطي لا يكره الأجانب، يستقبل كل الجزائريين من أصل أوروبي، ممن يقرر العيش في مساواة ديمقراطية حقيقية، مختتما خطابه: "إن الجزائر

¹ - المجاهد، 13-03-1961، العدد، 91، ص: 3.

² - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 37.

³ - المجاهد، 9-10-1961، العدد، 106، ص: 10.

⁴ - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 243.

الديمقراطية العصرية ستصبح بعد تخلصها من العار الكولونيالي ورشة واسعة وستحتاج إلى المساهمة الصادقة من جميع أبنائها دون أدنى تمييز"¹.

تبعه تصريح الأمين العام للاتحاد العام للعمال الجزائريين "عيسات إيدير" بتاريخ 26 سبتمبر 1958 تضمنه كتاب زدرافويكار قوله: " يجب أن يفهم العمال الأوروبيون أن مكانهم بيننا... إن النضال في صفوف الاتحاد العام يعني المساهمة في بناء الجزائر الديمقراطية ضد الإمبريالية الاقتصادية"²، وفي رسالة مفتوحة منه إلى العمال الجزائريين من أصل أوروبي نشر بملحق الطبعة الثانية لمنهاج الصومام أدرجها أندري ماندوز في كتابه الثورة الجزائرية عبر النصوص والتي جاء فيها: " نريد الحرية والتقدم الاجتماعي في جمهورية عصرية، حيث يتساوي حقا جميع المواطنين دون تمييز إثني أو لغوي أو مذهبي"³.

ليضيف بالتحليل أن متطرفي الجزائر ورجعيي باريس موحدون يكشفون عن الوجه الحقيقي للحرب، هكذا على الجمهوريين أن يدركوا أن معركتهم ليس لها أن تنتصر إذا لم تكن لديهم الشجاعة إزالة كل الالتباسات، فالشعب الذي يضطهد شعب آخر لا يمكن له أن يكون شعبا حرا"⁴.

لكنهم ما استجابوا، يقول زدرافويكار: " يرجع القادة الجزائريون ذلك إلى سذاجة العمال الفرنسيين الذين صدقوا السياسة المغررة للإدارة العنصرية، مما أدى إلى تراجع قيم التضامن والشعور الطبقي، ليحل محلها التعصب والحق"، ورغم ذلك يقول: " أن الاتحاد ظل يعلن أنه مفتوح لجميع العمال، وأنه سيبذل جهده لتنمية ودعم الصداقة بين العمال الأوروبيين والجزائريين"⁵.

¹ - المقاومة، 1956/11/20، أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 132.

² - أندري ماندوز، مصدر نفسه، ص: 128.

³ - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 128.

⁴ - نفسه، ص: 128.

⁵ - نفسه، ص: 272.

موضحة لها أن من يركب ظهرها خوفا عليها، هم من الأوروبيين الذين لا يستطيعون أن يعيشوا على أرض دنسوها بجرائمهم وأن حل مشكلتهم ليس في ارتكاب جريمة أبشع من سابقتها وهي بذلك توفر لهم فوق ذلك أية طمأنينة أو راحة"¹.

فتبنت جبهة التحرير الوطني مشكلهم بحزم وهو ما اعتمد عليه فاروق بن عطية من خلال ندوة صحفية عقدها وفد جبهة التحرير بتاريخ 26 ماي 1956 تدعم من خلالها السلم وتقر بوجودها: "إننا من أنصار حل سلمي للقضية الجزائرية، والذي لا يكون إلا في إطار اعتراف رسمي لحق الجزائر في الاستقلال وممارسة السيادة الوطنية من طرف كافة الشعب الجزائري دون تفرقة العرق ولا الدين، وبهذا الصدد فإننا نوضح بأن الأقلية الأوروبية من الممكن أن تشارك في ممارسة هذه السيادة إذا اختارت الجنسية الجزائرية"².

وتوقيفا لكل مساومة ونزولا عند تجسيد ما جاء في نصوص أدبيات الحركة الوطنية، ناقشت مستقبلهم وبموضوعية معترفة بأنها العقبة الكؤود، وأن معالجته لم تكن خارج الانفصال، تحليلهم جاء بما يلي: "ينبغي أن يعاد توجيه عملنا داخل المدن بكيفية تسمح بالقيام بعمل سياسي عميق في الأوساط الفرنسية بالجزائر، والضمانات المتعلقة بمصيرهم في جزائر حرة، ينبغي أن تعطى لهم اليوم، ولكن ليس في الخطب، فعلى هذا الأساس ينبغي أن نعالج معالجة صائبة مشكل الجالية الأوروبية"³.

وبذلك وضعت جبهة التحرير الوطني الخطوط الأساسية التي تقيم عليها الثورة الجزائرية، تطور الجزائر لا يسير في اتجاه المزاعم الأوروبية المتطرفة ولا في اتجاه الانضمام التام والقطيعة الكاملة بين الشعب الجزائري وبين الأقلية الأوروبية، بل في اتجاه مقارب بين كل الذين يريدون أن يبقوا جزائريين على أساس وطنية منسجمة موحدة"⁴.

1 - المجاهد، 9-10-1961، مصدر سابق.

2 - فاروق بن عطية، مرجع سابق، ص: 176.

3 - محمد حربي، حياة تحد وصمود، مصدر سابق، ص: 282.

4 - المجاهد، 30 جانفي 1961، مصدر سابق.

حتى أن قادتها كانوا أكثر وضوحا حيث عبر أحدهم في تصريح من خلال مؤتمر أكرأ بتاريخ أبريل 1960 والذي اعتمد عليه أندري ماندوز قوله: "إننا لا نقول للمستوطنين، إنك أجنبي فلترحل من هنا" كما نقول له: "سوف تستلم قيادة البلاد ونجعلك تسدد ثمن جرائمك وجرائم أجدادك"، ولن نقول له أيضا: "أننا سنقابل حقه السابق على الأسود أو على العربي بحقد حاضر وقادم على الأبيض" بل إننا نقول له: "نحن جزائريون، لنكنس من فوق أرضنا كل عنصرية وكل شكل من أشكال القهر، ونعمل من أجل الإنسان واعتناء الإنسانية".¹

لكن فرحات عباس الذي اعتمد عليه زدرافوبيكار والذي وضع ما يعيق حل القضية الجزائرية هو أن فرنسا لا تمارس إلا سلطة خيالية في الجزائر قوله: "إن السلطة الحقيقية هي حاليا بيد المعمرين الأثرياء، الذين أنشئوا دولة مبنية على نظام مستعار من جنوب إفريقيا، وهو يلبي مصالحهم الشخصية على حساب مصالح الجماهير الشعبية".² تصب في الهدف الذي وصل إليه "غي برفيبي" من خلال كتابه النخبة الجزائرية الفرانكفونية قوله: "إن الرسالة الحضارية التي جاءت بها فرنسا لم تكن عملا خيرا مجرداً فلقد كانت تأمل من خلاله ضم مساحة ترابية وسكان إضافيين وتحقيق مزيد من القوة".³ وبذلك فكرتهم جبهة التحرير الوطني قولها: "يجب أن يتصوروا مستقبلهم خارج الارتباط بالهيمنة التي أضحت باطلة، وأن ينسجموا مع حقائق جزائر القرن العشرين، بما يخدم تعايشهم مع الشعب الجزائري في إطار "دولة وطنية حرة" متعهدة من جهتها عازمة بكل روح المسؤولية التامة وبعيداً عن كل فكرة مسبقة على تفحص المشاكل التي تطرحها الأقلية الأوروبية وتوفير الحلول العادلة المستوحاة من الخصوصيات الموضوعية للجزائر، ومن روح العصر بالوقت ذاته".⁴

¹ - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص 100.

² - زدرافوبيكار، مصدر سابق، ص: 243.

³ - غي برفيلبي، النخبة ...، مرجع سابق، ص: 490.

⁴ - أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 197.

تصاريح قادة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من تونس يبينون: " أن الثورة لا يمكنها أن تكون إلا ديمقراطية وأن كل أولئك الذين اختاروا الجزائر وطنا لهم سيجدون مكانهم فيه مهما كانت أصولهم ومعتقداتهم، حتى مع استعادة الاستقلال يقول هنري علاق: " أنفسهم يؤكدون باتخاذ كل الإجراءات لتجسيد هذه الوعود على أرض الواقع"¹.

ومن بين ما جاء في تصاريحهم: " إن وجود فرنسيين وأوروبيين في الجزائر ليست مشكلة يستعصى حلها، ومهما تكن الأحوال فإن الجزائر عند تخلصها من المستعمرين ودعاة الاستعمار لن تعرف مواطنين فوق العادة أو مواطنين درجة دونية، فالجمهورية الجزائرية لن تضع أي تمييز مبني على العرق أو على الاعتقاد ما بين أولئك الذين يريدون البقاء أبناء لها، وسوف تعطي ضمانات أساسية حتى يتمكن كل المواطنين على كل المستويات، من المشاركة في حياة البلاد وتحترم جميع الحقوق المشروعة"². حتى ما جاء من تصريح مطمئن للأقلية اليهودية على إثر مخاوفها والذي جاء فيه: " إن اليهود الجزائر هو جزائريون مثلنا نحن جميعا بالضبط، وأن ميثاق الجبهة واضح كل الوضوح... إن الجزائر ستشيد بمساهمة كافة أبنائها... ليست لنا أي نية في إخراج أي شخص من حظيرتنا"³.

وعليه كانت النتيجة أن المسلمين الجزائريين حاربوا جنبا إلى جنب ضد الكراهية وأن فرنسيين فرنسا اشترطوا السلم وأن البعض من الأقلية الأوروبية التحق ودعم جبهة التحرير الوطني⁴، لذلك تعهدت جبهة التحرير الوطني وعلى لسان حال المجاهد: " أن من استثمر في البقاء سيحظى بتسهيلات لأسباب أن اختياره كان بوعي وتصميم حتى أن قسم منهم وصل حد التضحية لأسمائهم قيمة الرمز: " ايفتون Yveton - توفيني Thuveny - أودان Audin" وفصل البعض من الاشتراكات والإسعافات والتزود بالمؤن واللباس

¹ - هنري علاق، مصدر سابق، ص: 406.

² - المجاهد، 19 سبتمبر 1958 + محفوظ قداش، وتحررت الجزائر، مرجع سابق، ص: 195 + زدرافوبيكار، مرجع سابق، ص: 272.

³ - المجاهد، 30 أبريل 1962، العدد، 120، ص: 3.

⁴ - باتريك إفينو، جون بلانشياس، حرب الجزائر، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص: 23.

والأدوية سواء من تاجر يهودي أو ذلك الأوروبي، وعليه فإن قضية الأقليات كانت دائمة الحضور بمقاييس واقعية¹.

¹ - المجاهد، 14 نوفمبر 1959، العدد، 50. + أندري ماندوز، مصدر سابق، ص: 96.

خاتمة

خاتمة

إن الأمل الذي بنت عليه الأقلية الأوروبية أهدافها في إبقاء الجزائر الفرنسية، تبدد وانكسر على صخرة اليقظة والثبات والصبر الذي تحلى وتميز بها الشعب الجزائري، إلى جانب قوة واستمرارية الثورة وإصرارها الوقوف صفا واحدا بقيادة جيش وجبهة التحرير الوطني في التصدي لمختلف الاستفزازات وهو ما بين فشل جميع مخططاتهم.

استطاعت الثورة التحريرية قصم ظهرهم بتفكيك مناوراتهم انطلاقا من استعمالهم الإجرام كوسيلة، أحداث 8 ماي 1945 أو الضغط على برلمانييهم وحكوماتهم في تبني الإصلاحات، وكنموذج عليها قانون 1957/07/20 [إبقاء الجزائر جزء من فرنسا] حتى تلك التي كانت تريد تجسيدها حكوماتهم مع انطلاق الثورة التحريرية والتي كثيراً ما نزلت عند رغباتهم.

ذلك ما يبين أن الحكام العامون بالجزائر وطيلة مائة واثنين وثلاثين سنة انصب عملهم على خدمة أغراض آنية ومصالح ضيقة لا تتعدى مصلحة الأقلية الأوروبية.

- ضرائب ثقيلة وغرامات مرتفعة وتلاعب بالقوانين لصالح الأوروبيين،
- إجراءات غير قانونية جردت الجزائريين من أملاكهم وأراضيهم بفعل سن قوانين مجحفة.

استعمار عنصري أقيم على مبدأ التمييز والفوارق بين الأقلية الأوروبية والجزائريين، صورة مبدأ حاضر في كل شيء وموجة لجميع السياسات الاستعمارية والتي طبقت في جميع المجالات سواء في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وبحجج واهية أنهم موجودون في شمال إفريقيا طبقا لحق الدفاع الشرعي والحق الطبيعي الذي يخص الشعوب كما يخص الأفراد.

دفعت بهم ليقفوا أمام أي ترشيد أو سياسة إصلاح متجاهلة خصائص الشعب الجزائري الدينية والثقافية والتاريخية مانعة إياها تحقيق أهدافه. أقلية أوروبية لم تكن على مر السنين واقعية بما يكفي لاستخلاص النتائج المتعلقة من موقفها بالتحالف مع المسلمين، لقد انتابها الخوف من كثرة المسلمين، الأمر الذي جعل منها لعبة في يد رجال السياسة والمال الفرنسيين.

لكن الثورة التحريرية أبطلت حبكهم وجعلت الأرض تهتز تحت أقدامهم، رأوا فيها ما يهدد وجودهم واستقرارهم فاندفعوا متكالبين لإفشالها وبمساندة قادة جيش فرنسا الاستعمارية.

غلبت على حركتها ردود الفعل الذاتية، غذتها الأحلام وتمسكت بوضعية غير متزامنة مع التطور فأخذت مكانا على هامش التاريخ. لكن الأمر المسلم به أن الحكومات المتعاقبة من الجانب الفرنسي قد لاقى صعوبة كبيرة وذلك في عدم تمكنها تحت لواء الجمهورية الخامسة من تحديد خطة سياسية حقيقية وواضحة، دىغول نفسه لم يفلح في إيجاد صيغة ناجعة لإنهاء الحرب.

فرجال الدولة الفرنسية أثناء مسيرتهم لم يقوموا بالتصحيح الضروري لأخطارهم فماتت الجزائر الفرنسية لعدم اتخاذهم الحيطة اتجاه الجزائريين، وأصبحت ثقتهم في قادة الجيش الفرنسي خاصة منهم المظليين وحتى من المرتزقة من اللفياف الأجنبي، أدى ذلك إلى:

- إسقاط حكومات عدة لأن بدايتها كانت بالاستسلام لهم.
- فتحت الأبواب لهم حتى يكونوا طرفا فاعلا ثالثا في الصراع المباشر عن طريق التجنيد في إطار الوحدات العسكرية للدفاع عن أنفسهم خطر الثوار.
- استعمال نفوذهم السياسي في البرلمان للوقوف ضد أي مشروع يمس بهم وبمصالحهم.

- عنصريتهم وأنانيتهم جعلتهم يفضحون فرنسا في المحافل الدولية.

وبذلك أصبحت فرنسا مهددة في أمنها واستقرارها الداخلي.

رغبتهم في أنهم يريدون وقف عجلة التاريخ في ظل متغيرات شهدتها الساحة العالمية من انقسام العالم إلى كتلتين مما أدى إلى وجود هامش مناورة بين غرب داعم للاستعمار وشرق راغب في دعم حركات التحرر وأكثر من هذا صحوة الشعوب التي استيقظت وأصبحت رافضة لأي هيمنة كانت.

لذلك فإن ضغط الثورة الذي مارسه جعل فرنسا تعاني المخاطر وأخطرها انقسام الجيش.

والواقع المر الذي رسمته مظاهرات 11 ديسمبر 1960 للحل الضروري والمنشود لهم إلى جانب النداءات المتكررة لجهة التحرير الوطني وأعضاء الحكومة المؤقتة في الانخراط ضمن مسعى تغيير نظرتهم للجزائريين لبناء أفق الدولة الجزائرية وهو ما لم يرغبه الكولون.

رغم كل الحماية القانونية والسياسية من خلال اتفاقية إيفيان، التي لم تعد تكفي نظرا لوجود محيط من الدم، وهذا ما دفعهم للهروب دون أن يتم طردهم، وحتى عندما قرروا الرحيل منها حقروا كل ما هو ثمين في طريقهم، لم يعد بين الجزائريين وبينهم أي شيء كان يمكن أن يكون مشتركا.

لقد كانت التطورات في صالح الجزائر أرضا وشعبا بحيث أن تورطهم وانضمامهم للمنظمة المسلحة السرية، ومساهماتهم في دعمها واحتضانها دفع إلى صعوبة التعايش، جعلهم يسارعون إلى الرحيل.

لقد حرم رحيلهم الامبريالية الفرنسية لعب ورقة الأقلية الأوروبية الخاصة بها وأفرغ التدابير التي نصت عليها اتفاقية إيفيان اتجاه الأقلية الأوروبية من مضمونها وبذلك

رجعت الجزائر لسكانها، رغم حرص الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية على احترامها والحفاظ على مصالحها.

مغادرتها بهذه الطريقة الجزائر وبعد الاستقلال أفاد البلاد والعباد ، كما جنب الدولة الجزائرية تبعات بقائها. فألغى جزء كبير من الاتفاقية التي أصبح لا معنى لها وأسقطها إلى غير رجعة.

وعليه يتضح أن الأقلية الأوروبية هي ثمرة سياسة تبنتها فرنسا الاستعمارية لتجسيد مشروع الإمبراطورية الفرنسية وكورقة ضغط أخيرة مع الاستعمار القديم اتجاه استعمار حديث.

الملاحق

قائمة الملاحق

1. تقرير إثبات تزوير انتخاب المجلس الجزائري عمالة وهران.
2. تصريح لأحد غلاة الأقلية الأوروبية "أبو غابريال" لمراسل باري بريس 7 ماي 1947.
3. صور تثبت حمل المعمرين للسلاح والمجازر المرتكبة أمام أعينهم.
4. نداء بيان أول نوفمبر.
5. نداء من الرئيس فرحات عباس إلى الشعب الجزائري.
6. تصريح أحمد يزيد وزير الأخبار في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية وموقفه من أحداث 24 أبريل 60.
7. نداء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية أحداث 20 جانفي 1960.
8. ندوة أحمد يزيد وزير الأخبار في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية 20-11-1961.
9. نداء الرئيس عباس إلى أوروبيي الجزائر.
10. نداء جبهة التحرير الوطني إلى يهود الجزائر جانفي 1962.
11. برنامج الإرهابيين الفرنسيين (المنظمة المسلحة السرية).
12. صور عن إجرام المنظمة المسلحة السرية.
- 1 - توزيع السلاح على المتطرفين منهم.
- 2 - عن الحرق الذي لحق بمعاهد جامعة الجزائر ومكتبتها.
- 3 - عن الحرق الذي مس الممتلكات الحافلات + خزانات البترول على مستوى ميناء وهران.
- 4 - صور توضح عملية الهروب من على الموانئ.

الملحق : 02

تصريح لأحد غلاة الأقلية الأوروبية "أبو غابريال" لمراسل باري بريس 7 ماي 1947.

"يظهر لي أنكم لا تخافون إلا من إمكانية ثورة جزائرية، فلتعلموا أنه يوجد خطر آخر يهدد فرنسيي فرنسا الذين لا يفهمون وهو ثورة المعمرين المسلحة، فلقد صرنا الآن نحرس أنفسنا بالسلاح ليلا، وفي كرومنا لا تفارقنا البندقية، لقد مللنا من هذه الحكايات الغربية حول مشاركة الجزائريين في الانتخابات فلئن استطعنا أن نحقق مرة معجزة توجيهمهم (أي العرب) كما نريد فإننا لا نستطيع ذلك مرة أخرى، يجب أن ننتهي من هذه القضية، إننا لا نريد واليا عاما متشعبا بعاطفة فات أوانها ولكننا نريد رجالا أقوياء يعرفون كيف يحفظون حقوقنا بالإعلان عن قوتهم بل واستعمالها إذا لزم الحال، لقد حاربت في سنة 1939 برنامج بلوم فيوليت وخضعت الحكومة أمامي، فلماذا يتدخل الجنرال مرة أخرى في هذه القضية؟ إننا كلما أعطينا شيئا للجزائريين كلما قالوا هل من مزيد، أرجو أن تصدقوني، إنني أعرف كيف أحطمهم..."

المرجع: يحي بوعزيز، من وثائق جبهة التحرير الوطني

54- 62 (1-2)، دار البصائر، الجزائر، 2009.

الملحق : 07

نداء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية أحداث 20 جانفي 1960.

أيها الجزائريون

إن الساعة خطيرة، إن الحكومة الفرنسية قد تخلت عمليا عن عاصمة الجزائر وتركتها للمتطرفين بينما يستعد قسم من جيش الاحتلال للانضمام إلى المتمردين.

إن الفاشستية أصبحت هي التي تسيطر على الشارع وهكذا تضاف اليوم إلى المحن القاسية التي عرفت الجزائر خلال السنوات الخمس الماضية أخطار تنظيم مجازر جديدة ضمن السكان المدنيين.

إن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المدركة لمسؤوليتها تطلب منكم أن تعملوا بالتعليمات التالية:

- 1 - جميع المنظمات الوطنية في المدن يجب أن تبقى في ظل السرية المطلقة وينبغي أن تضاعف حذرهما.
- 2 - يجب أن يبقى سكان المدن بعيدين عن الأحداث الحالية كما ينبغي أن يتجنبوا الاستفزازات وأن لا يكونوا آلة لأي صف وأن يتكثروا حول جيش التحرير وينفذوا شعارات وأوامر الحكومة الجزائرية.
- 3 - جميع فرقنا المسلحة في المدن يجب أن تكون على استعداد للتدخل في حالة ما إذا أصبح السكان المدنيون مهددين من طرف العصابات الفاشستية.
- 4 - الجزائريون الذين جندوا بالقوة في صفوف الجيش الفرنسي يجب أن ينضموا لأول فرصة إلى جيش التحرير الوطني فليس هناك إلا وطن واحد بالنسبة للجميع هو الجزائر.

5 - في إمكان جميع المجندين الفرنسيين الذين يواجهون أزمة ضمير أن ينضموا إلى جيش التحرير الوطني الذي تلقى الأوامر لاستقبالهم استقبالا أخويا وإعانتهم على الالتحاق بعائلاتهم في فرنسا.

6 - يجب على جيش التحرير الوطني أن يحمي ويعين الديمقراطيين مهما كان أصلهم إن كانوا يحسون بأنهم مهددون من طرف الحكم الفاشستي.

7 - على جميع الجزائريين أن يعتبروا أنفسهم أكثر من أي وقت مضى في حالة تجنيد عام وفي خدمة وطنهم الوحيد الجزائر.

إن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية تتبع تطور الأحداث وتستصدر تعليمات جديدة إلى الشعب إن رأت صلاحية ذلك، ولهذا تطلب الحكومة الجزائرية من السكان أن يكونوا دائما مستعدين لتلقي التعليمات والاستماع لها. تحيا الجزائر الحرة. تونس يوم 1960/01/29.

المصدر: المجاهد، 08-02-1960، العدد، 61، ص: 9.

الملحق رقم 8

ندوة أحمد يزيد وزير الأخبار في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية 20-11-1961.

عشية هذا اليوم ندوة صحفية بوزارة الأخبار للحكومة الجزائرية، حققها أحمد يزيد.

الحديث عن مظاهرات الفاشستيين، اختطفت منها هذه الفقرات.

منذ أيام وفي عدة مدن جزائرية وخاصة في وهران والجزائر ينظم الأوروبيون المتكالبون مظاهرات وحشية يستهدفون فيها متاجر ومحلات الجزائريين ويعتدون بصورة وضعية على إخواننا وأخواتنا. ويجري كل ذلك بمحضر الممثلين عن الصحافة العالمية، وبمحضر القوات الفرنسية السلبية المتواطئة مع الاستقرازيين.

منذ يوم السبت 25 نوفمبر الجاري ارتفع عدد الضحايا الجزائريين الأبرياء في وهران وحدها إلى 117 موتى ومئات عديدة من الجرحى، ويكفي أن نرجع إلى ما نشرته الصحافة الأجنبية الحاضرة بـوهران والجزائر والتي تتبّع الحوادث عن كثب لتدارك مدى الوحشية والفظاعة التي اتسمت بها أعمال المتوحشين الجبناء.

إن هذه الحوادث التي تجري بصفة مستمرة وفضيحة من طرف غلاة الاستعمار ومن بينهم عناصر "لواس" الذين يلعبون فيها دور المحرك كما نعتقد، ويقوم فيها رؤساء هذه المنظمة الإجرامية بالتوجيه، تدل على الروح الفاشستية الغادرة التي تدفع هؤلاء العنصريين المنحطين إلى ارتكاب الجرائم ضد الجزائريين وضد اليهود والديمقراطيين الفرنسيين. وهذه الحوادث لم تكن لتقع لولا المساندة والتأييد الذي تلقاهما القوات المستقرة بالجزائر.

وهذا العون والتأييد والتواطؤ الفاضح يؤكد بصفة واضحة مسؤولية الجانب الفرنسي إزاء هذه الحوادث ويستطيع أن يؤكد بكيفية موضوعية أن عمل "لواس" وأذناها ومشاغبيها يكون موقف رسمي للحكومة الفرنسية التي لم تقم بأي رد فعل إيجابي.

إن هؤلاء القتالين الجبناء والمجرمين الآثمين الذين يرتكبون أعمالهم الوحشية في الجزائر ووهران، ما كانوا ليقوموا بذلك لولا اعتقادهم أن السلطات الفرنسية تقوم بحماية هذه الأعمال وبحماية القائمين بها في وضح النهار.

ولكن هؤلاء المتآمرين يخطئون إذا تمنوا أنهم بواسطة الإجرام والتقتيل يستطيعون تحويل الجزائريين عن هدفهم الأسمى في الحرية والاستقلال، إنهم مخطئون خطأ فاضحا إذا ظنوا أن الاستمرار في تقتيل الجزائريين وفي إراقة دمهم في الشوارع لا يثير أي رد فعل من جانب شعبنا البطل.

في إمكان هذه المجازر أن تستمر إذا لم تتخذ الحكومة الفرنسية إجراءات ضرورية وحازمة لكن استمرارها سيؤدي حتما إلى ارتفاع موجة الغضب عند جماهيرنا الشعبية، ولا ندري كيف تكون عاقبة ذلك.

واستمرار هذه الحوادث المفجعة والأعمال الإجرامية، وعدم اتخاذ موقف من طرف الحكومة الفرنسية لإيقاف مرتكبيها لا يفهم منه إلا شيء واحد وهو أن الحكومة الفرنسية متواطئة مع هذه الكمشة من غلاة الاستعمار ولكن هذا التواطؤ سيؤدي إلى أضخم العواقب ويثير ردود فعل قاسية من طرفنا، ولكن نكون مسئولين في حالة الدفاع الشرعي عن وجود شعبنا.

إن ردود فعلنا الحتمية لن تكون فقط إزاء هؤلاء المجرمين والعمل على سحقهم بكل ما لدينا من وسائل، ولكن سنكون أيضا بالنسبة لمن تواطأ معهم عن عمد، وسنكشف الستار عن أعداء شعبنا الحقيقيين وأعداء السلم وأعداء الديمقراطية.

هؤلاء المجرمين يعملون ضد مصلحة اسلم وضد مصلحة الشعب الجزائري
ومصلحة الشعب الفرنسي إنهم يعملون لهدف واحد إجرامي وهو عرقلة المفاوضات التي
ما تزال ضرورية وما تزال ممكنة.

المجاهد، 11 ديسمبر 1961، العدد، 110، ص: 2.

قائمة السليوغرافيا

قائمة البيبليوغرافيا

أ -الأرشيف ما وراء البحار:

- 1- A.N.O.M Aix En Provence, boîte 81F/82 Elections législatives municipales et sénatoriales en Algérie, document daté le 23/11/1959.
- 2- A.N.O.M ., B3/742 Constantine, Rapport du sous préfet, Bougie 16-09-1944.
- 3- A.N.O.M. Aix en Provence, département d'Alger, 4161
- 4- A.N.O.M. Aix en Provence, FM, 81F/87 "Réponse du général De Gaulle aux questions posées par les journalistes le 17 mai 1958.
- 5- A.N.O.M. Aix en Provence, FM/352 conférence de presse de Mr Louis Jox, Mardi 13 juin 1961.
- 6- A.N.O.M. G.G.A, Rapport mensuel d'information, Secret, Avril H.L.L. carton 22H/92
- 7- A.N.O.M., 7H/51, G.G.A., Rapport fin avril 1945.
- 8- A.N.O.M., 839 man, rapport mensuel sur décembre 1943.
- 9- A.N.O.M., 9H/44 Rapport secret de commissaire de police, George Rouquet au sous préfet de Bougie, 29-05-1945.
- 10- A.N.O.M., 9H/51, G.G.A. liste des sections y compris territoires du sud, 25-04-1945.
- 11- A.N.O.M., 9H/51, G.G.A., note du cabinet du gouvernement général au ministre, 17-01-1945.
- 12- A.N.O.M., 9H44, Aix en Provence, Rapport du commissaire de police, 25-05-1945.
- 13- A.N.O.M., Aix en Provence, boîte 81F/811.
- 14- A.N.O.M., Aix en Provence, FM.81F/351, texte de l'allocation télévisée, de Mr Joxe sur les antennes de France 2.
- 15- A.N.O.M., G.G.A., Carton 22H91
- 16- A.N.O.M., G.G.A., carton 9H/47.

ب - الأرشيف الوطني:

1 - مركز الأرشيف الوطني Appel de la fédération de France (lettre aux français mai 1956) boîte 112-5

2 - مركز الأرشيف الوطني ، IBA/1N°1406 مراسلة الوزير المقيم الحاكم العام للجزائر إلى والي وهران.

- 3- A.W.O., dossier 14073 événement politique 1833, 1879, série B, sous série B7.
- 4- A.W.O., Carton 4473, presse indigène, 1933- 1940
- 5- Communiqués et lettres adressés aux autorités françaises par les élus de Constantine, boîte 48,
- 6- Archive Wilaya d'Alger, boîte 196/5070,161,1Z, Mouvement universitaire pour le maintien de la souveraineté française.
- 7- A.W.O., document algériens, N°24 du 30-04-1949.
- 8- A.W.O., document algériens, N°26 du 09-08-1949.

ج - الجرائد الأرشيفية باللغة العربية:

- 1 المجاهد، 01 - 06 - 1959، العدد، 43.
- 2 المجاهد، 02 - 04 - 1959، العدد، 39.
- 3 المجاهد، 05 - 10 - 1959، العدد، 52.
- 4 المجاهد، 08 - 06 - 1959، العدد، 39.
- 5 المجاهد، 08 - 02 - 1960، العدد، 61.
- 6 المجاهد، 1 جوان 1959، العدد، 43.
- 7 المجاهد، 1 ماي 1959، العدد، 41.
- 8 المجاهد، 10 أكتوبر 1960، العدد، 79.
- 9 المجاهد، 11 ديسمبر 1961، العدد، 110.

- 10 المجاهد، 11 نوفمبر 1961، العدد، 110.
- 11 المجاهد، 11-1961، العدد، 104.
- 12 المجاهد، 11-12-1961، العدد، 110.
- 13 المجاهد، 11-9-1961، العدد، 104.
- 14 المجاهد، 13-03-1961، العدد، 91.
- 15 المجاهد، 13-03-1961، العدد، 91.
- 16 المجاهد، 14 جوان 1958، العدد، 25.
- 17 المجاهد، 15-01-1958، العدد، 15.
- 18 المجاهد، 16-11-1959، العدد، 55.
- 19 المجاهد، 16 أبريل 1959، العدد، 40.
- 20 المجاهد، 16 جانفي 1961، العدد، 87.
- 21 المجاهد، 16 جويلية 1960، العدد، 67.
- 22 المجاهد، 16 فيفري 1962، العدد، 115.
- 23 المجاهد، 16 نوفمبر 1959، العدد، 55.
- 24 المجاهد، 16-04-1959، العدد، 40.
- 25 المجاهد، 18-05-1959، العدد، 42.
- 26 المجاهد، 18-12-1957، العدد، 14.
- 27 المجاهد، 19-10-1959، العدد، 53.
- 28 المجاهد، 19 أكتوبر 1959، العدد، 53.
- 29 المجاهد، 19 ديسمبر 1960، العدد، 85.
- 30 المجاهد، 19-02-1962، العدد، 115.
- 31 المجاهد، 19-10-1959، العدد، 53.
- 32 المجاهد، 2 أبريل 1962، العدد، 120.
- 33 المجاهد، 2 جانفي 1961، العدد، 93.
- 34 المجاهد، 2 ماي 1962، العدد، 95.

- 35 المجاهد، 20 أبريل 1962، العدد، 118.
- 36 المجاهد، 20 مارس 1962، عدد خاص 117.
- 37 المجاهد، 21-09-1959، العدد، 51.
- 38 المجاهد، 22 أوت 1960، العدد، 75.
- 39 المجاهد، 22 جانفي 1962، العدد، 113.
- 40 المجاهد، 22 ماي 1961، العدد، 96.
- 41 المجاهد، 22-01-1962، العدد، 113.
- 42 المجاهد، 22-02-1960.
- 43 المجاهد، 22-08-1960، العدد، 75.
- 44 المجاهد، 25-08-1958، العدد، 37.
- 45 المجاهد، 25-09-1961، العدد، 105.
- 46 المجاهد، 25 أبريل 1961، العدد، 94.
- 47 المجاهد، 25-01-1960، العدد، 60.
- 48 المجاهد، 25-03-1961.
- 49 المجاهد، 25-04-1961، العدد، 94.
- 50 المجاهد، 25-09-1961، العدد، 105.
- 51 -
- 52 المجاهد، 26-02-1960، العدد، 62.
- 53 المجاهد، 27 فيفري 1961، العدد، 90.
- 54 المجاهد، 27 مارس 1961، العدد، 92.
- 55 المجاهد، 28 أوت 1961، العدد، 103.
- 56 المجاهد، 3 ديسمبر 1956، العدد، 9.
- 57 المجاهد، 30 أبريل 1962، العدد، 120.
- 58 المجاهد، 30 جانفي 1961، العدد، 88.
- 59 المجاهد، 5 جوان 1961، العدد، 97.

- 60 المجاهد، 5-9-1960، العدد، 76.
- 61 المجاهد، 7 ماي 1958، العدد، 23.
- 62 المجاهد، 8 فيفري 1962، العدد، 112.
- 63 المجاهد، 8 ماي 1961، العدد، 95.
- 64 المجاهد، 8-2-1960، العدد، 61.
- 65 المجاهد، 8-2-1960، العدد، 61.
- 66 المجاهد، 9-10-1961، العدد، 106.
- 67 المجاهد، 9 مارس 1962، العدد، 116.
- 68 المجاهد، 9-10-1961، العدد، 106.
- 69 المجاهد، أبريل 1958، الثورة الجزائرية وتحرير إفريقيا.
- 70 المجاهد، أبريل 1958، العدد.
- 71 المجاهد، الاثنين، 08-02-1960، العدد، 61.
- 72 المجاهد، الأربعاء 11-12-1961، العدد، 110.
- 73 المجاهد، عدد خاص مؤتمر الصومام 1956، العدد، 18.
- 74 المقاومة الجزائرية، 20 إلى 31 جويلية 1957.
- 75 المقاومة الجزائرية، ديسمبر 1956، العدد، 14.
- 76 جريدة البصائر، 8-4-1954، العدد، 313.

د الجرائد باللغة الفرنسية

- 1- Alger R publicain, 10 mai 1945.
- 2- Alger r publicain, 12 mai 1945.
- 3- Alger r publicain, 12 mai 1945.
- 4- Alger r publicain, 12 mai 1945.
- 5- Alger r publicain, 13-14 mai 1945.
- 6- Alger r publicain, 14 mai 1945.

- 7- Alger R publicain, 2 novembre 1954
- 8- Alger r publicain, 21-05-1948.
- 9- Alger r publicain, 23-04-1949.
- 10-Alger r publicain, 23-04-1949.
- 11-Alger R publicain, 3 novembre 1954
- 12-Alger r publicain, 30 juin 1945.
- 13-Alger R publicain, 30 novembre 1954
- 14-Alger r publicain, 30-06-1949
- 15-De Siregry (Alain), L' cho d'Alger, tome 1, presse de la cit , paris, 1972
- 16-L Echo d'Oran, 23- 24/09/ 1956, N 30651
- 17-L Echo d'Oran, 3 mai 1956
- 18-El Moudjahid, 19 mars 1962, N 91.
- 19-El Moudjahid, 1 r novembre 1961, n 86, 3 juin 1962, tome .
- 20-El Moudjahid, 20 juin 1960, N 66, tome 3 .
- 21-El Moudjahid, 25 juin 1961, N 82, tome 3, Imprimerie in Yougoslavie
juin 1962.
- 22-El Moudjahid, N 4, num ro sp cial, tome 1.
- 23-El Moudjahid, num ro sp cial 04, sans date, extrait de proc s verbal du
congr s du 20-08-1956, tome .
- 24-Expresse, 25 f vrier 1960.
- 25-l' cho d'Alger, 14-10-1919.
- 26-L' cho d'Alger, 19-12-1950.
- 27-L' cho d'Alger, 21-12-1950.
- 28-L' cho d'Alger, 23-10-1919.
- 29-L' cho d'Alger, 26-12-1950.
- 30-L' cho d'Alger, 28-05-1920.
- 31-L' cho d'Alger, 28-10-1919.
- 32-L' cho d'Alger, 29-05-1936.
- 33-L' cho d'Alger, 31-10-1924.
- 34-L' cho d'Alger, 5 avril 1948.
- 35-L' cho d'Oran, 10 avril 1937.
- 36-L' cho d'Oran, 10-04-1937.
- 37-L' cho d'Oran, 11-07-1945.
- 38-L' cho d'Oran, 16 mai 1945 .
- 39-Alger r publicain, 14 juin 1945.
- 40-L' cho d'Oran, 16 mai 1945.
- 41-L' cho d'Oran, 18.19.20-03-1962, N 35359.

- 42-L'écho d'Oran, 22-03-1962, N°35360.
- 43-L'écho d'Oran, 25-05-1945, n°25347.
- 44-L'écho d'Oran, 30 juin 1945.
- 45-l'écho d'Oran, dimanche et lundi 8-9/09/1946.
- 46-L'écho d'Oran, dimanche-lundi 15-15/01/1960, N°31692.
- 47-L'écho d'Oran, dimanche-lundi 23-24/12/1945.
- 48-L'écho d'Oran, Jeudi, 07-09-1960, N°35197.
- 49-L'écho d'Oran, mardi 19 décembre 1945.
- 50-L'écho d'Oran, Mardi 26-01-1961, N°31693.
- 51-L'écho d'Oran, mercredi 18-09-1946.
- 52-L'écho d'Oran, vendredi 04-10-1946.
- 53-L'écho d'Oran, vendredi 13-09-1946.
- 54-L'oranie populaire, 20-04-1938, n°51.
- 55-La Croix, 2-11-1954
- 56-La défense, 10-03-1939.
- 57-La dépêche algérienne, 13-04-1919.
- 58-la dépêche Algérienne, 19.21Avril 1922
- 59-La dépêche de Constantine, 20- 21/ 09/ 1959, n° 16362.
- 60-la dépêche de Constantine, 2-11-1954
- 61-La dépêche de Constantine, 27/ 12/ 1959, N° 16392.
- 62-La dépêche de Constantine, 28/10/1959, N° 16393.
- 63-La dépêche quotidienne, 07-08-1951.
- 64-La dépêche quotidienne, 2 novembre 1954
- 65-La dépêche quotidienne, 2-11-1954
- 66-la dépêche quotidienne, 31-12-1957.
- 67-la dépêche quotidienne, 7-8-1951.
- 68-La Lutte sociale, 8-28 septembre 1920
- 69-La république Algérienne, 03-12-1948.
- 70-la république algérienne, 9, 16 avril 1948.
- 71-le Combat, Journal de Paris, 2-11-1954
- 72-Le Figaro, 16-05-1962, N°4804.
- 73-Le Figaro, 20-12-1955, 30-1-1956
- 74-Le figaro, 2-11-2954
- 75-Le Figaro, 6.7-11-1954
- 76-le Figaro, Lundi, 12/12/1960, N°5062.
- 77-Le Figaro, samedi, dimanche, 10-11/12/1960, N°5061.
- 78-Le journal d'Alger, jeudi 15-01-1962, N°3748.
- 79-Le Journal d'Alger, 2 mai 1961, N°3532.
- 80-Le Journal d'Alger, 2 novembre 1954
- 81-Le Journal d'Alger, 2-11-1954

- 82-Le Journal d'Alger, 3 novembre 1954
- 83-le journal d'Alger, 30-05-1961, N°3556.
- 84-Le Journal d'Alger, 5 novembre 1954
- 85-Le Journal d'Alger, 6 novembre 1954
- 86-Le journal d'Alger, 7-8 mai 1961, N° 3537.
- 87-Le Monde 11- 12 mai 1958
- 88-Le Monde, 01-01-1957
- 89-Le Monde, 1 janvier 1957.
- 90-Le Monde, 11- 12 mai 1958.
- 91-Le Monde, 11- 26 janvier 1957.
- 92-Le Monde, 12-12-1960, n°4944.
- 93-Le Monde, 16 novembre 1954
- 94-le Monde, 21-03-1962, N°5317.
- 95-le Monde, 21-11-1954
- 96-Le Monde, 25 novembre 1954
- 97-Le Monde, 3 janvier 1957.
- 98-Le Monde, 30-04-1956
- 99-Le Monde, 31 décembre 1957.
- 100- Le Monde, 3-11-1954
- 101- le Monde, 5-6 mars 1961.
- 102- le Monde, Mardi, 20 mars 1962, N°5340.
- 103- Le Parisien, 2-11-1954
- 104- Le travailleur Algérien, 23 novembre 1954
- 105- L'écho d 'Oran, Jeudi 28-01-1960, N°31695.
- 106- L'écho d 'Oran, Jeudi 28-01-1960, N°31695.
- 107- L'écho d'Alger, 19 janvier 1960.
- 108- L'écho d'Alger, 2 novembre 1954
- 109- L'écho d'Alger, 21-07-1955
- 110- L'écho d'Alger, 2-11-1954
- 111- L'écho d'Alger, 23 avril 1961.
- 112- L'écho d'Alger, 23-01-1960.
- 113- L'écho d'Alger, 24-25/01/1960.
- 114- L'écho d'Alger, 25 avril 1961.
- 115- L'écho d'Alger, 27-11-1954
- 116- L'écho d'Alger, 3-11-1954
- 117- L'écho d'Alger, 6-11-1954
- 118- L'écho d'Alger, 9-11-1954
- 119- L'écho d'Alger. 10-11-1954
- 120- L'écho d'Alger. 8-11-1954
- 121- L'écho d'Oran, 13-11-1954

- 122- L'écho d'Oran, 22 avril 1961, N°32082.
- 123- l'écho d'Oran, 25 avril 1961, N° 32025.
- 124- L'écho d'Oran, dimanche- lundi 24-25-01/1960, N° 1692.
- 125- L'écho d'Oran, Jeudi 28-01-1960, N°31675.
- 126- L'écho d'Oran, Mardi 26-01-1960, N°31693.
- 127- L'écho d'Oran, mercredi 27-01-1960, N°31694.
- 128- L'écho d'Oran, vendredi 29-01-1960, N°31696.
- 129- Journal d'Alger, 11-01-1962, N°3748.
- 130- L'Afrique française 1937.
- 131- L'Afrique latine, 15-05-1922, n°6.
- 132- L'écho d'Alger, 01-01-1937.
- 133- L'écho d'Alger, 07-01-1937.
- 134- L'écho d'Alger, 08-01-1945.
- 135- L'écho d'Alger, 10 mai 1945.
- 136- L'écho d'Alger, 13 mai 1945.
- 137- L'écho d'Alger, 14 mai 1945
- 138- Liberté, 17 Mai 1945.
- 139- Liberté, 4 novembre 1954
- 140- Liberté, 7 juin 1945.
- 141- Oran Le Républicain, 4 mars 1960, N°7567

هـ المصادر باللغة العربية

- 1 إحدادن (زهير)، المختصر في تاريخ الثورة الجزائرية 1954 - 1962، مؤسسة إحدادن للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2007.
- 2 الأمير (خالد)، رسالة إلى الرئيس ويلسون ونصوص أخرى، ترجمة: محمد معراجي، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007.
- 3 أندري جوليان (شارل)، المسلمون وفرنسا 1871 - 1919، الجزء الأول، ترجمة، مسعود حاج مسعود، أبكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
- 4 أنثري فافروود (شارل)، الثورة الجزائرية، ترجمة كابوية عبد الرحمن، سالم محمد، دحلب، الجزائر، 2010.
- 5 باي (أحمد)، خوجة (حمدان)، بوضربة (أحمد)، مذكرات، ترجمة، محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والكتاب، الجزائر، 1973.

- 6 البشير الإبراهيمي (محمد) ، آثاره 1954-1964، الجزء الخامس، جمع وتقديم، أحمد طالب الإبراهيمي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997.
- 7 البشير الإبراهيمي (محمد) ، في قلب المعركة، دار الأمة، الجزائر، 2007.
- 8 بن إبراهيم العقون (عبد الرحمن) ، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، الفترة الأولى، 1920-1936، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 9 بن إبراهيم العقون (عبد الرحمن) ، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1936-1945، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 10 بن إبراهيم بن العقون (عبد الرحمن) ، الكفاح القومي والسياسي 1945-1954، الجزء الثالث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1996.
- 11 بن القبي (صالح) ، عهد لا عهد مثله أو الرسالة التائهة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009.
- 12 بن حبيلس (شريف) ، الجزائر الفرنسية كما يراها أحد الأهالي، ترجمة، عبد الله حمادي، فيصل الأحمر، وسيلة بوسيس، دار البهاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الجزائر، 2008.
- 13 بن خدة (بن يوسف) ، شهادات ومواقف، دار الأمة، الجزائر، 2007.
- 14 بن خدة (بن يوسف)، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة مسعود حاج مسعود، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 2012، ملحق 18، مداخلة الدكتور شوقي مصطفى بمناسبة إحياء الذكرى 58 لأحداث 8 ماي 1945.
- 15 بورقعة (الأخضر) ، مذكرات شاهد على اغتيال الثورة، دار الحكمة، الجزائر، 1990.
- 16 توفيق المدني (أحمد) ، هذه هي الجزائر، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 17 حربي (محمد) ، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع 1954-1962، ترجمة، كميل قيصر داغل، الطبعة الأولى، لبنان، بيروت، 1983.

- 18 حربي (محمد) ، ، حياة تحد وصمود مذكرات سياسية 1945 - 1962 ، ترجمة: عبد العزيز بوباكير، علي قسايسية، دار القصبة، الجزائر.
- 19 حربي (محمد) ، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة، نجيب عياد، صالح المثلوثي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1995.
- 20 خوجة (حمدان بن عثمان) ، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005.
- 21 خير الدين (محمد) ، مذكرات، الجزء الثاني، المؤسسة الوطنية للكتاب، دون تاريخ.
- 22 ديغول (شارل) ، مذكرات الأمل، ترجمة، سموحي فوق العادة، مراجعة، أحمد عويدات، منشورات عويدات، الطبعة الأولى، لبنان، 1970.
- 23 روبر أجيرون (شارل) ، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، ترجمة، جمال فاطمي، نادية الأزرق، فتحي سعدي، حسين بن قرين، مراجعة، عياش سلمان، الجزء الثاني، دار الأمة، الجزائر، 2008.
- 24 الزبيري (الطاهر) ، مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين 1929 - 1962 ، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007.
- 25 ستارتر (جون بول) ، مواقف مناهضة الاستعمار، ترجمة، محمد المعراجي، مراجعة، أحمد المعراجي، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007.
- 26 شارل روبر (أجيرون): تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة، عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، الجزائر، 1982.
- 27 الشيخ (سليمان)، الجزائر تحمل السلاح، دراسة في تاريخ الحركة الوطنية والثورة الجزائرية، ترجمة: محمد حافظ الجمالي، منشورات الذكرى الأربعون للاستقلال، الجزائر، 2002.
- 28 صايكي (محمد) ، مذكرات، شهادة ثائر من قلب الجزائر، الجزائر، 2003.
- 29 طالب الإبراهيمي (أحمد) ، مذكرات جزائري 1932 - 1965 ، الجزء الأول، دار القصبة، الجزائر، 2006.

- 30 فارس (عبد الرحمن)، الحقيقة المرة، مذكرات 1945 - 1965، ترجمة مسعود حاج مسعود، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار القصبة، 2007.
- 31 فانون (فرانز)، العام الخامس للثورة الجزائرية، ترجمة، ذوقان قرقوط، مراجعة، عبد القادر بوزبدة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
- 32 فانون (فرانز)، معذبو الأرض، ترجمة، ساسي الدروبي، جمال الأتاسي، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الخامسة، 1984.
- 33 فانون (فرانز)، من أجل إفريقيا، ترجمة: محمد الملي، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- 34 فرحات (عباس)، الشاب الجزائري، من المستعمرة إلى المقاطعة، ترجمة، أحمد منور، الجزائر، 2010.
- 35 فرحات (عباس)، تشريح حرب، ترجمة، أحمد منور، الجزائر، 2010.
- 36 فرحات (عباس)، ليل الاستعمار، ترجمة، أبو بكر رحال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005.
- 37 فوبيكار (زدر)، الجزائر شهادة صحفي يوغسلافي عن حرب الجزائر، ترجمة: فتحي سعيدي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011.
- 38 كافي (علي)، مذكرات من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1936-1962، دحلب، الجزائر، 2011.
- 39 لونغ (أوليفي)، الملف السري، اتفاقية إيفيان مهمة سويسرية للسلم في الجزائر، تقديم: ماكس بوتيبير، تعريب: أودائية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2012.
- 40 قليل (عمار)، ملحمة الجزائر الجديدة، الجزء الثالث، دار البعث، قسنطينة، 1991.
- 41 قليل (عمار)، ملحمة الجزائر الجديدة، الجزء الثاني، دار البعث، قسنطينة، 1991.
- 42 قليل (عمار)، ملحمة الجزائر الجديدة، الطبعة الأولى، الجزء الأول، دار البحث، قسنطينة، الجزائر، 1991.

- 43 مالك (رضا) ، الجزائر في إيفيان، تاريخ المفاوضات السرية 1956 - 1962،
ترجمة : فارس غصوب، دار الفرابي، الجزائر، 2003.
- 44 تامي (ألبير) ، صورة المستعمر، ترجمة، ميشال سطوف، المؤسسة الوطنية
للنشر والإشهار، الجزائر، 2007.
- 45 ماندوز (أندري)، الثورة الجزائرية عبر النصوص، ترجمة، ميشال سطوف،
مراجعة وإشراف، سمير سطوف، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر،
2007.
- 46 مزيان الشريف (عبد الرحمن) ، حرب الجزائر في فرنسا، موريسيان، جيش
الخفاء، ترجمة، العربي بوينون، دار الحكمة، الجزائر، 2012.
- 47 مصالي (الحاج) ، مذكرات 1898 - 1938، ترجمة، محمد المعراجي، المؤسسة
الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.
- 48 مهساس (أحمد) ، الحركة الثورية في الجزائر 1919 - 1954، دار المعرفة،
الجزائر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2007.
- 49 الميلي (محمد) ، الفاشية العالمية الحديثة، دار الآداب، بيروت، لبنان، 1963.
- 50 الميلي (محمد) ، مواقف جزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- 51 النصوص الأساسية لثورة أول نوفمبر 1954، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر
والإشهار، الجزائر، 2008.
- 52 هارون (علي) ، الولاية السابعة، حرب جبهة التحرير الوطني داخل التراب
الفرنسي 1954 - 1962، ترجمة: الصادق عماري، مصطفى ماضي، دار القصة،
الجزائر، 2007.
- 53 هارون (علي) ، خيبة الانطلاق، فتنة صيف الجزائر 1962، ترجمة: الصادق
عماري، آمال فلاح، مراجعة: مصطفى ماضي، دار القصة، الجزائر، 2012.
- 54 الثورتلاني (الفضيل) ، الجزائر الثائرة، دار الهدى، الجزائر، 2007.
- 55 يوسف (أحمد) ، الجزائر في ظل المسيرة النضالية، المنظمة الخاصة، ترجمة
محمد الشريف بن دالي حسين، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2002.

56 يوسفى (أحمد) ، منظمة الجيش السرى ونهاية الثورة الجزائرية، ترجمة: عبد المجيد بوجلة، مراجعة: جمال يحياوى، المؤسسة الوطنى للفنون المطبعية، الجزائر، 2011.

و المصادر باللغة الفرنسية

- 1- Agéron (Charles Robert), Histoire de l'Algérie contemporaine, 1830- 1973, Que sais-je, paris, 1974.
- 2- Alleg (Henri), Jacques De Bnis, Henri Dorgan , Jean Frevre, Pierre Handiquet ; La guerre d'Algérie, tome 1 de l'Algérie des origines à l'insurrection, édition temps actuels, paris, France, 1981
- 3- André Favrod (Charles), La révolution algérienne, édition, plan, paris, 1959.
- 4- André Julien (Charles), l'Afrique du Nord en marche, nationalisme musulmans et souveraineté française, 3^{ème} édition, Julliard, paris, 1972
- 5- André Julien (Charles), Une pensée anti-coloniale 1914- 1979, paris, édition Sindibad
- 6- Baldacci (Aimé), Le temps des révoltes souvenir d'un français d'Algérie, édition Garche, paris, 1986.
- 7- Benkhedda (Benyoucef), Les accords d'Evian, 2^{ème} édition, OPU, Alger, 1991.
- 8- Benkhedda (Benyoucef), Alger capital de la résistance 1956- 1957, édition Houma, Alger, 2002
- 9- Bitterlin (Lucien), Nous étions tous des terroristes, édition Témoignage, chrétien, paris, 1983
- 10-Bourdrel (Philippe), Le livre noir de la guerre d'Algérie français er algérien 1954- 1962, Plan, France, 2002
- 11-Butterlin (Lucien), Quand j'étais traqué par l'OAS, in la guerre d'Algérie, tome 2, édition librairie Jules Tallandier, paris, 1976
- 12-Cdt Azzedine, Et Alger ne brule pas, édition, ENAL, Alger, 1997.
- 13-Chikh (Slimane), L'Algérie en armes ou le temps des certitudes, O.P.U, Alger, 1981
- 14-Chikh (Slimane), l'Algérie en armes ou le temps des certitudes, OPU, Alger, 1981
- 15-Colonel Godard, Les paras dans la ville, les trois batailles d'Alger, Fayard, paris, 1972
- 16-Deon (Michel), L'armée d'Algérie et la pacification, plan, paris, 1959.
- 17-Ernest (Mercier), Le cinquantenaire d'une colonie, l'Algérie en 1880, paris.
- 18-Feraoun (Mouloud), Journal 1955- 1962, édition du Seuil, paris, 1962

- 19-Général Aumerran, Paix en Algérie, les presse de l'imprimerie, paris, 1959, p: 285
- 20-Goinard(Pierre), Algérie l'œuvre française, édition, Leffont, paris, 1994.
- 21-Henri (Pajoud), La révolution d'Alger, les fils Aymon, paris, 1958
- 22-Henri Favrod (Charles), Le FLN et l'Algérie, Plan, paris, 1962.
- 23-Israël (Gérard), Le dernier jour de l'Algérie française, édition, plan, paris, 1962.
- 24-Jacques (Leprevot), Défense l'Algérie, librairie Dominique, Alger, 1957.
- 25-Jouhoud (Edmond), Ce que je n'ai pas dit Sckiet- OAS. Evian, édition Fayard, paris, 1977
- 26-Katz(Joseph), L'honneur d'un général, Oran 1962, Edition L'Harmattan, paris ; 1993
- 27-Labjaoui (Mohamed), Vérités sur la révolution algérienne, ANAP, Alger, S.d.,
- 28-Laffon (Pierre), Histoire de la France en Algérie, 1^{ère} édition, librairie, Plan, France, sans date.
- 29-le Couture (Jean), De Gaulle la politique 1944- 1959, édition du Seuil, paris.
- 30-Malek(Redha), L'Algérie: Evian, histoire de négociation secrètes, 1956- 1962, édition, Alger, 1998.
- 31-Mannoni (Pierre), Les français d'Algérie, vie, mœurs, mentalité, paris, édition L'harmattan, 1993.
- 32-Massu (Jacques), Le torrent et le digne, paris, plan, 1972.
- 33-Montagnon (Pierre), La guerre d'Algérie, génise et engrenage d'une tragédie, Pygmalion, paris, 1988.
- 34-Nicol (Pierre), Algérie perdu, Edition du Feseau, paris, 1965, p : 102.
- 35-Ordioni (Pierre), Tout commence : Alger, 1940- 1944, édition Stock, paris, 1972.
- 36-Ould Aoudia (J.P), Autopsie d'un assassinat, 15 mars 1962, ENAL, Alger, 1994.
- 37-Paillat (Claude), Le guêpier, tome 1, édition Laffont, paris, 1969
- 38-Peyrefitte (Alain), Faut-il partager l'Algérie, édition Plan, paris, 1961.
- 39-Robert Ageron (Charles), Histoire de l'Algérie contemporaine, collection Que-sais-je, réédition paris, PUF.
- 40-Robert Ageron (Charles), L'Algérie algérienne de Napoléon 3 à De Gaulle, Sindibad, paris, 1980.
- 41-Saadi (Yacef), Souvenirs de la bataille d'Alger, édition Julliard, paris, 1962
- 42-Salan (Raoul), Fin d'un empire, Algérie De Gaulle, 7 juin 1958- 10 juin 1960, édition Presse de la cité, paris, 1974.
- 43-Taguia (Mohamed), L'Algérie en guerre, édition O.P.U, Alger
- 44-Violette (Maurice), L'Algérie vivra-t-elle ?, paris, 1935

45- Youcefi (M'Hamed), L'OAS et la fin de la guerre d'Algérie, ENAL, Alger, 1985.

ز المراجع باللغة العربية

- 1 أحيدة (عميراي) ، فاتح الثورة الجزائرية مقارنة بالثورات العالمية، مجلة المصادر، العدد، 9، السداسي الأول، 2004.
- 2 إفينو (باتريك) ، بلانشياس (جون) ، حرب الجزائر، ملف وشهادات، ترجمة بن داود سلامنية، الجزء الأول، الجزائر، 2013.
- 3 آلي (موريس) ، الجزائر واتفاقية إيفيان، ترجمة: أحمد بن محمد بكلي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2008.
- 4 برفيل (غي)، النخبة الجزائرية الفرانكفونية 1880-1962، ترجمة حاج مسعود، بكلي، بلعربي، دار القصبة، الجزائر، 2007.
- 5 بشري (أحمد) ، الثورة الجزائرية والجامعة العربية، الجزائر، 2005.
- 6 بن أشنهو (عبد اللطيف)، تكوين التخلف في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ.
- 7 بن داهة (عدة)، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، الجزء الأول، وزارة المجاهدين، 2008.
- 8 بن عامر بن منصور (ليلي) ، فرحات عباس، ذلك الرجل المظلوم، ترجمة، حسين لبراش، دار الجزائر للكتاب، الجزائر، 2011.
- 9 بن عطية (فاروق) ، الأعمال الإنسانية أثناء حرب التحرير 1954-1962، ترجمة: كابوية عبد الرحمن، سالم محمد، منشورات دحلب، الجزائر، 2010.
- 10 بوجلال (عمار) ، حواجز الموت 1957-1959 الجبهة المنسية، ترجمة، زينب قبي، دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- 11 بوحوش (عمار)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997.
- 12 بوحوش (عمار) ، العمال الجزائريون في فرنسا. دراسة تحليلية، الشركة الوطنية للدراسة والتحليل، بدوم تاريخ.

- 13 بورعدة (رمضان) ، الثورة الجزائرية والجنرال ديغول 1958-1962، سنوات الحسم والخلاص، منشورات بونة للبحوث والدراسات، باتنة، 2012.
- 14 بوطول (غاستون) ، السلم المسلح، تعريب: أكرم ديربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1973.
- 15 بوعزيز (يحي) ، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري 1830-1953.
- 16 بوعزيز (يحي) ، ثورات الجزائر في القرنين 19-20، دار البعث، قسنطينة، 1980.
- 17 بوعزيز (يحي) ، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ.
- 18 بوعزيز (يحي) ، من وثائق جبهة التحرير الوطني 1954-1962، الجزء 1-2، دار البصائر، الجزائر، 2009.
- 19 بول كاهن (جون) ، كلاوس يرغن مولر، جمهورية ألمانيا الفيدرالية والثورة الجزائرية 1954-1962، ترجمة: عبد القادر ليفا، دار المعرفة، الجزائر، 2007.
- 20 بومالي (أحسن) ، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954-1956، المتحف الوطني للمجاهد، دون تاريخ، ص: 297.
- 21 تركي (رابح) ، التعليم القومي والشخصية الوطنية 1931-1956، دراسات تربوية للشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 22 ثينو (سيلفي) ، تاريخ حرب من أجل استقلال الجزائر، وزارة المجاهدين، منشورات دحلب، الجزائر، 2013.
- 23 الجنيدي (خليفة) وآخرون، حوار حول الثورة، الجزء الأول، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.
- 24 حسين (محمد) ، الاستعمار الفرنسي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الرابعة، الجزائر، 1986.
- 25 حماميد (حسنة)، المستوطنون الأوروبيون والثورة الجزائرية 1954-1962، الطبعة الأولى، متيجة للطبع، الجزائر، 2007.

- 26 خرشي (جمال) ، الاستعمار وسياسة الاستيعاب في الجزائر 1830 - 1962 ،
ترجمة عبد السلام عزيزي، مراجعة وإشراف: مصطفى ماضي، دار القصة،
الجزائر، 2009.
- 27 الخطيب (أحمد) ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في
الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985
- 28 الخطيب (أحمد) ، حزب الشعب الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،
1986.
- 29 دارد (أوليفي) ، في قلب منظمة الجيش السري، ترجمة: عبد السلام يخلف،
قائمة بن شعلان، موسى أشرشور، طبعة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2013.
- 30 تسوقي (ناهد إبراهيم) ، دراسات في التاريخ الحديث والمعاصر ما بين الحربين
1918 - 1938، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2001.
- 31 الزبير (سيف الإسلام) ، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزء الثالث، الشركة
الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982،
- 32 الزبيري (محمد العربي) ، الثورة الجزائرية في عامها الأول، المؤسسة الوطنية
للكتاب، الجزائر، 1984.
- 33 زوزو (عبد الحميد) ، المرجعيات التاريخية للدولة الجزائرية الحديثة (مؤسسات
ومواثيق)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
- 34 زوزو (عبد الحميد) ، محطات في تاريخ الجزائر والحركة الوطنية الجزائرية،
دار هومة، الجزائر، 2004.
- 35 سطورا (بنيامين) ، مصالي الحاج 1898 - 1974، رائد الحركة الوطنية
الجزائرية، ترجمة: صادق عماري مصطفى، دار القصة، الجزائر، 1999.
- 36 سعد الله (أبو القاسم) : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني، المؤسسة
الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986
- 37 سعد الله (أبو القاسم) ، وأبحاث آراء في تاريخ الجزائر، الجزء الخامس، عالم
المعرفة، دار الرائد، الجزائر، 2008.

- 38 ستعد الله (أبو القاسم) ، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، عالم المعرفة، الجزائر، 2009 .
- 39 ستعد الله (أبو القاسم) ، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- 40 ستعد الله (أبو القاسم) ، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، عالم المعرفة، الجزائر، 2009.
- 41 ستعد الله (أبو القاسم) ، تاريخ الجزائر الثقافي 1954-1962، الجزء العاشر، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 2007.
- 42 ستعد الله (فوزي) ، يهود الجزائر موعد الرحيل، الجزء الثاني، دار قرطبة، الطبعة الأولى، الجزائر، 2005.
- 43 سعيديوني (ناصر الدين) ، الجزائر آفاق ومنطلقات، عالم المعرفة، الجزائر، 2008.
- 44 سليمان (سيد أحمد) ، سياسة فرنسا في توطين الأوروبيين في الجزائر 1830-1887، رسالة دبلوم دراسات، وهران، 1976
- 45 ستماتي (محفوظ) ، الأمة الجزائرية، نشأتها وتطورها، ترجمة، محمد الصغير بناني، عبد العزيز بوشعيب، منشورات دحلب، الجزائر، 2007.
- 46 سيف الإسلام (الزبير) ، تاريخ الصحافة في الجزائر، الجزء الأول، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971.
- 47 شايدي (حمود) ، دون حقد ولا تعصب، صفحات من تاريخ الجزائر المحاربة، ترجمة: كابوية عبد الرحمن، منشورات دحلب، الجزائر، 2010.
- 48 شريط (عبد الله) ، الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية 1956، منشورات المتحف الوطني للمجاهد.
- 49 صاري (الجيلالي) ، محفوظ قداش، الجزائر في التاريخ، المقاومة السياسية 1900-1954، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة، عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.

- 50 الطاهر عليّة (عثمان) ، الثورة الجزائرية أمجاد بطولات، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 1996.
- 51 طلاس (مصطفى) ، بسام العسلي، الثورة الجزائرية، الطبعة الأولى، دار الشورى، بيروت، 1982.
- 52 عباد (صالح)، المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870-1900، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- 53 عباس (محمد) ، ديغول والجزائر أحداث قضايا وشهادات، دار هومة، الجزائر، 2007.
- 54 عبد الرحمن (عواطف) ، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- 55 عدي (الهوري) ، الاستعمار الفرنسي في الجزائر، سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي 1830-1960، ترجمة، جوزيف عبد الله، الطبعة الأولى، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 1983.
- 56 العسلي (بسام) ، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، دار الرائد، الجزائر، 2010.
- 57 العسلي (بسام) ، الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة، دار النفائس، الطبعة الأولى، بيروت، 1984.
- 58 العسلي (بسام)، أيام جزائرية خالدة، دار الرائد، الجزائر، 2010.
- 59 العسلي (بسام)، جهاد شعب الجزائر، أيام جزائرية خالدة، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت، 1986.
- 60 العسلي (بسام)، نهج الثورة الجزائرية، الصراع السياسي، دار النفائس، الطبعة الثانية، بيروت، 1986.
- 61 عصماني (أحمد) ، شباب ثورة التحرير الجزائرية من الاحتلال والعبودية إلى الاستقلال والحرية 1956-1962، مطبعة بلحاج، الجزائر، 2002.
- 62 العقاد (صلاح) ، المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (الجزائر، تونس، المغرب الأقصى)، الطبعة السادسة، مكتبة الأنجلومصرية، 1993.

- 63 عمراني (عبد المجيد) ، جون بول سارتر والثورة الجزائرية، مكتبو مدبولي، دون تاريخ.
- 64 عمورة (عمار) ، موجز في تاريخ الجزائر، الطبعة الأولى، الجزائر، 2002.
- 65 عيناد ثابت ر (ضوان) ، 8 ماي 1945 الإبادة الجماعية في الجزائر، ترجمة، سعيد محمد اللحام، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005.
- 66 غولد زيغر (آني راي) ، جذور حرب الجزائر 1940-1945 من مرسى الكبير إلى مجازر الشمال القسنطيني، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار القصبة، الجزائر، 2005.
- 67 فرحات (جمال) ، السياسية الأمريكية في الجزائر نشأتها تطورها آثارها، دار الريحانة للكتاب، بدون تاريخ.
- 68 قتان (جمال) ، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987.
- 69 قتان (جمال) ، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المتحف الوطني للمجاهد، 1994.
- 70 قداش (محفوظ) ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائر 1919-1939 ترجمة أمحمد بن البار، الجزء الأول، دار الأمة، الجزائر، 2008.
- 71 قداش (محفوظ) ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائري 1939-1951، ترجمة: أمحمد بن البار، الجزء الثاني، دار الأمة، الجزائر، 2008.
- 72 قداش (محفوظ) ، جزائر الجزائريين، تاريخ الجزائر 1830-1954، ترجمة، محمد المعراجي، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر.
- 73 كاتب (كمال) ، أوروبيون، أهالي ويهود بالجزائر 1830-1962، تمثيل وحقائق السكان، ترجمة: رمضان زبدي، دار المعرفة، الجزائر، 2011.
- 74 لوكرو غرانميزون (أوليفي) ، الجمهورية الإمبراطورية في سياسة الدولة العنصرية، ترجمة، مسعود حاج مسعود، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
- 75 لوكو غرانميزون (أوليفي) ، الاستعمار الإبادة، تأملات في العرب والدولة الاستعمارية، ترجمة، نورة بوزبدة، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.

- 76 لوي بلانش (جون) ، سطيف 1945: بواذر المجزرة، ترجمة: عزيزي عبد السلام-صادق عماري-بشير بولفراق، إشراف وتنسيق: عزيز عبد السلام، دار القصبة، الجزائر، 2007 .
- 77 ليدويدج (برنارد) ، ديغول ما له وما عليه، ترجمة: محمد سميح السيد، الطبعة الأولى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1985.
- 78 ماتياس (فريقفور) ، الفرق الإدارية المتخصصة في الزائر بين المثالية والواقع 1955-1962، ترجمة: محمد جعفري، الطبعة الأولى، الجزائر، 2013.
- 79 محيو (أحمد) ، محاضرات في المؤسسات الإدارية، ترجمة، محمد عرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1979.
- 80 تابت بلقاسم (مولود قاسم) ، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على ثورة نوفمبر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الطبعة الثانية، الجزائر، 2002.
- 81 تجادي (بوعلام) ، الجلادون 1830-1962، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- 82 فوشي (أندي) ، جوليان (أندي) ، إيف لاکوست، الجزائريين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابح، منصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- 83 فوشي (أندي) وآخرون، الجزائر الماضي والحاضر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.
- 84 اللواعي (محمود) ، منظمة الجيش السري، المرحلة الانتقالية الجزائر 12 مارس 1962 حتى سبتمبر 1962، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995.
- 85 وطيان (عبد العزيز) ، الاقتصاد الجزائري ماضيه وحاضره 1830-1985، المعهد العربي للثقافة العمالية وبحوث العمل بالجزائر، الجزائر، 1992.
- 86 يحيوي مرابط (مسعودة) ، المجتمع المسلم والجماعات الأوروبية في القرن العشرين، حقائق وإيديولوجيات وأساطير ونمطيات في جزائر القرن 20، دار هومة، الجزائر، 2010.

ح - المراجع باللغة الفرنسية

- 1- (Mouton) Claude, La culture révolution en Algérie le combat de Robert Martel et ses amis, édition Pensée française, paris, 1972.
- 2- Anus (René), L'eau en Algérie, O.P.U., 1985
- 3- Aron (Raymon), L'Algérie et la république, librairie, Plan, paris, 1998.
- 4- Aron (Robert), Les origines de la guerre d'Algérie, édition, Fayard, paris, 1962.
- 5- Attard(Francis), A Alger la peur succède à la future, in La guerre d'Algérie, tome 8.
- 6- Boukrot (Ben Ali), Le souffle de Dahra, entreprise nationale du livre, Alger, 1986.
- 7- Buron (Robert), Carnets politiques de la guerre d'Algérie, Plan, 1965.
- 8- Carnaton (Michel), Les camps de regroupements de la guerre d'Algérie, L'Harmattan, paris, 1998.
- 9- Colette et Jeanson (Francis), L'Algérie hors la loi, édition, ENAG, Alger, 1993.
- 10- Collot (Claude), Les institutions de l'Algérie durant la période coloniale 1830- 1962, O.P.U., Alger, 1987.
- 11- Courrière (Yves), La guerre d'Algérie, l'heure des colonels, tome 3, édition Casbah, Alger, 2005.
- 12- Courrière (Yves), La guerre d'Algérie, le temps des léopards, Fayard, paris, 1969.
- 13- Courrière (Yves), Les fils de la toussaint, Fayard, 1968
- 14- Courrière (Yves), Les jeux de désespoir, livre de poche.
- 15- Daly Limandière (Guy), L'impoture algérienne, les lettres secrètes d'un sous lieutenant de 1960- 1962, édition Filipacchi, paris, 1992.
- 16- Delarme (Jacques), L'OAS contre De Gaulle, Fayard, paris, 1981, p: 95.
- 17- Droz (Bernard) et Lever (Evelyne), Histoire de la guerre d'Algérie 1954- 1962, paris, Seuil, 1982,
- 18- Duraton Crabol (Anne Marie), Le temps de l'OAS, édition Complexe, paris, 1995.
- 19- Francis et Jeanson (Colette), L'Algérie hors la lois, édition ENAG, Alger, 1993.
- 20- Gallo (Max), De Gaulle le premier des français, tome 3, édition Robert Laffont, paris, 1998.

- 21- Goinard (Pierre), Algérie l'œuvre française, Edition, paris, 1984.
- 22- Hans Hartmut(Elsen), La guerre d'Algérie 1954- 1962, la transition d'un France à une autre le passage de la VI^{ème} à la V^{ème} république, édition Publisud, paris, 1999.
- 23- Harbi (Mohamed), Stora (Benjamin), La guerre d'Algérie 1954- 1962, La fin de l'amnésie, Edition Robert Leffont, sans date, paris, 2004
- 24- Henni (Ahmed), La collaboration agraire et le sous développement en Algérie, SNED, Alger, 1982.
- 25- Home (Alistaire), Histoire de la guerre d'Algérie, Abbin Michel, paris, 1980.
- 26- Jurquet (Jacques), la révolution nationale algérienne et le parti communiste français, tome 3, édition du centenaire, paris, 1979.
- 27- Kaddache (Mahfoud), La vie politique à Alger de 1919- 1939, SNED, Alger.
- 28- Kauffer (Rému), L'OAS, histoire d'une organisation secrète, Fayard, paris, 1986.
- 29- Keddache (Mahfoud), El l'Algérie se libère 1954- 1962, Alger, 2003.
- 30- Levney (Michel), Paysans algériens, le terre, la vigne, et les hommes, édition du Seuil, paris, 1963.
- 31- Mameri (Khalifa), Les Nations Unis face à la prestation algérienne, édition SNED, Alger, S.D.p .
- 32- Meyniers (Gilbert), Histoire du F.L.N. 1954- 1962, édition Casbah, Alger, 2003.
- 33- Nouschi (André), L'Algérie amère 1914- 1994, édition de la naissance des sciences de l'homme, paris, 1975.
- 34- Nouschi (André), La naissance du nationalisme algérien, paris, Minuit, 1962.
- 35- Pervillé (Guy), Pour une histoire de la guerre d'Algérie 1830- 1930, Edition, Picard, 2002.
- 36- Planchais (Jean), Patrick Eveno, La guerre d'Algérie, dossier et témoignage, Haphonic, Alger, 1999.
- 37- Rouvière (Jacques), Le putsch d'Alger, paris, édition France empire, 1976.
- 38- Sari (Djillali), La dépossession des Fellahs 1830- 1962, SNDE, Alger, 1975.
- 39- Stora (Benjamin), Histoire de l'Algérie contemporaine 1830- 1889, Alger, 2006.

- 40- Tourchard (Jean), Le gaullisme 1940- 1962, édition du Seuil, paris, 1978.
- 41- Tricot (Bernard), Les sentiers de la paix, Algérie 1950-1962, Plan, paris, 1972.

ط - الرسائل الجامعية

- 1 بن حويذة (علي) ، الحياة السياسية بمنطقة سيدي بلعباس من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى اندلاع الثورة التحريرية، 1919 - 1954، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 208 - 2009.
- 2 تواتي (دحماني) ، المنظمة المسلحة السرية في الجزائر 1961 - 1962، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، الجزائر، 1999 - 2000.
- 3 بيلمي (مسعود) ، الثورة الجزائرية والمرحلة الانتقالية من وقف القتال إلى إنشاء المجلس التأسيسي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1998، 1999
- 4 ضيف الله (عقيلة) ، التنظيم السياسي الإداري في الجزائر 1954 - 1962، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 1995.
- 5 عبيد (أحمد)، أزمة الخمر بالجزائر وانعكاساتها الاجتماعية والسياسية 1929 - 1936، رسالة لنيل شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ، ديسمبر 1977.
- 6 مهديد (إبراهيم) ، الجزائريون في القطاع الوهراني بين 1900 - 1962، الجذور الثابتة، الهوية الوطنية للنشاط السياسي، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 1999، 2000.
- 7 قثون (حياة) ، دور ومكانة الإسبان في ترسيخ الاستعمار الفرنسي في الغرب الجزائري 1830 - 1900، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2003.

ي - المجلات باللغة العربية

- 1 بزيان (سعد) ، "منظمة الجيش السري في الجزائر خلال ثورة التحرير من النشاط إلى السقوط"، مجلة الراصد، العدد الثاني، مارس، أبريل، 2002،
- 2 البشير شنييتي (محمد) ، "تاريخ الجزائر القديم من خلال المؤرخين الفرنسيين"، مجلة الباحث، العدد، الثالث، نوفمبر 1985.
- 3 بن مرسل (أحمد) ، "دراسة شخصية بومدين"، مجلة المصادر، العدد الأول، 1999، ص.ص: 67-68.
- 4 بوحوش (عمار) ، "سياسة الإدماج ومصادرة الأراضي في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر"، المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر، عدد، 12، تونس، جويلية 1978.
- 5 بوعزيز (يحي) ، "ملاح عن ثورة نوفمبر الجزائرية، ومواقف ديغول اتجاهها لغاية مظاهرات ديسمبر 1960"، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، العدد، 73-74، سبتمبر 1979
- 6 رخيلا (عمار) ، "أبعاد ومفاهيم في بيان أول نوفمبر 1954"، مجلة المصادر، العدد، الرابع، 2001
- 7 رخيلا (عمار) ، "البعد الإنساني في الثورة الجزائرية"، مجلة المصادر، العدد، 7، نوفمبر، 2002.
- 8 رضوان شرف الدين (أحمد) ، التعذيب قراءة في جريدة المجاهد 1975-1962، مجلة المصادر، العدد، الثامن، ماي، 2008.
- 9 سعيديوني (ناصر الدين) ، "أحداث 8 ماي 1945 ذكرى تضحيات جسيمة وعبرة كفاح مرير"، مجلة الذاكرة، المتحف الوطني للمجاهد، العدد الثاني، 1995
- 10 - شرقي (محمد) ، "نماذج من سياسة التحرير الوطني اتجاه الاستعمار الفرنسي في الولاية الثانية 1954-1962"، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، القيم الفكرية الإنسانية في الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، الجزء الأول، قسنطينة، 2003

- 11 - صاري (أحمد) ، "حوادث 8 ماي 1945 من خلال بعض الوثائق الرسمية"،
مجلة الذاكرة، المتحف الوطني للمجاهد، العدد، السادس، نوفمبر، 2000.
- 12 - صاري (جيلالي) ، "الأرياف الجزائرية"، مجلة الثقافة، العدد، 83، أكتوبر
1984.
- 13 - صاري (جيلالي) ، "مظاهرات 11 ديسمبر 1960 ودورها في التحرير
الوطني"، مجلة المصادر، العدد الثاني، 1979
- 14 - الطيب العقون (محمد) ، "الشهيد زيغوت يوسف، القائد الشعبي المتواضع"،
مجلة الذاكرة، العدد، 5، 1988
- 15 - العربي الزبيري (محمد) ، "انعكاسات الثورة الجزائرية على سياسة الجنرال
ديغول"، مجلة الذاكرة، العدد، السادس، نوفمبر 2000
- 16 - العربي الزبيري (محمد) ، رخيلة (عمار) ، بديدة (لزهري)، مسعود (سيد
علي) ، ودوع (محمد) ؛ "الثورة الجزائرية 1954-1962"، منشورات المركز
الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،
الجزائر، 2007
- 17 - محمد العربي (الزبيري) ، مجلة الرواية، السنة الأولى، العدد الأول،
جانفي- فيفري 1996
- 18 - محمد العربي (ولد خليفة) ، "المذابح الكولونيالية في الجزائر، نماذج من
الإجرام المنظم وشواهد من صمود شعبنا ومعاناته"، مجلة المصادر، عدد،
الأسلاك الشائكة المكهربة.
- 19 - فغور "دحو" ، "حرب العصابات، دراسة للمفاهيم والممارسة" ، مجلة
الذاكرة، العدد السادس، نوفمبر، 2000، المتحف الوطني للمجاهد.
- 20 - قنطاري (محمد) ، "مظاهرات ديسمبر 1960 (أسبابها، وقائعها، نتائجها)"،
مجلة المصادر، العدد، 3، 2000
- 21 - قنطاري (محمد) ، "الفتح أكتوبر 1955، استئناف الهجمات الكبرى ضد
القوات الفرنسية بالقطاع الغربي"، الجمهورية الأسبوعية، 27-09 إلى 03-10
1994، العدد، 284.

- 22 - لعياض (نصر الدين)، "الخطاب الصحفي الاستعماري في ظروف الأزمة"، مجلة المصادر، العدد الأول، 1999.
- 23 - لونيسي (إبراهيم)، "تجدد فكرة العمل المسلح في الجزائر إبان الحرب العالمية الثانية"، مجلة المصادر، العدد، 7 نوفمبر 2002
- 24 - لونيسي (إبراهيم)، "الفكرة الاندماجية في الجزائر 1830-1945 بين الطرح الفرنسي والموقف الجزائري"، مجلة الرؤية، السنة الثالثة، الجزائر، العدد، 3، السداسي الأول، 1997.
- 25 - ماتيوز (تانيا)، "بداية الصراع المرير"، ترجمة: محمد الصالح بكوش، مجلة المصادر، العدد الأول، 1999.
- 26 - مجاود (محمد)، "أبعاد وآثار الاختراق الاستعماري الفرنسي في منطقة بلعباس"، ملتقى وطني من 12-13 نوفمبر 2001، جامعة سيدي بلعباس، حول تاريخ المنطقة خلال الفترة الاستعمارية 1830-1954، الجزء الثاني، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2008.
- 27 - مجلة الجيش، "فرانز فانون: الطبيب الثائر المنصهر في ثورة التحرير"، عدد خاص 376، نوفمبر، 1994.
- 28 - مجلة أول نوفمبر 1983، 08 ماي أسبابها ونتائجها، العدد، 633.
- 29 - مجلة أول نوفمبر، "شهداء المقصلة"، العدد، 157، 158، 1997.
- 30 - مقنوش (كريم)، "جرائم المنظمة المسلحة السرية في الجزائر"، مجلة المصادر، العدد، 9، السداسي الأول، الجزائر، 2004.
- 31 - مناصرية (يوسف)، "جريمة 8 ماي 1945 في مخططات الاستعمار الفرنسي"، مجلة المصادر، العدد، 7، نوفمبر، 2002.
- 32 - ولد النبية (كريم)، "الانتخابات المحلية في البلديات المختلطة، انتخابات 1947، بلدية عين تموشنت المختلطة نموذجا"، مجلة المصادر، العدد، 9، السداسي الأول، 2004.

- 1- Albert Lambert (Pierre), « Le président parle », Yves Courrière, La guerre d'Algérie, tome 6.
- 2- Albert Lambert (Pierre), « Un voyage mouvementé », in La guerre d'Algérie», tome 7.
- 3- Branche (Raphaëlle), « Torture la république en accusation », Histoire, N° 15, 2002.
- 4- Cannavagis (Pierre), « L'Algérie algérienne ou la fin des illusions », in Histoire, La fin de l'Algérie française 1959- 1962, numéro spécial, p: 58.
- 5- Hermandy (Philippe), « Ce qui étaient les pieds noirs », la NEF, N°8, décembre 1956
- 6- Historia, « La fin de l'Algérie française 1959- 1962 », N° spécial, 424 bis, 1982.
- 7- Jacques Jordi (Jean); Perville (Guy), « Alger 1940- 1962 une ville en guerre », Histoire, N° 56,
- 8- Laffont (Pierre), « L'entretien De Gaulle », histoire N° spécial, 425, 1982,
- 9- Marie de la gorge (Paul), « Le discours de Constantine », Yves Courrière, La guerre d'Algérie, tome 6.
- 10- Masson (Philippe), « La décision vient de paris ». in: Yves Courrière, La guerre d'Algérie, tome 6.
- 11- Montagnon (Pierre), « L'hydre à deux corps », Histoire, N°76, mars-avril, 2002
- 12- Paillet (Claude), La grand tournant l'autodétermination, histoire, N° spécial, 424, paris, 1982.
- 13- Pervillé (Guy), « La France n'avait pas perdu la pierre », Histoire, mars, 2002.
- 14- Pervillé (Guy), « Terrorisme l'armée du FLN », Histoire, N°15, 2002
- 15- Philippe (Hernandez), « Ceux qui étaient les pieds noirs », la NEF, n°8, décembre 1956.
- 16- Planchais (Jean), « Après le putsch l'action clandestine », Histoire, N° spécial, 700.
- 17- Xavie (François), De Vivie, « Le Zénith illusoire de l'Algérie française », histoire, N° spécial, la fin de l'Algérie française 1959- 1962
- 18- Yahiaoui (Messaouda), « Les événements du 11 décembre 1960 dans la révolution Algérienne », El Massadir, N° 7, novembre, 2002.

ل - الجرائد اليومية باللغة العربية

Charles Robert Ageron, L'Algérie dernière chance de la puissance - 1
française, étude d'un mythe politique française, 1954- 1962, revue de
relations internationales, n°75, édition multiples, paris.
الجزائر، 30-11-1990، ص 21

- 2 الخبر اليومي، 10 نوفمبر 2013، 7249.
- 3 الخبر اليومي، 10-07-2008، ص: 20.
- 4 الخبر اليومي، 17 مارس 2012، العدد، 6657.
- 5 الخبر اليومي، 22 نوفمبر 2007.
- 6 الخبر اليومي، 27 فيفري 2008، العدد، 5255.
- 7 الخبر اليومي، 3 ماي 2007.
- 8 الخبر اليومي، 7 مارس 2012، العدد، 6647.
- 9 الخبر اليومي، 7 ماي 2006.
- 10 - الخبر اليومي، 8 جويلية 2012.
- 11 - الخبر اليومي، 8 ماي 2007.
- 12 - الخبر اليومي، 8 ماي 2008.
- 13 - الخبر اليومي، الاثنين 11-11-2013، العدد، 7250.
- 14 - الخبر اليومي، الأربعاء 7 ماي 2008، حوار مع الباحث الفرنسي جون
بيار بيرولو، أجراه عثمان طالبي.
- 15 - الخبر اليومي، الخميس 1 مارس 2007، العدد، 4950.
- 16 - الخبر اليومي، الخميس 14 فبراير 2008، العدد، 5244.
- 17 - الخبر اليومي، السبت 10 ماي 2008.
- 18 - الخبر اليومي، السبت 17 مارس 2012، العدد، 6657.

- 19 - الخبر اليومي، حوار مع الباحث جون بيار بيرولو، أعده، عثمان طالبي،
الأربعاء، 7 ماي 2008.
- 20 - الشروق اليومي، 19-01-2013، العدد، 3599.
- 21 - الشروق اليومي، 29 ديسمبر 2005، العدد، 1573، أوراق خاصة محمد
الميلي.
- 22 - الشروق اليومي، 7 ماي 2002، العدد، 2604.
- 23 - الشروق اليومي، الاثنين 2 جانفي 2006، العدد، 1575.
- 24 - الشروق اليومي، الأحد 18 ديسمبر 2005، العدد، 1563.
- 25 - الشروق اليومي، الأحد 28 جانفي 2006، العدد، 1520، ورقات بقلم محمد
الميلي.
- 26 - الشروق اليومي، الأحد 8 جانفي 2006، العدد 1584، أوراق خاصة بقلم
محمد ميلي.
- 27 - الشروق اليومي، الأربعاء 10 ماي 2006، العدد، 1632.
- 28 - الشروق اليومي، الثلاثاء 18 أفريل 2006، العدد، 1664، أوراق خاصة
بقلم محمد ميلي.
- 29 - الشروق اليومي، الثلاثاء 3 جانفي 2006، العدد، 1576، أوراق خاصة بقلم
محمد ميلي.
- 30 - الشروق اليومي، السبت 31 ديسمبر 2005، العدد، 1574، أوراق خاصة
بقلم محمد ميلي.
- 31 - جريدة الشروق، الأربعاء 10 ماي 2006، العدد، 1682.
- 32 - جريدة الشعب، 11 ديسمبر 1995، عدد، 10875.

٢ - القواميس

1- Grand Larousse encyclopédique, tome 4, librairie Larousse, paris, 1969.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات

	كلمة
	إهداء
أ	مقدمة.....
14	مدخل: السياسية الاستيطانية في تمكين الأقلية الأوروبية في الجزائر
14	1 الاستيطان دوره في تكوين وتثبيت الأقلية الأوروبية.....
30	2 مميزات وخصائص الأقلية الأوروبية ونظرتها للجزائريين.....
43	الفصل الأول: الأقلية الأوروبية والجزائريين في ظل الحرب العالمية الثانية
	1939 - 1945.
44	1 الأقلية الأوروبية وموقفها من الجزائريين في ظل الحرب العالمية الثانية.....
44	1-1- الأقلية الأوروبية وموقفها من الإصلاحات أثناء الحرب العالمية الثانية.....
58	1-2- الأقلية الأوروبية ومساهمتها في تعفين الجو قبل مجازر 8 ماي 1945.....
74	2 الأقلية الأوروبية ومجازر 8 ماي 1945.....
74	2-1- دور وموقف الأقلية الأوروبية في مجازر 8 ماي 1945.....
92	2-2- نتائج وانعكاسات مجازر 8 ماي 1945 على الأقلية الأوروبية.....
107	الفصل الثاني: الأقلية الأوروبية والجزائريين 1946 - 1954.
108	1 إصلاحات الحكومة الفرنسية وموقف الأقلية الأوروبية منها في ظل ثرائها الاقتصادي وهيمنتها السياسية.....

108	1-1- الثراء الاقتصادي والهيمنة السياسية للأقلية الأوروبية...
124	1-2- الأقلية الأوروبية وموقفها من القانون الأساسي 20 سبتمبر 1947.
139	2 الأقلية الأوروبية موقفها من نشاط الحركة الوطنية الجزائرية ومشاركتها في الانتخابات 1946-1954.
139	1-2- موقف الأقلية الأوروبية من نشاط الحركة الوطنية الجزائرية 1946-1954.
159	2-2- الإدارة الفرنسية والانتخابات 1946-1954 ما بين الأقلية الأوروبية والجزائريين.
176	الفصل الثالث: الأقلية الأوروبية والثورة الجزائرية في ظل الجمهورية الرابعة 1954-1958.
177	1 موقف الأقلية الأوروبية ودورها في الثورة الجزائرية 1954- 1956.
177	1-1- الأقلية الأوروبية وردود الفعل الأولية من انطلاق الثورة الجزائرية.
195	1-2- الأقلية الأوروبية ودور إعلامها أثناء الثورة التحريرية..
212	1-3- الأقلية الأوروبية وأحداث 20 أوت 1955.....
221	2 الأقلية الأوروبية ومواجهتها للثورة ورفضها للإصلاح 1956-1958.
221	1-2- المواجهة المبكرة من الأقلية الأوروبية على الثورة الجزائرية.
241	2-2- موقف الأقلية الأوروبية من إصلاحات الحكومات الفرنسية 1954-1958.

258	الفصل الرابع: الأقلية الأوروبية والثورة الجزائرية في ظل الجمهورية
	الخامسة 1958 - 1960.
259	1 الأقلية الأوروبية موقفها ودورها ضمن مرحلة 1958 - 1960....
259	1-1 رد فعل الأقلية الأوروبية اتجاه قوة وشمولية الثورة الجزائرية.
266	1-2 دور الأقلية الأوروبية في أحداث 13 ماي 1958.....
279	1-3 موقف الأقلية الأوروبية من سياسة الجنرال شارل ديغول
303	2 ضغوطات الأقلية الأوروبية في إبقاء الجزائر الفرنسية 1958 - 1960
303	2-1 أسبوع المتاريس 24 جانفي 1960.....
330	2-2 دورها في مظاهرات ديسمبر 1960.....
347	2-3 مساهمتها في انقلاب 22-25 أفريل 1961.....
362	الفصل الخامس: الأقلية الأوروبية وفقدانها الجزائر الفرنسية 1960 - 1962.
363	1 الأقلية الأوروبية ونهاية البداية 1960 - 1962.
363	1 1 المفاوضات الجدية والأقلية الأوروبية 1960 - 19 مارس 1962.
391	1-2 الأقلية الأوروبية ومساهمتها في إجرام المنظمة المسلحة السرية 1961 - 1962.....
416	2 الأقلية الأوروبية والمرحلة الانتقالية 19 مارس 1962 - 5 جويلية 1962 ومواقف هيئات الثورة الجزائرية منها.....
416	2-1 الأقلية الأوروبية والمرحلة الانتقالية 19 مارس 1962 - 5 جويلية 1962.....

444	2-2- رؤى ومواقف هيئات الثورة التحريرية من الأقلية الأوروبية
467	خاتمة
472	ملاحق
499	قائمة الببليوغرافيا
532	فهرس المحتويات